نقد منهج
التفسير والمفسرين المعاصر

الشيخ سالم الصفار

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جمعداری شد
ش.اموال: ۳۰۸۷۴

نقد منهج التفسير والمفسرين المقارن

الشيخ سالم الصفار البغدادي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۱۴۳۹۱
تاریخ ثبت :

بسم الله الرحمن الرحیم

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة الفرقان: ۳۳)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإهـداء

إلى روح الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (رض) الذي جعلني أتمسك بالقرآن الكريم بقوة من خلال محاضراته في علوم القرآن بواسطة تلميذه السيد آية الله محمد باقر الحكيم. وعندما التقيته وجهني للكتابة عن المفسر الكبير الشيخ البلاغي (قده).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

ليس بدعاً من القول أو ادعاءً، عندما نقول إنَّ القرآن الكريم والتدبّر فيه قد استغلَّ على أسوأ استغلال سلبي.

تارة يحتج بارتجالات اجتهادية أمام عظمة القرآن ومبلغه الرسول الأكرم ﷺ، وأخرى بحديث ضعيف عن أنَّ الأنبياء لا يورثون.. ولتصدعهم الزهراء عليها السلام بالآيات البيِّنات.. أو من يقول حسبنا كتاب الله، بحيث ما يلبث أن يقع في مشكلة فهم الأب.. أو يشرّع على هواه؟!

وقد شخص النبي ﷺ في عصره ذلك عندما وبّخ بعض أصحابه الذين يأخذون من اليهود في حياته فقال ﷺ: «لو كان موسى حيّاً.. لاتبعني» وأيضاً منع أن يكتب لهم ﷺ كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً؟!

وأخرى يستغلّه معاوية المتمرّد لمآربه منها رفعه أمام الخليفة الرابع وبأقل تقدير للفتنة.. ثم يخالفه في مواقع كثيرة، بل إنَّ نفس القرآن يلعنه: كظالم، وباغي، وصاحب فتنة ومحرّف.. الخ.

وهكذا وقف مذهب الحاكم ووعّاظه باستغلال القرآن سياسياً، ولترويج مذهب الغالب مطلقاً، فأصبح القرآن ضحية سياسات الحكام ومذاهب وعّاظه؟!

بينما عزل أهل القرآن، وأعداله.. لحديث الثقلين: المتواتر والمسند، بينما قول (وسنّتي) خبر آحاد مرفوع؟!

وهم أهل ذكره.. ومن عندهم علم الكتاب.. وموضع الرسالة.. وبيوت مهبط الوحي والتنزيل.. وهم مع القرآن والقرآن معهم.. وربع القرآن قد نزل فيهم خصوصاً وأكثر من ذلك عموماً.

ونتيجة ذلك الانحراف والتحريف السلطاني، توجّه الحاكم بفريقه نحو أقطاب اليهود وإسرائيلياتهم، حيث زكّوهم وعدلوهم، وسودوا تفاسيرهم بإسرائيلياتهم والتي جاءت مع قضية منع وحرق الأحاديث، وبروز المتملقين وذوي المطامع من المرتزقة على فتات موائد السلطان، فالتقت الإسرائيليات مع الأحاديث المخترعة هذا فضلاً عن أنّه وكما سيأتي، إنَّ أحاديث التفسير قليلة جداً، الأمر الذي دفعهم إلى استخدام التفسير بالرأي واستحساناته وغيرها؟!

فعندما أسس أول تفسير للطبري كقدوة لبقية التفاسير، فإنَّ التابعين له ساروا على نفس منهجه، ولم يخالفوه إلاّ بتخفيف الإسرائيليات المستهجنة فقط. فتراهم يعترفون أنَّ المتأخر ابن كثير كاد أن يخلو تفسيره عن غيره من الإسرائيليات وإن لم يحصل ذلك، فهل سلم كليّاً منها أو من سياسة سلطان أو المخترعات أو تزويرات الأحاديث كما سنفصله آنفاً؟!

ونحن عندما نطرح منهج أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في التفسير الحق والأمثل، لأننا نفخر بل نتحدث عن يقين بسلامته وصحّته دون غيرها!

لأننا نتساءل: لماذا حصل الاختلاف والقرآن وآياته بين أيديهم؟!

لماذا جمد الأشاعرة على ظواهره وتحيروا بل عجزوا عن فهم المعاني القرآنية ممَّا أوقعهم بالتجسيم والتشبيه، والرؤية، وعدم خلق القرآن وغيرها؟!

الأمر الذي دعا الزمخشري أن يستخف بعقولهم وجهلهم بل وقال بكفرهم، لعجزهم عن فهم ظواهر الآيات بلاغياً مثل الجان والملائكة والعرش والكناية والتشبيه؟!

كذلك كما يلاحظ على المعتزلة إفراطهم في استخدام العقل،

والتلاعب بالألفاظ ممّا دفعهم أن يفسّروا بعض الحقائق القرآنية كالعرش، والجن وغيرها على أنّها عبارة عن تخييل وما شابه؟!!

ممّا سببوا بنفوذ العلمانية والمستشرقين من هذه الثغرات، مثل د. نصر حامد أبو زيد (المصري) محاكياً بذلك منطق المعتزلة، وهو بنفس الوقت يجترّ نفس منطق المشركين، وتجد في المقابل عجز علماء أهل السنّة عن ردّه ردّاً وافياً وإرشاده إلى صوابه، وذلك لانتمائهم إلى المدرسة الأشعرية، التي عجزت عن إيجاد التفسير الصحيح الذي يكشف تلك الحقائق الغيبية كنصوص وألفاظ وبيان معانيها وتوضيح مصاديقها؟!

ويأتي الجواب الفيصل من مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما في غيره من الأجوبة موجّهاً ومصححاً للأشاعرة والمعتزلة، ولمن أوجدوا الثغرات التي نفذوا بها للطعن في القرآن الكريم، حيث سيأتي عن صاحب تفسير الميزان ـ الطباطبائي ـ بأنّ تلك المعاني الغيبية كالعرش، والملائكة والجن.. حقائق ولها واقع ولكننا لم نتمكن من درك مصاديقها والإحاطة بها هذا أولاً.

وثانياً: إنّ اللجوء إلى التفسير البلاغي بداية غير صحيح، لأنّه لا يجوز حمل الكلام إلاّ على حقيقته، فلا يمكن حمله على المجاز أو التمثيل ـ كما استعارها د. نصر أبو زيد ـ إلاّ عندما تكون هناك قرينة على ذلك. وعليه فإنّ منهج البلاغة والاستعارة، عن الغيب هو منهج منافٍ لأصول المنطق والبلاغة.

وهكذا نتعرف على مدى تأثير الصراع السياسي، على الحقائق وحركة الإسلام، وتشريعاته ومنها التفسير وما يتعلّق به!

فمثلاً ما يتصل بالقرآن وجمعه: حيث وصل للأمة المسلمة أنّ الجمع قد تمّ في عهد الخليفة أبي بكر، أو أنّه نما وتطوّر في عهد الخليفة عمر.. كل ذلك لتغييب حقيقة كبرى وهي أنّ أول من جمعه هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن بدءاً بجمع النبي صلى الله عليه وآله وتأكيده على تلميذه المقرّب

علي عليه السلام نتيجة العهد الأسمى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾﴾! وعليه جاء كل تفسير وفاقاً للمنهج الأول الذي أسس عليه كل فريق تفسيره فقد صرّح الشافعي عن ابن عباس قوله: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلاّ شبيه بمئة حديث!

فكان أن احتاجوا إلى المزيد من الأحاديث الإسرائيلية لسدّ ذلك النقص بسبب انحرافهم عن أهل الذكر ـ أهل البيت ـ إلى أقطاب اليهود وأهل الكتاب؟!

والعنصر الأهم في ذلك تجرّأهم باستخدام الرأي في التفسير بشكل مستهجن لذلك كانت تفاسيرهم تطبيقاً وتبريراً لمذاهبهم ومعتقداتهم وعليه سنبين أنّه:

١ ـ انحرافهم في التفسير بالمأثور القليل المنجبر بالإسرائيليات والموضوعات، بل حتى بمحاولة تفسير القرآن بالقرآن حسب منهجهم الخاطىء!

٢ ـ تجرّأهم باستخدام الرأي بشكله المستهجن.

٣ ـ عدم الإنصاف باتهام بعضهم البعض بمختلف التهم كالزندقة، والباطنية.. وغيرها

كأشاعرة ومعتزلة، وكان نصيب المعارضة شيعة أهل البيت ـ من ذلك الحصة الأكبر، لأنَّ السيف والقلم كان بأيديهم؟!

أمام هذا الواقع التاريخي نتعرّف إلى مدى تعرّض التفسير للأهواء، والاختلافات وأسوأ عملية استغلال وتشويه، وتزوير، لمختلف الأغراض سياسية ووعاظية، ومذهبية، وترغيبات مادية ومناصب!!

فلا المأثور يمكنه تخفيف حمأة التفسير بالرأي لنقصه وقصوره، لأنّه لا اجتهاد بالرأي أمام النص، وسيأتي كم من التناقضات والشطحات أنتجها التفسير بالرأي!

نعم وإن كان هناك قد يجتمع المأثور الصحيح مع حسن وشروط للاجتهاد الشديد كما في منهج أهل البيت ومن سعة اطلاع المفسر، ومع ذلك نفضل ألاَّ يعتمد عليه كما استخدمه الآخرين، إلاَّ إذا ثبت لنا على وجه القطع أثر صحيح وعقل صريح بالمقطوع!

ولذلك وقعت الفوضى بحيث تجرّأ كل مَنْ هبَّ ودبَّ إلى التفسير، فخرج عن دائرة الاختصاصيين الأمر الذي أوجد ثغرات لدخول العلمانيين من تنفيذ مؤامراتهم وعجز مراكز القرار والاستفتاء الإسلامي عن إيقاف تلك الفوضى أو الردّ عليها؟!

ولعلَّ أهم الأسباب هو أن منهج المبالغة بالتفسير بالرأي مع المأثور الإسرائيلي والموضوع، قد يجعل أن يحتج الأعداء بما هو موجود بالتراث.

وبذلك نفذ شياطين العلمانية وجنود الاستشراق والاستعمار، أمثال أركون والجابري، ونصر حامد وأشباههم.

بينما منهجنا في مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقوم وينطلق من القرآن الكريم إلى الواقع لأنَّه هو الذي نزل لإيجاد الحلول وعمارة الكون، وبناء الإنسان وتنظيم الإنسانية لأنَّه النور الواحد، المنوّر لغيره، الذي اخترق وسفّه كل القناعات الجاهلية، وعليه فإنَّ منهج الآل يعتمد على الركائز القرآنية سواء:

١ ـ استنطاق القرآن الكريم وآياته بعضها لبعض.

٢ ـ منهج عرض التراث والنفس على الكتاب العزيز.

٣ ـ التحذير من الإسرائيليات والموضوعات.

٤ ـ الابتعاد قدر الإمكان عن التفسير بالرأي المذموم وغيره.

وعلى ضوء هذا المنهج الأهل بيتي يأتي التفسير، والتأويل على ضوء وبركة وحركة ومفاعلة الآيات واستنطاقها بعضها مع البعض!

وأخيراً فإذا أرادت الإنسانية أن تبحث عن حلولها ومصيرها، فما عليها إلاّ الرجوع والتسليم بالإسلام العظيم، وبالتالي فما على المسلمين إلاّ بالرجوع إلى القرآن الكريم، الذي أحدث أكبر ثورة في عالم الإنسان.

وهكذا ينبغي للمسلمين البحث عن أهل القرآن، وأهل الذكر، وأهل بيت النبوّة، لا أهل السلطة وملوكيات البطون. وعندها لكي يتعرفون على معرفة القرآن وتفسيره القرآني الصحيح الأمثل، عند أهل بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل، وترك التعصّب للمذاهب والرجال، بل معرفة الرجال بالحق، والاعتصام على المودّة لأهل البيت لمنهج: إعرف الحق تعرف أهله.

وأخيراً فهم خالفوا الواقع.. ونحن رفضنا ما وقع؟!

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الشيخ سالم الصفار البغدادي

١٩٩٩/٨/٨م

أواخر ربيع الثاني/ ١٤٢٠هـ

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تمهيد

ما هو القرآن؟

هو معجزة النبي ﷺ الخالدة.. فمعجزته عين رسالته.. هو الثقل الأكبر.. والحبل الإلهي الممدود من السماء إلى الأرض، الذي ينجو من تمسّك به، ويهلك من يزيغ عنه.. هو النور الواحد الأوحد وما دونه الظلمات ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وحيث كانت معاجز الأنبياء الماضين عليهم السلام مصاحبة لهم وانتهت بانتهاء دور كل نبيّ، وبقيت عبارة عن حديث في التاريخ، فضلاً عمّا حصل للأديان من تزوير وانحراف، الأمر الذي جعلها في نظر الأرضيين والعلمانيين مجرّد أساطير خرافية بحيث حكموا على كل الأديان بالخرافة والتخلّف وغيرها.

ولولا أنَّ القرآن الكريم قد حفظ تلك المعاجز وصدّقها لما كنّا حتى نحن نؤمن بها، حيث بقيت بدون دليل يؤيدها. ولكن بما أنَّ القرآن الكريم المعجز قد ذكرها فقد أذعنا بها وصدقناها[1]!

---

(١) هذا قياس استثنائي.

ما هي حقيقة إعجاز القرآن:

لقد تحدّى القرآن الكريم أرباب اللغة والبلاغة على أن يأتوا بسورة واحدة من مثله بل لازال التحدّي مفتوحاً وعلى كل المستويات، لأنّه المعجز في أسلوبه، معجز في كل آياته ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] معجز بمناهجه وإحكامه، معجز بكلّ ما ذكره من علوم إذ لازال العلم كل يوم يصل إلى حيث كان القرآن قد سبقه، والتحدّي بالكشف المستقبلي أكثر وأكثر! معجز في تشريعاته التي تطبّق في كل زمان ومكان، للبدوي ورجل الفضاء وهكذا... الخ وعليه فإنّ التحدّي والعجز دليل دافع للإذعان بأنّ هذا القرآن هو كلام الله تعالى وإلاّ فإنّ العلمانية التي تمثّل جاهلية القرن الحادي والعشرين هي الأخرى معنية بنفس التحدّي الذي واجه به جاهلية الجزيرة!

قال القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم تنزّل إلى عشر سور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣].

وهو يعلم عجزهم أمام تحدّي القرآن المعجز، فطلب منهم ولو بسورة واحدة من مثله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقد حاول البعض فجاءت محاولاتهم مضحكة ومستهجنة!

هذا كله في جانب واحد، وهناك جوانب مختلفة كلّها تشهد على إعجاز القرآن وأنّه من عالم الغيب أوحىٰ به على رسوله محمّد ﷺ ليكون معجزته الخالدة وبذلك يكون مصدّقاً وحافظاً لكلّ معاجز من سبقوه من الأنبياء عليهم السلام ومصححاً لما التبس على الناس من شكوك وانحرافات، والخاتم الأتمّ لما يحويه من مناهج الحياة، والنظم الإنسانية والتشريعية المحكمة لهداية وبناء الإنسان!

إلاّ أنَّ الشيطان الذي أخذ على نفسه تضليل الإنسان وغوايته لا يعدم جنوداً وحزباً من المجرمين ينافخون الحق، ويكفرون بالحقائق فيأبون إلاّ العيش في الظلمات والضلالات، فيقومون بإثارة الضباب بوجه الحق وإطفاء نوره بمختلف الوسائل الشيطانية.

وممّا لا شكّ فيه فإنَّ أقرب الناس من سموم إبليس الرجيم هم اليهود قتلة الأنبياء عليهم السلام وأبناء القردة والخنازير، قطّاع الطرق إلى الله عزَّ وجلّ بحيث أفسدوا على المسيحية دينهم وصنعوا منهم الصليبية وأبنائهم من المستشرقين والحكّام ليمهّدوا للاستعمار، وبالتالي ليشكلوا الحزب العلماني الشيطاني!

فقد جنّد الشيطان المستشرقين لتضعيف اعتقاد وتمسّك المسلم بالقرآن الكريم وأنَّ محمّد هو الذي ألّف القرآن بعد أخذه من الرهبان أو هذيان مجنون و...و..الخ على شاكلة كتاب المرتد سلمان رشدي ـ الآيات الشيطانية ـ خروجاً عن كل الآداب والقيم والموضوعية العلمية، إلى الكذب والشتائم والسباب الرخيص حقداً وتعصّباً لتضليل وحجب الإنسانية عن الحقائق وإشراقات القرآن الكريم، مستمدّين ذلك من المضلّ الأكبر وهو الشيطان الرجيم. ومن هؤلاء رينان الفرنسي، ومواطنه كيمون وأشباههم، فإنَّ أمثال هؤلاء لا يمكن اعتبار ذلك كردّة فعل تجاه تعسّف الكنيسة أبان الثورة الفرنسية، وعصر النهضة الصناعية بل هو الحقد والخلفيات اليهودية!

شبهة المستشرقين حول الوحي:

بما أنَّ القرآن الكريم جاء لبناء الإنسان وإخراجه من ظلمات الجاهلية بسيطة كانت كعبادة الأصنام والجبابرة والشهوات أو عصرية كعبادة المادة ودين النظريات والمناهج الأرضية، فقد جاءت شبهاتهم نتيجة كفرهم وضلالهم واحدة ومتشابهة ـ باعتبار أنَّ الإنسان هو المحور في كل ذلك ـ. حيث ذكرها القرآن سابقاً بقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ

يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنبياء:٢١]. أي جزمهم وعنادهم بالعدم الموهوم. وكذلك قوله أيضاً: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ [الدخان:١٤] حيث ذكرت الجاهلية المعاصرة، أنَّ هناك حالات نفسية وهذيان ادّعاه محمّد؟!

ومنها أيضاً: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان:٥].

ويردّ القرآن المتحدّي على هؤلاء كما ردَّ أشباههم بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان:٦]. وكذلك من الشبهات قديماً وحديثاً في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣] نتيجة ذلك يتضح لنا أن بين الجاهلية والكفر قواسم مشتركة قديماً وحديثاً ومستقبلاً لأنَّ الإنسان هو الإنسان بكيانه وإن اختلفت وتطورت بعض ثقافته ووسائله! والردّ هو نفس ذاك الردّ فنقول لهم:

ما هو الوحي؟

الوحي لغة: هو الإعلام في خفاء[1]. فالإنسان بما أنه مخلوق لله تعالى، فإنَّ كل فكرة يدركها الإنسان فهي ترتبط في وجودها . . بسبب أو بآخر . . بالله عزَّ وجلّ خالق الإنسان ومدبّر أموره. ولكن شعور الإنسان تجاه مصدر هذه الفكرة . . بالرغم من إدراكه العقلي . . قد يكون مختلفاً. ونذكر أنحاء ثلاثة لهذا الشعور:

١ ـ أن يشعر بأنَّ الفكرة نابعة من ذاته، ووليدة جهده الخاص وإدراكه الشخصي وهذا الشعور هو ما نحسّه في حالات الإدراك الاعتيادية تجاه أفكارنا العادية. فإنّنا مع اعتقادنا بأنَّ أفكارنا منسوبة إلى الله تعالى على أساس

---

(١) لسان العرب ١٥/ ٣٨١ مادة: وحي.

أنّه الخالق المدبّر لعالم الوجود بجميع مقوماته، ومنه قدرتنا على التفكير ـ نشعر وكأنّ هذه الفكرة وليدة هذا المزيج المركّب في ذات أنفسنا وناتجة عن مجموعة المواهب والقدرات الشخصية لنا.

٢ ـ أن يشعر الإنسان بأنّ الفكرة، قد ألقيت عليه من طوق علوي، وجاءته من خارج ذاته، وشعوره هذا بدرجة من الوضوح بحيث يحسّ بهذا الإلقاء والانفصالية بين الذات الملقية والذات المتلقية، ولكنه مع ذلك كلّه لا يكاد يحسّ بالأسلوب والطريقة التي تمّت فيها عملية إلقاء الفكرة. وهذا النحو من الشعور تجاه الفكرة هو ما يحصل في حالات (الإلهام) الإلهي[1].

٣ ـ أن يصاحب الشعور الحسّي الذي شرحناه في فقرة (٢)، شعور حسّي آخر بالطريقة والأسلوب الذي تتمّ به عملية الإلقاء والاتصال وهذا الحسّ والشعور ـ سواء الحسّ بأنّ الفكرة جاءت من أعلى أو الحسّ بأنّ مجيئها كان بالأسلوب الخاص ـ لا بدّ فيه أن يكون واضحاً وجليّاً وضوح إدراكنا للأشياء بحواسنا العادية. وهذا ما يحدث في حالات الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام أو على الأقل ما حدث في وحي القرآن الكريم إلى نبيّنا صلى الله عليه وآله.

إذن فهناك فرق بين الإدراك العادي الذي يكون نتيجة الموهبة، وبين الإلهام، والوحي.

هذا مضافاً إلى ما ذكرناه سابقاً في بحث الإعجاز وتحدّي القرآن المفتوح لكل العصور الذي يؤيد وبلا شكّ أنّ هكذا كتاب معجز من المستحيل أن يكون من صنع البشر.

ويتوضح بل ويقوّي الدليل إذا قارناه بالمقابل بهذيان مسيلمة الكذّاب، والعنسي وميكافيللي وأخيراً آيات سلمان رشدي الشيطانية.

وينقل لنا التاريخ حوادث كثيرة احتياج أبي بكر لعلي عليه السلام في

---

(١) للمزيد، أنظر: محمّد باقر الحكيم ـ المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن ـ ص٣٦، وأيضاً د. صبحي الصالح ـ مباحث في علوم القرآن.

محاججاته في القرآن أو إلى تلميذ علي، ابن عباس. و«سئل أبو بكر الصدّيق عن معنى الأب ما هو؟ فقال: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[1].

وأمّا احتياج عمر بن الخطاب فهو أشهر من أن يذكر، ومن أشهرها عدم معرفته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس:٣١] حيث قال: «إنَّ هذا هو التكلّف يا عمر»[2]. وقرأ يوماً على المنبر ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل:٤٧]. ثم سأل عن التخوّف. فقال له رجل من هذيل: التخوّف عندنا التنقص[3].

ملاحظة مهمة. يعترف عمر بن الخطاب احتياجه فقط وفقط إلى ثلاثة على رأسهم الإمام علي عليه السلام وابن عباس ـ تلميذه ومن شيعته في حرب الجمل وصفين ومحاججته للخصوم بأمره ـ كذلك المحدث عبد الله بن مسعود! أقول: أين كان أعضاء الشورى وعلى رأسهم ابن عفان وما منزلته ومكانته أمام علي عليه السلام وابن عباس وابن مسعود؟!!

إذن فإنَّ حديث الثقلين المتواتر ينصّ على التمسّك بالكتاب والعترة.. لا قرأتم واجتهدتم.. الخ بل تمسّكتم!

هل يوجد طريق آخر للمعرفة؟

كما فعل فريق ذلك، مدّعين أنَّ (حسبنا كتاب الله) وباعتبار القرآن كتاب عربي مبين، فيرجع في تفسير ذلك إلى اللغة واللغويين وكتب المعاجم وغيرها هذا أولاً، وثانياً إلى صحيح السنّة؟!

أمّا الأول: وهو الرجوع إلى اللغة. فنقول هي مرادة ولكنها ليست كافية

---

(١) فتح القدير للشوكاني: ٤/ ٣٣٩.
(٢) الاتقان في علوم القرآن: ٢/ ١١٣.
(٣) الموافقات ـ للشاطبي: ٢/ ٨٧.

لفهم القرآن الكريم. وعليه فقد وقع التخبّط بين الإفراط والتفريط والتأويل المتكلّف كما سيجيء عند الأشعري في نظرية الكسب ومسألة الجبر والتفويض وغيرها، والتداخل بين الموروث الحديثي الذي على ضوئه يفهم القرآن الكريم.

ونشير هنا مثلاً كيف نفهم تفسير ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

لأنّه إذا كان أولاً لا يكون آخراً وبالعكس، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فهل المراد المكانية، فإذا كان معي فلا يكون معك! وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. وقوله تعالى ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وأدقّ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وأكثر دقّة في قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فهنا تقصر بل تعجز اللغة عن تفسير تلك المعاني الدقيقة. الأمر الذي أوقع الكثير من المفسّرين ـ كما سيجيء ـ في الحيرة والخلط والتأويل غير الصحيح.

وعلى ضوء ذلك لا مجال للرجوع والاعتماد فقط على اللغة وهذا أمر واضح ووجداني. وعليه فلا مناص من الرجوع والائتمار واتباع ما أمرنا به النبي الأكرم في متواتر أحاديثه من الرجوع إلى أعدال وثقل الكتاب، وهم العترة المباركة. وإنّك إن قرأت القرآن تجد إشارات إلى وجوب التعلّم والتعليم والأخذ من أهل الذكر ومَن عنده علم الكتاب والحفظة.. الخ.

أمّا الثاني: وهو الرجوع إلى الصحيح من السنّة؟!

إنّ ما أصاب السنّة عند العامة، من منع وحرق، وفتح الروافد المختلفة وتبني الإسرائيليات فضلاً عن التعصّب والنصب حيث يؤخذ من الخارجي ولا يؤخذ بحديث من كان أو من يرى الحق مع علي في حربه مع معاوية؟!

١ ـ **منع كتابة سنّة الرسول ﷺ إلى آخر القرن الأول**: كما حصل في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر. كما في طبقات ابن سعد: (إنَّ الأحاديث كثرت على عهد عمر فأنشد الناس أن يأتوه بها فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها)[١] ومثله ما ذكره الذهبي عن أبي بكر[٢].

وما روي أنَّ عمر قام بحبس ثلاثة محدثين معروفين، ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال لهم: أكثرتم الحديث عن رسول الله[٣].

وقصة عمر معروفة مع أبي هريرة حين ضربه بالدرّة ومنعه من الحديث. وهكذا الحال في عهد عثمان بن عفان[٤].

٢ ـ **حرق السنّة**: كما روي عن عائشة: أنَّ أبا بكر قد حرق خمسمائة حديثاً، وأخرى غيرها كذلك فإنَّ عبد الله بن مسعود قد حرق صحيفة قيل إنَّ فيها أحاديث عن أهل البيت؟![٥]

٣ ـ **انحراف بعض الصحابة**: فقد فسّر د. الغزالي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] الأمر الذي وبخهم النبي ﷺ بقوله: «لو أنَّ موسى كان فيكم حيّاً ما وسعه إلاّ أن يتبعني»[٦].

٤ ـ **قبول وتزكية أقطاب رواة الإسرائيليات**: رغم ما ذكرنا أعلاه صرّحوا انَّ كثرة الروايات الإسرائيلية ـ المنتشرة في صحاحهم المدعاة ـ ممّا يؤخذ على التابعين ومن بعدهم. . ممّا يصل الناس يرتابون في أقطاب الروايات الإسرائيلية كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه. والحق أنَّ المنقول عن

---

(١) طبقات ابن سعد: ٥/ ١٤٠.
(٢) تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ـ ١/ ٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٧ بترجمة عمر.
(٤) منتخب كنز العمال: ٤/ ١٧٢.
(٥) راجع: تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ـ ١/ ٥، طبقات ابن سعد: ٥/ ١٨٨، تقييد العلم: ص٥٢.
(٦) رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى والبزاز.

هؤلاء فيه الصحيح وفيه غير الصحيح، وعدم الصحة ما لم يصح لا يعلل باتهامهم وحرصهم فهم ثقة وعدول[1]؟!!

بينما لا يقبل حديث العادل أو الثقة الذي اعترف كبار رجالهم بذلك إذا شمَّ أو اتهم أنَّه شيعي يرى أنَّ الحقّ مع علي في حربه مع معاوية في صفّين!

وقد انعكس هذا الواقع سلباً على صحاحهم المدعاة هذا بالإضافة إلى شخصية كتابها كالبخاري ومسلم، لاتهامهما بالبدع وفساد العقيدة بل اتهام من حضر عندهم، وقد تركهم جميع التلامذة، ومحنة البخاري في نيسابور، وسرقته لكتب الآخرين ونسبها إلى نفسه. ففي الوقت الذي يروي عن (١٢٠٠) من الخوارج، ويحتج بأكثر من (٧٠٠) من المحدّثين والحفّاظ يمكن أن يشار إليهم بالأسماء وكلّهم وضّاعون وكذّابون ومطعون فيهم!

ومن هؤلاء ـ للمثال لا الحصر ـ أبان بن فيروز عياش. الذي نقل أكثر من (١٥٠٠) حديث ليس لها أصل، ويقول عنه أحمد بن حنبل: إنَّ أبان كذّاب. ويقول شعبة: لأن يزني الرجل خير من أن يروي عن أبان!

وهكذا مثلاً أنَّ أحمد بن عبد الله الشيباني الجويباري، وضع مع محمّد بن تميم، ومحمّد بن عكاشة (١٠,٠٠٠) حديث. أمّا عثمان بن مقسم البري الكندي وضع أو حرّف ما يقرب من (٢٥,٠٠٠) حديث بحيث أحصى البعض الأحاديث المدفوعة والمحرّفة تصل إلى أكثر من (٤٠,٠٠٠)[2] حديث.

هذا بالإضافة إلى تضارب بقية الصحاح واختلاف رجال الأحاديث

---

(١) مناهل العرفان: ١/ ٤٩٢، التفسير والمفسرون ـ للذهبي ـ ١/ ١٦٥، أصول التفسير ـ ابن تيمية ـ ص١٣ وص١٦، مقدمة ابن خلدون ص٤٩٠. ولو راجعت الكتب فهؤلاء من أقطاب اليهود لتخريب الإسلام.

(٢) راجع: تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي ـ ٤/ ٤١٦، ٢/ ٣٠، إرشاد الساري ١/ ٣٨، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٥٨٩، دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٢٩٢، أضواء على السنّة المحمدية ص٢٥، تأمّلات في الصحيحين ص٩١. معالم المدرستين ١/ ٤٠٢ إلى ص٤٧٩، جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبد البرّ ـ ص٢٠١ من مختصره، أيضاً تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٩ و٥/ ٢١٤ و٢/ ٣٢٤ وغيره.

عندهم باعتبارها مثل الترمذي والنسائي وابن ماجة. . .الخ. بالإضافة إلى الطعون المتبادلة فيما بينهم!

فكيف الحال مع من جعلوهم أعدائهم التقليديين وهم أتباع أهل بيت النبوّة. . حيث نبزوهم بأقذع أنواع الصفات الظالمة نصباً وتعصّباً. . رغم أنّهم يرون لهم السبق والصدق والأمانة وحسن السيرة. . والمشكلة في كل ذلك أخيراً تبلورت في عقدة (حرب صفين) فمن كان من شيعة معاوية، وركض وراء شعاراته العريضة، وأنّه يمثّل الجماعة وبعدها اكتملت فرقته نتيجة اتباع مطلق حاكم غالب فسموا أنفسهم السنّة والجماعة؟!!

ولم يكونوا بأحسن حال من الخوارج (الذين طلبوا الحق فأخطؤه) أو من المتخاذلين الساقطين ضعفاً أمام ظلم متعسّف الحكّام أمثال ابن عمر، وابن الخياط، وابن أكثم الكوفي وأمثالهم!

وكان لا يزال نصيب فريق الحق (شيعة علي) واتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام النصيب الأكبر من القتل والتنكيل والمطاردة. . والنبذ والتشويه والعزل والفصل والاتهام وعدم قبول أحاديثهم لأنّهم لا يؤتمنون على ذلك ـ كذابين زنادقة رافضة يسبّون الصحابة؟! ويرفضون الحكّام بل الحق. . ويرون الحق مع علي في حربه مع خال المؤمنين وكاتب الوحي معاوية؟!!

العكس هو الصحيح:

فلو درسنا الأمر بموضوعية وتجرّد وتقوى فماذا نجد؟

١ ـ أنّ معاوية وشيعته هم بغاة متمردون على مركز الخلافة الرابعة ـ بأقل تقدير ـ!

٢ ـ أنّ معاوية الذي حمل قميص عثمان بن عفان بعد خذله والذي كان يتمنى موته ليحلّ محله[1].

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٢، مروج الذهب ٣/ ٢٥، الطبري ص٤٠٢.

٣ ـ عندما رفع معاوية ـ بسياسة المراوغة ـ القميص يقصد بذلك الانتقام والثأر من الصحابة الذين ثار جلّهم بثورة ضد الفساد الإداري الأموي. وقد كان مع علي عليه السلام يوم صفين (٨٥٠) نفر من أجلاّء الصحابة فقتل منهم معاوية (٣٦٠) نفراً، وتمّم أيضاً معاوية قتل الآخرين بالسم والغيلة كأمثال عمر بن حمق الخزاعي، وكان رأسه أول رأس يرفع بالإسلام، والصحابي حجر بن عدي، ويكفي عمّار بن ياسر، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية»[١]. حتى أنكرت عائشة على معاوية ذلك[٢].

رؤيا النبي صلى الله عليه وآله أنّ بني أُميّة ينزون على منبره نزو القرد وأنّهم شرّ الملوك[٣]. وفي رواية أخرى «فاقتلوه» وعلى ضوء ذلك انقلبت الموازين بأنّ أصبح الباطل حقّاً والحق باطلاً. يقول د. محمّد الغزالي المصري: «بما شاع من أحاديث الحكّام كثيرة تسوّغ الظلم وتجعل الخروج على الحاكم كأنّه الكفر أو دونه الكفر»[٤]!

فإذا بالدين يتحوّل إلى دين الحكّام ووعّاظه عندما يدعون أنّهم أهل السنّة والجماعة وإن خالفوا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ومتواتراتها وسيرته صلى الله عليه وآله وسيرة صحابته صراحة في الوقت الذي يتهمون متبعها بما فيهم هم من ضلال وانحراف عن السنّة الصحيحة من باب رمتني بدائها وانسلت!!

أليس هم أولى أن يُسموا بالروافض، وشيعة معاوية وكل حاكم ظالم؟!

وسيأتي أنّ ما التزموه هو خلاف للكتاب وللسنّة؟!

عن ابن عباس: «قال يا سعيد (ابن جبير) ما لي لا أسمع الناس يلبّون؟

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير ٢/ ٩٣، والترمذي ٥/ ٣٣٣، الحاكم في المستدرك ٢/ ١٤٨ وغيرها وهو متواتر.

(٢) تاريخ ابن الأثير ص٥٥.

(٣) تاريخ أبي الفداء ٢/ ٥٧ حوادث سنة ٢٣٨هـ.

(٤) محمد الغزالي ـ كيف تتعامل مع القرآن ـ ص٩٥.

فقلت يخافون معاوية! فخرج ابن عبّاس فقال: لبّيك وإن رغم أنف معاوية، اللّهم العنهم فقد تركوا السنّة؟! من بغض علي»[1]!

ووجد حينها أنس بن مالك يبكي، قال: لا أعرف شيئاً ممّا أدركت إلاّ هذه الصلاة؟! وهذه الصلاة قد ضيّعت[2]؟!

وسيأتي كم من الأحاديث وضعت تملّقاً للحكّام!

وكأنّ سنتهم بل ودينهم يصرّح بأنّه لو انتصر الخوارج بالغلبة لأصبحوا هم أهل السنّة والجماعة!! ولا تعجب من ذلك خذ الوهابية التي تمثّل الوجه الثاني للعملة للخوارج لكنها بمجرّد ادّعائها بأنّها تابعة للسنّة والجماعة، فإنّها تثير عواطف الكثير من المسلمين بل والعلماء منهم.. في الوقت الذي لا تجد أي فرق بينهم وبين الخوارج سوى هذا الادّعاء العريض ـ السنّة والجماعة ـ وهو عين ما نجده اليوم في حركة طالبان الأفغانية ومعتقداتها التي تشوّه الإسلام وعظمته الحضارية، الأمر الذي أدّى إلى تحفّظ الكثير من العلماء والمفكّرين ولو من الغيرة على هكذا إسلام وهكذا سنّة تنسب إلى رسول الله ﷺ وصحابته الأجلاء؟!!!

ويرجع هؤلاء العلماء المسلمين لتأويل وتبرير ذلك، بأنّ معاوية ويزيد والحجاج ومجازر العباسيين بالأمويين وبالمعارضة المتمثلة بأهل البيت، ومجازر ابن تيمية والوهابية واليوم طالبان بالمسلمين المخالفين لهم سواء المنتمين إلى السنّة بالعموم أو أتباع أهل البيت، مؤوّلين ذلك على ضوء سنّة ودين الحكّام ووعّاظهم. إذ يقولون:

بكل برودة دم لقد اجتهد فأخطأ؟! لأنّه رأى أنّ عبد الله بن سبأ اليهودي جعلهم يعبدون عليّاً ويتبركون به وبأهل بيته؟! وأنّ الشيعة تعتقد بأنّ

---

(١) سنن النسائي ٢/ ٤١٩، صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٦٠، سنن البيهقي ٥/ ١١٣.
(٢) صحيح البخاري ١/ ١٩٨ ح٥٠٧.

الصحاح المتواترة، جاءت في أهل البيت عليهم السلام ولم تأت بمعاوية وآل بني سفيان ومطلق حاكم غالب؟! أو لأنّهم يسبون الصحابة؟! وإن كان معاوية هو أول من فتح باب سبّ الإمام علي عليه السلام؟! ونحن نحاسب ونُحاكم الصحابي بميزان السنّة والإسلام؟! ألم يتوعّد معاوية الصحابة باتّهامهم بدم عثمان؟! وهل احترم معاوية الصحابة وأبنائهم والتابعين عندما أعلنها وراثية للمنحرفين والفاسقين من قبيلته ليذلّ بهم الصحابة والتابعين؟! فما لكم كيف تحكمون وعلى أي سنّة تسيرون؟!! على السنّة التي زوّرها معاوية وبطانته من اليهود والنصارى ومرتزقة الوعّاظ، حيث قام هو بنفسه بحشد أكبر عدد ممكن من الروايات في فضله، وكذلك في عثمان ثم كتب إليهم: «إنَّ الحديث في عثمان قد فشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فدعوا»[1].

سُئل أحمد بن حنبل عن علي ومعاوية، فقال: «إنَّ علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه عن شيء يعيبونه فلم يجدوه، فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له»[2]!!!

فقد زوّرت هذه السنة جلّ السنّة والتاريخ والواقع والحقائق.. بحيث لم يعترف بعلي كخليفة رابع إلاّ في عصر أحمد بن حنبل[3]؟!!

فأيّ سنّة وتاريخ مزوّر بل أي دين ربوا عليه أجيال المسلمين، بتجهيل وعزل أهل البيت وعلي عليه السلام وطمس ما جاء فيهم وما صدر عنهم من الصحاح المتواترة وخير دليل واقعي على ذلك التجهيل أنّك لا تجد أسماء أهل البيت عند مدّعي السنّة والجماعة مثل علي وحسن وحسين وفاطمة،

---

(١) أنظر الغدير ٩/ ٢٦٤، ح١٠، ح١١ يرشدك إلى مصادرهم، كذلك أضواء على السنّة المحمدية ـ محمود أبو رية ص١٢٦.

(٢) الصواعق المحرقة ص١٢٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٩٩، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧/ ٨٣.

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤ ترجمة مسدد بن مسرهد بن مسربل البصري.

خصوصاً عند أهل الشام الذين ربّاهم معاوية على النصب والكراهية لأهل بيت الرسول ﷺ بينما تجد أسماء آل بني أُميّة مثل سفيان، معاوية، يزيد، مروان، زياد.. أو عند الوهّابية الذين يفضلون الاسم البدوي على تلك الأسماء النبوية الآل بيتية المباركة؟!!

ومن المؤسف له حقاً أنّهم أمام ذلك الانحراف لا يملكون سوى التبجح بالفتوحات؟!

فإذا علمت مآرب حكّام البطون فلم لا يغريهم الملك الواسع والأوسع؟! ثم لماذا لم يشاوروا من لم يكن على غير خطاهم ولو كانوا هم أهل الحق؟! وأخيراً ما رأينا من تعثرات فضلاً عن النهاية المؤسفة للإسلام على يد الحكّام؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مدرستان في الفرقان التفسيري

وعلى ضوء ما ذكر سابقاً تبلورت مدرستان:

الأولى: مدرسة العامة (شيعة معاوية وكل حاكم).

الثانية: مدرسة سنة (شيعة) أهل البيت (ع).

وهذا هو الصحيح، إذ أنَّ معاوية الباغي والخارج المتمرّد على الخلافة الرابعة ـ بأقلّ تقدير ـ والذي ادّعى أنّه وشيعته يمثلون (الجماعة) ـ قبل ظهور مصطلح السنّة ـ؟!!

فبالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً، فإنَّ أغلب المعاصرين ومن جاء بعدهم من فقهاء وعلماء وتابعين، ممّن لهم الكلمة والإجلال عند عموم المسلمين، قد ذمّوا معاوية وحكموا ببغيه وفسوقه بل وموبقاته كالحسن البصري، والفقيه ابن المسيّب، وابن حنظلة الغسيل وخليفة بن خياط، وابن أعثم الكوفي وقتادة السدوسي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، والنسائي وغيرهم[1]!

منها قول الحسن البصري: «أربع خصال كنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه إلاَّ واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء! حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم[2]، وفيهم بقايا الصحابة[3]، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٢٧٩، الكامل في التاريخ ٣/ ٤٨٧، البداية والنهاية ٨/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢١٢.

(٢) وعلى ضوء ذلك أسسوا أنَّ الشورى غير ملزمة للحاكم، وتحصل البيعة ولو بواحد بعد الغلبة!

(٣) تجاوز بقايا الصحابة وبعد قتل الآخرين والبغي عليهم!

بعده... الخ»[1].

وكذلك قول الفقيه سعيد بن المسيب: «فعل الله بمعاوية، وفعل فإنّه أعاد هذا الأمر ملكاً»[2].

أمّا بقية الفقهاء والتابعين فقد سكتوا تقية وخوفاً لما وجدوه من بطش وظلم أمثال عبد الله بن عمر وخليفة بن خياط، وابن أكثم الكوفي وغيرهم من الفقهاء والتابعين. وهو قاتل الصحابي الشهير عمّار بن ياسر (رض)، والصحابي حجر بن عدي.. حتى أنكرت عائشة على معاوية قتله لحجر وأصحابه، وغضبت عليه ومنعته من الدخول عليها ولم تقبل بأعذاره!!

فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيقتل بعذراء أُناس يغضب الله لهم وأهل السماء»[3]! وقتله تسعة آخرين من الصحابة، أمّا محمّد بن أبي بكر، فقد قتله ووضعه في جيفة حمار ثم أحرق[4]! ومنها دسّ السمّ لسبط النبي ﷺ الحسن بن علي عليه السلام.

بالإضافة إلى فتنته يوم صفّين إذا قتل (٣٦٠) نفراً من أصحاب بيعة الشجرة، حتى صارت السنّة في قتل الصحابة من بعده، فقد أحصى خليفة بن خياط أسماء من قتل من وجوه قريش والأنصار، من قرّاء وفقهاء وزهّاد في وقعة الحرّة سنة ثلاث وستين.

بل إنّه كشف عن قبليته الجاهلية يوماً عندما غاظه أن يسمع ذكر اسم محمّد ﷺ في الأذان فقال دفناً دفناً[5]..

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٢٧١، الكامل في التاريخ ٣/ ٤٨٧، البداية والنهاية ٨/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢١٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٣٢.

(٣) تاريخ ابن الأثير ص٥٥.

(٤) الطبري ٥/ ٢٥٣، عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ ١/ ١٤٧، الكامل لابن أثير ٣/ ٣٥٢، الأغاني ـ لأبي فرج الأصفهاني الأموي ـ ١٦/ ٢ـ ١١.

(٥) سيرة أعلام النبلاء ٩/ ٥٧٢.

الأمر الذي دعا المأمون بأن ينادي ببراءة الذمّة ممّن يذكر معاوية بخير[1]!!

وكذلك طعن معاوية وتنقيصه لقدر الصحابة، إذ وصفهم بالأجلاف والأخلاط من الناس ـ لعنصريته الأموية ـ لا شكّ أنّهم مفسدون في الأرض بغاة على الإمام[2]!!

وعليه فإنّه وشيعته بغاة رافضة خوارج مستحلّين للقتل، فهذا الصحابي سعيد بن جبير، كما جاء في طبقات ابن سعد يقول: «قاتلوهم على جورهم في الحكم، وخروجهم من الدين؟!! وتجبّرهم على عباد الله، وإماتتهم الصلاة، واستذلالهم المسلمين»[3].

وقريب منه قول الصحابي عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري[4].

هذه شهادات كبار الصحابة والتابعين وكبار فقهاء الحجاز والعراق واليمن ومختلف الأمصار بل حتى في الشام!!

ولكن معاوية لم يعدم من وعاظ يزوّرون ويبررون كل ذلك بمقياس الحاكم الغالب؟!!! لتباح له استباحة المقدسات ودماء المسلمين باعتباره هو وشيعته الجماعة والويل لمن يخرج عنها أو يراها في غيره؟!!

وهكذا عندما ادّعى ابن تيمية أنّه إمام السنّة والجماعة.. وبقية المسلمين كفرة فاسدي العقيدة خارجين وعلاجهم السيف، وسار على منواله أعراب الوهّابية بهتك حرمات الإسلام والمسلمين.. واليوم ما نراه على يد رشحة من رشحاتهم وهي حركة طالبان الأفغانية التي أعطت الصورة السيئة والمشوّهة عن الإسلام المتخلّف الذي لا يوفّر في مجازره لا الشيعة

---

(١) النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠١، تاريخ الخلفاء ص٣٠١ وغيرها.
(٢) تاريخ ابن كثير ١/ ١٧٦.
(٣) الطبقات الكبرى ٦/ ٢٦٥، تاريخ الرسل والملوك ٦/ ٣٥٧، الكامل في التاريخ ٤/ ٤٧٩.
(٤) التاريخ الكبير ٢/ ١٧٠، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/ ٨٨، تهذيب التهذيب ٣/ ١١٥.

ـ عدوّهم التقليدي ـ بل لمن لم يكن على شاكلتهم من كلّ المسلمين؟!!

وهنا يمكن استنتاج ما يلي:

١ ـ عقدة وتعصّب فرقة العامة (شيعة معاوية وكل حاكم غالب) لكلّ من يرفع شعار السنّة والجماعة. فترى علمائهم يتحفّظون ولو من باب الغيرة على مجازر المسلمين أو صورة الإسلام المشوّهة. حيث يكتفون فقط بأنّ هؤلاء اجتهدوا فأخطأوا وعلينا النصح لهم، والدعاء للحاكم لهم بالهداية!!!

٢ ـ أنّهم يصرّحون أنّه لا يجتمع إمامان وعليه فاقتلوا الثاني. ولا يجوز لمسلم أن يبيت ليلة ما لم يبايع؟! ولكن منذ أن قامت الجمهورية الإسلامية في إيران وما رأوه من التطبيق للحكم الإسلامي الحضاري لصورة الإسلام المشرقة، ولكن عقدة صفّين وشعارات السنّة والجماعة هي التي تثيرهم لا آيات الذكر الحكيم ولا السنّة المباركة؟!!

دعوتي الأخوية حتى لا يفسحوا المجال لكل متعصّب ناصبي أن يرفع شعار السنّة والجماعة باسم الإسلام وعلى خلاف الإسلام وبالتالي يتحفّظون عليه. بل عليهم الحوار والاجتماع على القواسم المشتركة بين المسلمين ليعرفوا ونعرف الحق فنتبعه والباطل لنجتنبه. حتى لا يعتقدوا بأنّ الحق كان ولازال مع معاوية والويل لمن يرى الحق مع علي؟!

سنة الصحابة والتابعين:

وقد مرّ عليك ما أصاب الأحاديث النبوية من منع وحرق وحبس رجالها.. كذلك ما عرضناه من تأثير سياسة معاوية من خلط الأوراق والتعتيم على الحق بتزويراته وادّعاءاته العريضة، فضلاً عن مواقفه العدائية من كبار الصحابة وتنكيله بهم وإذلال البقية الذين كانوا يتوسطون مستشاره سرجون.

تكلّف الشاطبي:

حيث حاول عاجزاً متكلّفاً لتأسيس سنّة الصحابة وحجيتها بقوله: «وسنّة

الصحابة (رض) سنّة يعمل عليها ويرجع إليها، والدليل على ذلك أمور»[1].

والأمور التي ذكرها لا تنهض بإثبات ادّعاءه نعرضها ملخصة:

الأمر الأول: ثناء الله عليهم من غير مثنوية، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. نردّ على الشاطبي بعدّة مناقشات! في البداية أنّ هذه الآية (أعمّ من المدعىٰ) لأنّها تشمل كل أفراد الأُمّة، وعليه لا بدّ أن تثبت عدالة وحجية كل الأُمّة جميعاً؟!

لذلك قال السيد محمّد تقي الحكيم في أصوله[2]: «إنّ هذا الدليل لو تمّ فهو أوسع من المدعىٰ بكثير لكون الأُمّة أوسع من الصحابة، ولا يمكن الالتزام بهذا التعميم؟!».

وقد استدرك الشاطبي نفسه وتنبّه[3] بعد ذلك بقوله: «...إنّهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلاّ بقياس وبدليل آخر».

وقد أبطل علماؤنا هذه النظرية التي تقول إنّها مختصّة بالمشافهين بها. وذلك أنّهم اشتبهوا بأنّ الأدلّة القرآنية والسنّة هي على نحو القضايا الخارجية؟!

ولكن الصحيح أنّها ليست كذلك بل هي على نحو القضايا الحقيقية ـ أيّ أنّها تسنّ لما هو موجود وما سيوجد ويفترض وجوده مستقبلاً ـ فتشمل الموجود والمعدوم على حدّ سواء! بل حتى لو تنزلنا وقلنا: إنّها محمولة على نحو القضايا الخارجية، فالآية تكون أخصّ من المدعى، لا أنّها أعمّ من المدعى ـ بواقعها ـ وذلك حسب دعوى الشاطبي من أنّها مختلفة بالصحابة ولا تشمل غيرهم؟!

---

(١) الموافقات ٤/ ٧٤.

(٢) الأصول العامة للفقه المقارن ـ محمد تقي الحكيم ـ ص١٣٦.

(٣) الموافقات ٤/ ٧٥.

فإن أجاب الشاطبي: إنّنا نعمم تلك الآية لغير الصحابة بقانون من قوانين المشاركة!

الجواب: أنّ نفس ذلك القانون الذي يعمم غير الصحابة الذين كانوا في مجمل نزول الآية يمكنه أن يعمّم لباقي الأُمّة أيضاً؟!

دليله الثاني: على تسليم التعميم أنّهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنّهم أول من تلقى ذلك من الرسول ﷺ وهم المباشرون للوحي.

الجواب: إذا كان هكذا كما تقول، أول من يدخل زمانياً، وأولى من يدخل رتبياً. والفرق بين الأول والأَولىٰ.. أنّ الأوليّة مرتبطة بالزمان.. من قبيل الإنسان أول من يذهب إلى المسجد، وآخر في الآخر فالتقدم والتأخّر هنا زماني. وعليه فالأصحاب مشمولون أولاً، وغيرهم ثانياً.. وهذا يعني أنّ أولئك متقدمون زماناً وغيرهم متأخرون زماناً.

أمّا الأولوية: فهو تقدّم رتبي ولا علاقة له بعالم الزمان، من قبيل العلّة والمعلول فهما موجودان في رتبة زمانية واحدة. ولكن مختلفان في رُتب الوجود.. فإنّ العلّة كما هو معلوم متصلة في رتب الوجود على المعلول، وإن كان موجوداً معه زماناً.

إذن يظهر مدى اشتباه الشاطبي وتكلفه بظهور النتيجة على عكس ما فسّره، فإنّ الأولوية والأوليّة لا تحصر الآية بالصحابة، وإذا سلّمنا بذلك وإلاّ فيلزم أن تكون الآية أعمّ من المدعى؟!

ولذلك علّق السيد الحكيم بقوله[1]: فما ذكره الشاطبي لا يخلو من مناقشة ومؤاخذة!

ثم يقول: نعم لو حسبنا ذلك بالمجموع، ومنهم النبي ﷺ والأئمّة والأولياء والعلماء أي مجموع فضائلهم، هي أفضل من فضائل تلك الأُمّة، وهو تام!

---

(١) المصدر نفسه ص١٣٧، ومحاضرات السيد كمال الحيدري على كتابه.

ولكنه لا يثبت سنّة الصحابة، أو جعل الحجية لأقوالهم؟!

الجواب الثالث: وهو إشكال مضموني، وهو من قال لكم إنَّ معنى الأفضلية هو العدالة؟! فقد يكون كلاهما فاسقاً ولكن أحدهما أقلّ درجة من الآخر، وكم له من استعمالات عرفية؟! ومع ذلك فإنَّ الأفضلية لا تعني العدالة، ومن ثم إعطاء الحجية لهم، فهو مقام تفضيل لا مقام جعل الحجية!

إشكال آخر: وهو أنَّ معنى العدالة، مطابقة قول العادل للواقع. ونحن نريد من سنّة الصحابي هو ما يكون قوله مطابقاً للواقع على حدّ حجية قول النبي ﷺ.. وعليه حتى لو فرضنا أنَّ الآية نزلت في الصحابة، وأنَّ الآية تدلّ على العدالة. لكن العدالة شيء وقول الصحابي (سنّة) شيء آخر؟!

إذ لعلّه عادل ولكن قوله ليس بسنّة. وإلاّ لكان هذا الحكم جارياً في كل عادل! فلماذا يقتصر على (الصحابة) دون غيرهم؟!

فالحقيقة التعليلية ـ أي علّة قوله سنّة، كونه عادلاً ـ إنْ صح التعبير. إذ لو ثبتت العدالة في غيره فقوله أيضاً سنّة، ويكون مطابقاً للواقع! وهذا لا يقول ويلتزم به أحد من علماء المسلمين؟!

وكذلك وبنفس الاستدلال السابق نردّ على استنادة الشاطبي من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

الأمر الثاني: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأنَّ سنّتهم في طلب الاتباع كسنّة النبي ﷺ كقوله: «فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ»، وقوله ﷺ: «تفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلاّ واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»، وعنه ﷺ أنّه قال: «أصحابي مثل الملح لا يصلح الطعام إلاّ به»، وعنه ﷺ أيضاً: «إنَّ الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكر

وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير» وكذلك قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» إلى غير ذلك ممّا في معناه[1].

وقيل الجواب على ذلك فقد مرَّ عليك أنَّ ثقل خيار الصحابة كان مع الإمام والمرجع والخليفة الرابع، وباب حكمة ومدينة الرسول ﷺ ووارثه وأخيه... الخ. ذلك هو علي بن أبي طالب عليه السلام!

ورأيت موقف أغلب الصحابة ـ باستثناء المرتزقة والمتخاذلين ـ من الحاكم المدعي السالب الغالب غير الشرعي الذي جاء ليثأر من الصحابة أو يطوّعهم لشيعته وفريقه.

فالجواب الذي يردُّ به الشاطبي: إنَّ أمثال هذه الأحاديث ونظائرها ـ بعد التغافل عن أسانيدها وحساب ما جاء في بعضها من الطعون أمثال ما ذكره (ابن حزم) عن حديث أصحابي كالنجوم من أنَّه «حديث موضوع مكذوب باطل». وقال أحمد بن حنبل: «حديث لا يصح»، وقال البزار: «لا يصح هذا الكلام عن النبي ﷺ»[2]!

كذلك من جملة إبطال حديث (فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين...) وذلك عندما عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بالخلافة إلى الشورى في ستة من الصحابة؟! مدَّ الصحابي عبد الرحمن بن عوف يده إلى الإمام علي عليه السلام وقال له: «..تسير فينا بكتاب الله.. وسيرة أبي بكر وعمر!» فقال علي عليه السلام: «أسير فيكم بكتاب الله وسنَّة نبيِّه ما استطعت»[3].
أمَّا حديث: (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم..) قال فيه ابن تيمية أيضاً: ضعفه أئمة الحديث فلا حجّة فيه، وهذا الحديث باطل بالإجماع؟!!

---

(١) الموافقات ٤/ ٧٦.

(٢) للمزيد إقرأ ما كتبه الشيخ عبد الله دراز في تعليقه على هذا الحديث.

(٣) تاريخ الطبري ١/ ١٦٢ وإلاّ فسيرة الشيخين إن لم تكن كذلك فهي بدع؟!

ـ اختلاف نفس الصحابة دليل على فساد هذه الأحاديث فضلاً عن العمل بالمتناقضات!! مثلاً أنَّ عمر وأبا قتادة قد عارضا أبا بكر، لموقفه من خالد بن الوليد، وما فعله بمالك بن نويرة. ويقول عمر: «إنَّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها» وقال في موضع آخر: «فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه»[1]. والشيخان نفسهما مختلفا السيرة، فأبو بكر ساوىٰ في توزيع الأموال الخراجية وعمر فاوت فيها، وأبو بكر كان يرى طلاق الثلاث واحداً، وعمر شرّعه ثلاثاً، وعمر منع المتعتين، ولم يمنع عنهما الخليفة الأول. بل واعتراضات عمر ـ جهلاً وتطاولاً ـ الكثيرة على النبي الأكرم ﷺ وإيذائه له كما في صلح الحديبية وقوله إنَّه ليهجر وغيرها.. كذلك عزل عمر لخالد، وضربه أبا هريرة، وتشرده على سعد بن أبي وقّاص يحرق قصره عليه[2]. ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى.

أمّا عثمان فقد قامت بوجهه ثورة عارمة، لشبهة الفساد الإداري، شارك فيها عدد كبير من الصحابة، وموقف عائشة زوج النبي ﷺ منه[3]!

وعلى ضوء ذلك، فأيّة هذه السير هي السنّة؟!

وهل يمكن أن تكون كلّها سنة حاكية عن الواقع، وهل يتقبّل الواقع الواحد حكمين متناقضين؟! وما أحسن من ناقش الغزالي أمثال هذه الروايات بقوله: «فإن من يجوّز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه فلا حجّة في قوله، فكيف يحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ، وكيف تدعى عصمتهم منه غير حجة متواترة، وكيف يتصوّر عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟! وكيف يختلف المعصومان، كيف، وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل

---

(١) وقد مرَّ ذكره تجدها في أكثر من (١١) مصدر في صحاحهم.

(٢) أنظر: الكامل في التاريخ ٢/ ٣٦٩، فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ ص٢٨٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٢، الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/ ١٩٢، تذكرة الخواص ص٦١ وغيرها.

مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه، فانتفاء الدليل على العصمة ووقوع الاختلاف بينهم وتصريحهم بجواز مخالفتهم فيه ثلاثة أدلّة قاطعة»[1]؟!!

على أنَّ بعض هذه الروايات أضيق من المدعى لاختصاصها بالخلفاء الراشدين كالرواية الأولى، فتعميمها إلى مختلف الصحافة لا يتضح له وجه، والروايات الباقية أجنبية عن إفادة إثبات جعل الحجية لما يصدر عنهم، وغاية ما تدلّ عليه ـ لو صحّت أسانيدها ـ مدحهم والثناء عليهم والمدح والثناء كما قلنا لا يرتبطان بعالم جعل الحجية للممدوحين؟!

روايات ارتداد الصحابة:

فالروايات السابقة ـ على تقدير تمامية دلالتها ـ فإنّها مخصصة بما دلّ على ارتداد أكثرهم، ففي صحيح البخاري ـ حسب ادّعاءهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائم إذ زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم؛ فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله؛ قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرىٰ؛ فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم!»[2].

وفي روايته الأخرى عن سهل بن سعد قال: «قال النبي ﷺ: إنّي فرطكم على الحوض من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم؛ قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟! فقلت: نعم؛ فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فأقول: إنّهم مني، فيقال إنّك لا تدري ما أحدثوه بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي؟!!»[3].

وفي روايته الثالثة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ليردنَّ عليَّ

---

(١) أبو حامد الغزالي ـ المستصفى ـ ١/ ١٣٥.
(٢) البخاري ٨/ ١٢١.
(٣) البخاري أيضاً ٨/ ١٢٠.

أُناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوه بعدك؟!»[1].

إلى غير هذه الروايات ممَّا عرضها البخاري في باب الحوض وغيره، كما عرضها غيره من أصحاب الصحاح وسائر السنن[2]. ولا يهم عرضها، وطبيعة الجمع بين الأدلة تقتضي تقييد تلكم الأدلة بغير المرتدين فمع الشك في ارتداد أحد الصحابة لا يمكن التمسّك بتلكم العمومات لعدم إحراز موضوعها وهو الصحابي غير المرتد، ويكون التمسّك بها من قبيل التمسّك بالعام في الشبهات المصداقية ـ كما حرر في الأصول ـ والتحقيق أنّه لا يسوغ لأنَّ القضية لا تثبت موضوعها بل تحتاج إلى إثباته من خارج نطاق الدليل.

أمَّا مَن حاول ـ كما هي العادة ـ أن يؤوّل أو يتكلّف بحملها على أصحاب الردة، الذين قاتلهم الخليفة أبو بكر، فإنَّها منافية لرواية أبي هريرة التي صرّحت بقولها: «فلا أراه يخلص إلاَّ مثل همل النعم» وهي أبلغ كناية عن القلّة، والرواية قد حكمت على أكثر الصحابة بالارتداد، ومعلوم أنَّ الذين حاربهم أبو بكر لا يشكّلون إلاَّ القليل!

ويأتي القرآن الكريم ليؤكّد تلك الظاهرة الارتدادية بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وكأنَّ هذه الأحاديث واردة مورد التفسير لهذه الآية المباركة، ومؤكّدة لتحقق مضمونها بعد وفاته ﷺ!.

هذا بالإضافة إلى ذكر روايات تؤكّد على إيذاء بعض الصحابة للنبي ﷺ وسكوته عن المنافقين لمصلحة الإسلام العليا حيث بلغت الآيات

---

(١) البخاري أيضاً ٨/ ١٢٠.

(٢) أنظر: أجوبة مسائل جار الله للإمام شرف الدين ص١٤.

فيهم حوالي (٦٠٠) آية، ومنها قوله ﷺ حين أشير عليه بقتل من ظهر نفاقه: «أخاف أن يتحدث الناس أنَّ محمّداً يقتل أصحابه»[١].

أيّة صحابة وأيّة سنَّة؟!

فالسنَّة المدعاة ما هي إلاَّ عكس وخلاف ما عليه سنَّة رسول الله ﷺ! حيث استبدلت بسنَّة معاوية وكل حاكم غالب، ومعاوية الباغي ـ أجمعت الأُمّة على ذلك وكبار الصحابة والفقهاء ـ وشيعته هم أهل السنَّة والجماعة؟! والمحارب والباغي على النبي ﷺ وعليّ عليه السلام متأول مجتهد مأجور «حرب عليّ حربي وسلمه سلمي»[٢]. والفئة الباغية التي قتلت عمّار (رض) الداعية إلى النار، هي الجماعة الناجية؟! ومعاوية الذي رفع قميص الثأر بوجه الصحابة، وسبَّ أمير الصحابة وإمامهم، وأغلب الصحابة.. يرفع في يده تارة المصاحف وأخرى صحف النفاق بأنّه يدافع عن الصحابة بعد أن رفع شعار أنَّ الصحابة كلّهم عدول بما فيهم المنافقين.. وكان هذا بتزوير وتدليس منه ومن وعّاظه، وبطانته من اليهود والنصارى والمنافقين المرتزقة النفعيين؟!

ومعاوية هو الذي فتح الروافد الإسرائيلية، وبثّ البدع كالملوكية وإبطال الشورى وجعل الحكم وراثياً قبلياً، واستبدال سنَّة النبي ﷺ بسنَّة الحاكم، وفصل الدين عن السياسة، وأول حاكم التزم وطبّق المسلمون مبدأ التقية من ظلمه وبطشه، كما ورد عن عبد الله بن عمر، وخليفة بن خياط وابن أكثم الكوفي وغيرهم[٣] ونقضه للعهود على طريقة اليهود كما فعل مع الإمام الحسن عليه السلام ثم سمّه له! كذلك والأهم حجر ومنعه لكلّ من يروي عن علي وأهل بيته عليهم السلام حتى أصبح ميزاناً إلى يومنا هذا، بحيث توارثته

---

(١) نقل الحديث ـ شوقي أبو خليل ـ في كتابه من ضيّع القرآن، ص٢٥٦.
(٢) مناقب ـ ابن المغازلي ـ ص٥٠ ح٧٣، مناقب الخوارزمي ص٧٦، شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٢٢١.
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٥٧، كتاب الفتوح ٥/ ٣٨.

الأجيال من حيث لا يشعرون، فكل من يتهم بالتشيع لعلي فهو لا يؤتمن على حديث لأنّه مطعون فيه، كذّاب.. زنديق.. وضّاع.. رافضي.. بغيض يسبّ الصحابة.. يرى الحقّ مع علي في حربه مع معاوية؟! حسب تعبير الذهبي إمام الجرح والتعديل عندهم ولذلك شككوا بالشافعي نتيجة حبّه لأهل البيت عليهم السلام فقط.. وكذلك النسائي، ونورد للمثال على ذلك: قال يحيى بن معين: وقيل له في سعيد البجلي: هذا شيعي، قال: شيعي وثقة؟!! علماً أنّه لم يكن يعرف العامة والجمهور بوصف (السنّة) قبل أواخر القرن الأول بل بالقرن الثالث[1]. حتى تعلم أنّ أيّ صفة سيئة يرمى بها أهل البيت وشيعتهم! بحيث ينخدع المسلم بأنّهم رفضوا الدين، والصحابة يسبّونهم ويعادونهم، وأنّ الصحابة أيضاً هم مَن لا يحبّون أهل البيت عليهم السلام ولا يمتثلون لما جاء فيهم من سنّة النبي صلى الله عليه وآله؟!

بينما تجد أنّ الذي خالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبّ أمير الصحابة وكبارهم، وتوعّد بالانتقام منهم وكان له ذلك، والفئة الباغية، والرافضة للسنّة الحقّة والداعية إلى سنّة الحاكم الغالب الذي يخوض في دماء المسلمين بعد رميهم بالخروج والرفض وعدم الطاعة، والذي يجمع حوله وعّاظاً ومرتزقة يفتون له على هواه تأويلاً ورخصة مثاله: فقيه الأرض أبي يوسف مع هارون الرشيد؟!

وكأنّ كل هذا مبرر وإن خالف الكتاب والسنّة وصحيح النقل، وصريح العقل، إذا رفعنا شعار أهل السنّة والجماعة ـ كشعب الله المختار ـ وغيرنا خارجي رافضي مشرك؟!! فلا عجب إذ لازالت هذه السنّة تحكم وتفرض نفسها. حدثني المفتي والقاضي الشيخ شفيق يموت أنّه زار العراق في الستينات وكان الحاكم عبد الرحمان عارف ـ والذي هو بنظر العراقيين أفضل

---

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة ص٩٢، أضواء على السنّة المحمّدية ص٣٤١، عدالة الصحابة ص١١٧.

من غيره بكثير ـ يقول الشيخ شفيق: ذهبت إلى النجف الأشرف وكربلاء ورأيت أنَّ فيها علماء أعلام كبار يحملون هموم الإسلام والمسلمين ويعملون على نشر الإسلام في العالم ويدعون إلى التقريب والوحدة بين المسلمين. . . الخ.

ولكن تأسّفت للإهمال وكأنّه مقصود لوضع تلك المحافظتين مع وجود تلك الجامعات العملاقة للحفاظ على اللغة العربية ومناهج الإسلام. وعندما رجعت إلى بغداد والتقيت بحاكمه عبد الرحمان عارف وتحدّثت معه بالأمر أجاب بلا توقف: هؤلاء شيعة؟!

بينما في المقابل فقد التقيت بكثير من علماء العامة فإذا هما فريقان:

الأول: وهم الذين ورثوا تلك الشبهات السلطانية عن الشيعة ـ كما يسمونهم ـ وهم الأغلب يتحفظون في ذكر جرائم وجنايات حزب البعث العفلقي في العراق، الذي قال مؤسسه أنَّ محمّداً بشر وليس نبيّاً فقد جمع العرب فليكن كل العرب محمّد؟! ومنع الصلاة وحاربها ونشر مبادىء الكفر والخمور، وقتل العلماء والمفكرين، وزجّ العراقيين في حربي الخليج مع الجارتين الإسلاميتين وكانوا يستهزؤون بالإسلام من جملتها كانوا يربّون عناصرهم على التجرؤ على الله تعالى فمثلاً يقول أحدهم: ماذا قال الله في سورة البقرة؟ فيقوم قرينه البعثي بتقليد صوت البقرة؟!! هذا وغيره من مختلف محاربة الإسلام وقتل المسلمين!

فأجد أنَّ هؤلاء العلماء من العامة وكان الأمر لا يعنيهم لأنَّ ذلك وقع على الشيعة بشكل خاص وكأنّما هذا جزاؤهم منذ حرب سيدنا معاوية عليهم لرفضهم له ولبقية الحكّام الغالبين وتمسّكهم بشذوذ ومجاهيل المسلمين من أهل البيت عليهم السلام؟! بينما هم ينظرون إلى صدام حاله حال أي حاكم يجب إطاعته وإن أخرجهم وأبنائهم من الإسلام إلى البعث العلماني؟!

أمّا الفريق الثاني: فهو يدعو بكل رقة قلب إلى الدعاء لصدّام بهدايته،

وإن أمكن توجيهه نحو الخير، وإلاّ لا يجوز الكلام عليه بل حتى على إبليس؟!!

وليس عنك ببعيد تحفّظهم على جرائم ومجازر الوهابية للملسمين متهمين كل من خالفهم أنّه خارج عن السنّة والجماعة، وحكموا بكفرهم، فلا يُغسل ولا يُصلّى عليه، ولا تنفعه شهادة (لا إله إلاّ الله)؟! ويدفع بالخشب حتى يوارى في حفرته[1]. وأنّه إذا تاب لا تقبل توبته بل يجب قتله[2]؟!!

وهكذا جرائم طالبان للأفغان بمجازرهم الوحشية واغتصاب نساء المسلمين وبيعهم كرقيق لخروجهم عن أهل السنّة والجماعة.

بينما علماء المسلمين الذين يدعون إلى طلب الهداية للحكّام العلمانيين، بأقلها يستتيبون أو يحاورون هؤلاء الشيعة من الأفغان لأنّهم أقرب وأولى بالهداية من العلماني المشبوه الذي يبيع بلاده لخدمة أسياده الصهاينة.. بدل تلك المجازر التي تستهدف إلغاء بل ومحو أولئك الشيعة الذين لم يكن ذنبهم إلاّ أنّهم أسلموا على يد الشهيد زيد بن علي والذي خرج على جور سلاطين بني أُميّة وانحرافهم وصُلب شهيداً، وشرّد أولاده منهم ابنه يحيى الذي لايزال قبره في جوزجان، ولازالوا يكرمون نسل آل الرسول ﷺ ويسمونهم (سادة) يحتفلون بانتمائهم بالعمة السوداء.. وهكذا الأمر في أقاصي الهند والباكستان وفي كل العالم. فما ضرّ أهل السنّة والجماعة، إن أحبّ هؤلاء أهل بيت النبوة فإن غالوا حسب نظركم فاهدوهم من باب أولى من هداية الحاكم العميل؟! وإن اتهمتموهم أنّهم يسبّون الصحابة؟! فهم مجرّد عصاة وما أكثر العصاة بل هناك الملاحدة والكفرة الذين يسبّون الله ورسوله والدين؟! وممّا يدلّ على ذلك أنّه لم يتصدّى لسلمان رشدي إلاّ زعيم الشيعة الإمام الخميني (قده)؟! فلماذا لا يغار علماء

---

(١) الصارم المسلول ص٥٧٥.

(٢) رسائل ابن عابدين ١/ ٣٩٤.

السنّة والجماعة على ربّ وخالق السنّة والجماعة، من محاربة العلمانيين للإسلام والمسلمين؟!

ثم ما هذا الربط الجدلي بين حبّ أهل البيت عليهم السلام وسبّ الصحابة؟! أليس هو الحاكم المستفيد من تلك الفتنة وكلّ الذين على شاكلته، عندما يثيرون بعضنا على بعض بهذه الفتن. في الوقت الذي يحول من دفعنا إلى الفتنة المؤامرات على أصل الإسلام وللقضاء عليه؟!

وكأنَّ أهل السنّة والجماعة لا يثيرهم ولا يهمهم بل لا يغارون على ربّ الإسلام ورسوله ودينه.. ولكنهم يتقرّبون إلى معاوية وكل حاكم غالب يوم القيامة بمجازر المسلم الذي يشم منه سبّ الصحابة؟! فعلى أيّ سنّة وجماعة وكتاب تسيرون؟!!!

الأمر الثالث: الذي ذكره الشاطبي بشأن سنّة الصحابة. قوله:

«إنَّ جمهور العلماء قدّموا الصحابة عند ترجيع الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عدّ قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعدّ قول الصحابة على الإطلاق حجّة ودليلاً؛ ولكل قول من هذه الأقوال متعلّق من السنّة، وهذه الآراء وإن ترجح عند العلماء خلافها ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلّي هو المعتمد في المسألة، وذلك أنَّ السلف والخلف والتابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائر بين الأئمة المعتبرين، فنجدهم إذاً عينوا مذاهبهم قدموا ذكر من ذهبت إليها من الصحابة وما ذاك إلاّ لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيهم من تعظيم وقوة مأخذهم دون غيرهم وكبر شأنهم في الشريعة، وأنَّهم لما متابعتهم وتقليدهم فضلاً عن النظر معهم فيما نظروا فيه، وقد نقل عن الشافعي أنَّ المجتهد قبل أن يجتهد لا يمنع من تقليد الصحابة، ويمنع من غيره وهو المنقول عنه في الصحابي، كيف أترك الحديث لقول من لو عاصرته لحججته؟! ولكنه

مع ذلك يعرف لهم قدرهم[1]؟!!».

والجواب[2]: ـ على هذا النوع من الاستدلال أنّه أجنبي عن اعتبار ما يصدر عنهم من السنّة وغاية ما يدلّ عليه ـ لو صحّ ـ أنّ جمهور العلماء كانوا يرونهم في مجالات الرواية أو الرأي أوثق أو أوصل من غيرهم، والصدق والوثاقة وأصالة الرأي شيء وكون ما ينتهون إليه من السنّة شيء آخر، وقول الشافعي الذي نقله نفسه يبعدهم عن هذا المجال إذ كيف يمكن له أن يحج من كان قوله سنّة؟! وهل يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام عن النبي ﷺ؟!!

أقول: بل حتى انّهم تطاولوا على مقام النبي ﷺ عندما اعتبروا أنّ من السنّة كون النبي ﷺ مجتهد كبقية المجتهدين يخطىء ويصيب.. أمّا أبو حنيفة النعمان فقد قال: كما أخرجه الخطيب البغدادي: (...ردّ أبو حنيفة على رسول الله ﷺ أربع مائة حديث أو أكثر)، وقال: لو أدركني النبي وأدركته لأخذ بكثير من قولي؟! وهل الدين إلاّ الرأي الحسن. وكان يردّ ويخالف حديث النبي ﷺ بقوله: دعنا من هذا؟!!»[3].

وعلى ضوء ذلك فكلّ شيء مبرر ومؤوّل مادام مدّعيه ينسب إلى أهل السنّة والجماعة؟! وإن تطاول وطغى في مقام النبي الأعظم ﷺ بل إنّهم يزكون كل شيء بمقياس رجالهم، ولذلك قال بعضهم: إنّ هذا القول لم ولن يحقّ لغير الشافعي؟!!

أمّا لو قال شيعي ـ كما يسمّوه ـ قال علي أمير المؤمنين وباب مدينة حكمة وعلم رسول الله ﷺ: «علّمني رسول الله... إعرفوا الرجال بالحق لا الحق بالرجال... الخ» أو قال على لسان حفيده الرضا عليه السلام: «حدثني أبي موسى

---

(١) الموافقات ٤/ ٧٧ وما بعدها.

(٢) أصول الحكيم ص١٤٢.

(٣) تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي ـ ١٣/ ٣٨٦.

الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمّد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسن شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب: إنّه قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله ﷺ قال حدّثني جبرائيل، قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه وتعالى يقول لا إله إلاّ الله حصني ومن دخل حصني آمن من عذابي»[1].

وكان أحمد بن حنبل يقول: وهذا إسناد لو قرىء على المجنون لأفاق[2].

ولكن أهل السنّة والجماعة الذين زكّوا رجالهم المعهودين برجالهم المنتقين من قبلهم واستعانوا بالحاكم ووعّاظه، الذين مسكوا القلم والسيف، وأسسوا سنّة كما تراها مخالفة لكتاب الله عزّ وجلّ، ولسنّة نبيّه ﷺ وللصحابة المنتجبين الأبرار دون المنافقين وقاموا بتجهيل الأمّة عن أهل بيت النبوّة وأتباعهم على ضوء السنّة المحمدية الحقّة.. فاتهموهم بما فيهم هم، فسمّوهم شيعة، وهم شيعة معاوية وكلّ حاكم غالب سموّهم رافضة لاتّباعهم حقّ علي على لسان النبي ﷺ، وهم الرافضة لذلك وشيعة خلاف الحق.. طعنوا فيهم ومنعوهم من الحديث وأنّهم لا يؤتمنون عليه واتّهموهم بمختلف التهم وهم الذين عرفوا الحق فعرفوا أهله، وكانوا مع الصادقين.. بينما هم عرفوا الحق بالرجال وبقوة السلطان الغالب فجعلوا ذلك ميزانهم الذي جاء على خلاف كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ! ولكن الذي يبعد عنهم تلك الشبهات والانحرافات هو أنّهم سمّوا أنفسهم أهل السنّة والجماعة وإن غالوا برجالهم على حساب نسخ الكتاب بأقوالهم، وتقديمهم على الرسول ﷺ وبالتالي احتكار الإسلام وفق منظارهم فقط..

يقول د. نور الدين عتر: «وممّا يزيدنا أسفاً أن ينجرف بعض المنتسبين إلى السنّة فيعارض المنحرفين بأحاديث يختلقها أيضاً لتقوية السنّة والجماعة... ثم يتابع: وهكذا كثرت الأحاديث الموضوعة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان...

---

(١) أعيان الشيعة ٢/١٨ من مصادرهم.

(٢) أعيان الشيعة ١/ ١٠٠.

والعباس ومعاوية وغيرهم، مثل: حديث: «أبو بكر يلي أُمتي بعدي» وحديث: «الأُمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية؟!». وغير ذلك ممَّا وضع لتأييد فريق ضد فريق آخر في المسائل الخلافية التي وقعت بين الفِرق والمذاهب مثل حديث: «القرآن غير مخلوق» وحديث: «لا تقوم الساعة حتى يقولوا بآرائهم»[1].

هنا نسأل: ما هي النتائج؟!

أليس أنَّ أغلب الأُمّة التي تدّعي انتماؤها إلى السنّة والجماعة قامت بتجهيل وغربة المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام؟! أليس الذي يشمّ منه ولاءَ لعلي عليه السلام يرمى بالرافضي الشيعي البغيض الزنديق الذي لا يؤاكل ولا يسلَّم عليه، . . ويطرد من التدريس بل ويستباح منه كل مباح وبأقلّها يتهم أنّه يسبّ الصحابة؟! فلو أغمضنا أبصارنا عن مجازر التاريخ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٤١]. وكذلك لأجل الوحدة الإسلامية؟!!

ولكن إلى الآن نجد الآثار المضادة الناتجة عن غلبة وترجيح الأحاديث الموضوعة ـ كما ذكر أعلاه ـ في مقابل شرف وفضائل أهل البيت المتواترة، وجعلتم ذلك هو المقياس وقد سمعنا الأقلام في مصر كيف تستهزىء بظهور جماعة وشرذمة تسمّى: شيعة. . جعافرة. . . الخ.

ويظهر مفتي جمهورية كبير ويقول: المذاهب أربعة فقط (. . .) ومفتي آخر أنَّ الصحاح عندنا. وكأنَّ الآخرين مدّعين؟! بالإضافة عن سكوتهم عن جرائم الوهّابية وفتنتها في العالم الإسلامي، كتشكيل (جيش الصحابة) في باكستان لا ضد العلمانيين والمستشرقين وسلمان رشدي بل ضد إخوانهم من المسلمين: بما أنَّ هؤلاء شيعة فهم يسبّون الصحابة، لذلك وجب قتلهم والقضاء عليهم وتصفيتهم، وليست علينا جرائم طالبان الأفغان ببعيدة!!

---

(١) منهج النقد في علوم الحديث ـ د. نور الدين عتر ـ ص٣٠٢، نقلاً عن كتاب ـ المغني في الضعفاء ـ للذهبي.

بل رغم ما يجد العلماء من تشويه صورة الإسلام الحضاري. أو مخالفة كتاب الله ورسوله وصحابته عندما يسفكون دماء من تشهّد الشهادتين.. وعلى فرض أنّهم يتشيعون لعلي ويقدموه على الصحابة.. ويعقدون المجالس لذكر أهل بيت النبوّة، يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم، ويتبرّكون بزيارة مقاماتهم فهل في ذلك ما يوصل إلى الشرك وإبطال الشهادتين وبالتالي وجوب قتلهم وانتهاك حرماتهم؟! وهل شَرْع الصحابة واتباع الصحابة يدعو إلى هكذا أحكام؟! أليس هذا يدلّ أنّهم لايزالون على سنّة رسول الله ﷺ لا تلك السنّة السياسية في عصور الفتن وحكم السلطان الغالب ووعّاظه...؟!

وإلاّ فهذه كتبنا المنتشرة، ودعوة علماؤنا للوحدة والتقريب، ونراهم بغاية التحفّظ والبطء، ولا يلبث الأمر حتى يظهر لنا كاتب يقوّض كل ذلك كيف تتوحّدون مع المشركين مع يهود الأمّة مع... الخ.

فينثني العلماء للتوقف وبعضهم بتأييد المؤلفين ويقوم بتقريض كتبهم؟! مثال آخر هذه إيران الإسلام التي طبّقت الإسلام كتاباً وسنّة وبشكل حضاري متوازن.. ولكن البعض يُشكل عليها ويتمنى رجوع دولة الخلافة، رغم ما كان فيها وما آلت إليه وخضوعهم حقباً تحت الخلافة الوراثية أموية عباسية عثمانية.. وفي ولاية الفقيه مرجع فقيه أقرب إلى الصحابة يستشير الشورى ويحكم!!!

ونعود إلى مناقشة الشاطبي: بأنّ هذا النوع من الترجيع لأقوال الصحابة لا يعتمد أصلاً من أصول التشريع، كما هو حال كثير من الادعاءات كما ذكرنا منها أنّهم هم أهل السنّة والجماعة، وأصحاب الصحاح، والمذاهب الصحيحة و... و... الخ.

هذا بالإضافة أنّ العلماء لم يتفقوا على ذلك ليشكّل اتفاقهم إجماعاً يركن إليه.

الأمر الرابع: «ما جاء في الأحاديث من إيجاب محبتهم، وذمّ من أبغضهم، وأنّ من أحبهم فقد أحبّ النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض

النبي عليه الصلاة والسلام، وما ذاك من جهة كونهم رأوه أو جاوره فقط إذ لا مزية في ذلك، وإنَّما هو لشدّة متابعتهم له وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنَّته مع صحابته ونصرته، ومن كان بهذه المثابة حقيق أن يتخذ قدوة وتجعل سيرته قبلة»[1].

والجواب: عن هذا الاستدلال أوضح من سابقه لأنَّ ما ذكره من التعليل لا يكفي لإعطائهم صفة المشرعين أو إلحاق منزلتهم بمنزلة النبوة، وغاية ما يصورهم أنَّهم أُناس لهم مقامهم في خدمة الإسلام والالتزام بتعاليمه، ولكنه لا ينفي عنهم الخطأ والسهو أو الغفلة؛ على أنَّ لأرباب الجرح والتعديل حساباً مع الكثير من روايات هذا الباب هذا إذا صحّت تلك الروايات كما مرَّ عليك وكما سيجيء لاحقاً هذا كلّه من حيث اعتبار ما يصدر عنهم من السنَّة، أمَّا جعل الحجية لأقوالهم من حيث كونهم رواة ومجتهدين فلذلك حساب آخر[2].

وبالمحصلة يظهر بطلان ما ذهب ودافع عنه الشاطبي في موافقاته، كذلك التكلّف الواضح المتعصّب، وردّات الفعل العاطفية عندما أوّلوا الآيات وحشدوا المزيد من الروايات، بحيث أدّت إلى الدعوة إلى السير والعمل بالمتناقضات؟!

ثم حتى لو سلّمنا ببعض منها. ألم يكن الوليد بن عقبة من الصحابة الذين نزل بهم قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾؟! [الحجرات:٦] ومنها ما ذكره ـ ابن كثير ـ في تفسيره للآية الثالثة والستين من سورة المائدة، ليستدل بها على توبيخ النبي ﷺ أصحابه عن ذهاب العلم وضرب مثالاً للجدال الذي وقع مع أحد صحابته وهو زياد بن لبيد.. فعن أحمد بن حنبل.... فقال ﷺ: «ثكلتك أُمّك يابن لبيد إن كنت

---

(١) الموافقات ٤/ ٧٩ وما بعدها.

(٢) الأصول العامة ـ محمد تقي الحكيم ـ ص١٤٣.

لأراك من أفقه رجل في المدينة؟! أوليس هذه اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون ممَّا فيها بشيء»؟!

هذا فضلاً من أنَّ النبي ﷺ وكما سيأتي وبّخ أصحابه بأن لو كان موسى عليه السلام حيّاً لاتبعني وذلك بسبب سؤالهم اليهود والنبي ﷺ بين ظهرانيهم؟!

وهناك المؤلّفة قلوبهم، ومن فرَّ في حرب أُحد وحنين، ومن كان يؤذي الرسول ﷺ بالاعتراضات.

ثم نحن نطالبهم بوضع ضوابط نميز بين الصحابي الصحابي الذي تقبل روايته كناقل للرواية وبين الصحابي الذي لم تثبت عدالته ووثاقته لإطلاق الأمور جزافاً وعاطفةً؟!

الصحبة منشأ للتشديد في الحساب: لا لأنّها تعطي المصاحب ولو ساعة أو بنظرة العصمة والعدالة؟! فهناك شواهد قرآنية على ذلك من باب المناسبة أو أن نلزمهم بالقياس الذي ألتزموا هم به، كقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فلارتباطهن ببيت الوحي، فإنَّ حسابهن حسابان، وهي معلَّلة، نفسي الشيء هذا ينسحب على الصحابة لأنّهم عاشوا مع النبي ﷺ فلهم ثوابان وعقابان، وهناك آيات أُخر في زوجات الأنبياء عليهم السلام شبيهة بذلك؟! أمَّا الأحاديث فقد وضحنا أنّه لا مجال للأخذ بها أيضاً.

نعم، يمكن اعتبارها كلها سنّة حاكية عن الواقع، إذا آمنّا بالتصويب الأشعري القائل: إنَّ في كثير من الأحكام ليس لله في كل واقعة حكم، وحكمه ما أدّى إليه نظر المجتهد؟!

وجوابنا على الجمهور حتى التصويب الأشعري لا يشفع لهم، لأنّه بما لا نصّ فيه، وهؤلاء الذين نتحدث عنهم قد خالفوا الله ورسوله حتى فيما له حكم ونص؟!!

منها قول عمر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله...».

واعتراف عمر بأنه إنّما صدَّ عن كتابة النبي ﷺ كتاباً للمسلمين لن يضلّوا بعده أبداً، لأنّه علم أي عمر أنَّ الأمر سيكون لعلي وأهل بيته عليهم السلام[1]!! فقال لهم النبي ﷺ: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إنَّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»[2].

ويؤيد ذلك كراهة عمر وإصراره أنّه لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة[3]!!

ويكفي بالخلاف الفاضح حديث الثقلين المتواتر؟!

وفي النتيجة يشكّل خلافهم للنصوص القرآنية والسنية وخلافهم مع علي عليه السلام وعمّار وأبي ذرّ و...الخ.

ومن جهة ثانية اختلافهم فيما بينهم، وهذا أكبر دليل على عدم عصمتهم إذ كيف يختلف المعصومان؟! وقد بيّنا أنَّ الروايات الأخرى فهي أجنبية عن كل الكلام، وغاية ما تدلّ عليه لو صحّت أسانيدها مدحهم والثناء عليهم. هذا مضافاً بأنَّ هذه الروايات معارضة بمثلها وهي التي دلّت على أنَّ بعض الصحابة ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ!

مذهب الصحابي:

وهنا أيضاً يبدو التكلّف بل المعاندة والمخالفة.. عندما أرادوا بمذهب الصحابي القول أو السلوك الذي يصدر عن الصحابي ويتعبّد به من دون أن يعرف له مستند؟! ولذلك وقع الخلاف في حجيته فذهب (قوم إلى أنَّ مذهب

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المعتزلي ـ ٣/ ١١٤ مصر، و١٢/ ٧٩ بتحقيق أبو الفضل، ٣/ ٨٠٣ دار ومكتبة الحياة، ٣/ ١٦٧ دار الفكر، وقد نقلها عن تاريخ بغداد.

(٢) صحيح البخاري ٧/ ٩، صحيح مسلم ٥/ ٧٥، مسند ابن حنبل ٤/ ٣٠٦.

(٣) الكامل ـ ابن الأثير ٣/ ٢٤، تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣، شرح ابن أبي الحديد ٣/ ١٠٧ وغيرها.

الصحابي حجة مطلقاً، وقوم إلى أنّه حجّة إن خالف القياس، وقوم أنّ الحجة في قول أبي بكر وعمر خاصة! لقوله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي» أو حديث «أنّ الحجة في قول الخلفاء الراشدين إذا اتفقوا»[1].

وفي رأي الغزالي أنّ جميع هذه الأقوال باطلة[2].

دليل الغزالي ومناقشته:

يقول: «إنّ من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته فلا حجّة في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ، وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة ـ كما جاء في علي وأهل بيته ـ وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟! وكيف يختلف معصوماً؟ وكيف وقد الصحابة على جواز مخالفة الصحابة؟! فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه[3] هذه ثلاثة أدلة قاطعة»[4].

لكن من الملاحظ أنّ جلّ الكتّاب إنّما يأخذون بتلك المتناقضات السابقة الذكر وإهمال المعترضين لتعصّبهم وغلوّهم برجالهم فهم القياس والمقياس ولذلك ترى أنّ احتجاجاتهم تأتي وفاقاً لتلك الكثرة من فضائل توقع بالخلاف والتناقض، وتثبت بالتعصّب والغلوّ! كذلك تجد عدم الوضوح والمراد من رجالهم عند طرحهم ودفاعهم عن تلك الأدلّة مثلاً أنّ القائلين بمذهب الصحابي لا يريدون إثبات العصمة له، عندما يرون أنّه لزاماً عليهم اعتبار ذلك سنّة كسنّة رسول الله ﷺ. ولكن كما مرّ عليك كيف أنّ الشاطبي في موافقاته اعتبر ذلك وإن كان عدّه من مصادر التشريع بما يوهم ذلك؟!

---

(١) المستصفى ـ للغزالي ـ ١/ ١٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وفي مقابل هذا تجد من جاء معاكساً لهذه النظرة من قال: «إنّه إذا قال الصحابي قولاً يخالف القياس، فلا محمل له إلاّ سماع خبر فيه»[1] ويريدون بذلك مغالاةً حمل تصرفاتهم على وجه مبرر معقول، أي أنّهم يريدون أن يقولوا: إنَّ الصحابة لا يقدمون على المخالفة الصريحة لحكم الشارع، فإذا عمل أحدهم عملاً ولم يتبين وجهه، فلا بدَّ وأن يكون هناك مستند لهذا العمل، فإن لم يكن قياساً لفرض المسألة أنَّ القول مخالف للقياس فخبر نجهله؟!

ولكن المسألة في حدود التماس المبررات الشرعية لتصرفات بعضهم، ليست موضعاً لحاجتنا فإذا أريد من وراء هذا الكلام اعتبار مثل هذا الخبر المجهول لدينا حجة؟! فقد صحّ ما يقوله الغزالي في نقضه لذلك: «فقوله ـ يعني الصحابي ـ ليس بنصّ صريح في سماع خبر، بل ربما قاله عن دليل ضعيف ظنّه دليلاً وأخطأ فيه، والخطأ جائز عليه، وربما يتمسّك الصحابي بدليل ضعيف وظاهر موهوم، ولو قاله عن نصّ قاطع لصرّح به؟!»[2] إلى أن يقول: «أمّا وجوب اتباعه ولم يصرّح بنقل خبر فلا وجه له»[3]. وكذلك قال المارزي في شرح البرهان تخفيفاً لهذا الغلوّ: «لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رأى النبي ﷺ يوماً أو زاره لماماً، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب، وإنّما نعني به الذين لازموه و﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾» [الأعراف:١٥٧]»[4].

الاتهام الظالم:

بأقل أقوالهم: «إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله،

---

(١) المستصفى ١/ ١٣٥.

(٢) المستصفى ١/ ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الإصابة ـ ابن حجر ـ ص٩٣.

فاعلم أنّه زنديق. والذين ينقصون أحداً على الإطلاق من أصحاب رسول الله هم زنادقة والجرح أولى بهم»[1]. «ومن عابهم أو انتقصهم فلا تواكلوه ولا تشاربوه ولا تصلّوا عليه»[2].

هذا إذا علمت معنى الصحابي على لسان ابن حجر العسقلاني: «الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»[3].

الحكم بالمتناقضات؟!

فكل من عاصر الرسول أو ولد في عصره، لا يجوز عليه الكذب والتزوير ولا يجوز تجريحه، ولو خالف أو كتم الصحيح من سنّة الرسول ﷺ أو قتل آلافاً منهم الصحابة، وحلّل المنكرات، بل وارتدّ، وغيّر وزوّر... الخ.

كأبي سفيان يسوّى بأبي بكر، ووحشي بحمزة، وعثمان تماماً مثل عمّه الحكم بن العاص، وهو طريد رسول الله ﷺ وطريد صاحبيه، وقد لعنه ولعن ولده[4]. وعبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب وارتدّ وأباح الرسول ﷺ دمه ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة[5]. هو تماماً كعمر بن الخطاب، وعبد الله بن أُبيّ زعيم المنافقين تماماً كعمّار بن ياسر... الخ.

وكل هؤلاء مع معاوية الباغي بالإجماع، ومرتزقته ووعّاظه الذين صحبوه طيلة ثلاثين عاماً كلّهم جندوا في مقابل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام؟!!

فأيّ غشّ وتجهيل للإسلام والمسلمين بمقولة عدالة الصحابة؟!!

---

(١) راجع الإصابة ـ لابن حجر العسقلاني ـ ص١٧ و١٨.
(٢) كتاب الكبائر ـ للذهبي ـ ص٢٣٨.
(٣) راجع الإصابة ص١٠.
(٤) كنز العمال ١١/٣٥٨، ـ المعارف لابن قتيبة ـ ص١٣١.
(٥) كنزل العمّال ١١/٣٥٨، المعارف ـ لابن قتيبة ـ ص١٣١.

ويجيب السيد محمد تقي الحكيم على ما أورده الغزالي[1]: ـ والواقع أن إثبات كونه ـ أي الصحابي ـ من مصادر للتشريع، لا ينجح إلا إذا اعتبرت تصرفاته ـ قولاً أو فعلاً أو تقريراً ـ من السنة والأدلة التي ذكروها تأبى إثبات هذا المعنى، وحمل الصحة لا يكفي لإعطاء تصرفاته صفة التشريع والحكاية عن أحكام الله الواقعية.

وقد ناقشنا سابقاً كل مدعياتهم وأثبتنا بطلاتها وتكلفها بلا أدلة وأسس علمية وشرعية، الأمر الذي عبرها الغزالي والأمدي في الأصول الموهومة[2]؟!

وفي النتيجة ما هي إلا تشريعات مدفوعة من قبل سياسات الحاكم الغالب ووعاظه سواء بالتعصب لمدعايتهم التي تمكنوا من التحكم بالأمة الإسلامية أو بأثاره جوّ من الضبابية على مكانة أهل البيت عليهم السلام والتعتيم على فضائلهم وما جاء بهم في الكتاب والسنة الصحيحة من المتواترات... الخ.

وبالفعل فقد أصبح أهل البيت عليهم السلام وكأنهم نكرات غير معروفين لأغلب المسلمين وليسوا هم سوى منتمين لنسل الرسول صلى الله عليه وآله وقد غالى بهم شيعتهم فترك علماء المسلمين من السنة والجماعة ذكرهم، ولأن أولي الأمر (كل حاكم غالب) قد حاربهم ونكل بهم وسجنهم فجاءت كتب الأحاديث والتفسير خالية من ذكرهم أو تؤول وتصرف عنهم انسجاماً مع سياسة الحكام ووعاظهم، الأمر الذي جعل أكثر المسلمين قد جهلوا منزلتهم ومقامهم؟!!

حيث تجد التجهيل المتعمّد لأهل البيت عليهم السلام الذين اعترف بهم القاصي والداني وبعد التأكيد النبوي المتواتر والمستفيض والحسن فيهم، بينما غشّوا الأُمّة بالحكّام الظلمة ووعّاظهم إلى أن استثنينا وعلى تحفظ لعمر بن عبد العزيز، حيث قفزوا من الراشدين إليه ثم إلى أبي جعفر المنصور ـ علماً

---

(١) م.س: ص ٤٤١.

(٢) المستصفى ١/ ١٣٥، والأحكام ـ للأمدي ـ ٣/ ١٣٦.

بأنّه جلد كلّ من أبي حنيفة ومالك ممّا جعله يتسكع على بابه دون الأول! ـ ثم إلى المأمون ـ وهم يدّعون أنّه صاحب فتنة خلق القرآن ـ وهكذا فأي غشّ وخيانة للأُمّة؟!!

الجزاء الوفاق:

وذلك أن مدعي السنة والجماعة عندم خالفوا وأنكروا حديث الثقلين المتمثل بالكتاب والعترة الطاهرة، المنسد والمتواتر.. وتمسكوا تعصباً بل تقليداً لا لسنة النبيّ ﷺ بل لسنة الحكام. بحديث (وستتي) المرسل وغير المتواتر.. الأمر الذي نحن بهم إلى معرفة الحق برجالهم الذين صُنفوا من أهل السنة والجماعة، وتعبدوا بأقوالهم ومروياتهم بحيث جاء مجمعاً للمتناقضات والمخالفات للكتاب والسنة بل والعقل والإجماع، كما مرّ عليك بعض منه وسيأتي كيف أثر ذلك سلباً بالخصوص على مناهج التفسير والمفسّرين؟!

منها قولهم: «حسبنا كتاب الله».

ـ فهي دعوة جاهلة لم تعطي للقرآن منزلته كمعجز له أعماقه وكنوزه وتجديدات عطائه الدائم المستمر.

هذه الدعوى تفترض في الرتبة السابقة أن القرآن ليس سوى هذا الظاهر الذي بأيدينا لذلك ظهر الكثير عندهم من فسّر القرآن برأيه واجتهاده الخاص، أو الاعتماد على قواميس اللغة والمعاجم ليفهم مراد الظاهر، وإن أراد أن يتعب نفسه قليلاً راجع موروثاته في الحديث التي سماها صحاحاً، ليطبقها كما هي تطبيقاً ساذجاً وبالتالي تدعوه تلك الأحاديث أن التحرك بحرية في تفسيراته. بل وتجرأه على نسخ القرآن وتؤويله على ضوء تلك الصحاح المدعاة؟!!

تفسير أم تخبط؟!:

خذوا مسألة علم الكلام مثلاً، وما تعلق بها من مسائل كالعدل الإلهي

فقد قالت المعتزلة: في مسألة الجبر والتفويض: بالقول الأخير أي (التفويض) أي إن الله تعالى خلق الخلق وفوض إليهم أعمالهم، أي ترك الأمر بعد الإيجاد، فالممكن يحتاج إلى العلة حدوثاً وبقاءً أو لا؟!

ويستدلون في ذلك من القرآن. كذلك الأشاعرة التي قالت: بالجبر، أي أن الله تعالى خلق الخلق وأجبرهم على أفعالهم.. وعليه فلا دور للإنسان في أفعاله فكيف يعذبهم؟!

ينقد د. محمد الغزالي عند تفسيره ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]: إن العمل الذي نؤديه هو من صنع الله[1]!! فاختلفا جبراً وتفويضاً والقرآن بين أيديهم وقد فهموا ذلك من بعض الآيات (وما تشاؤون) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ و﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وغيرها.

وهذا بسبب تفسيرهم للظواهر بشكل ساذج بالرأي واللغة.

وقد انعكس هذا سلباً على تفسيراتهم، مما يبطل إدعائهم بالاكتفاء لفهم ظاهر القرآن باللغة وعليه فإذا بنينا على أساس التفويض، فمعنا إننا لا نحتاج إلى الخالق تعالى أو الدعاء، بل نتوسل بالأسباب الطبيعية للوصول للنتائج بتلك الوسائل المطلوبة؟!

وهكذا بالنسبة إلى الجبر فهو في غاية الوضوح، إذ يؤدي إلى القول بالقسمة والنصيب والحظ؟! والغلط في تفسير القضاء والقدر؟!

ولقد حلت مدرسة أهل البيت عليهم السلام تلك المشكلة باعتبارها أعدال الكتاب بقولهم: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين». أي أنك تتوسل بالأسباب الطبيعية للرقي والتطور، ومن جهة أخرى لا يجوز لك أن تنفصل عن خالق الأسباب والمسببات تعالى وإثبات أحقيتنا وصحة انتمائنا للسنة الصحيحة!

---

(١) كيف تتعامل مع القرآن ـ محمد الغزالي ـ ص٧٣.

بالإضافة أن تمسكنا بالعترة جاء مكملاً للتمسك بالقرآن، وعرض أحاديثنا ومفاهيمنا على القرآن لا جزافاً كما كان يقوله الأشعري وغيره من رجال المعتزلة.

أما معنى البداء: هو أن هذا العالم محكوماً بالقوانين، ولكن كل قوانين هذا العالم محكومة للقدرة الإلهية، في أي وقت يشاء ويريد يبدوُ له أن يقف أمام القانون، وهنا تبرز أهمية الدعاء!

مثاله: صحيح مثلاً أن الماء يرفع العطش فهو قانون، ولكن هذا القانون يستطيع خالق تلك القوانين أن يقف أمامه بأن تشرب وتشرب حتى تتفجر ولا ترتوي!

هذا بخلاصة: قانون البداء، اما أنه متى يبدو؟! فذلك أمر آخر. ولكن لا معناه أنه يبدو له جزافاً. . مثلاً نجد أن العلامة الطباطبائي في الميزان في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣].

قال: الأشاعرة فهموا منها الإرادة الجزافية؟!

وردّ عليهم الطباطبائي: إن الله تعالى أبى إلا أن يجري الأمور ضمن نظامها، ولكن هناك بعض القوانين لا نستطيع أن نفهما، وعبرت عنها الروايات عن أهل البيت بالأسماء المستأثرة، التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:٢٣] حتى لمقام الرسالة ﷺ لأنها من مختصات الله تعالى.

وإلا لكنا نتخبط كما تتخبط شيوخ السنة والجماعة؟!

كذلك تخبطهم في صفات الحق وأسمائه الحسنى وهي موجودة بين أيديهم في القرآن الكريم، مثال: أليس من صفات الحق (العالم)؟ وصريح القرآن بقوله (عالم)، وهكذا بقية الصفات السمع، والبصر، والحياة والإرادة. . . الخ.

لكن المعتزلة قالوا لا يتصف بالعلم؟! وذلك لمشكلة عقائدية في أسسهم فقد قالوا: إن الله يقوم بعمل العالم، وليس بعالم، بل عمله عمل العالم عمله بعمل القادر وهكذا؟!

والقرآن بين أيديهم؟! أما عندنا نحن المتمسكين بالعدل ـ أهل البيت ﷺ ـ فقد قلنا بكل ثقة ليس فقط الله عالم، بل علمه عين ذاته. كما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لشهادة كل صفة إنها غير موصوفة...) أي غير زائدة!

إذن علماء المسلمين يرجعون إلى القرآن. ولا يخفى عليك ما لدور صحة العقائد وتقيمها في حياة المسلمين وبالتالي تفسيرهم للقرآن على ضوء تلك العقائد ولولا العقائد لما كان هناك معنى للعمل، فالعمل يقوم على أساس العقيدة وإلا لا معنى لوجود العمل!

لذلك كان للدور الأول لأهل البيت هو بيان معارف القرآن ـ كما سيأتي ـ والدور الثاني هو: تنقيح عقائد القرآن. وقد تبين لنا خلال وفشل من ترك السنة النبوية المتواترة، إلى سنة رجالهم بخليط سنتهم المتناقضة والمتضاربة الموافقة لمصلحة الحكام، فتارة بقولهم (حسبنا كتاب الله) وأخرى، (وسنتي) وأطلقوا عليها اسم الصحاح ارتجالاً ومن ثم سموا أنفسهم السنة والجماعة، ظناً منهم أنهم بذلك يعتمون على حق أهل البيت عليهم السلام؟!

وقد عرفت أن المسلمين أمروا بالتمسك (بالكتاب والعترة) المتواتر المسند الشاذ المرسل. لذلك كان التمسك بالقرآن بغير العترة لا يكفي وقد مرّ عليك ذلك السقوط في التخبط وعدم الفهم، فلا بد من التمسك (بهما) كما ورد. لأنه خلاف سنة الرسول ﷺ الذي أمرنا بذلك والذي ينجي من الضلال والانحراف إلى عقائد الرجال!

هذا وكلهم يقرأون القرآن والرجوع إليه، فما سيكون عليه الحال عندما يرجعون إلى سنة رجالهم، وقد تمسكوا بالرواية الشاذة المرسلة القائلة (كتاب الله وسنتي)!!!


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الأول

التفسير والمفسرون عند أهل السنة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول:

في بيان المعاني والمصطلحات في التفسير وآدابه والشروط

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وفيه أقسام :


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الأول:

بيان المعاني والمصطلحات

وفيه مطالب:

المطلب الأول

وفيه فرعان

الفرع الأول: التفسير لغةً واصطلاحاً:

أ ـ في اللغة: تعددت معاني كلمة التفسير وإطلاقاتها في اللغة، وذلك بحسب السياق أو الشيء الذي من أجله وضع اللفظ، فهو يرد بمعنى الإيضاح والإبانة والكشف والإظهار والتفصل والبيان. وهو مأخوذ من (الفَسْر) على وزن تفعيل..

وقد ورد في لسان العرب تحت مادة (فسر) ما نصه: «الفسر البيان، فسر الشيء يفسره بالضم فسراً، وفسره آبائه، والتغير مثله: أي الإبانة وكشف المغطى. والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣] واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي، «ولك شيء يعرف به تغيير الشيء ومعناه فهو تفسرته»[1].

---

(١) لسان العرب: ٦/ ٣٦١.

وورد في القاموس المحيط: «الفسر الإبانة وكشف المغطى كالتفسير. . . ونظر الطبيب أن الماء كالتفسرة، أو هي الميول كما يستدل به على المرض، أو هي مولّده»[1].

ب ـ **في الاصطلاح**: يأتي التفسير الاصطلاحي عند العامة وفاقاً لنظرتهم المنبعثة من مأثورهم وتراثهم المعتمد على رجالهم وبالتالي المليء بالموضوعات والإسرائيليات واستخدام الرأي المذموم المبتني على القياسات والاستحسانات والمصالح المرسلة وغيرها؟!

بينما كان منهجنا هو الالتزام الحقيقي بتفسير القرآن بالقرآن، والسنة النبوية الصحيحة المستودعة في أهل البيت النبوة، كمثل ثاني وعدل للكتاب، وبذلك الجهد وغاية الاجتهاد مع أعمال العقل ضمن حدوده.

الفرع الثاني: التأويل، لغةً واصطلاحاً:

أ ـ **في اللغة**: ورد في لسان العرب، تحت مادة (أول) ما نصه: «الأول الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومالاً رجع. وآل إليه الشيء رجعه. وآلت عن الشيء ارتددت. . . وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩] أي لم يكن معهم علم تأويله. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل التغيير والمعنى واحداً[2].

وفي القاموس: «آل إليه أولاً ومالاً، رجع، وعنه ارتد. ثم قال: وأول الكلام تأويلاً وتأوله دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة عن الرؤيا»[3].

قال الزمخشري: «آل الرعية يؤولها إياله حسنة، وهو حسن الايالة وائتالها، وهو مؤتال لقومه قتال عليهم أي سائس محتكم. . .»[4].

---

(١) القاموس المحيط: ٢/ ١١٠.
(٢) لسان العرب: ١٣/ ٣٣.
(٣) القاموس المحيط: ٣/ ٣٣١.
(٤) الزمخشري، أساس البلاغة: ١/ ١٥.

ب ـ **في الاصطلاح**: لقد اختلف علماء العامة اختلافاً كبيراً في تشخيص الفرق بين التفسير والتأويل وتفرقوا بعدد عقول رجالهم (الأصنام) سواء بالرأي والاجتهاد الجزافي أو الموروث (. . .) حتى قال ابن حبيب النيسابوري: نبغ في زماننا مقرؤون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه»[1]؟! وقد أنكر ابن تيمية المجاز ـ كما سيأتي ـ ولا يخفى أن المجاز عماد التأويل؟! وكذلك مشكلتهم في تصدرهم في مجال علم الكلام والأصول بل ويكادون أن يضيقوا ذرعاً لوروده في القرآن الكريم! يقول أمين الخولي: «وأحسب أن منشأ هذا كله هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهاب الأمويين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب»[2].

وكعادة مدعي أهل السنة الذين بدل أن يعترفوا أنهم تنطعوا عندما أخذ رجل عن واعظ سلطان الذي قوى مركزهم بالسيف والمال لينصبوا أنفسهم وكلاء عن السنة، وتعصبوا عناداً وان بدا جهلهم وانحرافهم عن الحق، فقد وقعوا بالخلط والخبط بتأويل التأويل ولو على غير مراد التأويل بل بما انتجته عقول رجالهم الذين سموهم مكابرة بالأئمة؟!

وبعد فترة عسيرة وعلى مدى العصور توصلوا إلى أنه يعني: «صرف اللفظ عن المعنى الراجح من المعنى المرجوح إليه يقترن به»!

وهذه القاعدة كشبيهاتها من الإدعاءات العريضة الفارغة التي يحكمها الهوى والارتجال بل التعصب الأعمى الغير مستند على هدى ولا كتاب بل وعقل سليم. لحيرتهم أن ما ذكره الماتريدي وأبو طالب الثعلبي، والبغوي،

---

(١) الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ) نحوي، مفسر، بغية الدعاة ص٢٢٧. الاتقان ٢/ ١٧٣.

(٢) أمين الخولي، التفسير، معالم حياته، نهجه اليوم ص٦. نقلاً عن التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٩.

والكواشي وغيرهم من المتأخرين من تعريفات فيكون بينهما تباين؟!![1]

وهنا أحاول توجيه وتسديد انحرافهم ـ وإن كانوا يدعون أن كل ما عندهم الحق وغيرهم الباطل ـ بأنه ينبغي وضع ضوابط معينة ـ علمية ولغوية وتفسيرية ـ وإلا يستحيل تأويلاً مستنكراً، يمكن الهوى والاعتقاد. وعليه فالتأول فيه مطالب بأمرين:

أ ـ بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي إدعاه.

ب ـ بيان الدليل الموجب للعرف إليه في المعنى الظاهر[2].

فكان لا بد أن ننعي عقولهم القاصرة وفهمهم الموصل إلى الضلال ـ الذي أوقعهم بالتجسيم والتشبيه ـ وإن كان علينا تحمل اتهاماتهم وطعونهم المتعصبة فنقول رأفةً بهم: ما تقولوه وما اعتقدوه من أن المتشابه ما أريد به خلاف ظاهره، ووصفه بأنه اصطلاح محق وهذا لا يمكن استفادته من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

إن المتشابه إنما هو متشابه من حيث تشابه مراده ومدلوله ـ تشابه على من وضع نفسه نداً لأهل الذكر والراسخون في العلم ـ وليس المراد من التأويل والمعنى المراد من المتشابه حتى يكون المتشابه متميزاً عن المحكم بأن له تأويلاً ـ حسب فساد عقولهم ومعتقدهم الباطل ـ بل التأويل يشمل المحكم والمتشابه! كما أن ليس في القرآن آية أريد فيها ما يخالف ظاهرها، وما يوهم ذلك من الآيات وإنما أريد بها معانٍ تعطيها كما آيات أخرى محكمة ـ لو كنتم أهل السنة كما تزعمون ـ والقرآن يفسر بعضه بعضاً[3]؟!

---

(١) الاتقان ٢/ ٢٧٣، البغوي، تفسير البغوي ١/ ١٨ البرهان ٢/ ١٤٩.

(٢) أنظر: ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى ـ رسالة الإكليل ـ ٢/ ١٧. بيروت ١٣٩٢هـ.
على طبيعة ابن تيمية تكلفاً وعناداً ثم يحمل السلف وأهل السنة إفرازات تعصبه الذي لا واقع له!

(٣) للمزيد راجع الميزان: ٣/ ٣٨، تفسير آية ـ ٧ـ من سورة آل عمران.

وهناك ارتجال وصرعة من صرعات ابن تيمية المعهودة، بأن يكابر بفرض ما يفرزه عقله ـ ولم لا والاجتهاد بالرأي مفتوح حتى للجهلة ـ حيث قال: إن المراد بالتأويل هونفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس العقل المطلوب ، وإن كان خبراً كان نفس الشيء المخبر به، وعليه فالتأويل هو نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلية ـ هذه طبيعته بأنه لا يحترم حتى عقول سلفه ـ فإذا قيل (طلعت الشمس) فتأويل هذا نفس طلوعها وهذا الوضع والعرف، وهو لغة القرآن التي نزل بها ـ كعادته لا يتحرّج ولا يتّقي من أن ينسب الأمور للقرآن وإجماع أهل السنة والجماعة وما هي كذلك ـ فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام والتي تأولها يوسف عليه السلام في نفس مدلولها الذي تؤول إليه[1]؟!

بل هذا من سخف التأويل البعيد والمرتجل ممن ليس من أهل هذا العلم بل من المتطفلين عليه! الحق في تفسير التأويل إنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم موعظة أو حكمة، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية لحكمها وتشابهها، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن تحيط بها شبكات الألفاظ، وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض الشيء فهي كالأمثال تضرب لتقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع[2].

ويستفاد مما تقدم أن المفسر يحذر أهل السنة والجماعة، بأنكم قد تعملون الرأي والارتجال في كثير من إدعاءاتكم في فرقكم ـ مذاهبكم ـ

---

(١) ابن تيمية: مجموعة الرسائل الكبرى ـ رسالة الإكليل ـ ٢/ ١٨ وانظر: التفسير والمفسرون ١/ ١٧.

(٢) للمزيد راجع الميزان: ٣/ ٤٩. وهنا وهذا مما يحدث كثيراً أن يأتي أحد من الخلف المتأخر لينسف كل ما بناه السلف، يوقل د. مصطفى زيد: وجميع هذا المواضع التي استدل القرآن فيها اللفظ والتأويل أريد به الأمر العملي الذي يقع في المال تصديقاً لخبر أو رؤيا أو تصديقاً لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل، دراسات في التفسير ـ ص ٧٧ القاهرة ١٩٧١م.

ولكن حاذروا في كتاب الله تعالى أن لا يجوز لكم التأويل إلا ضمن ضابط قرآني ـ لا قياسات عقولكم ولا استحسانات أهوائكم ـ وبأقلها حتى لا تتجاسروا على القرآن ومراميه العالية، كما ضيقتم الإسلام بمنع غير مذاهبكم وفرقكم الجامدة، المحددة وكان العقبة لمنع تحرير العقول وكشف معاني الإسلام العليا والتي يدعو إليها القرآن؟! فنورد مثالاً على ذلك، لما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

فإنه حسب تأويلاتهم القاصرة المعهودة، لم يكن الميزان ـ كما جمد عليه السلف ـ إلا تلك الآلة القديمة وما دونها بدع، لأنه خلاف الظاهر من الكيل والوزن. ولكن علماءنا أعطوا القرآن منزلته البصيرة الآفاق، بأن جعلوا المراد من التأويل في الكيل والوزن الوضع الاقتصادي والسوق والمعاملات التجارية، وهذا ليس خلاف الظاهر من الكيل والوزن، بل هو حقيقة خارجية ومعنى أوجدت في الكيل والوزن، تقوى وتضعف بواسطة استقامة المعاملة وعدم استقامتها. علماً أن الآية لم تزل دلالة لفظية على هذه الحقيقة الخارجية[1]. وأن الناس إذ خسروا بالتطفيف.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المطلب الثاني

شروط المفسر وآدابه

عندما تطلع على كتب محتكري السنة والجماعة تجدها جائرة ومتعسفة بإعطاء كل الحق والسنة والصحاح وصحة التفسير لموروثاتها، بحيث تبخس وتصادر ما عند الآخرين من بقية المسلمين؟!

والأنكأ من ذلك كله فإنها تصفهم بمختلف الطعون والاتهامات

---

(١) للمزيد انظر: القرآن في الإسلام ـ الطباطبائي ـ الإسراء: ٣٥، ص٤٥.

كالانحراف بالعقيدة والهوى ونصرة مذاهبهم بالباطل والبدع والمرتزقة وغيرها. ولا يغفل على المحقق المنصف الأمين الإسلامي، أن هذا يدل ويكشف عن وجود أغلب تلك الاتهامات عندهم وهم يحاولون قذفها على الآخرين!

وهكذا تراهم يغرون حتى المنصفين منهم عندما ينفرونهم من غيرهم، حتى أنك لا ترى حتى المتنورين منهم لا يكلف نفسه عناء الاطلاع على غير مزاعم أهل السنة والجماعة والسلف... الخ.

فماذا هناك على ضوء شروطهم وهي[1]:

أ ـ شروط المفسر: من أهم هذه الشروط ما يلي:

١ ـ **صحة العقيدة**: فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيراً ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار. فإذا صنف أحدهم كتاباً في التفسير أوّل الآيات التي تخالف عقيدته، وحملها باطل مذهبه ليصدّ الناس عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى؟!

ترى من خلال ذلك حالة الغرور والاستعلاء العريض غير المستند إلى دليل على صحة مدعاهم الأمر الذي انعكس حتى فيما بينهم طعناً وتكفيراً. وسيأتي المزيد عن انحراف عقيدتهم في صفات الله سبحانه يبلغ حد التجسيم والتشبيه المشابه لإله التوراة المحرفة وذلك بسبب تبنيهم وتعديلهم لأقطاب المرويات الإسرائيلية، نقلاً عن النصرانية والوضاعين الذين شكلوا سنة الحكام ولبنتها الأولى بلاط معاوية وهلمّ جرا؟!

٢ ـ **التجريد عن الهوى**: فالأهواء تدفع صاحبها إلى نصرة مذهبه، فيغري الناس بلين الكلام ولحن البيان.

---

(١) كيف نفهم القرآن: ص١٨٣، متاع القطان ـ مباحث في علوم القرآن: ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.

وسيأتي العكس مما تبنوه، عندما أعزوا الأمة بكثير من ادعاءاتهم الباطلة التي تخالف الكتاب والسنة والعقل والإجماع. وكيف أنهم خافوا على موروثاتهم الممزقة فحصنوها بالغلو برجالهم وتعظيم الحكام الذين احتموا بهم لنشر مذاهبهم، في مقابل الطعن بل والقتل والتنكيل بكل من يخالف ما هم عليه.

٣ ـ **قولهم**: إن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن. فما أجمل منه في موضع فقد فصل في موضع آخر.

وسيأتي كيف أنهم لم يوفقوا ولم يحسنوا تفسير القرآن بالقرآن سواء من ناحية تناولهم أو خلفيات قواعدهم، وفي أقلها موقفهم في تفسير وتأويل المتشابهات في القرآن، حيث وقف سلفهم منها موقف المفوضة، والخلف موقف المؤولة، وأهل السنة موقف المشبهة، والحنابلة موقف المشبهة والمجسمة[1].

٤ ـ **قولهم**: إن يطلب التفسير من السنة شارحة للقرآن وموضحة له، والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى. ولذلك قال ﷺ: «ألا أني قد أُوتيت القرآن ومثله معي» يعني السنة، وقال الشافعي (رضي): «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن» وسيأتي بالأدلة مدى انحرافهم عن جلّ سنّة النبي ﷺ إلى سنّة رجالهم والحكّام.. الطافحة بالإسرائيليات بعد تعديل أقطابها.. والمليئة بالوضاعين والمندسين وأمثالهم.. بحيث ظهر تأثيرهم جلياً على تفاسيرهم؟!

٥ ـ **قولهم**: فإذا لم يجد المفسر من السنّة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن وللأحوال عند نزول القرآن، وما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

---

(١) انظر اللالكائي، وكتبهم في العقائد، فالأحناف يلتزمون بعقيدة الماتريدي بينما الشافعية بعقيدة الأشعري، والصواعق المرسلة ـ لابن القيم ١/ ٢٦٥.

وستعرف أنه لا طريق لهم بهذا الشكل المتسلسل، وسوف نبطل حجيته قول الصحابي هذا فضلاً عن أن أغلب التفضيل جاء على لسان التابعين من الخلف حيث ضخموا شخصيات على حساب أخرى وخير مثال على ذلك مبالغاتهم في إعطاء ذلك الدور المميز لابن عباس ورغم صغر سنه في صدر الإسلام ـ مما يكشف عن إرضاء لبني العباس وهكذا؟!!

٦ ـ فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ـ طعن في الكتاب والسنة ومحدوديتهما ـ ولا في أقوال الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في هذا إلى أقوال التابعين ـ رجالهم أهل السنة والتشريع ـ ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة ومن إدعاءاتهم الهوائية ـ أو ربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح ـ ليت شعري أين الصحيح ـ ولهذا قال أحمد بن حنبل: ثلاث كتب لا أصل لها، المغازي والملاحم والتفسير؟!!

وهذا يكشف عن انحراف خطير، إذ أنه إن كان ليس للتفسير أصل فليأخذ المفسر حريته بالخبط والتخليط من غير هدى ولا كتاب منير! والعجب كيف يطعنون في تفاسير بقية المسلمين؟!

٧ ـ دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

وهذا الشرط يستنبطه إعمال الرأي والاستحسانات والمصالح المرسلة وغيرها من الأهواء التي تجرأوا بها في تفاسيرهم، هذا بالإضافة إلى أن هذا الشرط الأخير باطل هو الآخر، وذلك كان أولى أن يقولوا ما يتفق مع روح الشريعة لأنهم أخفقوا في فهم كثير من النصوص بحسب خلفياتهم الفكرية والثقافية والمذهبية؟!

ب ـ **آداب المفسر**: من أهم الآداب التي يجب على المفسر أن يتحلى بها هي:

١ ـ **حسن النية وصحة المقصد**: فإنما الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا وأن ينتفع بالعمل ويخلص فيه.

أن أول ما يكشف عن سوء النية هو تضخيم رجالهم والحاكم الغالب.. بينما يرمون من تمسك بسنة النبي ﷺ في عترته وبالإمام علي عليه السلام بالبدع والرفض والفرق والنحل ممن بذلوا الدماء للمحافظة على السنة الحقة، بينما هم استرخوا كمرتزقة في بلاطات الحكام وسيأتي مفصلاً قول الغزالي وابن الجوزي بفساد نوايا مرتزقة السلطان؟!

٢ ـ **حسن الخلق**: فالمفسر في موقف المؤدب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس إلا إذا كان المؤدب مثالاً يحتذى في الخلق والفضيلة.

وأنّى لوعّاظ السلاطين من خُلُق وفضيلة يحتذى بها وهم يرتزقون السلطان في مقابل أعذارهم له وتبرير سياساته المنحرفة، في مقابل زهد علي عليه السلام وسلمان وعمّار وأبي ذرّ والأفاضل من أهل بيت النبوة كالحسنين وزين العابدين وباقر العلم وصادقه عليهم السلام...!!

٣ ـ **الامتثال والعمل**: فإن العلم يجد قبولاً من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه، وحسن السيرة يجعل المفسر قوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين.

بل الامتثال والعمل الذي يراد به وجه الله تعالى ولا يخاف في ذلك ما دونه من الحكام أو يطمح في عطائهم، بحيث يكثر من سوادهم ـ ضد أهل الحق، من المجاهدين لإعلاء كلمة الحق وعدم الانحراف عنه، إلى باطل البلاطات وارتزاقهم من أرباب نعمتهم من الحكام!

٤ ـ **تحري الصدق والضبط في النقل**: فلا يتكلم أو يكتب إلا عنه تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من اللحن والتصحيف.

٥ ـ **التواضع ولين الجانب**: فالصلف العلمي حاجز حصين يحول بين

العالم والانتفاع بعلمه. لا الطعن واللعن والسباب رجماً بالغيب.

٦ ـ **عزة النفس**: فمن خلق العالم أن يترفع عن سفاسف الأمور ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف.

٧ ـ **الجهر بالحق**: فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

٨ ـ **حسن السمت**: لأنه يكسب المفسر وقاراً وهيبة في مظهره العام وسلوكه بين الناس. لا من ظهرت عليه خلع وهدايا السلطان!

٩ ـ **الأناة والروية**: فلا يسرد الكلام سرداً بل يفصله، ويبين عن مخارج حروفه . لا الاستعجال طمعاً ورهبة!

١٠ ـ **تقديم من هو أولى منه**: فلا يتعدى للتفسير بحضرة من هو أعلم منه، وإن يجله ويوقره. بل سنجد أن هناك سرقات جهود، وكفران بالآخرين!

١١ ـ **حسن الأعداد وطريقة الأداء**: كأن يبدأ بذكر سبب النزول ثم معاني المفردات وشرح التراكيب وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنى، ثم يبني المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره، ثم يأتي إلى الاستنباط والأحكام. أما ذكر المناسبة والربط بين الآيات أولاً وآخراً فذلك حسب ما يقتضيه النظم والسياق.

المطلب الثالث

العلوم الواجب توافرها في المفسر بشكل عام

لم يترك العلماء هذا الأمر مفتوحاً مجاله لكل من أوحت له نفسه[1]، وأنما حتى يكون التفسير مقبولاً إذا ما قيس بالتفسير بالمأثور، فقد وضعوا

---

(١) وهذا يناقض ما هم عليه وذلك عندما تجد أنهم فسحوا المجال واسعاً لأعمال الرأي والاجتهاد والقياس المفرط لكل المفسرين.

شروطاً أساسية لمن أراد طروق باب تفسير القرآن برأيه واجتهاده، وأوجبوا عليه أن يعرف علوماً متعددة منها:

١ ـ **أن يكون عالماً بعلم المعاني**: وهو علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق، مقتضى الحال، وذلك ما يشمل افتقار المقام من تقديم وتأخير وذكر وحذف وفضل ووصل وهكذا. ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝١﴾ [الصافات:٤] وهذا التأكيد يقتضيه مقام الإنكار. فبهذا العلم يعرف كيفية تصوير الآيات في تأدية أغراضها. فمقام الفخر يستدعي الأطناب ومقام الإنكار يستدعي تأكيد الكلام، وهذه المقاييس لا يعرفها ويدرك أداء أغراضها إلا من كان ضليعاً في هذا العلم لا من يضربها عرض الحائط لمجرّد أنّه وجد في موروثه أحاديث أعطاها صفة الصحاح تعصّباً وبالتالي ليقع بالتشبيه أو التجسيم وغيرها.

٢ ـ أن يكون عالماً بعلم البديع: وهو علم قائم على معرفة وجوه تحسين الكلام مع رعاية المطابقة لمقتضى الحال وبعد رعاية وضوح الدلالة، مثال قوله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان:٣] فمن لم يكن ضليعاً في هذا العلم لا يدرك وجه التحسين وهو مقابلة الضر للنفع وهكذا.

٣ ـ **أن يكون عالماً بعلم البيان**: وهو علم قائم على صوغ المعنى الواحد في صور متعددة من الأساليب تختلف في وضوح الدلالة عليه.

أقول وعن ملاحظة هذه الشروط الثلاثة نجد كيف أنهم لم يلتزموا بها إذا ما صادمت موروثاتهم وخطوط أسلافهم. الأمر الذي أدى ـ كما سيأتي ـ بوقوعهم بالتشبيه والتجسيم عند تفسيرهم للذات الإلهية والكرسي والرؤية وغيرها. مما حدا بالزمخشري أن يستخف بعقولهم وجهلهم لعدم معرفة أبسط أمور اللغة والبلاغة من كتابة ومجاز وغيرها بل قال بكفرهم؟!

٤ ـ **أن يكون عالماً باللُّغة**: التي بها معرفة شرح المفردات ومدلولات

الألفاظ، قال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب».

ولكن وكما سيأتي كيف أنهم تعصبوا لرجالهم من السلف وكابروا في تقليدهم في التفسير علماً أن ابن عباس وغيره عرف عنه كثرة استشهاده بالأشعار ولغة العرب؟! أو أنه لم يصح له من التفسير إلا بشبيه مائه حديث فقط!!

٥ ـ **أن يكون عالماً بالنحو**: لمعرفة تغيير المعنى باختلاف الأعراب.

وستثبت كيف أنهم تعصبوا لموروث رجالهم، بحيث انحرفوا حتى بالأحكام والفقه كما في قضية مسح الأرجل وغسلها وغيرها وإن خالفوا بذلك واضح اللغة العربية؟!

٦ ـ **أن يكون عالماً بالاشتقاق**: وهو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ، كعلم، عالم، معلوم، مأخوذ من العلم.

وسيجيء كيف أنهم خالفوا ذلك في اشتقاقهم لمعنى كلمة الولي، من الولاية والتولية؟!!

٧ ـ **أن يكون عالماً بالتصريف**: الذي به تعرف الأبنية والصيغ، كمن يعتبر إماماً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، جمعاً لأم، فهذا خطأ ناتج عن جهله في التعريف، كما يقول الزمخشري.

٨ ـ **أن يكون عالماً بالقراءات**: لمعرفة كيفية النطق والترجيح.

وستعرف أنها مجرد اجتهادات بالرأي، وإدعاءات تحتاج إلى المزيد من التحقيق والتدقيق.

٩ ـ **أن يكون عالماً بأصول الدين**: لمعرفة ما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، من تأويل واستدلال على المستحيل والواجب والجائز.

وسيجيء أثناء البحوث مدى الاضطراب بالتناقض الذي أدى إلى الجبر والتجسيم والتشبيه وهجوم بعضهم على بعض كما في هجوم أهل الحديث على ابن تيمية وابن القيم وغيرهم على أهل الكلام كالرازي والغزالي وابن عربي وغيرهم! وقد سمى الطباطبائي ذلك تطبيقاً لا تفسيراً؟!

١٠ ـ **أن يكون عالماً بأصول الفقه**: لمعرفة دلائل الفقه وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد، والمراد بالدلائل الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا يسمى أصولياً إلا إذا عرف كيفية الاحتجاج بهذه الدلائل، وأن الأمر يدل على الوجوب، والشيء يدل على التحريم وهكذا.

وقد كان لاحتوائهم كثرة الفرق ـ المذاهب ـ المتضاربة، كأهل الحديث وأهل الرأي والقياس، الأمر الذي ظهر تأثيره المنحرف السيء على استنباطاتهم المتناقضة، فوقعوا بالتصويب، وبالغوا بالقياس، والاستحسانات ـ هي بدع أو تكاد ـ والمصالح ـ المرسلة فما بين إفراط الرأي والقياس بدون ضوابط علمية محددة وبين التفريط بسدّ باب الذرائع وغيرها وحجية قول الصحابي الذي أثبتنا بطلانه، وفساد تلك القواعد بالمقارنة؟!

١١ ـ **أن يكون عالماً بالفقه**: لمعرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها، التفصيلية، كالحكم على الالتزام بالصلاة بالنصوص الآمرة.

أقول: وهذه الفقرة متعلقة بالسابقة، فإن النتيجة تتبع أخس المقدمات، وهي أصول الفقه. وسوف يأتي في تفسير آيات الأحكام مدى الانحراف عن استفادة، الأحكام من الكتاب فضلاً عمّا في السنّة؟!

١٢ ـ **أن يكون عالماً بأسباب النزول**: لمعرفة معنى الآية المنزلة فيه حسب الإنزال.

ومن المعلوم فقد حصل تشكيك بمبالغات أسباب النزول وحصول الكذب والتزوير فيها هذا فضلاً عن استنادها إلى أحاديثهم التي أثبتنا ضعف الاعتماد عليها بالأغلب مضافاً إلى منهجهم في المحاولة قدر الإمكان من دفع

ما نزل في عليّ عليه السلام وأهل البيت وإن كان متواتراً تعصّباً منهم كما أثبتناه.

١٣ ـ **أن يكون عالماً بموروثهم الحديثي** بحيث نسخوا آيات الكتاب بالآحاد منها، هذا بالإضافة إلى تخبطهم في مسائل النسخ؟!

١٤ ـ **أن يكون عالماً بالسنة المبينة للإجمال والإبهام.**

وسنوضح أن ما أصاب سنتهم من منع وحرق وسياسات الحكام وغيرها، بحيث كان لها التأثير العكسي والسلبي لفهم مرادات الآيات البينات؟!

١٥ ـ **أن يكون ذا موهبة:** «وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم»[١].

بل العمل مع الأخلاق والتقوى والعلم من باب مدينة العلم «الإمام علي عليه السلام وأهل الذكر وأهل بيت النبوة عليهم السلام والمطهرون ليمسوا الكتاب مادةً وروحاً، والراسخون في العلم؟!

ونقل السيوطي عن الزركشي: «قال في البرهان: أعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هدى أو حب الدنيا أو هو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلا بعقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكبر من بعض»، قلت ـ السيوطي ـ وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]. قال سفيان بن عيينة، يقول انزع عنهم فهم القرآن، أخرجه ابن أبي حاتم»[٢].

أقول: هذه الشروط أقرب إلى المثالية أو التمني عندهم! لأن كل هذه

---

(١) الاتقان في علوم والقرآن ـ السيوطي ـ ٢/ ١٨٥.

(٢) نقله السيوطي في الاتقان ٢/ ١٨٥.

الصفات قد ظهرت عن كبار مفسريهم وإن كانوا هم يرمون بها الآخرين بلا تقوى وبلا أمانة؟! فالبدعة تسمعها عندهم وسمّوها البدعة الحسنة، وبدعة الغلو برجالهم، وصحاحهم والحكام الغالبين.

ـ **أما الكبر**، يكفي إدعائهم ان سمّوا أنفسهم أهل السنّة والجماعة وتخريج الآخرين عن ذلك ادعائهم أن الصحاح عندهم دون غيرهم، وبالتالي أن تفاسيرهم هي المعتمدة... الخ.

ـ **أمّا مسألة الهوى**: فأي هوى اتبع من استخدام الرأي والاجتهاد والقياس المبالغ المفرط، وتبريرهم لأفعال الحكام وأعذارهم.

ـ **أما حبّ الدنيا**: عندما اتبع الخلف السلف الذي ارتزق في بلاطات معاوية الذي كان يتسامر ويتنادم الفقيه مع مستشار معاوية سرجون الذي كان حلقة وصل مع معاوية لأي أمر يطلبه الفقيه، وقد كان الخمر يتقاطر من فمه أو فاض على لحيته شاربه! وكذلك الأخطل الشاعر النصراني، وأخوال يزيد من النصارى؟!

ـ **أمّا الإصرار على ذنب**: فأي ذنب أشد من ذلك الذي يجعل الفقيه مرتزقاً ليورثها إلى خلفه في بلاطات الحكام تبريراً وأعذاراً وسكوتاً... الخ.

ـ **أما غير تحقق الإيمان**: فمن أين يتحقق الإيمان وهو سيف السلطان ومفتيه وأعلامه؟!

ـ **أما ضعف التحقيق**: فأنى للمتعصب بل المغالي الأعمى بسلفه مطلقاً وإن كانوا قد فسروا القرآن الكريم بالإسرائيليات والموضوعات والدخيلة والمدسوسة... الخ؟!

ـ **أما اعتماده على قول مفسر ليس عنده علم أو رجع إلى مقولته**: فسيجد القارىء كيف أن الخلف كانوا عيالاً على السلف بالاعتماد عليهم أو اختصار تفاسيرهم، وعندما يجدوا طغيان الإسرائيليات فأما أن يجعل لهم تقليلها أو الوقوف على بعضها ومحاولة ترميم وترقيع ذلك البعض...؟!

ومن المؤسف له حقاً إنهم بالرغم من انكشاف مثالية بل انعدام جلّ هذه الشروط عن مفسريهم، إلا أن التعصب بل الغلو برجالهم وترقيع وتجميل الخلف للسلف ورغم اعترافهم بذلك إلا أنهم ظلّوا مصرين على إعطاء أضخم الصفات والمبالغات بتفاسيرهم ومفسريهم؟!

والأنكأ من ذلك كله إنهم يخلعون تلك الصفات والانحرافات عن الآخرين وبذلك تمكنوا من تشويه صورة بقية المسلمين وبالأخص أهل بيت النبوة وأتباعهم وأنه لا يؤمنون على حديث أو تفسير لأنهم أهل بدع وزندقة ومغالين بحب الإمام علي عليه السلام ويرون أن الحق مع علي في حربه مع سيدنا معاوية (رض) وأنهم خرجوا عن جماعة معاوية وكل حاكم غالب وإن لم يحكم بالشورى والبيعة الشرعية. . . الخ.

وسيحكم القارىء مدى ثبوت العكس عند المتهمين من خلال انحراف وضلال تفاسيرهم عن الحق والهدى وذلك جزاءً وفاقاً نتيجة انحرافهم عن السنة الحقة وأهلها والغلو برجالهم ومطلق حاكم؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

القسم الثاني:

دراسة عامة لتفاسيرهم

فبعدما تبين لنا اضطراب وخلل معرفتهم الصحيحة بالكتاب، وهو بين أيديهم، نتنزل معهم إلى ما تمسكوا به بإصرار وسموه الصحاح من السنة؟!

التفسير المزوّر:

يقول أحمد بن حنبل: بأن ثلاثة ليست لها أصل، التفسير والمغازي، والملاحم، وقال الشافعي، لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث، الجامع مع كثرة ما روي عنه (رض)[1]!

وقيل لابن عصمة من أين لك عن عكرمة، عن ابن عباس في فضل سورة القرآن، سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا في فقه أبي حنيفة والمغازي لمحمد بن اسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة.

وقال ميسرة بن عبد ربه لما قيل له من أين جئت بهذه الأحاديث قال وضعتها أرغب الناس بها[2].

---

(١) الاتقان: ٢/ ١٨٩، والسيوطي ـ التحبير في علم التفسير ـ ص ٣٢٧، التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٥٧.

(٢) الغدير: قال ابن الجوزي وقال العجلوني لا يصح ذلك، سنة أهل البيت ـ محمد تقي الحكيم ـ ص ٨٩.

وحديث: «القرآن غير مخلوق».

وحديث: «لا تقوم الساعة حتى يقولوا بآرائهم»[1].

لأن كل شيء بيده، وعليك السعي والعمل ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النجم:٣٩] وأخرى الالتجاء إلى الدعاء، وكلاهما يوصل إلى النتائج!

كذلك فسرت هذه القاعدة عن أهل البيت عليهم السلام مشكلة القضاء والقدر الغامض عندهم، حيث قالوا كل شيء بقضاء وقدر بمعنى! نعم كل شيء كذلك أي من الله تعالى ولكن القضاء والقدر الإلهي لا يعني الجبر، كما فهمه الأشعرية والمعتزلة وقد يتداوله بعضنا؟!

بل معناه أن القضاء هو أن الله سبحانه جعل هذه النتيجة مترتبة على هذه المقدمات أي جعل مثلاً الإحراق مترتباً على النار.. نعم إلا إذا شاءت قدرته تعالى!

إذن فالمراد بالقضاء الإلهي كون القوانين والأسباب لا تتخلف ولا تختلف، والمراد من القدر أي كل نتيجة تريد إليها لها طريق مخصوص. فالنتيجة (أ) لا من أي طريق بل بطريقها المخصوص!

مفهوم البداء، وعلاقته بالنسخ:

ـ هنا يتصل بهذه المطالب مفهوم البداء. الذي لم يدركه مدعو السنة والجماعة ومن سموا أنفسهم شيوخ السنة، وقد عابونا بل وكفرونا على قضية البداء جهلاً بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله: «الثقلين...» فقد ورد «ما عبد الله بشيء كالبداء»؟! ويعتبر أحد أسس فكرنا في تحدي الآخرين خلاصة أن البداء نسخ في التكوينيات بينما النسخ هو ما كان في التشريع. إذ من لم يميز بينهما يعتريه النقص والضعف في التفسير؟!.

---

(١) المغني في الضعفاء ـ للذهبي، نقلاً عن منهج الكتاب في علوم الحديث ـد. عز ـ ص ٣٠٢.

المطلب الأول

مواضع الخلل في تفاسيرهم

الفرع الأول: التفسير بالإسرائيليات:

ذكرنا فيما سبق عن تبني وتزكية الجمهور لأقطاب رواة الإسرائيليات. وهنا ينقلون عن ابن عباس أنه كان يأخذ أحياناً عن أحبار اليهود؟!

وقد ذكرنا سابقاً كيف أنَّ النبي ﷺ وبّخ بعض الصحابة من الأخذ من اليهود في حياته ﷺ إذ لو كان موسىٰ حيّاً لاتبعني؟!

مستندين في ذلك في حديث عن النبي ﷺ يقول: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»[1] وعندما تعلم أنهم يعتبرون ابن عباس من أفضل المفسرين ومن الطبقة الأولى[2].

هذا فضلاً عن أنَّ ابن عباس كان من شيعة علي عليه السلام في الجمل وصفّين وقد وجهه الإمام عليه السلام بأن لا يجادل الخوارج بالكتاب لأنّه حمال ذو وجوه؟!

وقد علق المفسر رشيد رضا على قول ابن تيمية، إذ صرح في هذا المقام بروايات كعب الأحبار، ووهب بن منبه، مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بها وعدلوهما[3]؟!

يقول ابن حجر[4]: «فالصحابة أخذوا عن أهل الكتاب في حدود المأذون به، مع الإقلال منه، أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام. . .كلون كلب أهل الكهف واسمه، وفي

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٦/٤٩٨.

(٢) انظر: مقدمة الثاني لابن تيمية، ص ١٥ وغيرها من التفاسير.

(٣) م. س نفسه ص ٥٥، كذلك الاتقان ٢/١٧٩، فواتح الرحموت ٢/١٨٨.

(٤) فتح الباري في صحيح البخاري ٨/ ١٧٠.

البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، وقدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، وتساهل التابعون ولم يتحروا الدقة في النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا حسب مدعاهم وقد عدلوهم ـ وأشهرهم كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام؟!!

الفرع الثاني: جرحوا بسيفهم:

إنه سيف بن عمر التميمي (توفي سنة ٣٧٠هـ) ملأ صحاحهم المدعاة عن عصر صدر الإسلام، والسقيفة، وبيعة أبي بكر وحروب الردة والفتوح وحرب الجمل!!

وصفه علماء الرجال والجرح والتعديل في نعته: ضعيف، متروك، ليس بشيء، كذاب كان يضع الأحاديث، اتهم بالزندقة[1]...؟!

وكما ذكرنا سابقاً أن المشكلة عندهم أنهم بعد فتنة صفين بالخصوص انحازوا مع معاوية وشيعته ليأخذوا عنهم كأصحاب حق ولو بالغلبة بل مع كل من يبالغ في رفض علي وحواريه والطعن فيهم واتهموهم بالسبئية بلا موضوعية ولا تقوى وتحقيق؟!!

ومن يراجع كتاب ـ خمسون ومائة صحابي مختلق للعسكري، يجد بالأدلة القاطعة أن: سيفاً هذا قد اختلق في رواياته أكثر من خمسين ومائة صحابي لرسول الله ﷺ مستغلاً جوّ الانقلاب على كل ما يمت بصلة بأهل البيت عليهم السلام وتجهيل الأمة بهم؟!

جعل (سيف) تسعة وعشرين من قبيلتهم تميم، اختلق لهم أخباراً في

---

(١) انظر: يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ) كأكبر رجالي على الإطلاق عندهم، أبو داود (ت: ٢٧٥هـ)، النسائي صاحب الصحيح (ت: ٣٠٣هـ)، أبو حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، الحاكم (ت: ٤٠٥هـ) وللمزيد راجع كتاب عبد الله بن سبأ، الجزء الأول ـ للسيد مرتضى العسكري.

الفتوح وكثيراً من المعجزات والشعر ورواية الحديث.. كما حرّف أسماء أشخاص ذكروا في التاريخ الإسلامي، ونشر الخرافات، واختلق حروباً في الردّة والفتوح التي لا وجود لها، واختلق أن الإسلام انتشر بحد السيف... انتشر رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدراً[1]. وكان أكثر من أخذ منه الطبري في تاريخه[2] فكان هذا الأساس لهم بحيث استمرّوا على أمثال ذلك وكانت العاقبة أنّهم يأخذون اليوم من المستشرقين كل أقوال الفتنة بين المسلمين لأجل الطعن بشيعة أهل البيت عليهم السلام؟!!

الفرع الثالث: صحيح الوضاع والزنادقة:

ففي الوقت الذي تراهم يكيلون اللوم والطعن والاتهام على كل من أطلقوا عليهم رافضة وشيعة، بحيث لا يؤتمنون على حديث ولا يصدقون فيه لأنهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي اختلقه سيف بن عمر التميمي، وقام ابن سبأ بخلط الأوراق على (٨٠٠) صحابي من أصحاب بيعة الشجرة، وعلى رأسهم عمار بن ياسر (رض)؟!

وكأنهم كانوا بحاجة إلى من يجيشهم ويشحنهم لمحاربة الحق(...) المتمثل بمعاوية (...) وشيعته (...) والذين أعتقد ودان بذلك ممن نسبوا إلى علي ومواليه تلك التهم والافتراءات الباطلة؟!!

نعم هكذا في الوقت الذي يرى هؤلاء ممن ادعوا أنهم أهل السنة والجماعة أن الوضاع والزنديق هو من يرى الحق مع علي بن حربه مع كاتب الوحي الصحابي معاوية[3]؟!

تراهم قد امتلأت صحاحهم بأحاديث أشهر وأكبر الزنادقة في تاريخ الإسلام!

---

(١) راجع: الجزء الأول ـ للعسكري ـ خمسون ومائة صحابي مختلق.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) وهذه الأباطيل كلها من وضع كبار الزنادقة؟!

معاوية أول وضّاع رسمي سياسي حيث جعل الجعائل على وضع الحديث أو قلبه تمشية لسياسته الغاشمة[1].

فكان من جملة ما وضعه مستشار معاوية عمرو بن العاص، أخرجه البخاري ومسلم.. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء. إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين».

وفي المقابل وضعوا لمعاوية أحاديث كثيرة قال عنها إسحاق بن راهويه أمّا البخاري: إنّه لم يصح في فضائل معاوية شيء[2].

وأيضاً أنَّ معاوية خطب يوماً فقال: «أيّها الناس انَّ رسول الله ﷺ قال: إنّك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإنَّ فيها الأبدال»[3].

فعلّق أبو رية: وما كاد معاوية يذكر أنَّ الشام أرض الأبدال إلاّ وظهرت أحاديث مرفوعة منهم! وقد أوردها السيوطي في الجامع الصغير[4].

هؤلاء الزنادقة راحوا يسعون لإفساد أمر المسلمين بالدس حيث عجزوا أن ينالوا منهم بالقوة أو بالحجة والبرهان. ووجدوا القرآن الكريم محفوظاً متواتراً فعمدوا إلى الحديث يدسون فيه ويختلقون، لإفساد الدين على أهله وإفساد عقولهم وتفكيرهم، وللصد عن دين الله وتهجينه بدس الأحاديث المزوّرة والمستحيلة[5]!

قال حماد بن زيد: وضعت الزنادقة على النبي ﷺ أربعة عشر ألف

---

(١) راجع ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤/٦٣.
(٢) أضواء على السنة، محمود أبو رية.
(٣) شرح النهج، ابن أبي الحديد ٤/٧٢.
(٤) أضواء على السنّة، أبو رية ص١٣٠.
(٥) تأويل مختلف الحديث: ٢٧٩. نقلاً عن كتاب منهج الفكر في علوم الحديث ـ د. عتر ـ ص ٣٠٣.

حديث. وقال ابن عدي: في عبد الكريم بن أبي العوجاء: لما أخذ وأتي به محمد بن سليمان بن علي فأمر بضرب عنقه ـ قال: «والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال، وأحل فيه الحرام»!!

ونجد آثار ذلك قولاً وعملاً لمن أعطى تعصباً وغلواً صفة الصحاح لأحاديثه، وجعلها القياس الذي يوزن فيه المسلم، وقد استعانوا بالحكام الغالبين لتحقيق ذلك.

ثم يقول بعد ذلك: ومن أمثلة ذلك حديث: رأيت ربي يوم عرفة بعرفات على جمل أحمر عليه إزاران. . .»

وحديث: «إن الله إذا أغضب انتفخت على العرش حتى يثقل على حمله» يقول والحديث من أبشع الكذب والاختلاق.

ومثل محمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة، روى عن حميد بن أنس مرفوعاً: «أنا خاتم النبيين لانبي بعدي إلا أن يشاء الله؟!!»!

الفرع الرابع: أحاديث الترغيب والترهيب:

أخرج مسلم في مقدمة صحيحه[1]، عن يحيى بن سعيد القطان قال: «لم تر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث»!

وعن ابن عدي بأسناده عن ابن عاصم النيل قال: ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث[2]».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي؟! في شرح علل الترمذي[3]: «المشتغلون بالتعبد الذين يترك حديثهم على قمسين، منهم من شغلته العبادة عن الحفظ وكثر الوهم في حديثه، فرفع الموقوف ووصل المرسل. وهؤلاء

---

(١) المقدمة: ص ١٣.

(٢) شرح علل جامع الترمذي: ص ٩٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ٩٦ علماً أن رجالهم في الحديث اختلفوا في إعطاء الأخبار لسنن الترمذي وعدها من الصحاح؟!

مثل أبان بن عياش[1]، ويزيد الرقاشي، وحتى كان شعبة يقول: في كل منهما: لأن أزني أحب إليَّ من أن أحدث عنه!!

ومثل... عبد الله بن محرر ـ قال ابن المبارك: «لو خيرّت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرر لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بصرة أحبُّ إليّ منه»[2].

نناقش العامة (مدعي السنة الجماعة):

أولاً: وفق أي ميزان (سنَّة، كتاب الله، عقل) طعنتم بأمثال هذه الأحاديث ورجالها فقط؟!

ثانياً: ألم يوجد في كل صحاحكم بما هو أشد وأكثر شناعة وزندقة من تلك؟!

ثالثاً: ألأن تلك الأحاديث لم ينسبها أصحابها، إلى أهل السنة والجماعة، ولم يسموها صحاحاً، كما فعل رجال صحاحكم بالنسبة لسيف بن عمر، وأقطاب الإسرائيليات؟!

يوجد في الصحيحين: «إن الله خلق آدم على صورته[3]، وإن له أصابع[4] وساقاً وقدماً[5]»!

وإن الله يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنم أو على جهنم فتقول: قطّ، قطّ، قطّ[6].

---

(١) روى له البخاري في صحيحه (١٥٠٠) حديثاً!

(٢) مقدمة مسلم: ص ٢١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها، ومسند أحمد ٢/ ٢٤٤.

(٤) البخاري، تفسير سورة الزمر: ٢/ ١٢٢، وكتاب التوحيد ٤/ ١٨٦، وباب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝﴾ ٤/ ١٩٢، صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ح٢١٩، ٢٢١.

(٥) البخاري: تفسير ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، وكتاب التوحيد في تفسير ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝﴾ ٤/ ١٨٩.

(٦) البخاري، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد ٤/ ١٩١، ومسلم كتاب الجنة ح٣٥، ٣٧، ٣٨، الترمذي، كتاب صفة الجنة.

وإن له مكاناً، وإنه ينتقل من مكان إلى مكان[1]. . . الخ.

وروا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عرشه على سماواته كهكذا ـ وقرن بأصابعه مثل القبة عليه ـ وأنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب[2]»؟!

وأنه ﷺ قال: «ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: من يسألني فأستجيب له ومن يسألني فاعطيه. . .[3]».

وأنه تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان فيغفر، وإمكان رؤيته تعالى. تأخذ هذه الرواية: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر، آتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رآوه فيها فيقال: ماذا تنتظرون؟ قالوا نحن ننتظر ربنا الذي نعبد. فيقول: أنا ربكم فيقولون: لا تشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً. . . فيقول: هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساق (ثم يسجدون) ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أوّل مرة، فقال: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا[4]؟!!

وهناك الكثير الكثير أمثال هذه الموضوعات الزنديقية الإسرائيلية، وليس هذا انتقاداً بل هو مبثوث في كل باب فضلاً عن أن كبار حفاظهم ألفوا في ذلك، مثل الحافظ محمد بن اسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ) أستاذ البخاري ومسلم في الحديث. وألف الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠هـ)

---

(١) سنن ابن ماجة ـ المقدمة، باب ما أنكرت الجهمية ح١٨٢. وسنن الترمذي تفسير سورة هود الحديث الأول، ومسند أحمد ٤/ ١١.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، ح٤٧٢٦، وسنن ابن ماجة، المقدمة، وسنن الدارمي كتاب الرقائق، باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى؟!

(٣) البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة آخر الليل، كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ مسلم، كتاب الدعاء، وسنن أبي داود ح٤٧٣٣، سنن الترمذي في نزول الرب كل ليلة ٢/ ٢٣٣، موطأ مسالك باب: ٣٠ مسند أحمد ٢/ ٢٦٤، ٣/ ٣٤، ٤/ ١٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة فريق الرؤية ح ٢٢٩، صحيح البخاري في تفسير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ سورة النساء، كذلك كتاب التوحيد في قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ ٤/ ١٨٩.

كتاب الرد على الجهمية[1]، ومن أبوابه:

باب استواء الرب على العرش وارتفاعه إلى السماء وأمثالها.

وكذلك ألف الذهبي[2]، صاحب ميزان الاعتدال في الجرح والتعديل، كتاب (العلو العال للعلي الغفار) أورد فيه الآيات والأحاديث: أن مكان الله في العلو المكاني، ثم نكر أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والمحدثين في تأييد ذلك؟!!

هكذا يصرحون عياناً ويفتخرون بصحاحهم، وأن هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، وعدول رجالهم في نقل الأحاديث.. بينما يتحفظون من أحاديث ورجال من سموهم شيعة ورافضة، لأنهم لا يؤتمنون على نقل الأحاديث، ولن تبلغ أحاديثهم أدنى حديث في الصحاح؟!

دعونا ننظر في المقابل بخصوص هذا الباب فماذا نجد؟!!

يستشهد أتباع أهل البيت عليهم السلام (السنّة بالحق)، بأقوال الإمام علي عليه السلام المنزهة منها:

إن الله لا ينزل، ولا يحتاج أن ينزل، وإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص وزيادة، وكل متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرّك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود[3]!

ويروون عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: من زعم أن الله فوق العرش فقد صيّر الله محمولاً ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه.

---

(١) ط. ليدن، سنة: ١٩٦م.

(٢) الحافظ محمد بن قايمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) المكتبة السلفية، في المدينة المنورة سنة ١٣٨٨هـ.

(٣) الكافي: كتاب التوحيد باب الحركة والانتقال، ج١. والتوحيد للصدوق، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى ١٨، والبحار كتاب التوحيد نفي الزمان والمكان والحركة الانتقال ٣/ ٣١١.

ومن زعم أن الله في شيء، أو على شيء، أو يخلو منه شيء أو يشغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس، ولا يشبّه بالناس، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان[1].

وقال الراوي للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: إنا روينا أن الله عز وجل قسّم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية. فقال الرضا عليه السلام: فمن المبلّغ عن الله عز وجل إلى الثقلين الجن والإنس ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [سورة طه:١١٠] و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] أليس محمداً صلى الله عليه وآله؟ فقال: بلى قال فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله أنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] الآيات، ثم يقول: أنا رأيته بعيني؟! وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن تريه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر؟!

قال الرواي: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً﴾ [سورة النجم:١٣] فقال الرضا عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [سورة النجم:١١] يقول: ما كذب فؤاد لمحمد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النجم:١٨] فآيات الله عزّ وجلّ غير الله، وقد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [صورة طه:١١٠] فإذا رأته الأبصار، فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة، فقال: أبو قرّة: نتكذب بالروايات؟ فقال أبو

---

(١) الكافي ج١، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح٧، وباب الحركة والانتقال ح٣و٩، والتوحيد للصدوق باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى ح٩، ١٠، ١٢ وباب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [سورة هود:٧] ح١١ وباب معنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه:٥] ٥، ٦، ٧، ٨. والبحار للمجلسي، كتاب التوحيد، باب نفي الجسم والعودة والتشبيه والحلول والاتحاد ح٣٢، ٣/ ٨٧.

الحسن عليه السلام! إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها...[1]».

فإن قلتم: وتوجد عندكم كثير من المرويات الموضوعة كتلك التي عندنا.

الجواب: نعم هذا صحيح للأسباب التالية:

١ ـ نحن مررنا بعصور التقية بسبب تعسف أهل السنّة وحكّامهم، بينما هم الذين كان لهم المجال وحرية التحرك وحصل ما حصل!

٢ ـ نحن لم ندعِ أن ما عندنا صحاحاً. بعكس دعواهم.

٣ ـ نحن نملك ما نميّز به المحكم من الحديث وعلى ضوءه نفسر المتشابه. ولا يوجد عندهم ذلك.

٤ ـ نحن ـ وكما سيأتي مفصلاً ـ نعرض الأحاديث على القرآن، وهم يرفضون ذلك بل وينسخون القرآن الكريم بأحاديثهم تلك.

٥ ـ نحن نفضح ونطرد كل الكذابين والوضاعين، ومشكلتهم الكبرى مع أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم! ومثال على ذلك التجني والتعسف، ذكر السيوطي: «ومن القرائن كون الراوي رافضياً هو الحديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام[2]»!

٦ ـ نحن نعرف الرجال بالحق، ونعرف الحق فنعرف أهله... بينما هم بالعكس!

٧ ـ نحن تمسكنا بالثقلين المتواتر والمسند، وهم شذوا بهكذا سنّة والحديث الشاذ والمرسل!

---

(١) توحيد الصدوق، ص١١١، والبحار كتاب التوحيد، باب نفي الرؤية وتأويل الآيات ح١٤ ٤/ ٣١، والكافي كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ح٢.

(٢) السيوطي: تدريب الراوي ص١٨٠.

الفرع الخامس: التعمية بسبب حذف الأسانيد:

الذي انعكس سلباً على التفسير، الأمر الذي أدى إلى تعبدهم بتلك التفاسير وجعلها مقدسة، وسنة لمن جاء بعدهم.

لقد روى مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن المبارك أنه قال: الأسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[1].

جاء في الاتقان: ثم جاء... أقوام ألفوا في التفسير وحذفوا الأسانيد؟! ونقلوا الأقوال غير معروف لقائليها، ولم يتحروا الصحة فيما يردون، فدخل من هذه الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من ينسخ له قول يورده، ولم يخطر بباله شيء يعتمده؟! ثم ينقل عنه ذلك من يجيء بعده، ظناً أن له أصلاً؟! غير ملتفت إلى تمرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير[2]؟!!

ويقول الذهبي: وفي الحق أن هذا السبب يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً؟!

لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها، وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات ـ هل جاءت من صحابتهم وتابعيهم ـ والقصص المخترعة على أنّه صحيح كلّه، مع أن فيها ما يخالف النقل ولا يوافق العقل!

(لكن حذفها ـ وللأسف ـ عمي علينا كل شيء؟!!)[3].

وأنّى للأعمى أن يدرك نور الحق فيعرفه، ومن ثم يعرف أهله، وأنى له أن يسلك الصراط المستقيم، وكيف يتصدى للتفسير؟! فحاله حال من يسأل الأعمى صف لي الدنيا؟!

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ٨٤.

(٢) الاتقان: ٢/ ٣٢٤.

(٣) التفسير والمفسرون: ١/ ص٢٠١.

الفرع السادس: نتائج سنتهم المدعاة:

مرّ عليك بيان المنحى الخطير عن سنة رسول الله ﷺ واستبدالها بسنة الحاكم الغالب ووعاظه.. مما فتح المجال لتحصيل رضى الحاكم من جهة ومن جهة أخرى الارتزاق منه وتسلّم مناصب عنده.. مما أدى إلى التسابق المحموم كما ذكرنا لتدعيم سنة الحاكم بمختلف الوسائل وعلى حساب سنة النبي ﷺ وأهل بيه وأتباعهم! وقد انعكس ذلك سلباً على القرآن الكريم كما يلي:

خيانة الله ورسوله:

عندما فسروا القرآن الكريم وفق الجري على الواقع وحسب هوى السلطان؟!

وذلك عندما أوّلوا بل زوّروا مراد تفسير الآيات وفق صحاح سنتهم المدعاة فما كان هناك؟ منها وأهمها على سبيل المثال لا الحصر!

نسخ الإسلام بدين الحاكم مطلقاً: بعدما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء:٥٩] وأولو الأمر هم: علي والأئمة من ولده[١]!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد التزموا ـ كعادتهم ـ بالآحاد ـ أو بالشاذ، فقالوا أمام تلك المصادر، عن ابن عباس: يعني أهل الفقه والدين... ثم قال ابن كثير: والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء[٢]؟!! ومن خلال استقراء التاريخ أنها ـ أي أولي الأمر ـ صارت تعني الأمراء الغالبين، لا العلماء بل أن الحاكم طوّع وطمع ترهيباً وترغيباً العلماء لنسخ دين الإسلام بدين السلطان وأطاعته مطلقاً!!

---

(١) استفاضت الروايات بذلك، منها تفسير الرازي ٣/٣٠٧، شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٤٨، ينابيع المودة للقندوزي: ص١٣٤، فرائد السمطين ـ للحموييني: ١/ ٣١٤ ح٢٥٠ وغيرها.

(٢) تفسير ابن كثير: آية (٥٩) من سورة النساء ص ١١٠ دار الهلال ـ بيروت ـ لبنان ط (١٩٩٠م)!

يقول محمد الغزالي: «هنا نجد الأئمة الذين قادوا الأمة علمياً... أبو حنيفة ومالك والشافعي، وابن حنبل[1]... كما التزم المحدثون رواية السنن... وغلب على هؤلاء وأولئك الرغبة في ألا يصطدموا بالنظام القائم؛.. وأيأس الناس من أن يكون هناك مجال لإصلاح سياسي بالمعنى الذي يعود بالأمة إلى دولة الخلافة... واكتفى الأئمة بأنهم قبلوا الأمر الواقع[2]؟!!

والقرآن الكريم يدعو في آيات كثيرة ـ باعتباره في أحد مقاصده كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ومقارعة الظالمين لتحرير الإنسان.... الخ.

منها قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [سورة القلم:٨] أي يحكم جرياً على واقع الحكام باسم الاجتهاد مخالفاً لما أمر به الله ورسوله... وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝١٥١﴾ [سورة الشعراء:١٥١] وتشمل المسرفين المبذرين لطاقات وقدرات الأمة.. و﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [سورة الأحزاب:٦٧] وهنا يقول المفكر محمد الغزالي، «محاولة إصلاح الحاكم عندنا، تأثرت بعقدة صفين أولاً... وثانياً: بما شاع من أحاديث، وأحكام كثيرة تدّع الظلم وتجعل الخروج على الحكم كانه الكفر أو دونه الكفر؟!![3]».

علماً أنه مرّ عليك سابقاً أن أبا بكر وعمر قالوا عن البيعة الأولى «فلته... ومن عاد لمثلها فاقتلوه» فكيف بمعاوية والأمويين وغيرهم الذين أقاموا الأمر بالظلم والتنكيل بل بالغش والتزوير والكذب والافتراء؟!

وهو ما أوّله الوعاظ بالاجتهاد، فعندما استولى معاوية على الخلافة سنة

---

(١) فبعضهم وبالخصوص مالك طاوع السلطان والبقية إن لم يكونوا لم تتلامذتهم؟!

(٢) كيف نتعامل مع القرآن: ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ص٩٥.

(٤٠هـ) اتجه إلى العراق، فخطب فيهم قائلاً: «أتروني ما قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟!! وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم! وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون؟!!»[١] وقال أيضاً «ألا أن كل دم أصيب في هذه مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين»[٢].

هذا هو تفسير آيات الله تعالى، والتمسك بسنة النبي ﷺ في مدرسة أهل السنة والجماعة؟!

ولو قال القرآن أيضاً ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:١٢٤] أي لا ينالها أي ظالم ولو لنفسه. رغم تأكيدها عندهم، فقد قال الآلوسي في تفسيره: «الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا شاهداً ولا راوياً[٣]).

كذلك الفخر الرازي: «قال الجمهور من الفقهاء والمتكلمين: الفاسق حال فسقه لا يجوز عقد الأمانة له، واختلفوا في الفسق الطارىء...[٤]».

لكن أهل السنة والجماعة خانوا كل تلك الأمانة والتزموا ببدعة الحاكم ووعاظه كدين بديل؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المطلب الثاني

التفسير بالرأي

الجرأة على الله ورسوله:

بالتفسير بالرأي؟! إذ أن الغلوّ والتعصّب يجعلهم يغضون الطرف عن

---

(١) و(٢) شرح ابن أبي الحديد: ٤/ ١٦٠. الطبري في تاريخه: ٤/ ١٢٤. أيضاً ابن الأثير ٣/ ٢٠٣.
(٣) تفسير روح المعاني ـ للآلوسي البغدادي: ٢/ ٢٤٥.
(٤) التفسير الكبير: ٤/ ٤٢.

كل مساوىء وتجني من ضموه إلى فرقة أهل السنّة والجماعة تبريراً وتأويلاً!

وهم بالبداية وإن قالوا باستهجان الرأي المذموم إلاّ أنه في التطبيق ولعدم وجود ضابطة له آخذ بكل رأي لتجد آثاره إلى يومنا هذا بتفاسير جريئة وعجيبة؟!

وإن تطاول على المقدسات وفرقها وعمل على خلاف الإجماع والاتفاق، وخالف الأحكام والسنن ولو عمل إرضاءً لشهواته وطمعه وهواه. . . الخ.

إذ يؤولون ذلك تأويلاً مستهجناً وباطلاً بالاجتهاد. وما هو إلا التمزق وأتباع آخر الظنون فلا هو بالاجتهاد لا قواعدياً ولا فنياً بل تعصباً وغلواً.

تحذير القرآن الكريم من التفسير بالرأي:

قوله تعالى ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٣٣]، وقوله أيضاً ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء:٣٦] ومن المسلّم به أن الاجتهاد الصحيح وهو بذل الجهد لبلوغ مرحلة الاستنباط وفق القواعد الأصولية فإنه لا يؤدّي إلا إلى الظن؟! قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦] وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [سورة يونس:٣٦].

فكيف بهم أطلقوا على الارتجال ولكل من عنده آية أو حديثين أنه مجتهد، أما الحاكم الغالب فهو المرجع وسلطان المجتهدين؟!

هذا فضلاً عن نسبة أمور إلى القرآن الكريم:

أ ـ الردّ على الله تعالى: القائل في كتابه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة النحل:٨٩]. حيث يقولون أن الكتاب فيه نواقص وقصور يحتاج فيه إلى رأينا واجتهادنا.

ب ـ غموض القرآن: والله تعالى يصفه في عدة آيات بأنه «نور. . .

وهدى.. وضياء.. وبصائر...الخ» وعليه فيحتاج القرآن إلى فلان... وفلان من رجالهم وآرائهم باسم الاجتهاد!

ت ـ **بالظن يدرك الطرف الراجح**[1].. وهذا طعن آخر فهم لا يتهمون عقولهم وقصورهم وتفكيرهم في معرفة المحكم والمتشابه، أو تفسير القرآن بالقرآن أو الأخذ بالسنة الصحيحة والرجوع إلى أهل الذكر، والراسخون في العلم، ومن عنده علم الكتاب...الخ.

بل هم يتفضلون على القرآن الكريم بالترجيح الظني بالرأي الاجتهادي؟!

ث ـ **صرحوا أن لا تكليف فوق الطاقة** لقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:] فالتجأوا إلى الرأي، لفك طوق الضرر الإلهي فوق العادة الذي لا يرحم، فيحق لأي مجتهد أن يجتهد لرفع ذلك التكليف الثقيل من قبل آيات القرآن الكريم!

ج ـ **إعطاء المجتهد صلاحيات التشريع**، حتى ما فيه نص! وقد يغفلون أو يختلفون في (الاجتهاد مع النص)؟! وعلى ضوء ذلك فما دام المجتهد إن أصاب أو أخطأ فهو مأجور، وقد علمت سابقاً أن النبي ﷺ في نظرهم مجتهد كبقية المجتهدين! وعليه فلا حرج لكل من هب ودب أن يدلو بدلوه في الكتاب والسنة المباركة؟!

وكيف لا وهناك، حديث متفق عليه؟!! يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران فإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر»[2]. علماً أن هذا الحديث رُوي عن عمرو بن العاص[3]؟! الذي كان من وعاظ معاوية... وكان قد عزله عثمان فأصبح من أشد المؤلبين عليه، وبعد قتله، قربه معاوية

---

(١) أنظر: كيف نفهم القرآن ـ د. كامل موسى ود.علي دحروج ـ ص٢١٢.

(٢) أنظر: سبل السلام للضعاني ٤/١١٨.

(٣) أبوه: هو الأبتر بنص الكتاب ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ كما ذكره الرازي في تفسيره، أنه ليلى: وتسمى النابغة أشهر بغي بمكة، ولما وقعته ادعا خمسة كلهم أتوها ولكنها أكفته بالعاص، فنشأ متصفاً بالرذائل ومارىء الأخلاق والنفاق...الخ.

واشترط أن يعطيه مصر ويحارب علياً عليه السلام . . . الخ.

وهكذا أعطي للاجتهاد مفهوماً لم يدركه أهل الجاهلية لتبرير أفعالهم. . فقد اعتبر قاتل الصحابي الشهيد عمار بن ياسر مجتهد مأجور، كما يقول ابن حزم: «فأبو الغادية (رض) متأول مجتهد مخطىء فيه باغ عليه، مأجور أجراً واحداً؟!»[1]. بل ويقول أيضاً في قاتل علي عليه السلام: «لا خلاف بين أحد من الأمة؟! في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً (رض)! متأولاً مجتهداً، مقدراً إنه على صواب؟!»[2].

وقد سموّا كل جرائم وبدع معاوية باسم الاجتهاد، مثاله كما حصل بين أبي الدرداء ومعاوية من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، فقال له أبو الدرداء: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، (إن الشارب فيها لتجرجر في جوفه نار جهنم، فقال معاوية ـ المجتهد ـ (أما أنا فلا أرى بذلك بأساً؟!!) فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية أنا أخبره عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يخبرني عن رأيه؟ لا أساكنك بأرض أبداً[3]».

وغاية تشبثهم بقضية معاذ بن جبل «اجتهد برأي ولا آلو. . .» فهي أولاً أخص من المدعى، لأنها في حادثة معينة محدودة متناسبة مع تلك المرحلة والظروف، حيث أن أخذ الصحابة وتلقيهم وحفظهم للآيات والأحاديث كان متفاوتاً فمعاذ غير ابن عباس وهذا غير علي بن أبي طالب عليه السلام وهكذا.

وثانياً: إن مصلحة بعثه إلى اليمن وفي بداية الدعوة يكفيه ويكفيهم هذا الشيء النزر من الأحكام والباقي يجبره برأيه لا المطلق الارتجالي ولكن على ضوء ما سمع وعايش صاحب السيرة المباركة صلى الله عليه وآله وكبار الصحابة العلماء!

وإلا لو قصرنا النظر على خصوص الاجتهاد بالرأي ـ وهو في غاية

---

(١) الفصل لابن حزم: ٤/ ١٦١.

(٢) المحلى: ١/ ٤٨٤ والجوهر النقي ـ بهامش سنن البيهقي: ٨/ ١٥٨.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح النهج ٥/ ٤٦٣، وفي ١٠/ ٥٧٨ رواه عن أبي عثمان الجاحظ!

الجهل ـ لتفاجأ أهل اليمن بحاكم جاهلي على طريقة معاوية وأشباهه بقتل الناس وكل معارض ومخالف لرأيه كما مرّ عليك سابقاً وهو مأجور بأجر واحد؟!

وعندها لرفض أهل اليمن هكذا إسلام يبتنى على الاجتهاد بهذا الشكل المتخلف!

ولا ينقضي عجبي كيف يستدل أهل السنة والجماعة به إلى يومنا هذا؟! وقد انتشرت التفاسير والأحاديث ومختلف الاجتهادات، بحيث لا يصعب استنباط أقرب الآراء إلى الإسلام في أحلك الظروف، ويرون أن نصادر كل ذلك ونغمض عيوننا ونقول برأينا!!

وبأدنى حلّ لذلك ترك الأمور لأهل العلم لا اجتهاد المهند، وطالب جامعة. . . الخ.

وإذا ذكرتهم بالأحاديث بعد الآيات القرآنية، وكأن الجواب: نحن تجرأنا على القرآن الكريم، الذي جاء من عند الله تعالى! فما يتبعه الأحاديث وإن كانت صحاحاً حسب ما يدعون. وحسبنا ما نراه خفيف المؤنة وعلى لسان أي رجل منتسب إلى السنة والجماعة؟!

ـ أخرج أبو داود والترمذي، أنه ﷺ قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ[1]».

ـ وروي عن أبي بكر في مسألة (الكلالة[2]) قال: «أقول برأيي فإن كان جواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان»[3].

ـ بالنتيجة وقوعهم في الحيرة والاختلاف: يقول الغزالي في (الأحياء)

---

(١) أخرجه الترمذي، والنسائي وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حسن.
(٢) الكلالة: معناها الموروث الذي لا أصل له ولا فرع!
(٣) التفسير والمفسرون ١/ ٢٦٢، ومناهل العرفان ١/ ٥٢٦.

بعد الاحتجاج والاستدلال على بطلان القول بات لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه: «فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بعد فهمه وحده عقله»[1].

كما قال قبل ذلك بدليل: «إن فهم في معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر لتغيير ليس منتهى الإدراك فيه[2]».

والراغب الأصفهاني ـ بعد أن ذكر المذهبين وأدلتهما في مقدمة التفسير ـ يقول: «وذكر بعض المحقيقين أن المذهبين هما الغلو (التقصير) فمن اقتصر على المستدل إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لك لأحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص:٢٩][3] بحديث فقال: إن الله تعالى يقول: «إن أوليائي أياً كانوا وحيث كانوا»[4].

وعند التحقيق أن هذا الحديث أخرجه الحاكم، من حديث النبي ﷺ وليس من الله تعالى؟! وأما لفظ: أياً كانوا وحيث كانوا» فهو من كلام مجاهد[5]!! وأمثال هذا كثير يصعب حصره[6].

والذي يقرأ مقدمة ابن تيمية في التفسير يجد الكثير من إعمال الرأي المستهجن والمذموم حتى عندهم، فتراه يخالف حتى طريقة سلفه الذين يدّعي أنّه ينتمي إليهم ويناقضهم هذا فضلاً عن نصبه العداء والحقد لأهل بيت النبوة عليهم السلام.

---

(١) أحياء علوم الدين ٣/ ١٣٧.
(٢) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٣٦.
(٣) الراغب الأصفهاني، مقدمة التفسير ص٤٢٣.
(٤) الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان: ص١١.
(٥) المستدرك للحاكم ٤/ ٧٣، وانظر هامش الفرقان ص١١.
(٦) ميّز بين كتابه الفرقان، وصحيح البخاري ـ كتاب الأطعمة ـ ٧/ ١٤٧، صحيح مسلم ١/ ٣٩٦.

فهو يصدر ارتجالاته واجتهاداته ـ على أنّها المسلّمات وهي الحق دون سواها ثم ينسبها إلى اتفاق وإجماع السلف هذا فضلاً عن إخلاله بالسند والمصدر[1].

إعلان عداوته ونصبه لعلي وأهل البيت عليهم السلام بتضعيف ذكرهم مكابرة حتى ما جاء فيهم من المتواترات والأحاديث المستفيضة والحسان بغضاً لأهل البيت ومخالفة الرسول الله صلى الله عليه وآله؟![2]

ومنها ما جاء من الطعون الكثيرة في آرائه ومعتقداته المنحرفة، حتى من قرينه في الحنبلية وهو الذهبي؟! حيث يذكره بالتوبة وقرب الرحيل؟!

وخرقه للإجماع من دون سلف أو دليل من كتاب أو سنة بل ارتجالاً وتعصباً[3]؟!

وكانت هذه الأباطيل والتجاوزات المنحرفة الضالة والمذلة أن تزول تحت نقد وتفنيد علماء الإسلام، لولا أن جاء شبيهه وتلميذه ابن القيّم الجوزي فأحياها لتنتج بعد ذلك الوهابية وطالبان... الخ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) كتابه الفرقان ص٥، وانظر جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة، بهامش الحديث.
(٢) انظر: سنن للترمذي ٥/ ٣٧، ٣٩، ابن عامر: ٢/ ٤٦٤ وعشرات المصادر في ذلك.
(٣) تكملة السيف الصقيل: ص١٩، ونقل قسماً منها ـ العزامي ـ في الفرقان في مقدمة الأسماء والصفات للبيهقي، والخطط المقريزية ٢/ ٣٥٨.

حتى نرفع الشبهات والطعون على الإسلام وعلمائه التي صدرت منه؟!

١ ـ صاحب إدعاءات عريضة:

بلا أدلة بل ارتجالات رأي متعصب.. فهو حشوي ـ ممن يحشون الحديث بالكفريات وغيرها ـ ناصبي ـ ينصب العداء لأهل البيت عليهم السلام.. ثم يدعي كذباً وزوراً أن هذا ما عليه السلف وأهل السنة والجماعة وهم براء من ذلك بل ويبرأ منه حتى مذهب حنبل كما سيأتي!

٢ ـ كافر وليس بمسلم:

يسبّ العلماء عامة وأهل البيت عليهم السلام خاصة... نتيجة جهله وعيّه عن الحوار، خالفهُ أحد الفقهاء في فتواه فرّد عليه قائلاً: من قال هذا فهو كالحمار.. فأنكر عليه حتى مؤيدوه هذا الأسلوب وهذه الحدة التي تصرم الخصوم[١].

ومرة صحح أحد شيوخ المعتزلة خطأه ـ وما أكثره ـ فثار عليه بسوء الأدب والسباب[٢].

---

(١) الفقيه المضرب ـ عبد الرحمن الترقاوي: ص١٥٢.

(٢) العقود الدرية: ص٢٣٥.

وكان كثيراً ما يسب ـ جهلاً ـ الشيخ ابن عربي، والعفيف التلمساني، وابن سبعين، والغزالي، والفخر الرازي وإذا ذكر ابن المطهر العلامة الحلي: قال: ابن المنجس[1].

علماً أنه هو نفسه يناقض نفسه عند ذكر أن من يسب فاجراً بعينه، فقد خرج على السنّة الثانية عن النبي ﷺ كما في قوله ﷺ: لعن المسلم كقتله» و«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» متفق عليه وقوله ﷺ: «ليس الحد من بالطعان، ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه الترمذي: وقال حسن[2].

٣ ـ غير مؤتمن على نقل الأحاديث:

منها عدم التزامه نص الحديث الذي يرويه، مثال: استشهد بقوله:

أما محمد حسين الذهبي: ـ وبعد أن أثير الراغب الأصفهاني في ذلك ـ قال هذا ونحوه ما ورد في حق من لا يراعي في تفسير القرآن قوانين اللغة ولا أدلة الشريعة، جاعلاً هواه رائده، ومذهبه قائده ـ وهذا هو الذي حصل عندهم ـ وهذا هو الذي يحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأي[3].

وقال ابن تيمية[4] ـ بعد أن ساق الآثار عن تحرج من السلف في القول وفي التفسير ـ: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه وهذا ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ـ ٧/ ١٨.

(٢) رفع أعلام من الأئمة الأعلام ـ ابن تيمية ـ ص٦٥.

(٣) التفسير والمفسرون: ١/ ٢٦٤.

(٤) إن من المؤسف له حقاً بل ومن التجني والخيانة أن يقدم بعض النواصب والمتعصبين ابن تيمية وأشباهه على أنه شيخ الإسلام ومحي السنن ومميت البدع.. الخ صفات جاءت بعكس ما هو عليه؟!

أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه. وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه لما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ولما جاء في الحديث المروي من طرق «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[١].

شخصية ابن تيمية:

لقد ناقشنا سابقاً العلماء كالشاطبي، والغزالي وغيره.. أما هذا المتطفل والحاشر نفسه بين العلماء.. فخليق بنا أن نحاول النزول ـ إن تمكنا ـ إلى مستواه الضحل أذكر هذا لأنه هو نفسه لم يحترم أحداً ممّا دعا أتباعه والمغررين به من أن يعتبروه وقد أفحم الجميع وأخرسهم بادعاءاته.

٤ ـ مجازفاته في التفسير والقول برأيه الفاسد:

ففي الوقت الذي ذكر في تفسيره: وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها ـ ضارباً كل التفاسير عرض الحائط ـ تفسير محمد بن جرير الطبري[٢]! ولكنه كعادته حيث لم يتمالك من كشف نصبه وبغضه وبالتالي تزويره وغشه، عندما ناقض نفسه حيث نكر ورفض التفاسير التي جاءت لذلك الإمام علي عليه السلام مطلقاً.. قال ذلك مناقضاً نفسه حيث أن تلك الأحاديث قد أخرجها الطبري في تفسيره[٣]؟!!

وتفتضح طبيعته الإعرابية المبغضة لعلي وأهل البيت عليهم السلام... ويؤيد ذلك لا بالأدلة أو بنقل صحيح أو عقل صريح.. بل بالارتجال اللامسؤول الذي يطفح بالنصب والعدوان لأهل الحق، مخالفاً بذلك النقل الكتابي

---

(١) انظر: مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص٢٩، مقدمة تفسير القرطبي ١/ ٣١، أحياء علوم الدين ٣/ ١٣٤، الاتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٩، مناهل العرفان ١/ ٥٢٢.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ـ ابن تيمية ص٥١، والتفسير الكبير ٢/ ٢٢٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٣/ ٧٢.

والسنيّ والعقلي. . . ليطلق عباراته الرنانة الحاقدة: إنه موضوع بإجماع أهل العلم؟! باتفاق أهل العلم؟! وهذا ما عليه أهل السنة والسلف والجماعة. . .؟!

نعم بأمثال هذا الجلف الناصبي الحاقد الذي كان واعظاً عند دولة المماليك وأقرانه من الوعاظ والكذابين والمزوّرين الذين سودوا الصحائف بالباطل بدل الحق. . وسماهم أجلافهم من تبعوهم على ضلالهم بشيوخ الإسلام وقامعي البدع ومحي السنن. . .الخ.

وبالتالي ليكونوا مراجع في الحديث وتفسير القرآن الكريم؟!

٥ ـ القول بكفره ونفاقه:

وكان ذلك من كبار العلماء الذين عاصروه من المذاهب الإسلامية[١]! ومن المتأخرين الشيخ سليم البشري، الذي أذعن في مراجعاته لأدلة وبراهين السيد شرف الدين العاملي. . بينما ردّ على رسالة العلامة القصاعي المصري، عن انتشار عقيدة التجسيم والتشبيه التي يصرح بها ابن تيمية وينسبها للإسلام والمذهب الحنبلي وهما براء من ذلك؟! حيث صرّح أنَّ ابن تيمية مخالفاً للإجماع والقول برأيه، بحيث شنّع عليه معاصروه بل أن البعض منهم كفروه ولقى من الذل والهوان ما لقي حتى من بعض تلامذته[٢]؟!!

وما دام الحديث في موضوع التفسير نختم سيرته (. .) كما قلنا كعادته أنه يؤيد أقواله بشعارات طنانة منها اتفاق وإجماع أهل العلم والسنة والجماعة. . .الخ.

---

(١) الإمام تقي الدين أبي بكر الدمشقي ص٤٥ ـ افتاء علماء المذاهب الأربعة يكفر ابن تيمية ـ وفي كتاب براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ١/ ٧٠، عقيدة ابن تيمية التي خالف بها جماعة المسلمين وابن حجر ـ في الفتاوى الحديثة ص٨٦، والعسقلاني ـ الدرر الكافية ١/ ١٤٧ وأنه نوري في دمشق من أعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله!!

(٢) الفرقان ـ القصاعي ص٧٢ وقد طبع مع كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي.

نراه يدعي: عدم ورد التأويل في المتشابه، وعند البحث نجد أن الأغلب عند المفسرين هم على ذلك إلا من شذّ؟!

اعتراف:

فقد أدرك علماء العامة فوضى بل ضلال التفسير بالرأي وحصره بعدة نقاط، وهي كالتالي[1]:

أ ـ التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة ـ وقد ذكرنا أنها لا تكفي وحدها ـ وأصول الشريعة، وبدون أن يحصل العلوم يجوز معها التفسير!

ب ـ الخوف فيما استأثر الله بعلمه، وذلك كالمتشابه[2] الذي لا يعلمه إلا الله. وليس للمفسر أن يتطاول على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سراً من أسراره وحجبه عن عباده!

ج ـ السير مع الهوى والاستحسان ـ وهذا كثير الشياع عندهم ـ فلا يفسر بهواه ولا يرجح باستحسان!

د ـ التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة[3]، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته ويرده إلى مذهبه وبأي طريق ممكن، وإن كان غاية في البعد والغرابة!

هـ ـ التفسير مع القطع بأن مراد الله تعالى هو هذا من غير دليل وهذا منهي عنه شرعاً، لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٩].

---

(١) كيف نفهم القرآن: ص٢١٨.

(٢) لفقدهم الراسخون في العلم، الذين أشار إليهم القرآن ممن يرجعون المتشابه إلى الحكم!

(٣) بل لكل المذاهب، فالحنفي يضع رأيه فوق النية المزيفة، والحنبلي حشوي بجسم مشبه، والشافعي متهم بالتشيع الذي يعادوه ويخالفوه، ومالك الذي ندم على كل آرائه وفتواه يوم احتضاره، فضلاً عن اشتباهات الأشعري!

لماذا كان التفسير بالرأي:

توجد عدة أسباب وأهمها:

أ ـ انكشاف زيف وفساد المأثور وتصادمه حتى مع العلوم المسلّم بها لا مطلق النظريات العلمية، نتيجة انفتاح المسلمين على العلوم والمعارف، وتوسع دائرة المعرفة، مما اضطر بعض المفسرين ترك ذلك المأثور الذي صححوه برجالهم غلواً وتعصباً رغم ما فيه من إسرائيليات وخرافات!

ب ـ ابتعادهم عن أهل الحق وأهل الذكر، والراسخون في العلم، وأولي الأمر الحقيقيين، وهم أعدال الكتاب، بوصية وسنة جدهم رسول الله ﷺ أقصد أهل البيت عليهم السلام!

ت ـ الاستباق لمرضاة الحاكم وعلى هواه أو الحصول لمركز أفتاء وقضاء وغيره بأسلوب منافسة الآخرين والانتصار لمذهبه ولنفسه لأجل قبول تفسيره برأيه!

ث ـ محاولة ترقيع أو تبييض صورة مذهبه والدفاع عنه بالاحتيال والالتواء لتأويل الآيات وفق مذاهب مذهبه، ويلونه حسب هواه ورأيه!

ح ـ ولأنه صحح مأثوره وغلا في رجاله فيأتي تفسيره تبعاً لذلك كما في المتشابهات!

خ ـ عمل مذاهبهم وفرقهم بالوجوه الاستحسانية وغيرها.

مناقشة وتوجيه:

لقد أحدثت مسألة التفسير بالرأي اختلافاً كبيراً بينهم ما بين مانع مطلقاً، ومقتصد، ومجيز مطلقاً. الأمر الذي أدى بالنتيجة إلى ظهور تفاسير ارتجالية مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، بأهواء واستحسانات متكلفة. ويمكن حصرها بالأسباب التالية وتوجيهها:

أولاً: ان في مدرسة ـ من سموا أنفسهم أهل السنة والجماعة العامة لم تتوضح عندهم مسألة الاجتهاد؟!

بحيث جعلوا لكل من يرى حسب نظره وارتجاله وسموّه اجتهاداً؟! كما ذكرنا سابقاً بعض الأمثلة على ذلك. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن المانعين من التفسير بالرأي قد جعلوا شروطاً للمفسر برأيه كالإحاطة باللغة، وموافقة الأدلة الشرعية، وأن يكون مستوفياً لشرائط التفسير!! بينما نرى أنه حتى هذا لا يكفي للتجرأ بالدخول إلى ساحة القرآن الكريم وقدسه، بل أن المجتهد هو المجتهد أو المتقن للغة والنحو، والبلاغة، والقواعد الأصولية، والفقه وعلم الكلام.. ولا يحق له الاجتهاد إلا مع فقه النص الصحيح والمعتبر من السنة الشريفة.. إذ لا اجتهاد مع النص.

ثانياً: فقدانهم للصحيح الصحيح والمعقول من المأثور، مما يضطرهم إلى إعمال الرأي الجزافي؟! كالمفسر الذي يصدمه مأثور الغرانيق، والتجسيم والتشبيه والإسرائيليات والخرافات.

ثالثاً: مقولة الشافعي المشهورة: هم رجال ونحن رجال... مما أوقع بينهم الاختلاف بين من يقول بذلك، وبين مستنكر بشدة على أن هذا القول لا يحق إلا للشافعي فقط؟!!

ولكن أبا حنيفة قد فتح الباب على مصراعيه في مسألة العمل بالرأي للجميع الدعاء ولكل الدقة، بقوله الذي تطاول على مقام النبي محمد ﷺ ولكن مما يغفر له أنه لم يحسب على الرافضة، بل على أهل السنة والجماعة؟! كما جاء عن الخطيب البغدادي في تاريخه: «... ردّ أبو حنيفة على رسول الله ﷺ أربع مائة حديث أو أكثر، وقال: لو أدركني النبي وأدركته لأخذ بكثير من قولي؟! وهل الدين إلا الرأي الحسن؟ وكان يردّ ويخالف حديث النبي ﷺ بقوله: دعنا من هذا؟!»[1].

ومما يقوي قول أبي حنيفة أن الأغلب قد اعتبروا النبي ﷺ مجتهداً كبقية المجتهدين وتدخله فيما لا يعرفه ولا يعنيه كما في قضية تأبير النحل

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٨٦.

وغيرها، ومسألة الغرانيق، وتزكيتهم لأقطاب الروايات الإسرائيلية مما يوهن ما يصدر عنه ﷺ، فضلاً عن الغلو برجالهم وفيهم من اجتهد برأيه، وعليه أفلا يحق لهم للاجتهاد أمام هكذا سنة؟!!

رابعاً: وقوعهم في الخلط والتخبط بسبب عدم الإحاطة لآراء ومواقف بعض الصحابة وتقليدهم فيها، واعتبارها سنة للاجتهاد بالرأي على طريقة بعض السلف؟!

منها ما ذكرناه سابقاً في بعث معاذ إلى اليمن فقال: «. . . ولا آلو!» ومنها أيضاً اجتهادات عمر بن الخطاب. . . وما روي عن ابن الجوزي عن بعض رؤساء المعتزلة: غلطُ أبي حنيفة في الأحكام عظيم لأنه أضلّ خلقاً، وغلط (حماد بن أبي سليمان) أعظم من غلط أبي حنيفة لأن حماداً أصل أبي حنيفة الذي منه تفرع، وغلط (ابراهيم) أغلط وأعظم من غلط حماد لأنه أصل حماد، وغلط (علقمة والأسود) أعظم من غلط ابراهيم، لأنهما أصله الذي عليه اعتمد، وغلط (ابن مسعود) أعظم من غلط هؤلاء جميعاً لأنه أول من بَدَر إلى وضع الأديان برأيه[1]؟!

الفرع الأول: أشهر المفسرين بالرأي:

١ ـ الفخر الرازي:

فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي البكري، ويعرف بابن الخطيب الشافعي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ). وكتابه هو «مفاتيح الغيب» ويقع في ثمانية مجلدات كبار والعلماء مختلفون فيما بينهم فيما إذا كان الرازي قد فسر القرآن كله أم لا. يقول ابن قاضي شهبة: أن الفخر الرازي لم يتمه[2]، كما يقول ذلك ابن خلكان[3].

---

(١) الرد على المتعصب العنيد ـ الحافظ ابن الجوزي ـ (٥١٠ـ ٥٩٧هـ) ص١١٠.

(٢) شذرات الذهب: ٥/ ٢١.

(٣) وفيات الأعيان: ٢/ ٢٦٧.

هذا والرازي يهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، ويكثر من الاستعداد إلى العلوم الطبيعية والربانية والفلكية والفلسفية، ومباحث الإلهيات على نحو استدلالات الفلاسفة العقلية، كما يذكر مذاهب الفقهاء والمسائل الأصولية والنحوية ولكن المسائل الكونية كان لها النصيب الأوفر حتى أعد هذا الكتاب موسوعة كلامية وكونية. وبذلك قال فيه بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير[1]!

ولنا عليه عدة نقود على تسمية كتابه بـ(مفاتيح الغيب).

أولاً: بما أن لفظ الغيب هو مما استأثر به الله سبحانه وتعالى فلا طريق للرازي ولا لأي مدعي في ذلك.

ثانياً: إن قلنا بأن الله عز وجل أطلع بعض أوليائه وهم (الراسخون في العلم) على شيء من الغيب فالفخر الرازي ليس منهم قطعاً بل هو منحرف عن أهل الذكر وأهل البيت عليهم السلام أيضاً!

ثالثاً: بما أنه هو من في كتابه مختلف المعارف وركز على النواحي الطبيعية والكونية، وكان نصيب الغيب منه القليل القليل هذا بالإضافة إلى اشتباهاته ـ كما سيجيء ـ في تفسير المتشابه على المذهبي الأشعري الجزافي الملتوي!

رابعاً: بما أنه فسر القرآن برأيه، فإن تسمية كتابه جاء كذلك ارتجالاً برأيه!

وعليه فالأولى أن يسمي كتابه: (الرجم بالغيب)؟!

أولاً: تفنيد اسس تفسير الرازي:

الأول: وجود شبهة الشرك فيه: فقد ذكر الرازي في تفسيره[2]: النقد الموجه على كتاب (التوحيد) لـ(محمد بن اسحاق بن خزيمة) وهو من

---

(١) كشف الظنون: ١/ ٢٣٠ وما بعده.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٧/ ١٥٠.

الحنابلة والغالب فيهم أنهم حشوية[1] أي يحشون الأحاديث التي لا أصل لها، وجميعهم، يقولون بالجبر والتشبيه!

إذ قال الرازي في الكتاب: هو في الحقيقة كتاب شرك؟!

هنا نلفت نظر الرازي الذي حكم بشرك الحشوية: لو أن الرازي وقف بالتحقيق والإنصاف على تعاليم الأشاعرة والأشعري، الذي يدعو به، وينتصر له، المتمثل بالجبر الملتوي ـ المأوّل ـ بتكلف في مقابل الجبر الصريح، والتجسيم والتشبيه الخفيين المنتشرين في عدة أماكن في تفسيره، لما اتخذ المذهبي الأشعري! الذي هو أحد وجهي العملة والوجه الآخر عقيدة أهل الحديث والحشو ـ لنفسه شعاراً ولما هاجم الحشوية واتهمهم بالشرك؟!!

ثانياً: انحرافه عن السنة المحمدية:

يقول الذهبي: «وقد بدت في تأليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة؟! والله يعفو عنه...»[2].

ومما يؤكد ذلك أي انحرافه عن السنة هو ما نقله صاحب «تاريخ روض المناظر» عن ابن الأثير: أن السلطان (غياث الدين) قد أبلغ في إكرام الإمام فخر الدين، وبنى له المدرسة هراة فعظم ذلك على أهلها الكرامية من الحنفية والشافعية، فحضروا عند الأمير غياث الدين، للمناظرة، وحضر فخر الدين الرازي، والقاضي عبد المجيد بن القدوة، وطال الكلام، وقام غياث الدين فاستطال (الرازي) على (ابن القدوة) وشتمه!

فأغضب ذلك الملك ضياء الدين، ابن عم غياث الدين، فلم يصنع إليه شيئاً، فلما كان الغد وغدا ابن القدوة الناس، فحمد الله وصلى على النبي، وقال: ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، أيها الناس لا نقول إلا ما صح عندنا من رسول الله ﷺ؟!

---

(١) الغيث المنسجم ـ للصفدي ـ ٢/ ٤٧٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠١.

وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها فلأي (جهة) تنسب بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، الإسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه، فبكوا وبكت الكرامية، واستعانوا وثار الناس من كل جانب، وامتلأ الناس فتنة، وبلغ ذلك السلطان غياث الدين فسكن الفتنة وأوعد الناس بإخراج فخر الدين، ثم أمره بالعودة إلى هراة[1]؟!!

وهكذا تعلم أنه لا يفسر في الغالب بالسنة النبوية الشريفة الصحيحة بل برأيه الشخصي المبني على انحرافات الفلاسفة يونانيين وأغريق وغيرهم وينتصر لهم لا للكتاب والسنّة ودين الإسلام!

هذا فضلاً عن الاعتماد على الإسرائيليات، بالإضافة إلى تعصبه للمنهج الأشعري، ومع الجمع بمنهج الفلاسفة السابق تظهر البصمات على تفسيره، مما يشم منها التأويل الملتوي ولكنه في النتيجة يسقط في شبهة التجسيم والتشبيه، خلافاً للسنة الصحيحة المباركة!

وسيجيء في تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: ٥]!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ثالثاً: شخصيته المتذبذبة وعدم موضوعيته:

وهي أن الرازي، بسبب أشعريته وبالتالي نصبه فإنه يخالف الإمامية من أتباع أهل البيت عليهم السلام في غالب المجالات، خصوصاً فيما يرجع إلى مباحث الإمامة والآيات الواردة في حق الإمام علي عليه السلام[2]، فيقوم بإيراد التشكيكات تكلفاً ونصباً وتنطعاً لا دفاعاً عن الكتاب والسنة بل بغضاً لأبي تراب عليه السلام، شأنه شأن كل ناصبي لا يطيق أن يسمع اسم علي عليه السلام لأنه يسبب له ما يحصل لكل ناصبي مبغض؟!

---

(١) روضات الجنات: ٨/ ٤٤.

(٢) رغم المتواترات، والحسان من الروايات والاستفاضات التي ملأت صحاحهم وسننهم؟!!

مثال على ذلك في تفسيره[1] لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥﴾ [سورة المائدة: ٥٥].

فقد فسرها باللف والدوران (البلكفة) أي على طريقته وفق المذهب الأشعري الذي تعصب له، عندما يريد تفسير الاستواء على العرش، واليد، والرؤية.. فهو يستبطن التجسيم والتشبيه ولكن يغلفها بقوله لا بكيف؟! وهذا التفسير لا يخلو:

أ ـ إمَّا أنه استبطان للكفر وإظهار للإيمان!

ب ـ وإمَّا العجز ـ ونحن ممن نُحسن الظن بالمسلمين ونحملهم على أحسن المحامل ـ بحيث يصعب عليه توضيح ذلك المعنى بما يليق بقدس الله تعالى، مع الاحتفاظ بدلالة اللفظ والنص!

ت ـ وإمَّا الجهل والانحراف لزيغهم عن الحق برجالهم وآرائهم الجزافية، من غير مستند على حق فيعرفون أهله؟!

فالذي يتجرأ على كتاب الله وسنة رسوله برأيه، كيف لا يتجرأ على أوليائه وعلى رأسهم أميرهم علي بن أبي طالب عليه السلام؟!

فقام بدهائه الماكر بصرف الآية باتجاه بعيد لأجل الضبابية والتعمية، فقال: عن عكرمة أنها نزلت في أبي بكر؟!

وبعدها جاء بثلاث روايات، عن ابن عباس، وعن عبد الله بن سلام، وعن ابن ذرّ (رض) أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «اللّهمَّ إن... واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري» قال: أبو ذرّ: فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل: فقال يا محمد اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥﴾ الآية إلى آخرها..!

---

(١) الرازي: ١٢/٢٦ وما بعدها.

ثم يعقب الرازي مراوغاً مغالطاً مطلقاً قوله جزافاً وارتجالاً بل كذباً عندما تخرص قائلاً: فهذا مجموع ما يتعلق بالروايات في هذه المسألة[1]؟!!

وتمادى صاحبنا الرازي بمختلف ألوان المراوغة، فقسم البحث إلى (المسألة الثانية) ثم إلى مقامين، قال (في المقام الأول): إن الولي في اللغة جاء بمعنى الناصر والمحب؟!

نقول للرازي: إذا كنت ممن يراوغ في الاحتيال على الآيات، واللف والدوران بالروايات بالارتجال والهوى الشخصي وتسمي ذلك اجتهاداً وما هو إلا الرأي الجزافي.. ولكنك تفتضح بأدنى مراجعة لقواميس اللغة ومعاجمها؟!

فالولي لغة: إنما هو الأول بالتعرف كما في قولنا: فلان ولي القاصر، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه؛ فيكون المعنى الذي يلي أموركم فيكون أولى بها منكم، إنما هو الله عز وجلّ ورسوله وعلي، لأنه هو الذي اجتمعت به هذه الصفات...؟!

ولا يجوز أن يكون هنا بمعنى التعبير والمحب أو نحوهما، أن لا يبقى لهذا الحصر وجه؟! كما لا يخفى وهذا محلق بالواضحات البينات؟!

ثم يكابر ويثني عطفه عن الحق الجلي.. ليقفز إلى (المقام الثاني)

---

(١) يوجد (٤٥) حديثاً من الصحاح والسنن عند العامة، ومنها تفاسير أقران الرازي، كالتمهيد لعلوم التنزيل للكلبي ١/ ١٨١، والكشاف للزمخشري ١/ ٦٤٩، تفسير الطبري ٦/ ٢٨٨، زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي الحنبلي ٢/ ٣٨٣، تفسير القرطبي ٦/ ٢١٩، التفسير المنير لمعالم التنزيل للجادي ١/ ٢١٠، فتح البيان في مقاصد القرآن ٣/ ٥١، أسباب النزول للواحدي ص١٤٨، تفسير ابن كثير ٢/ ٧١، تفسير النسفي ١/ ٢٨٩.
أنظر: كتاب المراجعات من المراجعة١١ ـ إلى المراجعة١١١، بحيث أذعن شيخ الأزهر سليم البشري للأدلة القرآنية، والسنة في كتبهم فقال: وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً.. وكنت قبل أن اتصل بسببك ـ على لبس نبيكم لما كنت أسمعه من أرجاف المرجفين وإجحاف المجحفين؟! ص٧٣٧.

ويقسمه إلى وجوه أول وثاني... وحجج أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة[1]، وكان أهمها أن لفظ (آمنوا) للجمع فكيف أطلق على المفرد؟!

نجيب اختصاراً: العرب يعبرون عن المفرد بلفظ الجمع، لنكتة تستوجب ذلك، فإن كنت لا تعرف أمثال هذا الواضحات، فما لك والدخول بين المفسرين؟! ألم أقل لك كان أولى أن تسمي تفسيرك الكشكول في الرجم بالغيب؟!

ونرد عليه بما يلي: ألم يذكر الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]. وإنما كان القائل نعيم بن مسعود الأشجعي، وحده، بإجماع المفسرين والمحدثين وأهل الأخبار!

وإذا كان النصب والبغض قد أعمى بصرك وبصيرتك لتعاند الحقائق وتنكرها فهذه نظيرة تلك وهي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١١]. والذي بسط يده هو غوث من بني محارب، وقيل عمرو بن جحاش من بني النضير. فقد أوردها ابن هشام في سيرته[2] وجلّ المفسرين؟! ونظائر كثير!!

فاعلم أيها الناصبي الذي أضاع تعصّبه عمله أنها:

أ ـ إما للتعظيم، وهذا أشهر في كلام العرب، فلا مجال من اعتراض أشباهك من المبغضين!

ب ـ ما ذكره الزمخشري[3] في كشافه نكتة أخرى حيث قال: فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به

---

(١) تفسيره: ٢٨/١٢.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٢٠/٣.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٦٤٩/١ ط بيروت.

على لفظ الجمع، وإن كان السبب فيه رجلاً فرداً ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل نواله، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان، وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها.

فلم نكثر البحث واقتصرنا على البديهيات والواضحات من لغة العرب ولسانهم، بحيث يقطع المجال على مفسر مثل الرازي أن يحتال برأيه المراوغ على اللغة بعدما تجرأ على آيات الله وسنة رسوله كما قدمنا؟!

وإلى فمن يراجع كتاب تفسير الميزان في تفسير هذه الآية يجد المعلم الذي يوجه تلميذه الضال المعاند. هذا نقلاً عن تفاسيرهم هم!!

ناصبي لا موضوعي:

وأخيراً تظهر على فلتات لسانه خبايا بواطنه ودخائلها من نصب وبغض للحق وأهله، تارة بإخفاء الحقائق وأخرى بالشتم والسباب على طريقة سلفه وإمامه معاوية وأقرنه كابن تيمية والذهبي وحشوية الحنابلة، إذ يسيئون إلى أحمد بن حنبل الذي ثبت للناس أن علياً هذا الخليفة الرابع الذي حاول إخفائه المنافقون والنواصب وسياسة الحكام، وبالتالي إساءة الرازي وأشباهه عندما ينسبون أنفسهم إلى أهل السنة والجماعة؟!

وهكذا ينضح ظرف الرازي بقوله[1]: «إن علياً كان أعرف بتفسير القرآن وهؤلاء الروافض؟!».

هنا خرج عن موضوعيته لو اعتبرناه عالماً وأهلاً لأن يدخل عالم التفسير بتجرد وموضوعية فهل أن الذي يوالي علياً على ضوء التفسير البين للآيات ينعت بالرافض؟! بينما من يتجرأ على صرف الآيات عن مقاصدها وأهلها برأيه وعلى هواه يسمى أهل السنة والجماعة؟!!

---

(١) تفسير الرازي: ١٢/ ٢٨.

ـ هل أن الذي تمسك بالسنة الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ باتباع أهل بيته يكون رافضياً؟!

أما الذي انحرف عنها إلى سنّة الحكّام ووعّاظهم يكون من أهل السنة والجماعة؟!

ـ هل أن الذي اتبع الحق المتمثل بعلي يوم صفين هو الرافضي؟! بينما الذي حاربه وسبه وطمس ذكره بل وأبغضه، بالتحاقه بفئة معاوية الباغي بالإجماع، وكل حاكم غالب هو السني؟!

ـ وهل الذي عرف الحق فعرف أهله رافضياً؟! وأن من تلمّس الحق بالرجال سنياً؟!

ثم هكذا تقزمون علياً ـ وحاشاه ـ بإطلاق إسم الرافضة على من يتحرى الحق به أو أن يذكر مظلوميته؟! فما لكم كيف تحكمون وعلى أي دين تسيرون؟!

ثم يستمر الرازي بكل صلف وتجني لإخفاء الحقائق أو التعتيم عليها بقوله: «فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها في محفل من المحافل؟!».

مغالطة جديدة: بل وتزوير للحقائق وتصوير الأمر بكل بساطة انتخب الخليفة الأول بالشورى ثم أوصى بها للخليفة عمر ثانياً ثم بالستة الشورى وانتهت إلى الخليفة عثمان، الذي قتل مظلوماً؟! ثم طالب وريثه الشرعي معاوية بدمه، فأبى علي أن يسلم قتلة عثمان له. عندها اضطر معاوية لمحاربة الخليفة المراجع ـ الذي اعترف به في زمن ابن حنبل ـ مؤسساً سنة الحاكم الغالب وليجتهد على هواه بجعل الأمر وراثياً ملوكياً... الخ.

ولكن معاوية سكت فجأة عن قميص عثمان بعدما حصل على الملك!

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، وإجماع واتفاق السلف الصالح

(رض). ولكن هناك الرافضة لعنهم الله، لا زالوا يرون أن الحق والأمر لعلي في الخلافة، وفي حربه مع سيدنا معاوية (رض)، وهم بقايا أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي؟! فقد إندس في جيش علي (. . .) ولو أنه كان يحوي على (٨٥٠) من أصحاب النبي ﷺ وبيعة الشجرة والرضوان، وعلى رأسهم الصحابي الشهير عمار بن ياسر (رض). ومن المؤسف له حقاً أنهم صدقوا عبد الله بن سبأ هذا، فأصبحوا بذلك روافض زنادقة، يهود هذه الأمة؟!

فلم يتورعوا عن سبّ الصحابة؟! ولم يطيعوا كل خليفة غالب؟! ويرفضون البيعة وإن حصلت بإثنين بل بواحد؟! وقد انقسموا إلى فرق باطنية وشيطانية و. . . و. . الخ.

وعليه جاز قتالهم لأنهم اخطر من اليهود، فدمهم وعرضهم ومالهم مباح؟! كفرة زنادقة لا يواكلون ولا يشاربون ولا . . . الخ. . فلا يؤمنون على تفسير ولا على حديث، وجزاؤهم القتل والإبعاد عن محافل العلم والتدريس. . كل هذا بأمر ولي المسلمين الحاكم الغالب. وهذا ما عليه إجماع واتفاق السلف والسنة والجماعة؟!!

وعلى ضوء ذلك تأسست السنة الجديدة بوقف الإسلام ذرياً للحاكم ووعاظه ومرتزقته؟! وكل من لم يوافق على ذلك فهو رافضي بغيض، بل وكل من يتعاطف أو يوجد في قلبه حب لعلي وأهل البيت عليهم السلام، تناله تلك التهمة كما حصل للشافعي والنسائي وغيرهم[1]؟!

هنا نجيب الرازي عندما خاطبناه لو أنه سمى تفسيره كشكول الرجم بالغيب؟!

ثم يواصل الرازي في نفس الصفحة حديثه بقوله:

وليس للقوم أن يقولوا: إنه تركه تقية؟!

---

(١) بلا تعليق(. . .)؟!!

لمحة عن التقية: أيها الرازي الراضي بولاية كل سلطان غالب فلقد كانت يدك مبسوطة ولك مطلق الحرية وتوافر أسباب التأليف والتفسير، ومع ذلك تجرأت على الله ورسوله وعلى عباده؟! عندما وافقت هوى الحاكم حيث لم تفقه ولم تعرف معنى التقية بل والتقوى بجرأتك هذه؟! فبأدنى حد أن لا تخوض في دماء وأعراض المسلمين، وإلا فهو ثمن رفع التقية عنك، وشَمَتٌ لفرضها على الآخرين من الأحرار الذين لا يتقون إلا الله، وطغيان الظالمين فلقد التزم كل من عبد الله بن عمر، وابن الخياط، وابن أكثم الكوفي والحسن البصري، وابن المسيب وغيرهم التقية خشية إمامك معاوية ومن بعده ممن تسميهم ولاة الأمور ولو بالغلبة، وكان نصيب الظلم على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم الأكبر؟!

فيأتي أمثالك ممن سلّم لمختلف الحكام وأيدهم بل أوّل بتكلف وبكل جرأة النصوص لمصلحتهم وخاض معهم في ظلم المسلمين، لينجو من تعسفهم بالتقية، وليلعن العاملين بها؟! فمن أولى باللعن؟! أنتم أم الذين ألجأتموهم إلى التقية؟!

كلا فإن علياً لا ولن يتاقي ولا تاقى بل راعى مصلحة الإسلام العليا، وغصنه الطري ولكنه الوارث للنبي صلى الله عليه وآله بالحق والنصوص المتواترات والحسان إذ قال عليه السلام: «لأسلّمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة؟!» (الخطبة ٧٤ـ ١ نهج البلاغة).

الطمس والتجهيل:

فلا تستغرب عزيزي المسلم عندما ترى التراث مليء بفلان وفلان من الرجال، بحيث تهفو إليهم قلوب المسلمين وترى فيهم الحفظة على أمانة الإسلام وأنهم المجددون لكل قرن، وأن البعض منهم جاء بما يعجز عنه الثقلين وإن اجتمعوا بل فاقوا باجتهادهم اجتهاد المجتهد صلى الله عليه وآله ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ والبعض الآخر كان له الفضل على الإسلام بالفتوحات هو وعائلته المالكة وعشيرته المقدسة؟!!

بينما يكون علي وأهل بيته في عالم الإهمال والنسيان، وكأنهم في التاريخ مصادر فتنة لإثارة الروافض والزنادقة ضد أولي الأمر من الحكام الغالبين من أئمة السنة والجماعة...؟!

فاستمع إلى الرازي وهو يستهزأ ويستخف بحجة علي وأتباعه الروافض بقوله: فإنهم ينقلون عنه أنه[1]: تمسك يوم الشورى، بخبر الغدير، وخبر المباهلة، وبجميع فضائله ومناقبه ـ والتي لم تجديه نفعاً ـ ولم يتمسك البتة بهذه الآية في إثبات إمامته؟! وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله؟!.

هكذا تعرف أخي المسلم كيف ضاع الحق، وكيف أقصي أهله تنكيلاً وتشويهاً وتجهيلاً؟! فعادوا لا يذكرهم ذاكر إلا حفنة من الرافضة لعنهم الله؟! ولماذا اللعن؟! لم لا يعتبرونهم مجتهدين يرون الحق لعلي؟! بينما اجتهادات بالتفسير بالرأي الجزافي، وإطاعة الغالب والانتقام من أهل البيت وأتباعهم؟! هو الإسلام وسنته؟!

تناقض لا بد منه:

ومع ذلك كله فقد أصحر بالحقيقة اضطراراً أو عفوياً حيث لا يمكن حجب الشمس بالإصبع أو إغناء المصباح عن الصباح.. استمع إلى القول المشهور: عجبت من رجل أخفى أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفى أعداؤه فضائله بغضاً، فظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين؟!

فقد أذعن الرازي كما اعترف غيره بسمو مقام الإمام علي عليه السلام، حيث يقول:

---

(١) وكأن مقولتهم قد صدقت وحقت على من شذ عن الجماعة وأهل السنة الذين ركنوا إلى التمسك بالسنة التي أسسها وأبدعها الحكام مع وعاظهم؟! بينما بقي علي والروافض يحتجون بحجج واهية وباطلة يريدون الفتنة وتفريق الجماعة وسب الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجميعين!!

أ ـ من اقتدى بعليّ فقد اهتدى: اختلف الفقهاء في الجهر بالبسملة في الصلاة، واستدل الرازي على استحباب الجهر بها «بأن علياً كان يجهر بها، وقد ثبت ذلك بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»[1].

ب ـ الكوثر أولاد الرسول: الكوثر: ألاوده، قالوا لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه ﷺ بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت؟! ثم العالم ممتلىء منهم، ولم يبقى من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به. ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا، ومن ذوي النفوس الزكية وأمثالهم[2]؟!!

ت ـ المسح على الرجلين: فقد استرسل الرازي في الكلام على وجوب المسح على الأرجل على وجه كأن المسح هو خيرته[3]!

غيض من فيض:

أقول ما نفع هذا القليل الذي ضاع وحجب بما سوّدت أقلام صحائف من يدعي السنة والجماعة لتجهيل الأمة، وأبعادها عن الحق المتمثل في أهل بيت النبوة، حتى غدوا أثراً بعد عين. وحرفتم الأمة إلى سنّة رجال عرفتم الحق بهم وما هم ببالغيه!

واستبدلتم السنة المباركة بسنة السلطان، وسندتموها تقوية لأقصاء حق الآل الكرام بل التنكيل بهم فاستعدوا للجواب غداً يوم القيامة؟!

الرابع: إمام المشككين:

إن المنصف والموضوعي يشكك في خلفيات الرازي وذلك عندما يثير

---

(١) مفاتيح الغيب: ١/ ١١١ الحجة الخامسة.

(٢) مفاتيح الغيب: ٨/ ٤٩٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣/ ٣٨٠ وما بعده.

تشكيكات وإيماءات ثم لا يجيب عليها إلابعض إجابات ضعيفة وموهونة، حتى ما ينافي ويفضح حتى مذهبه الأشعري؟!

قال نجم الدين الطوفي ـ من أعلام القرن السابع ـ كتاب (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، ولعمري كم فيه من ذلة وعيب. وحكى لي النصيبي المالكي أنَّ شيخه المغربي صنّف كتاب (المآخذ على مفاتيح الغيب) مراوغة ودهاءً؟![1]

الخامس: هل ينفع الرازي ندمه؟!

إن الذي يقرأ كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، سوف يجد كثيراً ممن كانت الأمة تعتبرهم أئمة، كانت خاتمتهم الندم على سبيل المثال: ندم مالك الذي نسب إليه المذهب المالكي، وندم الغزالي وتنازله عن كثير من آرائه ومعتقداته، وهنا نذكر ندم الرازي: لما مرض الرازي وأيقن أنه ملاق ربه، أملى على تلميذه ابراهيم بن أبي بكر الأصفهاني وصية في الحادي والعشرين من محرم سنة ٦٠٦، ومما جاء فيها «... فاعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئاً لا أقف على كميته وكيفيته، سواء أكان حقاً أم باطلاً أو غثاً أم سميناً[2]؟!

يقول الجرجاني: وغير خفي على من سبر كتب الرازي في الكلام والفلسفة، والتفسير وغيرها، أنه يشكك في كثير من المسائل المسلّمة؟!، وربما يبالغ بأنه لو اجتمع الثقلان على الإجابة عن هذا الإشكال لما قدروا[3]؟! فهل يكون الندم عن تلك التشكيكات كفارة له.. وغروره بنفسه عندما بالغ وغالى بها بتفسيره القرآن برأيه وهواه، وتشكيكه بالمسلمات وإدعائه بعجز الثقلين عن الإتيان بما آتاه؟! ومما يؤخذ عليه أنه قد يجّوز كثيراً

---

(١) الإكسير في علم التفسير.

(٢) دائرة المعارف، القرن الرابع عشر، فريد وجدي: ٤/١٤٨.

(٣) شرح المواقف: ٨/ ١٥٥.

في الدخول بمتاهات الفلسفة ومناقشات، وآراء واجتهادات برأيه غروراً، بحيث لا يتحملها النص!!

ولقد مرّ عليك إدعاء الشافعي كذلك، وتطاول أبو حنيفة حتى على مقام الرسالة وصاحبها الأعظم ﷺ وهنا إدعاء الرازي العريض أيضاً...؟!

فبأمثال هؤلاء (...) الرجال عَبّدوا أهل السنّة والجماعة، وأخذوا منهم أحكام دينهم وعقائدهم، وأحاديثهم وصحاحهم، وتفاسيرهم.. فهو دين وسنة الرجال لا دين النبي ﷺ والإسلام؟!!

بينما تركوا بل حاربوا الحق المتمثل بأهل بيت النبوة، الذي ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المتواترة.. فخالفوا فكانوا المخالفين، ورفضوا فكانوا الرافضة، وغالوا برجالهم فكانوا الغلاة، وفسروا برأيهم فكانوا الضلال؟!!

وأخيراً يمكن الردّ على إدعاءات الرازي العريضة الارتجالية، بفساد وانحراف ما قد بيناه من مجمل تفسيره وتصانيفه، هذا وللمزيد فإن من يراجع كتاب تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي (قده) يرى وكأنه يعامل الرازي معاملة المعلم لتلميذه الجاهل المتمرد، وكيف يوجهه الوجهة الصحيحة المستقيمة؟!!

ومع كل ذلك فإنك لم تلق منا ولو سباً بسب بل كنا ولا زلنا نحترم تفسيرك وبعض آرائك وعليك نصبك وإسرائيلياتك وما اعترفت به أخيراً بخلطك الحق بالباطل والغث بالسمين.

٢ ـ مقاتل بن سليمان البلخي (ت ـ ١٥٠هـ)

صاحب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم كان من أوائل المفسرين بالرأي.

قال نعيم بن حماد: «رأيت عند أبي عيينة كتاباً بـ(مقاتل)، فقلت: يا أبا

محمد ترمي لمقاتل في التفسير. قال: لا، ولكن أستدلّ به وأستعين[1].

ويعود السبب في عدم أخذ ابن عيينة له، وافتقاره على الاستعانة فيه كونه دون أسناد، ويعتمد على الرأي، ولهذا قال ابن المبارك عن نظره لشيء من تفسيره: «يا له من علم لو كان له أسناد[2]».

وكان مقاتل يتلبث التفسير برأيه ويوجهه أنّى اتفق، فقد حدث مالك بن أنس: «أنه بلغة أن مقاتل جاءه إنسان فقال: إن إنساناً جاءني فسألني عن لون كلب أصحاب الكهف فلم أدر ما أقول، فقال له مقاتل: ألا قلت له أبقع، فلو قلته لم تجد أحداً يرد عليك[3]؟!!».

ومع هذا فقد اشتهر: بالكذب على جملة من الصحابة والتابعين[4]».

وغرائب التفسير التي تخالف الظواهر ووجوه الإعجاز، ولا تستند إلى دليل نصي معتبر تبدو تفسيراً بالرأي المنهي عنه ولا سيما في المتشابه من القرآن، وقد ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني الشافعي المتوفى في (٥٥٠هـ) كتاباً وسماه «العجائب والغرائب[5]».

وكما ذكرنا سابقاً ولعدم تمييزهم بين الاجتهاد ببذل الجهد والوسع لبلوغ مرحلة الاستنباط وفق الموازين الشرعية، وبين الرأي الارتجالي الذي أطلقوا عليه اسم الاجتهاد.

ولهذا نجد أن الذهبي وقع في الخلط بين الأمرين: فذهب إلى أن التفسير بالرأي لو كان محرماً لوجب أن يحرم الاجتهاد ويستغنى عن العقل[6]؟!

---

(١) ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر نفسه ١٠/ ٣٨٢ـ ٣٨٣.

(٤) المصدر نفسه. .

(٥) السيوطي، الاتقان ٤/ ٢٠٢.

(٦) الذهبي ـ التفسير والمفسرون: ١/ ٢٥٧.

وهكذا تجد أن كثيراً من التفاسير المشهورة عند العامة، كأسرار التأويل للبيضاوي، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، والبحر المحيط لأبي حيان، وإرشاد العقل السليم، لأبي مسعود، وروح المعاني للألوسي تعتمد التفسير إلا أن أغلب ما ورد فيها من رأي متوهم، يقود في أرجح الأحوال إلى ذلك الخلط وعدم التمييز بين ما هو الاجتهاد بالرأي، والاجتهاد على أساس الاجتهاد؟! بل وأن جلّ مفسريهم قد اجتهدوا بالرأي الفاسد حتى دون مراعاة فضلاً عن التصرف كما سيجيء مفصلاً، فاجتهدوا حتى بالوضع والتزوير.

على سبيل المثال. حديث أُبي الطويل في فضائل القرآن سورة سورة، بحث عنه باحث حتى اعترف له راويه أنه وضعه. وكل من أودع هذه الأحاديث الموضوعة في تفسيره فهو مخطيء، كالواحدي، والثعلبي، والزمخشري، والبيضاوي... يذكرون في آخر تفسير كل سورة قسماً من هذه الأحاديث في فضلها[1]

٣ ـ البيضاوي[2]:

هو قاضي القضاة ـ عند الحاكم ـ ناصر الدين (أبو الخير) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي من علماء أذربيجان. عالم بالأصول والكلام (ت ـ ٦٨٥ وقيل ٦٩١هـ) وتفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية وأصول أهل السنة[3] ـ كما هو المدعى ـ ويعتبر انتصاراً لكتاب الكشاف للزمخشري، إلا أنه خال من الفكر الاعتزالي[4] إلا ما ندر؟!

---

(١) نهج النقد في علوم الحديث. د. عز ص ٣١٠.

(٢) كيف نفهم القرآن ص٢٢٤.

(٣) سنتهم التي اجتهدوا بتسميتها ارتجالاً وإدعاءً!

(٤) يتوهم الأشاعرة أنهم أحسن حالاً من المعتزلة، عندما قالوا بالجبر، وإذ بأن تخبطهم اخترعوا (الكسب) فقالوا: إن الله هو الخالق، والإنسان هو الكاسب، فلم يخلصهم من الإشكال؟! وفي صددها يقول الأشعري: كنت أقول بخلق القرآن وإن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشرّ أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتمد على المعتزلة) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٥ فهرس ابن النديم ص ٢٥٧.

وهو أيضاً يختم السورة ببيان فضائلها وثواب قرائتها معتمداً على الأحاديث الضعيفة الموضوعة؟!

وهو أحد المتطفلين على تفسير الرازي (. . .)!

والملاحظ أيضاً على هذا التفسير قلّة الإسرائيليات ـ يستبطن الطعن في تفسير الرازي أولاً وكل تفاسير أهل السنة والجماعة كما يزعمون ـ الواردة فيه!

كما يعرض للآيات الكونية فيفسرها على طريقة الرازي؟!

ومع كل هذا وكعادتهم في المبالغات برجالهم الذين أعطوهم صك السنة والجماعة فقد أثنوا على تفسيره وأنه يعتبر من أمهات كتب التفسير التي لا يستغني عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ويقف على أسراره ومعانيه[1]؟!!

ولكن الواقع أنَّ البيضاوي وقع فيما وقع فيه (الكشاف) وغيره من المفسرين، من ذكرهم في نهاية كل سورة حديثاً أو أحاديث في فضلها وفضل قارئها وهي موضوعة باتفاق علمائهم وقد أكّدها صاحب كشف الظنون[2].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤ ـ النسفي:

أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (ت ـ ٧١٠هـ)[3] وتفسيره هو «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» اختصره في تفسير البيضاوي والزمخشري[4] والرازي ـ أي هو عيال على هؤلاء سوى أنه ترك

---

(١) التفسير والمفسرون: ١/ ٢٩٦ وما بعدها.

(٢) كشف الظنون، لحاجي خليفة ١/ ١٨٧.

(٣) أنظر ترجمته في: الدور الكامنة ٢/ ٢٤٧، وحجج المفسرين ١/ ٣٠٤.

(٤) الزمخشري: قام بحفظ ماء وجه الأشعري بسبب بياناته الجزافية، عندما استعمل البيان في تفسيره للمتشابه بأنه كنايات بلاغية! وإن كان كتابه الكشاف لم يسلم من الطعن، فانظر: قاضي الإسكندرية، أحمد بن منصور المنير، في الانتصاف.

الإسرائيليات والغث والسمين ـ وترك ما فيها من أفكار، اعتزالية[1]، موافقاً لأصول أهل السنة ـ أي العمل بالجمود على النقل تعصباً رغم ما فيه وما فيه ـ؟!

وهو تفسير وسط وقد طبع عدة مرات. ويحوي هذا التفسير من البلاغة ووجوهاً، والمعاني الدقيقة الخفية. وقد تأثر كثيراً بالكشاف.

يقول النسفي ـ الذي نسف على طريقة إمام مذهبه أبي حنيفة برأيه وقياسه اعتداداً بنفسه أغلب ما سَالم عليه السلف وما صححوا من روايات وغيرها ـ في مقدمة تفسيره مبيناً منهجه في التأليف: «قد سألني من تتعين إجابته (...؟!) كتاباً وسطاني التأويلات... حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة ـ فقد رمى الآخرين بالبدع والضلالة علماً بأنهم في أشد البدع يخوضون ـ ليس بالطويل الحمل ولا بالقصير المخل...!

وهذا يمثل طعنا وسوء أدب ومصادرة بل وإلغاء أفكار بعضهم البعض ونعني سلفهم، في الوقت الذي يعيبون ويتهمون الآخرين أن لا سلف لهم؟! ولكنه الرأي والارتجال الجزافي؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٥ ـ الخازن:

هو علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل التيمي البغدادي الشافعي. كان من أهل العلم والتصوف (ت ـ ٧٤١هـ)[2].

وتفسيره هو «لباب التأويل؟! في معاني التنزيل» وهو مختصر من كتاب

---

(١) كعادة رئيسهم الأشعري الذي ترك الاعتزال ظناً منه وحسب رأيه، الارتجالي، أنه هو أهل السنة وغيره مفارق لها عندما استخدم التأويل الملتوي المستبطن للتجسيم والتشبيه وفق إسرائيلياته في الحديث! وإذ يتهمون المعتزلة إما باطلاً أو جهلاً ـ شأن كل طعونهم ـ فقد نسبوا إليهم بأنهم يرون العقد هو الحاكم فيقدموه على الشرع؟! وليس هذا بصحيح بل أن العقل عند المعتزلة طريق إلى العلم؟!

(٢) أنظر ترجمته في: طبقات المفسرون للراودي ص١٧٨، مستندات الذهبي ٦/ ١٣١.

معالم التنزيل للبغوي وزاد عليه من تفاسير من تقدمه[1] ـ أي هو مجرد خازن إلا أنه ينتقي حسب استحسانه الشخصي برأيه ما يتبين وما هو فاسد مفروض، وهذا رأيهم كما يفعلون ذلك بالطبقات المتأخرة فقارن؟! ـ فهو فيه يجمع وينتخب؟! مع حذف الأسانيد[2]؟! كثير الرواية بالمأثور ـ وكأنه ارتاح وأراح بالعمل بأي رواية شاء ـ ويعني بتقرير الأحكام وأدلتها. أو مع هذا الانتخاب والحذف فقد جاء تفسيره كما قال الذهبي[3]: مليء بالأخبار التاريخية، والقصص الإسرائيلي خاصة، بشكل كبير؟!!

٦ ـ الجلالين:

وهما: جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم المحلي الشافعي. فالأول (٨٤٩ ت ٩١١هـ). والثاني (٨٦٤ ٧٩١هـ).

يتحدث جلال الأول عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث. وله مؤلفات كثيرة ناقصة وذات شهرة وقبول عند الناس[4].

وتفسيره هو: «الدّر المنثور في التفسير المأثور» وهو تلخيص واختصار لكتاب آخر له في التفسير وهذه مجرد دعوى تحتاج إلى دليل؟! لما عرفت

---

(١) أي أن البيضاوي، والنسفي، وهذا الخازن، بعد الرازي لم يأتوا بجديد، لا كما يسموه بالبدع بل بتفسيرات علمية تلك التي دعا إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ فالواقع أحسن من المدعى!

(٢) وهذه الكارثة بل الخيانة الكبرى، إذ بالإضافة إلى ما فعله الخازن وأمثاله من المتأخرين أبعاد بعض الإسرائيليات ورواة اليهود والوضاعين التي يصعب محوها وإلى ينكشف زيف الإدعاء بأنها صحيحة؟! وبذلك يسقط بناء مدعي السنة والجماعة في التفسير والتشريع والأحكام وغيرها!! إلى أن الخازن وأمثاله قاموا بسد الطريق وتحصين والمحافظة على الموروث المشكوك والمطعون والمختلط حقه بباطله. الأمر الذي أوجد التعميمة على المتأخرين بعدهم مما أوجد كثيراً من الأباطيل والضلالات والانحرافات على ضوء تلك المرويات...؟!

(٣) التفسير والمفسرون ١/ ٣١٠.

(٤) أنظر: شذرات الذهب ٨/ ٥١، يصحح المفسرين لنويهض ١/ ٦٤.

من التجني والجرم هو الحذف للأسانيد تضليلاً للأمة، وحماية للإسرائيليات ودس الزنادقة. . . الخ.

بل الدليل يثبت عكس مدعاه؟! وليت شعري كيف يقدمه الذين ادعوا أنهم أهل السنة والجماعة على أنه الإمام والعالم الفذ في علم الحديث وفنونه، ومفسراً جليلاً. . . الخ.

فانظر إلى شاهد من أهلها يقول بصدد تفسيره هذا: ربما يؤخذ على السيوطي في هذا الكتاب إنه يتحرّ الدقة فيما جمع فيه؟! وإنما جمع الصحيح والعليل مع أنه من أهل المعرفة بالحديث وعلله[1]؟!

أقول: من يغش من؟! هل هو يغش ويخدع المسلمين بتفسيره هذا أم الذين غالوا به وبأمثاله من المفسرين، وقدموهم للأمة بمختلف الألقاب البراقة والخداعة! وكما قلت مشكلتهم في كل ذلك إذا ظهر نصبه وبدا لعنه للرافضة لا اليهود والزنادقة، حُسب على أهل السنة والجماعة وقدم إماماً عالماً على الرغم من كل علاّته، بل ويجعلوه المقياس الذي يؤخذ منه يوزن الدين والإسلام بسيرته وأقواله. . . الخ.

ثم يستمر الذهبي[2] في نقده قائلاً: ولذا فالكتاب بحاجة إلى تمحيصه وإخراج العليل منه وتصفيته. . ؟!

نعود لبيان تفسيرهما وهو «تفسير الجلالين» نسبة للأول السيوطي والثاني المحلي الشافعي. أما الجلال المحلي فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف أن آخ سورة الناس، ثم بدأ بتفسير الفاتحة، لكن الموت داهمه، فجاء الجلال السيوطي وأتم هذا التفسير من سورة البقرة وحتى آخر سورة الإسراء.

ومما يؤخذ عليهما الجرأة بالرأي في مسألة أسباب النزول وجعلهم لكل سورة سبباً لنزولها بالرغم من التحذير بوجوب الدقة الشديدة لمعرفة أسباب

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

النزول ولا يجوز نسبة ذلك إلا بالنقل الصحيح؟!

روى الواحدي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار[1]».

هذا بالإضافة إلى تضارب الروايات في أسباب النزول[2]، أو مسألة تعدد أسباب النزول للآية الواحدة[3]. وهكذا!

٧ ـ الآلوسي:

هو العلامة أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندي الآلوسي البغدادي (ولد عام ١٢١٧هـ ـ ت ١٢٧٠هـ) عالم بالأدب والفقه واللغة، مدرس وقاض[4]؟!

وتفسيره هو «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» وهو كتاب[5] تفسير جمع فيه صاحبه آراء السلف رواية ودراية[6]، وبذل جهداً كبيراً في تأليفه، كما اشتمل على أقوال الخلف بأمانة ودقة ـ يستبطن الصراع اللاشرعي والأخلاقي فيما بينهم، وقد ظهرت بهذا الإسقاط ـ وهذا التفسير يعتبر بحق خلاصة التفاسير كلها التي سبقته ـ التي تحوي الحشو واللغو والإسرائيليات والموضوعات والمبالغة في استخدام الرأي وغيرها ـ وكان يوازن بين آرائهم وينقدها ـ اجتهاد بالرأي مقابل رأي ـ ولا سيما ما يتعلق باللغة والعقيدة[7]؟!

---

(١) حديث متواتر، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده عن أنس (رضي) كما روي عن عدة طرق أخرى صحيحه!

(٢) أنظر: البخاري باب تفسير سورة الضحى.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الشهادات: إذا ادعى أو حذف ح٢٦٧١.

(٤) انظر: هوية العارفين ٢/ ٤١٨، للإسلام ٨/ ٥٣، معجم المفسرين ٢/ ٦٦٥.

(٥) كيف تفهم القرآن: ص ٢٢٧.

(٦) نادراً ما يذكرون الدراية نتيجة تعصبهم وغلوهم بصحاح رجالهم في الرواية!

(٧) مشكلتهم أنهم أطلقوا على الرأي والاجتهاد فبالفقه تجد مختلف الاجتهادات المتناقضة بتفسير لا =

وهو يجري فيه مجرى أهل السلف من السنة؟!!

فالآلوسي كغيره ممن يكمل السير على سنّة السلف المدعاة، بقبول المتناقضات والبدع والإسرائيليات، والتأويلات للحاكم والأحكام. . .الخ كل هذا عنده يمثل السنة والجماعة، ويكون حل تلك المشكلات باجتهاده ورأيه؟! وعلى ضوء ذلك فقد ادعى روية الله تعالى في المنام ثلاث مرات[1]؟! لأن أهم المشكلات عنده هو منع ورفض الروافض الزنادقة ومشايعيهم من أهل بيت النبوة عليهم السلام من تفسيره؟!

فهو في تفسيره يتعصّب لمذهبه السلفي بشكل معاند، فهو كغيره يدّعي الحق والفضل لمذهبه فتراه لم يراع أدب الكتابة وخصوصاً في التفسير فمثلاً عند تفسيره للآية ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

فيقول بعد كلام طويل انفعالي مع لجاج عنيف حيث يقول: فلا تهولنك جعجعة الزمخشري وقعقعته[2]!

هذا إذا علمت كما سيأتي أنَّ الزمخشري يدعوهم أن لا يفسروا حسب أشعريتهم لكي لا يوقعوا أنفسهم بالتجسيم والتشبيه الذي أصاب اليهود وأمثالهم من الفِرق المنحرفة؟! إذ يدعوهم إلى فهم المعاني فهماً بلاغياً بالكناية وغيرها؟!

أما الفقه ومسائله ـ فإنه لا يمر على آية من آيات الأحكام إلا ويقف عندها مستوفياً مذاهب الفقهاء فيها وأدلتهم دون تعصب لمذهب بعينه[3] ولكنه يسهب

= يتحمله النص، وأعني الظاهر مثل مرور المرأة يبطل الوضوء، مصافحة المرأة جائزة، الدخان حرام، واللحم المستورد يحل بالتسمية، وحلية ميتة البحر؛ أمثالها كثير؟!
أما في العقيدة، فيرمون المنزه بالزندقة، والجسم والمشبه بأهل السنة والجماعة، المتأخرون يحاولون ترقيع وفلسفة آراء الأشعري وهكذا؟!

(١) تفسير الآلوسي ٩/ ٥٢.

(٢) روح المعاني ١/ ١٤٨.

(٣) ما دام يتعامل مع فقهاء السلف، فلا مجال له ولغيره أبداً إلا بالرأي الاستحساني تجاههم، لأن الفقه أغلق بابه بهم، وإياك أن تقول: نحن رجال وهم رجال، لأنها لا ولن تكون إلا =

إلى درجة الملل مما يكاد يخرجه عن التفسير مع ظهور تعصبه في كل ذلك فهو حشو وتطويل على نسق تفسير الرازي[1].

كما أنه ينقد الإسرائيليات بشدة، والقصص الموضوع ويسخر أحياناً منها[2]؟!

وكذلك يذكر وجه المناسبة وسبب النزول دون التقيد بالمتواتر منها..؟!

أقول: فما دام الحاجة بالتقيد بالمتواترات؟! هذا فضلاً عن أن أهم المتواترات التي شكلت المنعطف الخطير في حياة المسلمين قد ضربت عرض الحائط، كحديث الغدير، والثقلين وغيرهما من المتواترات؟!! وهذا باتفاق وإجماع أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم أجمعين!!!

خاتمة موضوع الاجتهاد بالرأي:

يستكشف الباحث والمطلع على آراء من ادعوا أنهم أهل السنة والجماعة، وكأنهم الأمناء على الشرع والشريعة، يحملون صك فرض آرائهم الجزافية والارتجالية غير المستندة على علم تشريعي حتى بالاعتماد على اللغة، بدليل النقد الوارد حتى فيما بينهم عندما سموه بالاجتهاد المذموم والمرفوض وغير ذلك؟! هذا أولاً.

وثانياً: يمثل حتى التطاول على مقام الإسلام (كتاباً وسنة)، وكذلك الاعتداء

= للشافعي (رض) ولا تجاري أبا حنيفة في رأيه وقياسه، ولا تعارض ابن حنبل في حشوية أحاديثه وتجسيمه وتشبيهه وتشدده الفقهي، وإن تسلّم لموطأ مالك، وإن ندم آخر حياته بما فيه كما ورد؟! فلا مشكلة له للنقل عنهم والتسليم لهم ما دامت كتبهم خالية من فقه الشيعة والروافض الزنادقة لعنهم...؟!

(١) التفسير والمفسرون ١/٣٥٨. الرازي مفسراً لعبد الحميد ص١٧٠.

(٢) لولا أنه حُسِبَ على السلف وستهم، لرفضوه وزندقوه؟! كيف وهل هو أعرف منهم وقد عدلو أقطاب الإسرائيليات، وخلطوها مع الصحاح وعمل بها سلف عن سلف ومن سبقه من المفسرين أمثال الرازي والبيضاوي والنسفي وغيرهم، وثبتوا قصة الغرانيق، وسورة الضحى والكلب، ولون كلب أهل الكهف واسمه...!

على أهله وهم الأمناء والأوصياء والأولياء عليه ألا وهم أهل بيت النبوة، والذين مع كل ذلك لم يدعوا أتباعهم من العمل بهكذا اجتهاد وأعمال الرأي؟!

وثالثاً: إن العمل بالرأي يبطل إدعاءاتهم الأخرى عندما قالوا (حسبنا كتاب الله) و(صحاح السنة، وآلاف الأحاديث حتى التي أخذوها من اليهود وعدّلوا أقطابها ولم يجرحوهم، والتي حدثتهم عن دقائق سنتهم، كلون كلب أصحاب الكهف واسمه وأمثالها) فما الداعي إذاً إلى اللجوء إلى الرأي الاجتهادي الغير مستند على تفسيرهم بهكذا سنة صحيحة فيها كل الدقائق الإسرائيلية التي لا تدع أدنى مجال لقبول الإسرائيليات وأقطابهم الذين زكوهم بالإسلام وعدلوهم على ضوء حديث آحاد من سنتهم وصحاحهم(. . .) مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام!

رابعاً: إن التفسير بالرأي قد أوقع المتأخرين من الباحثين منهم في حرج اضطراب مشين ومعيب؟! كما يلي:

أ ـ فلا هم قادرون على التمييز وحصر كل من فسر القرآن برأيه، وخاصة من حذف الأسانيد أو تشخيص تلك الآراء المختلطة مع العلوم المتشابكة بسبب الانفتاح على الآخرين.

ب ـ كما نراه اليوم أن العلوم الحديثة المكتشفة والصحيحة منها وهي التي لا تتناقض مع الكتاب الذي دعانا أن التحري والكشف عنها ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام:١١] و﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ﴾ [سورة فصلت:٥٣]. . . الخ.

كذلك ما لا يخالف السنة الصحيحة ـ التي هي عندهم (أندر من الكبريت الأحمر) الأمر الذي خيّل لهم عكس ذلك عندما اجتهد السلف بآرائهم وأوّولوا حسب تصورهم وهواهم، فانكشف للخلف ـ طبعاً ـ الواعي منهم زيف وتناقض تلك الآراء الاجتهادية للسلف[1].

---

(١) انظر: كيف تتعامل مع القرآن ـ محمد الغزالي ـ كيف تفهم القرآن، سبق ذكرهما معاً.

ت ـ وقوع أغلب الواعين من المتأخرين ـ طبعاً ـ في حرج واضطراب ما بين إعطاء الصحابة الضوء الأخضر، بحديث آحاد ـ كما مرَّ ـ بلا مشكلة للأخذ من أهل الكتاب رغم التحذير الكثير من روايات صحاح وحسب آرائهم بتعديل أقطاب الإسرائيليات، من دون التحري الدقيق والأمانة الشرعية العلمية، مما أدى إلى ـ وكما ذكرنا سابقاً ـ أن المتأخر يقدم أيضاً برأيه واجتهاده إلى حذف ما يراه يناسب أهل السنة والجماعة المتأخرة؟!!

ث ـ ورغم كل هذه المحاولات من الواعين[1]، نجد في المقابل ذلك السيل الهائل من المغالين والمتعصبين لسلف السنة والجماعة ومروويهم.. الله أكبر من مسّ مقام الصحابة والتابعين كائناً من كان.. يا غيرة الإسلام على الصحاح الجهاد لأجل رجالنا وآرائهم.. وإسلاماه للتشكيك بكتبهم وآرائهم؟!! لأن هذا ما عليه اتفاق وإجماع أهل السنة والجماعة.

خامساً: أحب أن أشير إلى ملاحظة مهمة عند العامة وهي:

أ ـ أنهم عندما يتحدثون عن أنفسهم قد يرضوا جماعتهم، ومن ناحية أخرى يغروا الآخرين، من أنهم يفسرون القرآن الكريم على حسب مراده الذي أُنزل من أجله، بل حتى يوحون لأولئك أنهم الأوصياء والأمناء على التفسير ولو كان بآراء رجالهم، وإن اختلفت اتجاهاتهم، وقيام الخلف بتنقية وحذف انحرافات وأغلاط السلف؟!

ويأطروا ذلك كله باسم أهل السنة والجماعة والسلف الصالح رضي الله عليهم أجميعن؟!

في الوقت الذي يشددون ويحذرون من الأخذ من اتهموهم بالبدع، وإن كانوا أهل تنزيه في الآيات المتشابهات، وذلك لأن معنى المجتهد عندهم من طعنوا بهم هو الذي بذل الجهد والاجتهاد في دقائق اللغة والنحو والبلاغة وعلم الحديث... الخ.

---

(١) انظر: المتفيهقون ـ د. محمد حسن ـ ط بيروت.

فيأتي تفسيرهم منزهاً للخالق تعالى في المتشابهات، ووفق السنة النبوية الصحيحة بالحق وعلى ضوء النص في الإمامة، والولاية، وأهل الذكر، والقربى.

بينما يمثل الاجتهاد عندهم الرأي الجزافي الارتجالي، حيث طبقوا الواقع الحاصل على القرآن الكريم والسنة فهم رضوا بالواقع ونحن رضينا بما وقع فقالوا بالخلافة الأول إنها شورى ولم تكن كذلك؟! فأي شورى وأمير المشيرين ونقباء الهاشميين وخلّص الصحابة كانوا غائبين؟! وقطعاً لا إجماع؟! واجتهدوا بمسألة نص وتخليف الأول للثاني ولم يجيزوه للنبي ﷺ لعلي رغم سطوع الآيات، ومتواتر الروايات؟! والثاني اجتهد بدوره بجعلها في شورى مصغرة تجتهد بالسير على الكتاب وسيرة الشيخين، فقال: علي عليه السلام بل سيرة النبي ﷺ ما استطعت وقبلهما عثمان، الذي أدى به اجتهاده إلى الفساد الإداري، وحصول ثورة عارمة بالإجماع الأقوى من إجماع انتخاب الخليفة الأول، ثم مبايعة الأمة بإجماع أكبر منهما للإمام علي عليه السلام؟!

وحصل الافتراق الكبير بين شيعتين:

ـ شيعة تمثل الإسلام والتمسك بالثقلين الكتاب علي بمنزلة القرآن[1]، والمتواتر (علي مع القرآن والقرآن مع علي التي يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض[2]).

والثقل الثاني السنة النبوية الصحيحة، حديث الغدير والثقلين والمنزلة، والدار، والولاية.

---

(١) انظر: هوامش المراجعات رقم (٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥) من حديث الثقلين نجد العشرات من الأحاديث.

(٢) أنظر: هامش المراجعات رقم (٦١١) ففيه (٢٤) حديثاً من مصادرهم، منهم، ابن بحر في صواعقه ص١٢٢!!

فأي نصوص أجلى وأسطع من هذه النصوص.

ـ أما الشيعة الأخرى فإنّها تمثل غاية الانحراف عن القرآن الكريم بالانجرار وراء من يستخدم القرآن لمصلحته عندما أوشك على الهزيمة، وسخر حب الأمة للصحابة (رض) عندما رفع قميص عثمان للفتنة؟!

ويظهر زيف وكذب إدعاءاته، وانكشاف مآربه عندما تولى السلطة، مدعياً زوراً أن الذي يشايعه هم أهل الجماعة؟!

أي جماعة تلك الباغية بالإجماع ـ على أهل الحق وجماعته؟! أي جماعة تدعي أنها مع الصحابة وقد حاربت (٨٥٠) صحابياً كانوا في جيش علي عليه السلام وقتلت (٣٦٠) منهم، وعلى رأسهم أصحابي الجليل الشهير عمار بن ياسر (رض)؟! وانتقمت من الباقين منهم؟! أين الصحابة وأبناء الصحابة في ملك بني أمية الجاهلي القبلي؟! وأي حكم يمثل إسلام الجماعة، فرض فيه القتل والتنكيل، مما دعا الآخرين أن يعتبروا من الصحابة والتابعين وأبنائهم بالعمل بالتقية من ظلم معاوية وبني أمية وملوكها؟!

أما ضعاف النفوس والدين، فقد تهاووا على أعتاب معاوية كمرتزقة ووعاظ بلاط، فجهدوا واجتهدوا ترغيباً وترهيباً إلى تفسير الكتاب على هواهم وهوى رب نعمتهم معاوية الباغي، واستبدلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بسنة الحاكم؟!

فالآيات يُجتهد بها لمصلحة الحاكم، وتؤول على عكس مرادها.. والسنة صرفت لمحاربة أهل الحق وهم أهل بيت النبوة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام ليحارب ويسب على المنابر في المناسبات والجمعات.. وينكل بأهل بيته ويسمى أتباعهم روافض وشيعة، زيادة في تشويههم وعزلهم؟!!

وفي المقابل فإن كل شعار رفعه معاوية هو للفتنة وتضليل المسلمين.. إذ في الوقت الذي يريد أن ينتقم من جلّ الصحابة متهمهم بدم عثمان، نراه يرفع نفاقاً شعار الصحابة ليتشمل حتى المنافقين منهم من الذين ذكرهم القرآن

الكريم، وليجعلها سنة لا زالت تثير الفتنة إلى يومنا لتفريق المسلمين، كما حصلت بالمجازر والفتاوى الوهابية وكتبهم، وتشكيل (جيش الصحابة) في باكستان، ومجازر طالبان في أفغانستان ضد من يتهم بأنه يسب الصحابة (رض)؟!!

انقلاب الموازين: هنا نسأل في ظل حكم معاوية الوارثي لملوكي (. . .) ماذا بقي من آثار الخلافة الراشدة؟!

فالتوارث العشائري فسروه بالبيعة؟! والتنكيل بالمسلمين وبأهل البيت اجتهاداً؟! والحاكم هو المشرع لا العلماء ففي وقعة الحرة سنة ثلاث وستين[1] . . استقصى البلاذري أسماء من قتل في حصار ابن الزبير الأول بمكة سنة أربع وستين، وأسماء من قتل أيضاً بالحصار الثاني[2].

وقتلى ثورة أهل البصرة وأهل الكوفة بعد ذلك[3]. وناهيك عن طاغيتهم الحجاج وجرائمه؟!

وهل ستكون لهم هذه الاجتهادات حجة إذا وقفوا يوم الحساب بين يدي الملك الجبار؟!

رابعاً: سمعت من بعض العلماء ـ كما هي طبيعة مواقفهم ـ ومنهم الشيخ القرضاوي[4] وبكل برودة، أعصاب، واجبنا أن ندعو لهم بالهداية ونسعى لهدايتهم. . .؟!

خامساً: نحن نظلم معاوية عندما ننعته بالخطأ ليحصل على أجر واحد، وكذلك مولى عمر طالبان؟!

كما أن الفقهاء والعلماء كابن عباس والحسن البصري وابن المسيب،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٩٣.

(٢) أنساب الأشراف ٤/ ٧٥، تاريخ المرسل والملوك ٥/ ٤٩٠. الكامل في التاريخ ٤/ ١١٧. كذلك أنساب الأشراف ٥/ ٣٧٢.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط / ١/ ٣٧١.

(٤) قناة الجزيرة الفضائية. برنامج الشريعة والحياة.

الخليفة بن خياط، وابن أكتم الكوفي، والسدوسي، وعبد الله بن حنظلة الغسيل وغيرهم لم يسعوا كعبد الله بن عمر فقط الذي بايع معاوية خوفاً؟! فإن معاوية أكبر من التماسهم الهداية له لأنه فعل ذلك وهو مجتهد مأجور؟! كذلك أنه عندما أطلق على شيعته اسم الجماعة فإنه يدل على أن الآخرين خوارج؟! فأبعثوا بهداتكم إلى مولى طالبان وأظنه سيغفل عن قضية أنكم من الخوارج عليه وقد تنفعوه بعض الشيء، ولكن قد يحتج عليكم بالاجتهاد، والحاكم الغالب؟! هذا إذا لم يكن عميلاً يجتهد وفق شريعة أسياده، كما اجتهدوا بشريعة السلطان الغالب؟!

وشوراهم لا للعلماء ولا للصالحين بل للغالب والعصبة؟!

ولعل من أبرز مصاديق تلك السنة الأموية، إدعاء جزار طالبان المولى محمد عمر بأنه أمير المؤمنين ويريد قيادة العالم الإسلامي بالخلافة؟!!

وقفة مع علماء المسلمين: وفق موروثكم يجب أن لا يبيت المسلم ليلة حتى يبايع؟! فهل أنتم والأمة خارجون عن جماعة المولى عمر؟! كما إدعى معاوية ذلك؟! هذا أولاً.

ثانياً: إذا كنتم ترون أنه لم يبلغ ما بلغتم من اجتهاد ومعرفة بالإسلام بشكل يؤهله لذلك؟! فلم لم تتحروا الدين والحق هل هو عند الإمام علي أم عند معاوية؟! أم إيران الإسلام أم طالبان أو لأن هذا الأخير رفع شعار الخلافة والسلف؟!

ثالثاً: إنكم تسمون مجازره بالمسلمين كما هي مجازر معاوية بإنها اجتهاد؟! فما يكون موقفكم لو طبق هكذا اجتهاد بحقكم لتخلفكم عن بيعته، بواسطة القوة والغلبة؟! كما فعل معاوية بالصحابة وذلك بقتله حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، كما وقتل تسعة آخرين من الصحابة، أما محمد بن أبي بكر فقد قتله ووضعه في جيفة حمار ثم أحرق[1]! وتذكرنا

---

(١) الطبري ٥/ ٢٥٣، عيون الأخبار ـ ابن قتبة ـ ١/ ١٤٧، الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥٢، الأغاني لأبي الفرج ١٦/ ٢.

مجازر طالبان بمجازر بسر بن أرطأة) الذي بعثه معاوية إلى أهل اليمن المسلمين (. . .) قال ابن عبد البر في الاستيعاب، كنَّ أول مسلمات سبين في الإسلام؟! فقالت امرأة من كنانة، بعد ذبح ولدين في حجر أمهما: والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية. . . أن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل. . . لسلطان سوء[1]؟!!

وقد أحصى خليفة بن الخياط، في تاريخه أسماء من قتل من وجوه قريش والأنصار، من قراء وفقهاء وزهاد والعلماء.

سادساً: بالإضافة إلى الاجتهاد، هناك مبرر أكبر وهو منن معاوية وكل حاكم غالب على الإسلام انظر إلى الفتوحات والانتصارات. . .الخ؟! وكذلك تأسيس مولى عمر لنواة الخلافة الإسلامية في وسط آسيا؟! إسلام الحاكم الغالب؟! لا إسلام الكتاب والسنة كما في إيران الإسلام؟!

وحسب شرعكم وسنتكم فهذا الإسلام المسكين القاصر الضعيف كان بحاجة إلى حكام ذوي عصبة وغلبه؟! وكأنه لا يمتلك أدنى درجات القدرة والإمكانية والتأثير، وكان الكتاب بحاجة إلى رأي رجالكم، وكذلك الحديث، وفي الفقه إلى أربعة رجال لا غير؟!

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة. . . ومن يقول خلاف ذلك مبتدع رافضي زنديق. . .الخ.

هكذا هو إسلامكم وسنتكم، تسحبوها من الواقع الحاصل، وتحملوه على الكتاب والسنة بالرأي والاجتهاد؟! وإلا دلوني على آية واحدة تدعو إلى خوض السلطان الحاكم بدماء المسلمين وله أجر مجتهد؟!

أو في حديث صحيح أو معتبر أو مستفيض إلا أن يكون حديثاً إسرائيلياً أو حديث وضاع أو مرتزق أو واعظ سلطان؟!

قد تحفظون القرآن كلقلقة لسان، ومئات الأحاديث، وفي التطبيق تسيرون على دستور وسنة الحاكم الغالب حيث يقودكم إلى سنته وأهوائه وربما عمالته؟!

---

(١) تاريخ ابن الأثير ص ٥٥.

بينما تتنكرون وتغمضون العين عن قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحجرات:٩] فكأنما اجتهدتم بمعونة قران السلطان، وكان تفسير الآية: فانتظروا فإن غلبت إحداهما فانصروها واجتهدوا برأيكم فيها، وأوّلوا كل الآيات لتأييدها، وسخّروا كل الأحاديث في خدمتها فالأمر كله للسلطان الغالب؟!

والويل والثبور، وعظائم الفتاوى والأمور، لمن تسوّل له نفسه الاعتراض على هكذا اجتهادات والخروج عن جماعة السلطان الغالب، وأن تشهد الشهادتين، واستشهد بآيات الله، وسار على سنة رسول الله ﷺ، لأن هذا في شرع الإسلام، ونحن نحكم بشرع الغالب فالدم... الدم السيف... السيف حتى يدخل الناس كافة في جماعة السلطان والخليفة الغالب؟!!

وهذا ما عليه السلف الصالح، واتفاق وإجماع أهل السنة والجماعة؟!

وهكذا تسخر هذه الشعارات بتسلط الغالب عندما ينادي بالخلافة، والسلف، والسنة والجماعة... ولنغمض أعيننا عن كل تلك الدماء الطاهرة المسلمة التي أريقت، ونبررها بالاجتهاد والأجر الواحد.. ونؤول النقل لمصلحة الحاكم العليا.. ونجمد عقولنا بالتسليم بل الحمد والثناء على نعمة تسلط الغالب؟!

وكأن دور علماء المسلمين وشرعهم هو انتظار الغالب لا المصلح والمنقذ والإمام المهدي (عج) أو الذي سيولد عندهم، بدليل أن غلبة معاوية الباغي غيّر عليهم اجتهاداتهم، ولو انتصر الخوارج لكان دينهم الغالب، كما نرى اليوم في تأييد الوهابية ومولودها طالبان، إذ كله يصحح، بالاجتهاد، وإن خالف الكتاب والسنة والعقل، بعدما كانوا يستهزأون ويغمزون من قناة الحاكم الغالب؛ بأن الخوارج الذين خرجوا عن جماعة معاوية الغالب، كانوا إذا سألوا شخصاً عن دينه فأجاب بأنه مسلم قتلوه؟! وإن قال لهم مشرك أمنوه وأجاروه؟!

وما اجتهاد علماء اليوم بأحسن من اجتهاد أولئك الخوارج، فقد عملوا به اليوم، بإطاعة الوهابية بغلبتها بالأموال، وطالبان بغلبتها بالقوة باسم الاجتهاد، وإن خالف الكتاب والسنة والعقل، ولكن هناك ما يبرره أنه ينسب إلى السلف الصالح والسنة والجماعة؟!! أين المتقون؟! أين الراشدون؟! إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم، وبأدناها ارجعوا إلى عروبتكم؟ كما تزعمون أم أنتم عرباً فلا تفقهون؟! أم أنتم عبيد هواكم فلا تعقلون؟! أم عميت بصيرتكم فلا تتفكرون؟!

ألا تخافون الله تعالى ورسوله ولا تستحون وأنتم تقدمون الإسلام الذي يتحدى الحضارات ويعطي حلول السعادة والأمن والسلام والمحبة والإنسانية أسرة آدم عليه السلام؟!

ألا تتورعون وتخجلون عندما تنسبون ذلك للسلف الصالح، وأهل السنة والجماعة، محققين مقولة كعب، وسيف، وكل رواة الإسرائيليات، والمستشرقين، بأن دين محمد جاء بالسيف؟! كفاكم تشويهاً للإسلام العظيم وأنتم جعلتمونا أضحوكة أمام العالم وأن الإسلام دين الإرهاب؟! ألا تدركون بأنكم جعلتم الإسلام إلعوبة بيد الأعداء، في السابق كان الحاكم الغالب يتلاعب بكم واليوم هو وأسياده صهاينة وأمريكان؟!

سابعاً: وقبل أن أختم موضوع التفسير بالرأي ألفت النظر إلى أن: أغلب كتب المفسرين بالرأي جاء فيها لفظ (التأويل) ككتاب البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، والنسفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، والخازن «لباب التأويل في معاني التنزيل»؟!

وبالرغم من أننا لم نوافقهم في التفسير بالرأي والاجتهاد الجزافي، فإن أوّلنا فما يكون على وفق القرآن والسنة الصحيحة، وبما تحتمله الآية من وجوه، ولا أعطي كل الصفاء لتفاسيرنا فهناك من فسرّ وفق أسرار أهل البيت المروية عنهم، بحيث أنهم بعد الفراغ من التفسير يقولون وهناك تفسير آخر...

وهنا تجدر ملاحظة مهمة وهي: قضية اتهامات العامة بسبب تعصبهم

الأمر الذي يخرجهم عن التثبت وتحري الحق ومن ثم الخروج عن الموضوعية، في كثير مما يرمون وينبزون به إخوتهم في الإسلام.

فتجد مثلاً يطلقون اتهاماتهم بأن الشيعة يؤولون، لأجل تكريه الأمة لهم وزيادة في الطعن بهم وشحن النفوس ضدهم. فيروى أن عالماً من علماء أهل البيت عليهم السلام كان في مؤتمر إسلامي، فلما سمع به شيخ مشحون بالبغض والعداوة ممن يدعي أنه من أتباع السلف والسنة والجماعة، وبادره بأنكم الشيعة تؤولون الآيات. فقال له العالم وكان سريع البديهية، لأن الحق قوي والباطل ضعيف: هناك آيات لا بد من تأويلها مثلاً ـ وكان الشيخ المتعصب أعمى ـ أنت أعمى والآية تقول ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الإسراء: ٧٢] فسكت الجاهل المعتدي!

فما أكثر الاتهامات والفتراءات الباطلة، الغير مستندة على الكتاب والسنة الصحيحة والعقل!!

وما أكثر المدعين بلا دليل، منهم وأكثرهم الفقيه الناصبي المشاكس، صاحب الإدعاءات الفارغة، والأقاويل الضبابية، والعبارات الضجيجية، والألفاظ الرنانة الطنانة، وحيث لا يجد طريقاً مستقيماً ولا ركن ونور كتاب أو سنة، ينسب كل تلك الإدعاءات العريضة إرسالاً وارتجالاً: هذا ما عليه السلف الصالح.. واتفاق أهل السنة والجماعة.. وما عليه صحابة الصدر الأول... الخ.

وقد مرّ عليك بعض إثاراته في حرف الآيات التي نزلت في علي وأهل بيته بغضاً ونصباً.

وهنا في مجال التأويل: فإنه بعد أن يجعل أن هناك تفسيراً مثالياً ـ طبعاً لا وجود له ـ صدر عن الصحابة كما أراده الله ووفق التفسير الصحيح الذي لا يقبل الشك والخطأ... ينتفض بأسلوبه العنتري الحاد قوله: وأن من أعظم أسبابه: البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن يحرفوا الكلم عن مواضعه،

وفسروا كلام الله ورسوله ﷺ بغير ما أريد به، وتأولوه على غير تأويله[1]؟!

وهكذا تعلم مدى الفوضى والتخبط في مجال صراعات بل وضلالات التفسير بالرأي والاجتهاد الجزافي الارتجالي، فاجتهاد يقوض اجتهاداً.. ورأي يناطح رأياً.. وارتجالاً يسفه آخر.. وينافسه، ويسخر منه بل ويكفره ويزندقه له ويتهمه.. ولا ينقضي عجبك عندما يأتي المحققون والباحثون فيتركون كل تلك المتناقضات ويسكتون بل يتسترون على كل مساوئها، ما دامت منسوبة لأهل السنة والجماعة؟!!

الفرع الثاني: التفسير بمأثورهم:

بعدما بيّنا سابقاً ما حصل للأحاديث من منع، وحرق، وتعديل أقطاب الإسرائيليات وتزكيتهم بالجملة، وتركوا الأمر على فلتات رجالهم حيث ينقي وحيد الخلف بعض الإسرائيليات عن عظيم السلف ولكل رأيه واجتهاده، مع كثرة الموضوعات، فضلاً عن الوضع لأسباب سياسية؟!

وناقشنا ادّعاء سنّة الصحابي ونقضناها، وسلطنا الضوء على المزوّر والوضّاع معاوية ووعّاظه، وسنسلّط الضوء على ذلك أكثر. وكذلك الظاهرة الخيانية الكبرى وذلك بطمس معالم شخصية الإمام علي عليه السلام وتجهيل الأجيال بمنزلته وفضائله، وكذلك التعتيم على أهل البيت عليهم السلام وإبعاد الموالي للحق الذي أكده رسول الله ﷺ في المتواترات من سنته واتهموهم بمختلف التهم كالرافضة والزنادقة زيادة في تنفير المسلمين عنهم بل وظلمهم والسكوت عن كل المجازر التي تحصل لهم.

بينما في المقابل يقبل حديث المذبذبين (...) أمثال طلحة[2]،

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ـ ابن تيمية ـ ص ٩١.

(٢) أبو محمد طلحة بن عبيد الله القرشي التميمي، كان من أشد المؤلبين على عثمان، فلما قتل عثمان سبق إلى بيعة علي بن أبي طالب، ثم خرج إلى البصرة مطالباً بدم عثمان؟! من علي بن أبي طالب، ورآه مروان يوم الجمل فرماه بسهم قتل منه سنة ٣٦. روى عنه أصحاب الصحاح ٣٨ حديثاً. انظر: جوامع السيرة ص ٢٨١، أحاديث أم المؤمنين عائشة ١/١٠٩.

وعبد الله بن الزبير[1] اللذين حاربا علياً يوم الجمل. ومعاوية (...) وعمرو بن العاص[2] الذين حارباه في صفين.

وروايتهم أيضاً عن أمثال ذي الخويصرة[3]. وعبد الله بن وهب[4]. الذين حاربا علياً عليه السلام يوم النهروان! وكل من أعداء الإمام علي. ويروي البخاري بالإضافة إلى ما مرّ سابقاً هو وأبو داود، والنسائي في صحاحهم، عن عمران بن حطان الخارجي[5] الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل علياً عليه السلام؟!! ويروي النسائي مثلاً في صحيحه عن عمر بن سعد[6]، قاتل الحسين عليه السلام مع جيش يزيد(...)!

وهكذا تعرف منشأ الخلاف الفكري بين من عرف الحق من خلال متواتر

---

(١) أبو حبيب عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي، وكان يبغض آل البيت، وكان للإمام علي يقول: ما زال الزبير من أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله، وكان من المحرضين لها في حرب الجمل. واستقل بمكة، وقتله الحجاج ـ اجتهاداً ـ سنة ثلاث وسبعين، روى عنه أصحاب الصحاح ٣٣ حديثاً، راجع ترجمته في أسد الغابة، وجوامع السيرة ص ٢٨١.

(٢) أبو عبد الله عمرو بن العاص القرشي السهمي، وأمه النابغة كانت من شهيرات البغايا في الجاهلية، أسلم عام خيبر، عزله عثمان عن ولاية مصر فأصبح من أشد المؤلبين عليه. وبعد قتله اشترط على معاوية أن يعطيه مصر ليشاركه في حرب صفين ضد علي عليه السلام وهو الذي أشار على معاوية برفع المصاحف ـ القرآن عندهم للفتنة والمصلحة ـ وغدر بأبي موسى الأشعري في التحكيم ـ على طريقة اليهود في نقض العهود ـ ثم ذهب إلى مصر وقتل محمد بن أبي بكر! توفي بعد سنة أربعين، وروى عنه أصحاب الصحاح ٣٩ حديثاً، راجع: جوامع السيرة ص ٢٨٠.

(٣) ذو الخويصرة التميمي: اسمه الحرقوص، كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم يقسم فقال: يا رسول الله إعدل فقال صلى الله عليه وآله، ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟! فأخبر صلى الله عليه وآله عن خروجه وقتله، فقتل بالنهروان مع الخوارج وطلبه علي عليه السلام فوجده كما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله. ترجمته بأسد الغابة.

(٤) عبد الله بن وهب الراسبي السبائي، بايعه الخوارج على أنه خليفتهم؟! سنة ٣٧هـ فقتل في النهروان. انظر: عبد الله بن سبأ ـ للعسكري ـ ٢/ ٢٣٥.

(٥) عمران بن حطان البكري، ثم الشباني السدوسي، من شعراء الثراة، ترجمة الأغاني ١٦/ ١٤٧.

(٦) أبو حفص عمر بن سعد القرشي الزهري، قاتل الحسين عليه السلام وسبى نساء أهل البيت وعلى رأسهم زينب بنت علي عليها السلام، قتله المختار سنة ٦٥ أو ٦٦ أو ٦٧. ترجمته، بتقريب التهذيب ٧/ ٤٥١.

السنة الصحيحة عن النبي ﷺ والتمسك بها، فعرف بذلك أهل الحق وأهل السنة الحقة. وبين من عرف الحق ـ كما يظن ـ بهكذا رجال؟!! رضوان الله عليهم أجمعين!

أولاً: معاوية وشيعته وتزوير التاريخ والحديث:

روى الطبري أن معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، وأمرة عليها دعاه وقال له: لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والعيب لأصحاب علي والاقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان[1]؟!

روى المدائني في كتاب الأحداث وقال، كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن رمى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته؟!

وكان أشد البلاء حينئذٍ أهل الكوفة[2].

لكي يعرف من يدعي أنه أهل السنة والجماعة، أنه متبع سراب هؤلاء المنحرفين عن السنة بل المعادين للسنة الحقة وأهلها؟!

ثانياً: اختلاط سنتهم بديانة اليهود والنصاري:

فبعد أن أغلقت على المسلمين باب التحديث عن رسول الله ﷺ،

---

(١) الطبري في تاريخه ٢/ ١١٢ ـ ١١٣ و ٢/ ٣٨، وابن الأثير / ١٠٢.
والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم عام الخندق، وكان سبب إسلامه ما ذكر الواقدي في مغازيه ٢/ ٥٩٥ قال: كان قد خرج مع أربعة عشر إلى المقوقس فآثرهم عليه. فلما رجعوا وكانوا بين خيبر والمدينة، شربوا خمراً فكف المغيرة عن نصف الشراب نكر ثلاثة عشر منهم، فوثب عليهم وقتلهم عن آخرهم وهرب الرابع عشر، فأخذ أمتعتهم وأموالهم، ولحق بالنبي ﷺ وأظهر إسلامه!
فقال النبي ﷺ لا أخمسه هذا غدر... شهدوا عليه بالزنا، وأثر الخليفة عمر على أحدهم فحرف شهادته فدرأ عنه الحد، كما جاء في فصل زناء المغيرة، عبد الله بن سبأ ج١. روى عنه أصحاب الصحاح ١٣٦ حديثاً.
ترجمته بأسر الغابة، وجوامع السيرة ص ٢٧٨.
(٢) برواية ابن أبي الحديد المتعزلي، في شرح النهج ٣/ ٢٦٥ وعام الجماعة.

وقيام معاوية ومرتزقته بتحريف وتزوير الحقائق عن أهل الحق. جاء العامل الثالث وهو الأخذ عن أهل الكتاب وكانت الخاتمة القاصمة للمسلمين؟!

وذلك عندما أخذوا من أمثال تميم الداري الراهب النصراني[1]، وكعب أحبار[2] اليهود وكانا قد أظهرا الإسلام بعد انتشاره، وتقربا إلى الخلفاء بعد الرسول ﷺ وقد خصص الخليفة عمر بن الخطاب للأول ساعة يتحدث كل أسبوع قبل صلاة الجمعة بمسجد الرسول ﷺ وجعلها عثمان على عهده ساعتين في يومين. أما كعب، فكان الخلفاء عمر وعثمان ومعاوية يسألونه عن مبدأ الخلق وقضايا المعاد، وتفسير القرآن، إلى غير ذلك[3]!

وروى عنهما صحابة ـ وهم ما يسلم الأخذ منهم بدون توقف وتفسيرهم حجة ـ أمثال أنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير ومعاوية ونظرائهم من الصحابة والتابعين.

---

(١) أبو رقية تميم بن أوس الداري، كان نصرانياً من علماء أهل الكتاب قدم المدينة بعد غزوة تبوك، وأظهر الإسلام بعد سرقة ثبتت عليه ليدفع بإسلامه ما أدين به، بعد رفع الأمر إلى النبي ﷺ على أثرها أعترف بالخيانة فقال له النبي ﷺ: «ويحك يا تميم أسلم يتجاوز الله عنك» فأسلم. وعاش في عصر عمر ثم توفي في كنف معاوية ستة أربعين للهجرة ـ أنقل: كتاب من تاريخ الحديث.

(٢) أبو اسحاق كعب بن مانع، من أحبار اليهود باليمن، أظهر الإسلام على عهد عمر، وعاش في كنف معاوية مرعي الجانب، ومات بحمص سنة ٣٤هـ بعد أن بلغ أربعاً ومائة سنة، انظر: من تاريخ الحديث.

إن كعب أحبار اليهود هو الذي أثر على الفكر الإسلامي، وليس عبد الله بن سبأ المختلق؟! انظر: عبد الله بن سبأ ـ للعسكري.

وقد شغل وحده نصف التراث السلفي، بدليل أنه لا يزال حاضراً على كل التراث وشفة ولسان، بحيث إذا أردنا التخلي عن موضوعاته نتخلى عن كثير من التبجيلات والخوارق التي نسبها لشخصياته بارزة قد تفترض جلّ بناء أهل السنة والجماعة ومع دمجها مع موضوعات سيف بن عمر ـ السابق ذكره ـ لم يبق لهم شيء إلا رجوع تهمهم عليهم، كاتهام الآخرين بالرفض والزندقة.

ويكفي تصريح كعب بأنه وضع (مئة ألف حديث) انظر مجلة المنهاج ـ فجر يوسف رسلان ـ ص ٢٨٥، عدد ١١ سنة ١٩٩٨ م.

(٣) معالم المدرستين: للعسكري، ٢/ ٥٢ من مصادرهم.

ولم يقتصر نقل الإسرائيليات على هذين فقط ـ وقد ذكرنا أنهم تبنوا الكثير منهم وعدلوهم ـ وتلاميذهما فحسب، بل قام به قلة معهما، ومن بعدهما كذلك، وامتد حتى عهد الخلافة العباسية، ما عدا حكم الإمام علي عليه السلام سواء من ناحية كونه باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله ومرجع الصحابة واستفادات ابن عباس وغيره بل الجواب على أشكال أسئلة أهل الكتاب أو لأن علياً قد طردهم من مساجد المسلمين، لأنهم أخذوا من أولئك اليهود والنصارى برواية قصصهم.

وقد أثروا على التراث الإسلامي عموماً، حيث انتشرت مسألة الاعتقاد بأن الله جسم، وأن الأنبياء تصدر منهم المعاصي، والنظرة أن المبدأ والمعاد وأن غيرها من الأفكار الإسرائيلية، وقد عظم نفوذ هؤلاء على العهد الأموي وخاصته في سلطان معاوية (. . .) حيث اتخذ بطانة من النصارى أمثال كاتبه سرجون[1]، وطبيبه ابن أثال[2]، وشاعره الأخطل[3] من نصارى عصره!

إن أمثال هؤلاء هم الذين شكلوا شورى القرار في بلاط أمير المؤمنين

---

(١) في ذكر أخبار معاوية من تاريخ الطبري ٢/ ٢٥٠، وابن الأثير ٤/ ٧، وكان يزيد ينادم على شرب الخمر سرجون النصراني، وهو الذي أشار على يزيد أن يولي على الكوفة ابن زياد السفاح، وكتب ابنه لعبد الملك التنبيه والإشراق للمسعودي ص ٢٦١، كما الخطط للمقريزي ١/ ١٥٩.

(٢) لما أراد معاوية أن يبايع لابنه يزيد، بولاية العهد من بعده، رأى ميل أهل الشام إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فأمر طبيبه هذا ابن آثال أن يسمّه، ففعل؟! ولكن قتله خالد بن عبد الرحمن أو ابن أخيه المهاجر.
الأغاني ١١/ ١٢، تاريخ الطبري ٢/ ١١٢، ابن الأثير ٣/ ٣٧٨. وقال اليعقوبي في تاريخه ٢/ ٤٣: استعمل معاوية ابن آثال النصراني على خراج حمص ـ بعد سمّ عبد الرحمن وفاة بوعده ـ ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله؟!

(٣) ذكر الجاحظ في سبب تقربه للأمويين، أن معاوية أراد أن يهجو الأنصار ـ ويتهموننا بأننا نسبّ الصحابة ـ وعلياً لأن أكثرهم كانوا أصحاب علي، ولا يرون رأي معاوية في الخلافة، فطلب ابنه يزيد، من كعب بن جعيل أن يهجوهم فأبى وقال ولكني أدلكم على غلام نصراني فدله على الأخطل؛ انظر: البيان والتبيين ١/ ٨٦، والأغاني ١٣/ ١٤٢ فقال الأخطل:
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

والجماعة حسب ما إدعاه معاوية نفسه، ليعتبر أن علياً وأتباعه والخوارج خارجون عن جماعة الإسلام بل وأشد أن أعتبرهم روافض وزنادقة؟!

هذا كان قبل تلقفهم للصفة البراقة الثانية وهي أهل السنة، وبعدها السلف الصالح!!

بل كان معاوية يذل الصحابة والتابعين من الذين لم يقضي عليهم أو يقتلهم بالسمّ، بأن يتوسطوا من بطانته هذه! ومما لا شك فيه ـ أنه حتى على فرض إسلام بعضهم ـ فإنهم لم يتركوا أفكارهم وممارساتهم النصرانية وأعرافهم خلفهم، وخاصة وجود أجواء مساعدة ومشجعة لمنادمة يزيد لهم، حتى أن أحد الكتاب اعتبر ذلك من حسن معاملة المسلمين لغير المسلمين؟!

أضف إلى هذا أن عاصمة معاوية الشام كانت قريبة العهد بنصارى الروم البيزنطينيين وعاصمتهم، هذا أمر وأجواء محيط معاوية وبلاطه؟!

أما معاوية نفسه، فكان قد نشأ في وسط أغلظ الجاهليات القبلية التي حاربت الإسلام وقيمه حتى آخر أيام فتح مكة، وسموا بالطلقاء، ومن المعلوم أنه لم يسلم ببيعة ولكن ضمن العفو العام وعليه يشك حتى في إسلامه!!

أما ما يقال بشأن الفتوحات؟ نجيب: لقد رفع الإسلام المغول والعثمانيين كقادة للأمم فهل هو غير قادر على رفع أعرابي مثل معاوية؟! نعم هكذا انتقل معاوية على كبر سنه وهو محمّل بأوزار الجاهلية ورواسبها إلى المدينة الأمر الذي جعله يحقد على كبار الصحابة وعلى رأسهم علي عليه السلام فظهر عليه ذلك نقصاً وغيره حاول سدها بالتسلق على مقام السلطة بمختلف الأساليب لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة! وبذلك تمكن من تسليط الأضواء على شخصه القبلي أكثر مما هو الإسلامي، سواء استخدام الملوكية كسنة لتبرير انتهاكاته باسم السلطان الغالب وبمؤازة بطانته الذين ألبسوه ثوب الاجتهاد، أو الاستعانة بالأساليب الرخيصة في حروبه وتقوية سلطانه باسم الدفاع عن الصحابة؟£

ملاحظة: إن الذين برروا خروقات معاوية وخروجه عن الإسلام قبل

الحكم وبعده وسموه بالاجتهاد والعصبة، إنما هو كلمة حق يراد بها باطل؟! وكأن معناه أن كل الصحابة متخلفون جهلة لا يعرفون كيف يجتهدون؟! أو أنهم قليلو الفطنة والسياسة؟! فلم يوجد إلا معاوية الذي لا زال يطبل له شيعته وقصار النظر أو المتعصبين له جهلاً ولكل سلطان غالب؟!

الجواب ليس الأمر كذلك: فإن جلّ الصحابة ـ والكل يعترف لهم بذلك ـ سبقوا معاوية إلى الإسلام ومعناه أنهم حفظوا الإسلام نظاماً وأخلاقاً وسياسة، فبفضل وعظمة الإسلام فإن جلّهم قادرون بل الأهل والأولى من مجيء أمثال معاوية الذي مارس الجاهلية حتى آخر حياته وما فهم إلا النزر القليل من الإسلام والذي كان مع والده أبي سفيان يحارب النبي ﷺ في كل الحروب؟! ولكن ما منع الصحابة هو أمور منها: الزهد وعدم التنافس على حطام الدنيا وقرارهم من تحمل حتى منصب القضاء أحياناً. . وكذلك الإيثار والتقوى والورع. . مما أغرى أمثال معاوية إلى استغلال شعاراته وفتنه للوصول بأي وسيلة للحكم وهذا هو شأنه؟! وإلا فاستمع إلى قول علي عليه السلام: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر. . . ولكن كل غدره فجرة وكل فجرة كفرة»[1] وأمثالها كثير «ودونها حاجز من تقوى الله»!

كما حدثنا التاريخ في رفعه قميص عثمان الذي أصبح مضرب للأمثال للنيل من الصحابة الذين طالما حقد عليهم وقطف الثمار له، وتمرده ثم شحن الناس على مركز الخلافة الرابعة، ورفع المصاحف، وقتل أكثر من (٣٦٠) صحابياً وسمّ الآخرين، وتزويره للحقائق والتاريخ ، وسبه لإمام الصحابة علي بن أبي طالب، وليصل به الأمر أن يكون بلاطه مصدر تشويه وتزوير للإسلام والتاريخ؟!

ولكن من المؤسف له حقاً إننا ابتلينا بمن يبرر لمعاوية كل تلك الممارسات الجاهلية والقبلية المنحرفة عن الإسلام تعصباً وبلا موضوعية

---

(١) نهج البلاغة خطبة (٢٠٠ ـ ١) ١/ ٧٥.

وتقوى... عندما رفضها جلّ الصحابة الذين يطالبون بسنة وسيرة الرسول ﷺ والخلفاء.. لا بسنة بدع الملوكية والوراثية والعصبة والاجتهاد في الأموال والدماء والأعراض وتحريف وتبديل معالم الدين.. الأمر الذي جعله سنّة لمن بعده من عباسيين ومماليك وأتراك حتى وصل الأمر إلى الاستعمار الذي أخذ يصوغ لنا ولاة الأمور وفق تلك السنة البدعة، فعلمن كمال آتاتورك مسلمي بلده، وحذا حذوه الحبيب بورقيبه في تونس، وملوكية بعض الملوك لبلاد الله تعالى... الخ.

أما آن لنا أن نتدارك ديننا بالرجوع إلى التفسير غير المتعصب، والسنة الصحيحة الحقة؟!!

مبحث: طريقتهم في التفسير بالمأثور:

الأثر هو ما ورد نقلاً في معنى الآيَة أو النص.

فيكون معناه، التفسير بالمنقول والنقل، مما لا دخل للاستنباط العقلي فيه أو الاجتهاد.

مناقشة: مشكلة العامة كأشاعرة، وشيعة الحاكم الغالب وسنته وقوعهم في الخلط والتناقض، وذلك عندما أعطوا لمأثورهم صفة الصحاح.. وفي مقابل مشكلة الأحكام العقلية؟!

فرجالهم من الأشاعرة قرروا: عدم الاعتماد على العقل في إدراكاته لحكم الشارع إلاّ بالشكل الملتوي الغامض المضطرب «البلكفة»؟!

وعليه تجد الأشاعرة وشيعتهم يتهمون ـ كعادتهم ـ المعتزلة ويطعنون بهم باستقلال العقل بالحكم دون الشرع، وعند التحقيق كما مرّ تبين زيف تلك الاتهامات، وأن المعتزلة قد تقدموا عليهم درجة في مجال العقل!

والأشد من ذلك هجومهم الصاخب على من سمّوهم الرافضة وأهل البدع، ويقصدون أتباع أهل البيت عليهم السلام ممن أخذوا جانب التوازن بين

تفريطهم، وإفراط المعتزلة، عندما اعتبرنا العقل طريقاً موصلاً إلى العلم القطعي، فلذلك لا يصح عندنا أن يكون شاملاً للظنون[1].

خلط بين النقل والعقل::

ـ وبناءً على ذلك يحتاج العامة إلى إعمال العقل خصوصاً في موروثهم الحديثي حتى لا يقعوا في الخلط والتناقض، للأسباب التالية:

أ ـ إنهم جمدوا وتعصبوا بل وغالوا برجالهم كالأشعري وأتباعه، فلا هم قادرون على التحرر من عقائده، والاعتراف باشتباهاته، بل قاموا بتجميل الآيات وتفسيرها على الاشتباه الأشعري، وعلى ضوءه من ناحية أخرى اعتبروها هي السنة والدين الحق، بما حملهم لشن الهجمات الباطلة على أهل العقل والحق، واتهامهم بالانحراف والزندقة، ظانين بحسب مزاعمهم أن ما عندهم الحق والسنة فقط وغيرهم الباطل؟!

ب ـ كيف غاب عنهم أن القرآن الكريم نفسه يدعو إلى إعمال العقل، مع أنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في مناسبات كثيرة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ و﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ و﴿قُلْ سِيرُوا﴾.. الخ.

ت ـ وقوعهم في تخبطات التناقض فلا هم يستطيعون من تجاوز المقدس والسنة التي يصرحون ويحتجون بها على خصومهم المتمثلة في رأي الأشعري الجامد الجزافي، ولا هم قادرون على تخطي وتخطأة رجال مأثورهم.

ث ـ بالنتيجة يجمد العقل ولا دور له عندهم، إذ كله يصبح نقلاً فعقائد الأشعري نقل ومأثورهم بما هو كما هو نقل.

تناقض وخلط جديد: في المفاهيم والمنهج:

وذلك أنهم لا يميّزون ما هو المأثور؟ أي أنهم لم يدركوا أو يفهموا

---

(١) أصول الفقه للمظفر ٣/ ١٢٥.

دلالة معنى المأثور! يكشف عن ذلك أنهم في دراستهم تحت عنوان التفسير بالمأثور، يحصل عندهم الخلط في المفاهيم والمناهج؟! فقد ذكروا أن البحث في المأثور يشمل:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن؟!

والثاني: تفسير القرآن بالسنة ـ وهذا هو المقصود ـ ولكنهم وقعوا في الخلط!

والثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة. **والرابع**: تفسير القرآن بمأثور التابعي.

وكأن الأولى أن يسمّوا هذه التقسيمات التفسير بالموروث لا بالمأثور.

وإلا فإن تفسير القرآن بالقرآن له منهجه الخاص به، وهو خارج تخصصاً عن حكم المأثور. أما بالنسبة إلى أقوال الصحابة، فقد جاء مشوشاً مضطرباً بحيث اختلفوا هم فيه إلى مذاهب، هل أن أقوالهم سنة كسنة النبي ﷺ فيما لا مجال له للرأي؟! أو أنه موقوف أما أن ينظر في سنده أو باللغة ـ هذا الخلط ليس في مجال التفسير بالمأثور ـ فقد اختلفوا بين قائل بالعدم لأنه حينئذٍ مجتهد كبقية المجتهدين ـ خلط ثاني الاجتهاد بالرأي ـ والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين! هذا إذا علمنا أن جلهم ينظر إلى النبي ﷺ كمجتهد من سائر المجتهدين؟!!

وذهب آخرون أنه يجب الأخذ به، لأن الصحابي أدرى الناس بالكتاب، وببركة الصحبة، ولما شاهدوه من القرآئن والأحوال التي اختصوا بها[1]؟!

وهذا بالإضافة إلى أنه ليس من تفسير المأثور في شيء، ولكنه بالإضافة إلى ذلك فقد ذكرنا تفصيل ذلك في حجيته الصحابي!

وأما الرابع: وهو تفسير القرآن بمأثور التابعي[2]، فما هو مرادهم بهذا المفهوم القائم الخلطي؟! هل هو جعل قول والتابعي كالصحابي وبالتالي

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٩٥.

(٢) كيف نفهم القرآن ص ١٩٥.

كقول النبي ﷺ؟! أم رجوعه إلى اللغة؟! أم اجتهاده؟! ولذلك اختلفوا أيضاً في قبوله وعدمه؟! قال الروافض منهم: إن التابعي لم يسمع عن الرسول ﷺ وأيضاً فإن الصحابي لا يبحث عن عدالته؟! والتابعي يبحث عن عدالته؟! وقد نقل عن أبي حنيفة أنه قال: «ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيّرنا ـ بين الاختلافات الكثيرة ـ وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال»[1].

وعن الإمام أحمد روايتان: رواية بالقبول وأخرى بعدمه؟! وهذا أمثاله كثيرة، يقول الشيخ أبو زهرة: (افتح أي كتاب من كتب الحنابلة، وأي باب من أبوابه تجده لا يخلو من عدة مسائل اختلفت فيها الرواية بين لا ونعم؟!!»[2].

وابن عقيل: اختار عدم القبول، حكاه عن شعبة[3].

ونحن وإن قدمنا أننا لسنا مع هكذا خلط وتضارب في المفاهيم والمنهج، إلا إننا نكون مضطرين للسير معهم لمعرفة المزيد عن انحراف مذاهبهم عن السنة والجماعة الحقة، وإنها مجرد، دعاوى بلا دليل ونقل صحيح وعقل صريح، وواقع وشواهد تاريخ؟!!

وعلى ضوء ذلك فقد وجدنا أنهم يجهدون ويجتهدون ليواروا سوأة إدعاءاتهم، ويحاولن ترقيع وتبرير مغالاتهم برجالهم وإدعاء أن ما جاؤا به هو الصحيح والصحاح، وعدالة وحجية أقوال الصحابة مطلقاً، واجتهاداتهم كاجتهاد النبي ﷺ في الجملة، ومأثورية قول التابعي واجتهاده أيضاً؟!!

---

(١) هنا أن أبا حنيفة قد نقض بنائهم في سنة الصحابي، وكشف عن تضارب أقوالهم، وأيضاً هدم قدسية رجالهم الذين كانوا ولا يزالون يغالون بهم، إلا إذا اعتبرنا أن أبا حنيفة يحق له كما للشافعي نحن رجال فقط دون غيرهم. وهذا ما عليه إجماع واتفاق علماء السلف وأهل السنة والجماعة وإلاّ فإن قالها غيرهم اتهموه بالتشيّع والرفض والزندقة وسبّ الصحابة؟!

(٢) أحمد بن حنبل ـ لأبي زهرة ص ١٦٨.

(٣) التفسير والمفسرون ١/ ١٢٨.

وفي النتيجة والمحصلة يفتضح زيف كل ذلك الإدعاء والغلو برجالهم وبالتالي فساد مذاهبهم..؟!

وذلك بكثير من الأدلة، الأمر الذي يدعوهم إلى:

أ ـ أما الدفاع بردات الفعل الانفعالية، واستخدام اليد واللسان في ذلك!

ب ـ محاولات ستر تلك العورات بالتعديل والتلطيف تارة أو بحذف ما يجدوه غير مناسب ويتخذ هذا اتجاهين:

الأول: حذف ما يروه معيباً ومشيناً بل ومقوضاً لإدعاءاتهم باعتبارهم أهل السنة والجماعة. كما في حذف أحاديث ونقلت من كتاب البخاري مثلاً في الطبعات المتأخرة.

الثاني: العجز عن إخفاء متواترات وفضائل الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام من عهد معاوية إلى يومنا هذا، كما في سيرة ابن هشام فإن الطبعات القديمة تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله قد آخى بينه وبين علي...! ولكنها حذفت في الطبعات المتأخرة، أو إذا ذكر القديم عن النبي صلى الله عليه وآله (أن علياً أخي ووصي ووارثي وخليفتي من بعدي) بدلت في الطبعات المتأخرة بأنه صلى الله عليه وآله قال: «كذا وكذا...الخ»؟!!

نرجع إلى أصل الموضوع فبالرغم من إطرائهم وغلوهم بصحة ما جاء به رجالهم، والذي بني عليه بناء مذاهبهم، تجد التناقضات والخلط والمغالطات والتضارب، وأن الإسرائيليات قد سودت صفحات مأثورهم بل وموروثهم وبالتالي تفاسيرهم...

وهم بذلك وكأنهم لا يزالون يدافعون بردات فعلهم الانفعالية، أن في كل مناسبة يطلقون إدعاءاتهم عن أهل السنة والجماعة.. نحن نملك الصحاح.. تفاسيرنا أصح التفاسير...الخ.

وأن الآخرين فرق باطنية رافضية لا يملكون من الصحيح شيئاً...الخ.

وكأن هاجس الحقائق يقضّ مضاجعهم، فلا يخفضون من انفعالاتهم وغلوائهم ذاك القديم الجديد؟!

وبذلك ينقضون كل مقومات الموضوعية، والاستدلالات بالأمانات التقوائية والعلمية؟!

وقد تعرض ابن يتمية ـ على طريقته الارتجالية ـ لتقييم[1] التفسير بالمأثور، وعلق على هذا التقييم محمد رشيد رضا في تفسيره (المنار)[2].

حيث قال ما نصه: «وأما الروايات المأثورة عن النبي ﷺ وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو مروي أيضاً لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء ـ أو الكلام أين الصحيح في المسند النادر فكيف بالمرفوع؟! ـ ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم ـ لا مجال لذلك بعد كثرة الاختلافات ـ ثم يطلق الشيخ محمد رشيد: قول مبهم كثيراً ما يستعملوه مما يوقع في حيرة معرفة الحق؟! بقوله: والصحيح من هذا وذاك قليل؟! ثم قال: قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«والاختلاف في التفسير على نوعين، منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك ـ وقد قلنا أن هذا ليس من المأثور بشيء ـ والمنقول إما عن المعصوم ـ معصوم بجزء أو لا وجود له لأنهم خطأوا النبي ﷺ في موارد مختلفة ـ أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه ـ برجالهم ـ من غيره،

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير ـ ابن تيمية ص ٥٥، والاتقان ٢/ ٣٧٩، وفواتح الرحموت ٢/ ١٨٨.

(٢) علماً أنهما يعتبران من متأخري المتأخرين، وبعد أن سوّدت موروثاتهم بالموضوعات والإسرائيليات والتي لا زالت المرجع المعتمد للباحثين وطلاب العلوم هذا فضلاً عن عواطف أتباع السلف برجالهم وتعصّبهم المغالي بهم الذي يصل حتى القتل دونهم، بالإضافة إلى إطلاق الاجتهادات وبكل بساطة ذكر أحد الأساتذة محاضرة ذكر فيها حركة الكواكب والأرض، فقام أحد طلبة العلم وكفره، لأنها مخالفة لقول السلف؟! المتفيهقون ـ د. محمد حسن هيتو ـ ص ٤٨.

ومنه ما لا يمكن ذلك، وهذا القسم ـ الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه ـ عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة لنا إلى معرفته، وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف وإسمه، وفي البعض الذي ضرب القتيل من البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي إسم الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام ونحو ذلك؟!».

ويمكن مناقشة هذا المقطع بما يلي:

أ ـ كما أسلفنا أن العامة تنطلق من الوقائع الخارجية ومن ثم تقوم بتأويل ذلك بتحميل الآيات القرآنية والسنة فوق ما تتحمل التبرير ذلك الواقع، كما قدمنا سابقاً في قضية الحاكم الغالب. وهنا نحن أمام أمر واقع وهو امتلاء صحائف السلف بالإسرائيليات بعد تعديل أقطابها وتبنيهم واضطرارهم للتفسير بها.

ب ـ وكعادتهم بتصحيح أفعال وأقوال سلفهم عندما خففوا عنهم الخطب، بأنهم وأن خففوا من ضرر الإسرائيليات فهي لا تضر لأنها عبارة عن لون كلب، وأخشاب سفينة نوح.. لكنهم غفلوا بل وغشوا الأمة لأن معناه أن لا تخشوا من الإسرائيليات فهي لا قيمة و أثر لها؟! إن أمثال هؤلاء أصحاب مخططات يهودية جاؤوا لضرب الإسلام وتشويه الرسالة وتوهين شخص النبي صلى الله عليه وسلم؟! فهلا ذكرتم ما صنعوا بكم عندما نقلتم عنهم الجسيمة والتشبيه ورؤية الله تعالى، والدنيا على ظهر حوت أو قرن ثور... أو نسبة المعاصي الكبيرة للأنبياء عليهم السلام، وقصة الغرانيق، وكل معتقدات اليهود حول الملائكة والرسل عليهم السلام وغيرها!! ثم يتابع صاحب المنار نقل كلام ابن تيمية بقوله: فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منها منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قُبل ـ أين هي بعد المنع والحرف والتزوير الوضع ـ وما لا ـ بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب ـ وقف عن تصديق وتكذيبه ـ أين الوقف وقد سودت الصحاح والتفاسير ـ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم؟!»!

ويلاحظ على هذا أيضاً:

أ ـ أنهم يتكلمون رجماً بالغيب، كما في تصحيح صحاحهم، وتزكية رجالهم، وصلاح منهجهم؟! أي كأن طريقة الأخذ بالأحاديث مهيئة لهم بكل وضوح، هذا صحيح وهذا ضعيف. . .الخ.

فخذ ما شئت، وكيفما شئت، ومن أينما شئت فكله صحيح من سنة السلف وأهل السنة؟!

ب ـ أنهم يزكون الإسرائيليات بالإسرائيليات. سؤال لماذا تكررون هذا الحديث فقط، مع العلم أن هناك أحاديث أخرى تنسجم مع الكتاب والسنة الصحيحة وهذا مستفيض وذاك خبر آحاد وهذه هي المنهجية التي ندعو لها العامة لمعرفة الحق ومن ثم أهله، وأخراجهم من ضلال التعصب والغلو خلف رجالهم! علماً أنه خبر آحاد، عن أحمد وأبي داود، بينما استمع إلى الحديث الذي كان يجب أن يأخذوه ويعتمدون، عن عبد الله بن مسعود: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؟! فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم؟! أما أن يحدثوكم بصدق فتكذبونهم، أو بباطل فتصدقونهم؟!»[1].

أليس الأخذ بهذا الحديث المسند المتناسب مع الكتاب والسنة يشكل ابتعاد عن ضلال اليهود وفي تطبيق والتمسك تعصباً بالحديث الأول وهو خبر آحاد الذي قادكم إلى الضلال، وتجسيم الخالق وتشبيهه وجواز رؤيته تعالى، وجلوسه على العرش ونزوله إلى السماء الأولى، وعلى نسق ما هو موجود في التوراة المحرفة. . . وارتكاب الأنبياء للمعاصي الجسام وتوهين مقامهم[2]. . . كما ذكر في قصة الغرانيق، وتفسير سورة الضحى، وغيرها؟!

---

(١) أخرجه الحافظ الهيثمي، ورواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثوقون، انظر المسند لابن حنبل ٤/ ١٣٦ والسنن ٣/ ٤٣٣ وفتح الباري ٥/ ٣٢ و ٨/ ١٣٨ و ١٣/ ٤٤٢، وانظر إشارة ابن حجر لرؤية الإمام أحمد: الفتح ٦/ ٣٨٨ وانظر مجمع ١/ ١٩٢.

(٢) منها قصة يوسف عليه السلام عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] نقل الطبري في تفسيره ـ علماً أنهم يشيدون به ومنهم ابن تيمية ـ كثيراً من الروايات حول قصة (الهمّ) الذي كان منع امرأة العزيز، ومما نقله قوله: حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا: حدثنا ابن إدريس، قال سمعت الأعمش، عن مجاهد؟! قال: «حلّ السراويل حتى =

وقد أدّى ذلك إلى فتن وتفريق المسلمين باتهامهم بأفظع الطعون، وإباحة دمائهم و. . . الخ.

رغم أنهم اتبعوا وتمسكوا بسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، والمودة لأهل بيته، أعدال الكتاب وباب حطة وسفينة النجاة، وأمان أهل الأرض. . ولو أمركم النبي ﷺ على عكس ذلك ما زدتم على ما صنعتوه بحقهم شيئاً قليلاً، سمُ الحسن بن علي عليه السلام، وشهيد كربلاء الحسين عليه السلام وسبي زينب وأسر زين العابدين. . . الخ.

فكأن إسرائيليات اليهود حولتهم جنوداً عندها يُحاربون المسلمين من أهل التنزيه، حتى يؤمنوا بما صاروا إليه من تجسيم وتشبيه ومكانية الخالق تعالى، وإلا فإنهم زنادقة روافض. . . الخ.

ويستمر صاحب المنار في سر نقد ابن تيمية: وكنا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب زيادة في التعمية والإخلال ـ فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض[1]؟!

لأن احتمال أن يكون سمعه عن النبي ﷺ أو من بعض من سمعه من أقوى ـ على أساس؟ ـ ولأن نقل الصحابة من أهل الكتاب أوّل من نقل التابعين ـ السلف أغرى الخلف وهؤلاء أغروا الأمة ـ ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال: إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم[2]؟!

= آليته واستلقت له» وأخرى «جلس مجلس الخائن» الطبري ـ جامع البيان ـ ١٦/ ٣٠ ـ ٣٩. ويستغرب المتأخرون كيف مرت على الإمام الطبري ولم يعلق عليها بشيء أو يتعقبها بشيء؟!

(١) ليقعوا في فوضى التخمين والاجتهادات بالرأي التي تخلط الأمور على المتأخرين وتجعلهم في فوضى، وقد ورد عن النبي ﷺ: «. . . فَربَّ حامل فقه ليس بفقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» جامع بيان العلم ١٦/ ٧٥.

(٢) رجم بالغيب وترجيحات بلا مرجمات، وفوضى تخبطات وظنون تزيد في كثرة الاختلافات. . . الخ وقد قدمنا لهم أنهم لم يهتدوا إلا بعد تواضعهم عن غرورهم الأجوف، وتقليل إدعاءاتهم العريضة ويكون ذلك بالاعتماد على الأحاديث التي تنسجم مع القرآن، أو السنة =

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح فهذا موجود بكثير ـ والحمد لله ـ؟!!

يلاحظ على هذا المقطع الأخير: أنه دعوى عريضة بلا دليل لا من نقل ولا من عقل ولا من شواهد واقع وتاريخ؟! أين هذا الصحيح؟! وسط الاتهامات والضجيج؟!

ما هي إلا مجرد مسكنات تغر، وتضر وتثمر.. هل أن عصر الصحابة يتهم بالمحدودية والجمود، حتى جاء التابعون ووسعوا الدائرة بالحشو الحديثي، والانفتاح الكبير على الإسرائيليات؟!

وكيف لا وهم رجال والتابعون ومن جاء بعدهم رجال، وكم ترك الأول للآخر.. وما صح عن ابن عباس من بعض الأحاديث، وما اضطر إليه أبو حنيفة من قياس ورأي، وابن حنبل بالحشو... وقد كثرت نقود ومؤآخذات وطعون بعضهم على بعض.. وهل يمكن الحكم على التابعي بأنه خان الأمانة بقبوله الكم الهائل من الإسرائيليات والموضوعات والتزويرات؟

مثال على ذلك: قيل لأبي عصمة من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سورة القرآن، سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا في فقه أبي حنيفة والمغازي لمحمد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة، وقال ميسرة بن عبد ربه لما قيل له من أين جئت بهذه الأحاديث، قال وضعتها أرغب الناس بها[1]!

هل صح الصحيحان؟!

ومن جملة إدعاء من تسمّوا بأهل السنة والجماعة، إدعائهم العريض الجزافي بصحة الصحيحين فماذا هناك؟!

= الصحيحة لا المدعاة التي هي بمثابة المحكم لتمييز الحق والباطل بها وإلا كنتم ولا تزالون في الفوضى تحققون؟!!

(١) سنة أهل البيت ـ محمد تقي الحكيم ـ ص ٨٩.

أولاً: قال محمد بن يحيى الذهلي، الذي روى عنه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجة، وقال عنه ابن خلكان، وكان ثقة مأموناً، وكان ابن حنبل يأمر أولاده وتلامذته بأخذ الحديث والعلم عنه[1]، . . قال: «من ذهب مجلسنا هذا إلى محمد بن اسماعيل البخاري فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلى لمن كان على مذهبه»[2] أي مذهب هذا كان؟ ومن نسبه إلى السنة والجماعة؟! وهكذا أدى إلى مقاطعة الجميع له وإنزوائه عن الناس، وحقد عليه أهل نيسابور وأخرجوه منها ولم يبق معه إلا مسلم، . . وكان هذا من أسوأ المحن والمصائب على البخاري في حياته[3].

ولم يكن الذهلي يقتصر في هجومه على البخاري فحسب، بل أنه تعدى بذلك إلى (مسلم) أيضاً، وعده مبتدعاً وفاسد العقيدة؟! ولذا منعه من حضور درسه، وحرّم مجالسته[4].

ثانياً: أبو زراعة: وهو من كبار الحفاظ، قال: هؤلاء ـ البخاري ومسلم ـ أراد التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتشوّفون به، ليقيموا لأنفسهم رئاسة قبل وقتها، وكان يطعن ببعض رجاله وقال: ما أبعد هذا عن الصحيح . . وهذا أطّم من الأول. . .الخ[5].

ثالثاً: الشيخ جمال الدين الحنفي له مقالة في البخاري يقول فيها: من نظر في البخاري فقد تزندق[6]!

رابعاً: الإمام النووي له رأي كذلك[7]. وهكذا ابن حجر العسقلاني، والباقلاني، وابن همام وإمام الحرمين، والغزالي، والداودي!

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٠.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٠ و ٣٣، إرشاد الساري ١/ ٣٨ ومقدمة فتح الباري واستقصاء الإفهام ١/ ٩٧٨.

(٤) تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ـ ٢/ ٥٨٩، دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٢٩٢.

(٥) ميزان الاعتدال ـ للذهبي ـ إلا أنه قال: ما يسوّغون!

(٦) شذرات الذهب ٧/ ٤٠.

(٧) شرح صحيح البخاري ٢/ ٢٠٧، والمقدمة منها ص ١٦.

خامساً: الشيخ رشيد رضا، صاحب المنار «. . .رأيت له في أحاديث كثيرة، إشكالات في معانيها أو تعارضها مع غيرها، مع محاولة الجمع بين المختلفات، وحلّ المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعضه»[1].

سادساً: أحمد أمين: ولعل أوضح مثال في ذلك عكرمة، وقد ملأ الدنيا حديثاً وتفسيراً، فقد رماه يصفهم بالكذب، وأنه يرىٰ رأي الخوارج، وبأنه يقبل جوائز الأمراء، روى عن كذبه شيئاً كثيراً[2]!!

سابعاً: البخاري سارق لجهود الآخرين وأحاديثهم، كما عن ابن حجر، عن مسلمة، في قصة سرقة كتاب علي بن المديني، والذي على ضوءه وضع كتابه الصحيح[3]؟!

ثامناً: ومن المتأخرين د. التيجاني السماوي، التونسي، وكان أبوه يحبّذ له دراسة أحاديث البخاري، ولكنه كان كثير التساؤل عن متناقضاته واضطراباته الأمر الذي دعاه إلى العدول عنه إلى السنة الصحيحة عند أهل بيت النبوة فألف كتابه (ثم اهتديت).

وغيره كثير، وهذا وغيره مما دفع بعض المحققين وأصحاب النشر إلى ارتكاب خيانات وجنايات سببها التعصب لرجال عرفوا بهم الحق وإن كانوا ما كانوا، حيث قاموا بحذف ما يروه غير مناسب ومشين لنسبة البخاري لمذاهبهم؟!!

ولم يكن مسلم، أحسن حالاً منه وللمزيد راجع: كثير من أقوال علمائهم[4]!

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ـ محمود أبو رية ـ ص ٢٥٠.

(٢) المنار ١٠/ ٥٨٠.

(٣) تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ـ ٩/ ٥٤.

(٤) شروط الأئمة الخمسة للحازمي ص ٢١، ومختصر علوم الحديث ص ٥، فتح القدير من شرح الهداية لابن الحمام باب النوافل. والتقرير والتحبير ٣/ ٢٣.

واختلفوا فيما بينهم في بقية الصحاح، واعتبار صحيح ابن ماجة؟!

هذا فضلاً عن اعتراض الكثير عن إهمال ذكر أحمد بن حنبل ومسنده؟!

وأين ذهب الغلو بكتاب الموطأ لمالك، الذي اعتبروه أنه نسخ كل كتب السابقين وأنه... و... و... الخ.

ولا ننسى أن المهم عندهم أن المقبول من أهل السنة والجماعة، هو خلّو أو إبعاد أي حديث يذكر أهل بيت النبوة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بما ورد فيهم من المتواترات والحسان من الأحاديث دون رجالهم؟!

وهذا ما حصل بالفعل للنسائي عندما ذهب إلى الشام وطالبوه بفضيلة لمعاوية، فقال: لا أعلم له فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنه) فحملوا عليه وداسوا في حقنه وخصيته حتى قتلوه[1]؟!

وهكذا لم يسلم أحد من طعون ونقد من نصبوا أنفسهم أوصياء أو وكلاء فضولاً أو بأمر السلطان أو تسلقاً وإدعاءً؟!!

مثلاً هناك إجماع على تزكية ووثاقة الرجالي الكبير عند الكل وهو (يحيى بن معين) فلم يسلم من لسان الذهبي[2]، لا شيء إلا لأنه قال في الشافعي أنه ليس بثقة؟!

بل ومن جملة غرورهم وتزكيتهم لأنفسهم بسبب سوء ظنونهم، وخبث سريرتهم تجاه المسلمين وحتى صراعاتهم فيما بينهم، وتنسيق بعضهم بعضاً، والطعن بنوايا للآخرين، وكأن الإسلام يخلو من الصادقين والصلحاء والاتقياء.

إلا الذهبي (...) وأشباهه كابن تيمية والمزني والسبكي ومن لف لفهم؟!!

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان. ١/ ٧٧. وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٢.

(٢) معرفة الرواة للذهبي ص ٤٨.

فاستمع إلى قول الذهبي السوداوي القاتم، وكأنه كان مضطراً أن يقول تدل قرينه أبي داود في قبول الرواة من كل المسلمين: «والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث»[1].

ومن أقواله: «فما شممت للإسلام رائحة، ولا رأيت أهل الحديث»[2].

وله حملات على العلماء بل على أساتذته، وجاء تلميذه تاج الدين السبكي مغالياً فيه معتبراً أن ذلك الباب والطعن هو جرح وتعديل[3]؟! وقرينه المزني ضعف تهذيب الكمال، يتهجم على العلماء والمذاهب حتى شكا، بعض الشافعية إلى القاضي فسجنه[4]. وكتابه هذا اختصره عن الحافظ عبد الله الغني متهماً أنس ابن المصنف بأنه ليس أهلاً لاختصاره وإخراجه من دون إذنه، ولكنه لم يزد فيه سوى تراجم أخذها من كتاب (الأطراف) لابن القاسم بن عساكر[5].

ومشكلة هؤلاء الثلاثة الذهبي وابن تيمية والمزني، أنهم ينتمون إلى حشوية الحنابلة وهم ممن لا يتورعون من حشو الحديث واختصار الكتب على هوى حشويتهم، وكأنهم لا يعرفون أدنى حدود الله تعالى في الاعتداء على حقوق الآخرين ومؤلفاتهم، أو نقدهم بل هجومهم اللاذع على العلماء بسوء الخلق حيث لا يوفرون حتى أساتذتهم الذين علّموهم، ويتجاسرون على كبار الصحابة والتابعين والعلماء؟!!

ومن النماذج السيئة التي تطفلت على السنة الشريفة وتلاعبت بها

---

(١) مقدمة ميزان الذهبي.
(٢) بيان زغل العلم للذهبي ص ١٠.
(٣) مقدمة سيرة أعلام النبلاء ـ محمد بن عثمان الذهبي ص ٦٢.
(٤) البداية والنهاية ١٤/٣٧، أعيان العصر ص ١٢، والورقة ص ١٥٤.
(٥) مقدمة التهذيب للمزني.

ملغطاي مؤلف كتاب ـ أوهام الأطراف ـ فقد اعترض عليه السيوطي، وسمى مختصره (أوهام التهذيب)[1].

وهكذا استمر مسلسل تلاعب خائن الأمانة إلى التفريط بالأمانة، وسارق جهود وحقوق المدعي العدم.. فكما تدين تدان، فقد تسلط مديح جديد اسمه الحسيني على كتاب شيخه المزني، وقام بحذف كثير منه، من ليس في الكتب الأربعة؟! وأضاف إليها رجال الموطأ، والمسند لأحمد، والمسند للشافعي، ومسند أبي حنيفة للحارثي[2]؟!! ليت شعري من الغاش ومن الناصح؟! ومنها طعنهم بالجوزجاني، وابن حجر، والسيوطين، إذ يسمونهم حطاب ليل. ولكن إذا دعاهم الأمر إلى توهين مقام أهل الحق، كعلي عليه السلام وأهل بيته وأتباعهم استعانوا واستشهدوا بهم! فأي سنة وأي سلف وجماعة؟!!

ويستمر ـ محمد رشيد رضا ـ في عرضه لأقوال ابن تيمية، فبعد أن ذكر أن الصحيح موجود من كثير؟! استدرك وقال: وإن قال للإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي، وذلك لأن الغالب عليها المراسيل ـ نسي أنها ما دامت تنسب إلى أي رجل منهم انقلبت صحاحاً ـ!

وأما ما يعلم بالاستدلال بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ ـ الجمود على النقل وجهلوا كم يحتاج النقل إلى العقل ـ من جهتين حدثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان؟! ثم ذكر الجهتين:

إحداهما: حمل ألفاظ القرآن على معان اعتقدوها لتأييدها به ـ أقول والقول لرشيد رضا: كجميع، مقولة الفرق[3]، والمذاهب في الأصول

---

(١) ذيل طبقات الحفاظ: ٣٦٦.

(٢) مقدمة الكهال للمزني.

(٣) وقد مرّ عليك طعونهم واتهامهم للمعتزلة وأهل السنة والحق من أهل بيت النبوة وكلها باطلة، رمتني بدائها وانسلت!

والفروع المتعصبين لها ـ وإن بان بطلانها وضلالها ـ فإنهم قد جعلوا مذاهبهم أصولاً والقرآن فرعاً ـ كما قدمنا من جزافية الأشعري ورأي رجالهم وتناقض صحاحهم ـ مما يحمل عليها، وهكذا من أنواع البدع وتفسير القرآن بالرأي المذموم في الحديث ـ يتهمون الآخرين بالبدع وفيهم أكثر وأشد ـ؟!

وثانيهما: التغيير بمجرد دلالة اللغة العربية[1]؟! من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل، والمنزل عليه والمخاطب؟!

ويلاحظ عليه: أين هي مراعاة الله عزّ وجل الذي يخاطب العقل ويدعو إلى أعماله أمام الجمود الأشعري، وتصوير الخالق على ضوء إله التوراة بفضل تزكيتكم للإسرائيليات وأقطابها، فضلاً عن الجرأة بالرأي الاجتهادي؟! أما المنزل عليه ﷺ فجوزتم عليه الخطأ، ومجتهد كبقية المجتهدين، وصاحب الغرانيق والضحى؟!!

وهكذا فأنت ترى ـ قول رشيد رضا ـ في عرضه لقول ابن تيمية، كيف أنه جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواية الإسرائيليات، وهذا في غير ما يقوم الدليل على بطلانه، وصرح في هذا المقام بروايات كعب الأحبار، ووهب بن منبه، مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بها وعدلوهما؟!!

فلتات لسان وزلة أقلام: أما في هذا الاعتراف ما يكفي لهدم وتقويض أركان سنتهم المدعاة، وصحاحهم المجروحات؟!

حيث كانوا ولا يزالون يعرضون منهجهم بمثالية، وسلامة مذاهبهم ونسبة أنفسهم إلى السلف دون غيرهم.. صحابة لم ينقلوا إلا القليل عن أهل

---

(١) أقول: لعل هذا يخلصهم من مأزق علم كلام الأشعري الملتوي الجزافي الداعي على تجميد العقل والقول بخلق الأعمال والجبر؟! وهو بنفس الوقت الذي جسمّ وشبه على تفسير ألفاظ، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ و﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي جلس لا بكيف؟! والآخر هو التفسير بمأثوركم الذي سميتموه صحاحاً وهو في الوضع والتزوير والإسرائيليات و.. و..الخ.

الكتاب، دون التابعين ومع ذلك فهي في مجموعها تمثل السنة الصحيحة دون غيرها، من سنن الفرق الضالة والمبتدعة كالروافض لعنهم الله، الذين ينسبون إلى علي وأهل البيت ما لم يصح عن النبي ﷺ؟!

لذلك نحن أهل السنة والجماعة أخذنا ممن عدلناهم من اليهود، ففسروا لنا المتشابه على ضوء توراتهم حتى لا نكون مصداقاً لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ واتهمنا على أهل التنزيه الذين فسروه على المحكم من قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ بالزندقة والرفض، وأبعدناهم، والتزمنا وتبنينا أقطاب اليهود؟! وهكذا فالشيعة يقولون بعصمة الرسول ﷺ ونحن ما استفسرناه من اليهود المختلطين مع السلف أن النبي ﷺ يجوز عليه الخطأ ثم يندم ويتوب بل يتلاعب به الشيطان ويحزن كما في تفسيرنا للغرانيق، والنبي ﷺ مجتهد تدخل في أمور لا يعرفها ثم اعتذر عن اجتهاد...الخ. وهذا باتفاق وإجماع أهل السنة والجماعة؟! والذي يقول بخلافه شرذمة من الفرق الضالة والروافض؟!!

ثم يستمر ـ رشيد رضا ـ في بيان ابن تيمية بقوله: فكيف لو تبين لنا كذب كعب الأحبار، ووهب أي خائن ومجرم عدّل هؤلاء كائناً من كان؟! ـ وعذرهما إلى التوراة من كتب الرسل ما ليس منها شيء منه ولا هو من حوله[1]؟!

---

(١) هذا هو غاية السخف وفساد المذهب بحيث يدفعه التعصب والنصب لأهل الحق حرباً وتسقيطاً وتشويهاً على الظنة والتهمة بينما تراهم يلبسون ثوب الاحتياط والتقوى المصطنعة تجاه اليهود، خشية أن تظلمهم ولو بشطر كلمة أو مخافة أن تكون عندهم ذرة من الحق ونكون آذيناهم بعدم قبولنا لكل ما عندهم، وكأن الله ورسوله سيحاسبهم على ذلك؟! ولكنهم لم يتحفظوا عند التمرد على الخلافة الرابعة بمحاربة علي عليه السلام وقتل عمار بن ياسر (رض) و(٣٦٠) محلياً وسمّ الحسن بن علي عليه السلام وقتل سيد الشهداء الحسين عليه السلام وحمل رأسه إلى واليهم وأميرهم يزيد، وحرق الكعبة ورميهما بالمنجنيق، وعزل بقية أهل البيت والحجر عليهم، ورفض قبول أحاديثهم، والطعن بأتباعهم وتكفيرهم؟!!

وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب ـ وهذا غيرهم ما دام التابعي ممن ينسب إلى أهل السنة والجماعة ـ وإنما الوقف فيما ينقل نقلاً صحيحاً ـ إذا قال اليهودي هذا صحيح فوافقه التابعي فهو الصحيح ـ عن كتب الأنبياء كالتوراة والإنجيل التي عندهم، ولا نصدقهم فيه لاحتمال أنه مما حرفوه فيها، ولا نكذبهم لاحتمال أنه مما حفظوا منها؟!

فقد قال تعالى فيهم: أنهم ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. [آل عمران: ٢٣، النساء: ٤٤]، وقد بينا سابقاً فساد هذا الحديث، وترجح الآخر المسند الذي يدعو إلى عدم الأخذ عنهم خشية الوقوع في الضلال وهذا الذي حصل لمن عدّلهم وتمسك بما عندهم!!

أما تفسير الآية فكعادتهم في انحراف الفهم والمقصود، فما هو الفرق في الإجمال والتفصيل. فهل علمتم؟!!

أين الخطر؟!

مشكلة العامة أنهم يدّعون كونهم أهل السنة والجماعة، ولكن ما يظهر من خلال موروثهم أنهم يعملون بسنة وسيرة معاوية وشيعته، بالفخر تارة وذلك باتهام من لم يشايع معاوية، فيتهمونهم باندساس أناس بينهم متظاهرين بالإسلام، وهم أعداء له، قصدهم الكيد له، ولأهله ولما عجزوا عن ذلك بطريق الحرب والقوة، وكذلك عن طريق البرهان والحجة لجأوا إلى الدس والوضع؟! وأخرى بطريق التصريح بأن سببه ذلك الوضاع الأسطوري هو عبد الله بن سبأ اليهودي[1]؟!

---

(١) هذا ابن سبأ هو إسقاطة ورشحة من البؤر اليهودية المعشعشة في أغلب مفاصل تراثهم، فهو شخصية خيالية أسطورية لا وجود لها، أوجدها من أفسد عليهم موروثهم وهو الوضاع سيف بن عمر الذي حرفهم من حق علي إلى ضلال معاوية الباغي ـ رابع عبد الله بن سبأ للعسكري ـ وحتى لو أعتقدتم به فليس هو بأخطر من كعب، وابن نبه، وابن سلام! بحيث جعلكم تفتشون عن القذة في عيون أهل بيت نبيكم ﷺ وتغمضون العين عن الجذع في عين الحاكم الغالب وأقطاب الإسرائيليات من اليهود، والزنادقة والوضاعين الذين يفرقونكم عن إخوانكم وأبناء دينكم؟!

وما هذه إلا من أباطيل ومفتريات معاوية الذي يحاول مواراة سوأة بغيه وتمرده على الخلافة الرابعة، ومن جاء فيه من المتواترات، أنه مع الحق والحق معه، مع القرآن والقرآن معه، حربه حرب النبي ﷺ وسلمه سلمه، باب مدينة علمه وحكمته، ووصيه ووارثه.

هكذا يطلق العامة أقوالهم وترسلها إرسال المسلمات، فكأن علي بن أبي طالب لا علم له بشيء إلا السيف ـ هذا الذي وتر آبائهم وأرحامهم في الجاهلية فحقدوا عليه بسببه ـ ضعيف الرأي والعلم والسياسة وكذلك شيعته الذين كان فيهم (٨٥٠) من أصحاب بيعة الرضوان والشجرة وعلى رأسهم عمار بن ياسر (رض) وبذلك تمكن منهم ابن سبأ وغيّر عقائدهم؟! وحرفهم عن السنة والجماعة؟! وجعلهم يغالون بعلي، النكرة الذي ليس له فضيلة، بحيث بالغوا بفضائل لا أساس لها، وأوّلوا الآيات لأجلها. . .الخ.

الفرع الثالث: أشهر المفسرين بالمأثور وكتبهم:

قبل الدخول في هذا البحث نقول: قدمنا سابقاً كيف أن الإمام علي بن أبي طالب كان مرجعاً للصحابة وحتى أم المؤمنين عائشة بل وحصمه معاوية، وكيف لا وهو باب مدينة علم وحكمة الرسول ﷺ وهو مع القرآن والقرآن معه، ومن عنده علم الكتاب. . .الخ

حتى حصول الافتراق الخطير في الأمة، بتسلق معاوية الباغي على السلطة بغير حق؟!

ونتيجة آثار ورواسب تمرده السابق مع أبيه أبي سفيان ومحاربتهم الجاهلية للإسلام، حتى آخر عهد فتح مكة فأسلم ـ إن كان أسلم ـ بالعفو العام لا ببيعة ولا بضعف، بل إسلام طليق ومن لا حيلة له، لا كإسلام جلّ الصحابة المنتجبين (رض) عن قناعة ونبذ الجاهلية ومع ذلك كانت تظهر على البعض آثارها فيندم ويعتذر أما معاوية فعكس ذلك؟!

فقد رفع قميص عثمان لفتنة وتفريق المسلمين، وعلى شهادة الطبري

وابن الأثير أنه هو الذي خذله؟! انكشاف حقده على الصحابة الذين سبقوه إلى الإيمان بالانتقام منهم بالقميص؟!

فنضح حقده على الإسلام بمحاربة مركز الخلافة؟!

ظهور بوادره القبلية دون الإسلام بأنه هو وريث عثمان لأمويته؟! وعندما استتب له الأمر انكشفت بوضوح مآربه الجاهلية القبلية بحيث شرعت الوراثية والملوكية؟!

افترائه الباطل بأنه وشيعته هم أهل الجماعة (...) وإخراج الآخرين عن دائرتها

براءة الذمة من أي حق لعلي عليه السلام أو من يروي فيه، والحجر والقاطعة بل المطاردة والتنكيل؟!

كما قدمنا تزوير الحقائق ووضع الأكاذيب كضبابية أمام الحق العلوي؟!

وأخيراً سنة لسنة (الحاكم الغالب) لسنة بطانه ووعاظ الحاكم، لتنسخ كتاب الله وسنة نبيه؟!

فأصبح الحق والشرع والسنة ما يطبخ في بلاط السلطان، وإن هوى الزندقة واليهود والنصارى وأهل البدع والتزوير والوضع، والكل في خدمة الحاكم وهواه الذي لم يعدم صفتين على طول الخط؟!!

ولتضيع وتتبخر أو كطعن أصوات الحق خارج البلاط من علماء وفقهاء كابن المسيب، والحسن البصري وابن الخياط، وابن أكثم الكوفي، والسدوسي، وعبد الله بن حنظلة الغسيل... هذا فضلاً عن صوت أهل البيت وأتباعهم كالإمام الحسن عليه السلام والحسين الشهيد عليه السلام، والسجاد زين العابدين عليه السلام، وزيد بن علي (رض) والإمام الباقر عليه السلام وجعفر الصادق عليه السلام... بالإضافة إلى أبي ذر (رض)، وحجر بن عدي (رض) وعمرو بن حمق الخزاعي (رض) و(٨٥٠) صحابياً كانوا مع علي عليه السلام

والزبير وأبنائه، ومحمد بن أبي بكر (رض) فلم يرضى البلاط الأموي إلا على المتخاذل عبد الله بن عمر، والمزندق عمرو بن العاص؟!

وحتى يتأكد لك مدى الطمس والإخفاء للحقائق، وضياع مظلومية أهل الحق، أن غلبة بلاط السلطان الغالب، عطت بضبابيتها على كل أولئك العظماء من الأمة الإسلامية، وقد مرّ عليهم التاريخ مرّ الكرام، بحيث جهلتهم الأجيال المسلمة، بسبب تغييب ذكرهم ودورهم في التاريخ؟!!

دين البلاط وسنته:

هو ظهور دين جديد من رحم مختلف البلاطات، يمثل مجموعة أحكام وفتاوىٰ أبطالها المرتزقة والوعّاظ، لتصب كلها في مصلحة سيدهم الولي المطاع في رضاه، وفي تقريب وإبعاد وعزل من يشاء، معه في البيعة لأبنائه وأخوته، معه في إقصاء وطمس ذكر الحق وأهله، معه في محاربة من شاء، معه في غضبه ورضاه؟!

ولا تعجب أو تستبعد ذلك الأمر. بدليل أن سرعان ما يتبدل ويغلب سلطان ويتغيّر طاقمه حتى يتبدل إلى دين وسنة جديدة على هوى الغالب الجديدة؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مثال على ذلك: الظهور والحضور الكبير والمفاجيء لابن عباس (رض) ـ وإن كنا لا نرى عليه شيء بل بالعكس مواقفه المشرفة من علي وبني هاشم ـ وذلك نتيجة تغلب العباسيين، ونسب إليه الأدوار الكبيرة وخاصة في التفسير، والموافقة لحكم بني العباس؟!

إذ مما لا يساعد على ذلك مسألة طبيعة الأشياء، فإن ابن عباس (رض) كان حدثاً في العهد الأول وأواخر عمر النبي ﷺ؟!

ولتسليط الضوء على ذلك نورد قول الإمام الغزالي: إنه لما انقرض عهد الخلفاء الراشدين أفضت الخلافة إلى قوم تولّوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، فاضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء واستصحابهم في

جميع أحوالهم. وقد كان بقي من العلماء من هو مستمر على الطراز الأول، وملازم صفو الدين، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا، فرأى أهل تلك الأعصار عزّ العلماء وإقبال الأئمة عليهم مع أعراضهم، فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العزّ ودرك الجاه فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه الله[1].

ويقول ـ ابن الجوزي ـ في كتابه تلبيس إبليس[2] ما نصه: «فالدخول على السلاطين أمر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغيّر، بإكرامهم وأنعامهم أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك من مداهنتهم وترك الإنكار عليهم».

أخطر الأسباب:

وهي الطامة الكبرى، وخاتمة السوء، التي تقوّض أسس موروثهم في التفسير، مما يوجد وبلا شك حالة من الريب وعدم الثقة في الاعتماد على تفاسيرهم؟!

وهذا السبب كما ذكره السيوطي ـ يتحدث عن التابعين بقوله ثم جاء بعد هؤلاء أقوام، ألغوا في التفسير، وحذفوا الأسانيد؟! ونقلوا الأقوال غير معزوّة لقائليها، ولم يتحرّوا الصحة فيما يروون، فدخل من هذه الدخيل والتبس الصحيح بالعليل؟! ثم صار كل من ينسخ له قول يورده، أو من يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل عنه ذلك من يجيء بعده، ظاناً أن له أصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير[3].

ويقول الذهبي[4]: وفي الحق أن هذا السبب ـ أي حذف الأسانيد ـ

---

(١) حجة الله البالغة ١/ ٣٣٢، الإنصاف ص ٨٧ كلاهما للدهلوي.

(٢) تلبيس إبليس ـ لابن الجوزي ـ ص ١٤٨.

(٣) الاتقان ٢/ ٣٢٣.

(٤) التفسير والمفسرون ١/ ٢٠١.

يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً؟! لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيهما ـ وهي هكذا إلى يومنا وعلى لسان كبار علمائهم ـ وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنهما ما فيهما من الإسرائيليات، والقصص المخترع على أن صحيح كله ـ بل هذا ما يصرحون به غالباً ـ مع أن فيهما ما يخالف النقل ولا يوافق العقل[1]؟!! ولكن حذفها ـ وللأسف ـ عمى علينا كل شيء...؟!!

ومن المؤسف له حقاً أنه مع كل ذلك من تعمية وتضليل وتجهيل وغش للأمة، نسمع من متشدق ومدع غير مستند على نقل صحيح وعقل صريح، ويطلق إدعاءاته ارتجالاً وتعصباً ليغري الأمة ويشحنها ضد إخوانه في الإسلام، بقوله وهذا ما عليه السلف الصالح، وإجماع أهل السنة والجماعة...؟! مما يسبب للأمة المسلمة:

أ ـ إغرائهم وغشهم بل وتضليلهم عن الحق وأهله!

ب ـ التعمية والتجهيل بحيث يكون الخلف متعبداً بالإسرائيليات والموضوعات.

ت ـ جعل الأمة المسلمة أن تكون أمينة لا على السنة ورجالها بل على رواة الإسرائيليات والوضاعين من الرواة.

ث ـ تفسير القرآن الكريم ومنزله تعالى وما فيه مما يهتم بذكر الرسول ﷺ وفق نظرة أهل الكتاب واليهود منهم خاصة.

ج ـ نصر الباطل وأهله وخذلان الحق وأهله، من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

ح ـ تطبيق وتأويل القرآن الكريم على ضوء مأثورهم ذاك!

---

(١) العقل عبارة جديدة في قاموسهم إذ كانوا يتهمون غيرهم بالعمل بالعقل، وما هذه إلا من نقود المتأخرين!

خ ـ تقديس ما ليس مقدس من رجال ومفاهيم وأمور الدين، وتوهين ونبذ المقدس منه؛ إلى درجة القتال بين المسلمين!

ر ـ تفريق المسلمين وجعلهم فرقاً متنازعين بفضل هكذا مأثور.

ز ـ نسخ الإسلام، بدين السلطان الغالب، الأمر الذي أورثنا إلى اليوم الذل والضلال.

وأخيراً وهو الأخطر وهو نسخ آيات القرآن الكريم. بهكذا موروث وتعصبهم لذلك!

وذلك على نمط عنزة وإن طارت، اختلف شخصان على شيء أسود فقال أحدهما عنزة، وقال الآخر غراب، وعندما قربا منه، تبين أنه غراب، فطار في الجوّ، فأصرّ الأول قائلاً: عنزة وإن طارت!

ولعل معترض يقول: لقد بالغت وضخمت الأمور، وأنت بذلك تريد إلغاء تاريخ أمة عظيمة حوت أولئك الرجال، الذين بفضلهم وصل إلينا الإسلام وتفسير القرآن، ومعرفة الأحكام، و...و...(...)!

وصادرت دور القادة والحكام الذين نشروا الإسلام في كل بقاع العالم، بتلك الفتوحات ولولاهم لتمكن الأعداء (...) من الزنادقة والفرس (...) وبعض اليهود (...) دون الذين عدلناهم، وقبلنا أحاديثهم أي باستثناء هؤلاء، لقاموا بالقضاء على الدين الإسلامي ولكن بفضل قيادتهم، باعتبارهم أولياء الأمر، وواجبي الطاعة، وقتلة أهل البدع والزنادقة والروافض، الذين يريدون الكيد وتمزيق المسلمين والقضاء على الإسلام ولولا هؤلاء أولو الأمر ـ لضاع الدين، عندما حصروا الإسلام بأربعة مذاهب معترف بها بمرسوم سلطاني، أو حملهم على موطأ مالك، لما قامت للإسلام قائمة، نتيجة كيد الزنادقة والروافض...؟!

وكأن الله تعالى ـ وحاشاه ـ غير قادر على حفظ دينه عندما قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أو أن دينه غاية ما ربى إلا هؤلاء

كأفضل موجود، وهل يمكن أن يربي الإسلام أفضل من تربية أهل الكتاب؟! حكم جاهلي بعد إسلام، وراثية قبلية، نسخ الشورى بالبيعة ـ السيف والعصبة ـ وسحق المعارضة باسم الاجتهاد بعد اتهامهم (. . .) وأخيراً وكأن الإسلام عاجز بما يحمله من قدرات ذاتية على تحقيق أهدافه فاحتاج إلى فلان وفلان من الرجال؟!

وسيظهر لك انعكاس ذلك كله في أشهر تفاسيرهم ومفسريهم؟!

أشهر المفسرين بالمأثور وكتبهم:

إنهم يصرحون أنه ليس بالمستطاع حصر أو معرفة كل من فسر بالمأثور نظراً لعدم وقوع كثير من التفاسير بين أيدينا لفقدانها وضياعها[1]؟!

وهذا مما يؤيدها قدمنا، من انتقائهم العشوائي أو الاجتهادي ـ بالرأي ـ وأهمها التعصبي!!

فكل تفسير يأتي على هوى إدعائهم ـ أهل السنة والجماعة ـ ويفسر على صحاحهم المدعاة، أو يخلو أو يكاد من ذكر ما يتعلق بأهل بيت النبوة، ليريح نفسه من غلو وبدع، ووضع الأحاديث الغير الثابتة، من قبل أتباعهم من أصحاب الفرق المنحرفة الباطنية والروافض. . يعطى صاحبه وسام أهل السنة والجماعة، ولا تحقق في إعطائه صفة الإمام، كالإمام الطبري، والإمام الرازي والإمام ابن تيمية. . .؟!

كذلك المبالغة في الإطراء عليهم بل لا مانع من الغلو بهم.

الأمر الذي يدعو شيعته أن يتكلمون شذراً ومن علو وبكل غرور، بأن هؤلاء سلفهم الصالح لأهل السنة والجماعة؟! أو في المقابل قد يغري من لم يكونوا من أتباع ذلك السلف ـ قبل التحقيق ـ بصدق تلك الإدعاءات بحيث قد يعوّل ويأخذ من تفسيره، ويرجو أن لو كان في رجاله أمثاله؟!!

---

(١) كيف تفهم القرآن: ص ٢٠٥.

وعليه ومع ذلك فإننا تعلمنا تحري الحق والموضوعية واحترام مذاهب وآراء الآخرين، فماذا هناك؟!

أول المفسرين بالمشهور:

١ ـ ابن جرير الطبري:

هو أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري ولد بطبرستان سنة ٢٢٤هـ وتوفي فيها سنة ٣١٠هـ. كان فريد عصره، ووحيد دهره علماً وعملاً، وحفظاً لكتاب الله ومعرفة بمعانيه وخبرته بالآيات ناسخها ومنسوخها، ومعرفة بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها، وبأحوال الصحابة والتابعين[١].

وتفسيره هو «جامع البيان في تفسير القرآن» ويعتبر من أقدم التفاسير وأشهرها، وقد صار مرجعاً للمفسرين الذين اهتموا بالتفسير النقلي، وإن كان فيه جانب من التفسير بالرأي والاجتهاد ـ على طريقتهم في إغماض العين والتغافل عن المساوىء وتصغيرها ـ وذكر شيء من الإعراب واستنباط بعض الأحكام. وقد شهد العلماء المعتبرون بعظيم قيمة هذا التفسير، فقال السيوطي: وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها[٢].

وقال النووي في التهذيب: كتاب ابن جرير لم يصنف أحد مثله[٣].
وقال أبو حامد الأسفراييني شيخ الشافعية: لو رحل أحد إلى العين ليجعل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً عليه[٤]؟!

وفيه صواب التوجيه ـ والقول كما في كيف نفهم القرآن[٥] ـ

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٢، لسان الميزان ٥/ ١٠٠، معجم الأدباء ١٨/ ٤٠، التفسير والمفسرون ١/ ٢٠٥.
(٢) الاتقان ٢/ ٣٢٤.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) معجم الأدباء ٢/ ٢٤.
(٥) كيف نفهم القرآن ص ٢٠٥.

والاستشهاد عليه باللغة والحديث الشيء الكثير. وقد يصرح برأي يخالف ما روى؟! ولا سيما في الأمور التي لا يلزم من الجهل بما جهل الدين ـ أي كما فعل غيره بالتفسير بالإسرائيليات، بعد تعديلهم وتزكيتهم لرواتها ـ؟!

ومن أمثال هذا قوله ـ بعد ذكر الروايات المختلفة في بعض البقرة الذي زعموا أن قتيل بني إسرائيل ضُرب فاستيقظ من موتته: والصواب من القول في تأويل قوله: عندنا «فقلنا اضربوه ببعضها» أن يقال أمرهم الله جلّ ثناؤه أن يضربوا القتيل بعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا، القتيل به، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوا به هو الفخذ، والذيل، أو غضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ولا ينفع العلم به[1].

ويمكن مناقشة ذلك بما يلي:

أ ـ أنهم اعتبروا ذلك فتحاً وميزة للطبري على غيره من المفسرين الذين فسروا بالإسرائيليات؟!

ب ـ كيف اعتبروا ذلك فضيلة وقد خالف فيه برأيه ـ وهو المعروف بالنقل ـ الصحيح بإجماع أهل السنة والجماعة، وأمثالها من الروايات الإسرائيلية؟!

ت ـ وقد مرّ عليك ما يدل على أن كثرة الإسرائيليات والموضوعات في تفاسيرهم، تفرض عليهم العمل بها فإن تخطى بعضهم البعض أو ارتكس في بعض كثير؟! كما حصل للطبري نفسه؟!

وكأنهم لم يلحظوا عليه شيئاً مهماً ـ وهذا شأنهم في التستر على رجالهم ـ سوى قول بعضهم:

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري: ١/٣٨٦.

غير أن الذي يؤخذ على ابن جرير أنه يذكر أحياناً أخباراً بالأسانيد غير صحيحة؟! ثم لا ينبه على عدم صحتها. وله العذر في ذلك وهو ذكر السند في زمن توافر الناس فيه على معرفة أحوال الرواة[1].

ومما نلاحظه هنا:

أ ـ اعترافهم بعدم أمانة الطبري بأخباره بالأسانيد غير الصحيحة، وعدم تنبيهه عليها.

ب ـ عدم أمانة وموضوعية ما ذكروه عن الطبري، سواء في المرور على هكذا جناية بكل برودة أعصاب ولا مبالاة، إذ قد تكون مما يتوقف عليها إحقاق حق وإبطال باطل أو ما يتعلق بالعتبة والمصير والاستكانة والانحراف... الخ.

أو الإغفال عن أمور خطيرة جداً، وكأن التعصب لرجالهم يعمي ويصمّ عن كشفها، تعصباً على رجالهم لا غيرة أو خشية من الله ورسوله وملائكته ورسله...!

فانظر لتفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أورد الطبري قصة إسرائيلية ـ هي من الخرافات ونسج الخيالات ـ والتي كما ذكرنا قد سودوا بها صحائف كتبهم وعدلوا رواتها اليهود وسموها صحاحاً ـ تخل بصفات الأنبياء وتطعن بمقامهم[2] إن لم نقل بعصمتهم؟!

وقد ساق الطبري الرواية بسندها كاملاً فقال: ... عن ابن عباس قال:

---

(١) تفسير الطبري ١٦/١٣، وطبقات المفسرين للداودي ص ٢٣.

(٢) وأمثال هذا كثير من سنة رواة الإسرائيلية، ويغفر للائمة الرواة لهم انتمائهم لأهل السنة والجماعة، وأن الرواية صحيحة لورودها في الصحاح، أو يبررون كل ذلك لنقلتهم من رجالهم، ومن يطعن بذلك فهو زنديق، من أهل البدع رافض! هذا بالإضافة أن لو اتهم شخص بأنه مس رجلاً من رجالهم لقامت الدنيا وقعدت وسالت لأجله الدماء إلى يومنا هذا؟!

كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أُناس من أهل امرأة يقال لا جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه، قال: فكان هدى سليمان أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئاً من نسائه، أعطى الجرادة خاتمه، فلما أراد أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتِ خاتمي، فأخذه فلبسه، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس، قال: فجاءها سليمان، فقال لها: هاتِ خاتمي، فقالت: كذبت لست بسليمان، قال: نعرف سليمان أنه بلاء ابتلى به، قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر؟!

ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرؤها على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يقلب الناس بهذه الكتب قال: فبرىء الناس من سليمان وأكفروه؟!

حتى بعث الله محمداً فأنزل جل ثناؤه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يعني كتب الشياطين من السحر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ فأنزل الله جل وعز عنده[1]؟!!

فإن دل على شيء فإنما يدل علي:

أ ـ تفسير الطبري بالإسرائيليات الصحيحة ـ أي التي يصححها كغيره برأيه ـ فقد قال سابقاً: لا ينفع بأي جزء من البقرة ضربوا الميت ففاق.. لكنه يعمل بما صح عنده ولو بأمانة وتكفير الأنبياء عليهم السلام وسيجيء حتى ما يمس مقام الرسالة وشخصية المقدس ﷺ؟! بل وعدم تنزيه الله تعالى واتهام المنزّهين!!

---

(١) الطبري ـ جامع البيان ـ ٢/٤٠٦ وما بعدها.

ب ـ كأنه وغيره يخاطبون الله تعالى بأن ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ بإنزال مثل هذه الآيات، والتي لا نجد لها تفسيراً ـ بعد تركنا لأهل الذكر من أهل البيت ـ إلا في الإسرائيليات، فلا حجة لك علينا لأنك يا ربنا فتنتنا بمثل هذه الآيات؟!

ت ـ الحق ما يراه الطبري، لأنه أخذه عن السلف ـ الصحابة والتابعين ـ ومن الصحاح، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، وإن خرج في تأويله عن الكتاب والسنة والعقل وما دونه البدع والزندقة والرفض!

ث ـ ألم يدرك الإمام الطبري؟!! وكل الذين ساروا على منهجه إن ظاهرة الطعن وتوهين مقام الأنبياء، هي من أبرز كفريات وضلال اليهود، بسبب تحريف التوراة، ولو أنهم أخذوا من الزنادقة والغلاة ـ الذين نتبرأ منهم ـ لكان أفضل، لأنهم قد يبالغون لصالح الأنبياء عليهم السلام بما يتعدى الحدود؟!

ج ـ ماذا ترك الطبري وأمثاله بأخذهم بالإسرائيليات أخذ المسلمات، فماذا تركوا لأهل البدع والزندقة والروافض، إذا فسروا قوله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ إذا وصفهم المفسر أن البحرين هما: علي وفاطمة!

هذا إذا علمنا أن عمدة التفسير هو المأثور، ومدى صحته، وبيانه لتفسير معاني ومقاصد وأهداف القرآن الكريم؟!

وإلا فإن دور بقية الأمور تكاد تكون ثانوية، فاللغة حيث كان الشارع الإسلامي بل البدوي يحسن إجادتها، أما الاجتهاد بالرأي ـ الذي لا نقول به ـ فهو متوافر للجميع إلى يومنا هذا، بل حتى التفسر الكلامي يكاد يكون ذا صلة بالمأثور؟!

هكذا نرى وكأن مرض الروايات الإسرائيلية قد استحكم كسنة صحيحة، لا يمكن الخروج عن عهدتها عند العامة عموماً، والطبري خصوصاً.

فلم يكتف الطبري بتلك القصة الإسرائيلية، حتى أعقبها بقصة الغرانيق التي تمس مقام الرسالة المحمدية ﷺ حين ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٢٢، ٥٢] جاء في تفسيرهم: جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش وفيه جمع كبير، فتمنى عندئذٍ أن لا يأتيه من الله شيء ينذرهم عنه[١]؟!

فأنزل الله عليه سورة النجم فقرأها عليهم ـ وهو كارهٌ لذلك ـ حتى إذا بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ ألقى عليه الشيطان كلمتين؟!: «تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى» فقرأها النبي ﷺ ثم أتم قراءة السورة فسجد في آخرها وسجد القوم جميعاً ورضي المشركون بذلك[٢]؟!!

فلما أمسى النبي أتاه جبريل، فقال له: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به من الله[٣]؟!!

فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وقال: افتريت على الله ـ أعطونا إحصائية بعدد الافتراءات النبوية من مروياتكم الإسرائيلية ـ وقلت على الله ما لم يقل!!

وما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه هذه الآية تسليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا

---

(١) تشبه علاقة اليهودي بربه، وكأن الله تعالى يلاحق رسوله ﷺ بالآيات ولا يعطيه مجالاً للتفرغ مع الشياطين.

(٢) أي طعن وهناك بافتراء وكذب لمقام النبوة العظيم بخنجر يهودي من قبل إمام التفسير لأهل السنة والجماعا؟!

(٣) ربما أنهم يجيزون نسخ الكتاب بالنسة، وكذلك نقول لهم: على ضوء ذلك يمكنكم التشكيك بالقرآن الذي اختلط مع آيات الشيطان، وخاصة التي لا تناسب مروياتكم الإسرائيلية تلك!!! ومما يقوي ذلك ولكم بتحريف القرآن، والاجتهاد بالرأي فيه، وجعله على نسق التوراة والإنجيل المحرفين؟!!

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾؟!!

وكأن الله تعالى يخاطبه بحسرة وتأسف بأنك لم تكن الأول، فكل الذين بعثتهم عصوني مع الشيطان، لولا أنني تداركت الأمر لكنت للشيطان رسولاً؟!!

وقد أخرجها الطبري في تفسيره من تسعة طرق[1]!

فإن هذه القصة وأمثالها هي التي تستحكم بجذورها، تابع عن تابع، وإلا الله أكبر تطعن بالإمام (...) الطبري، وبالصحاح التي زكت تلك الإسرائيليات...الخ.

وهكذا تصبح أمثال هذه الأباطيل والكفريات هي الأساس والأصل الذي على ضوءه يفهم القرآن الكريم، وتكاد لا تنفع بل تقمع وتموت كل الأصوات المعارضة لها، وهي بلا شك ممن كان على شاكلتهم ممن حسبوه على أهل السنة والجماعة، وإلا الشيعة والروافض فهم خارجون تخصصاً وبلا نقاش؟!

فقد طعن فيها بعض رجالهم: منهم أبو بكر البيهقي، وابن كثير، والقاضي عياض[2].

وأحب أن أشير أن هذه القصة والتي قبلها وأمثالهما لا موقع لها قاطبة في تفاسير من نبزوهم بالرافضة وأهل البدع و...و...الخ، لأنها منافية لأصل العصمة الملازمة لعقيدة النبوة، وإلى أصل العصمة في التبليغ خاصة؟! وقد مرّ عليك كم هان لهم بتخطأة النبي ﷺ وتدخله في أمور لا يعرفها، وكونه مجتهداً كبقية المجتهدين...الخ.

---

(١) تفسير الطبري: ١٠/١٨٦ ـ ١٨٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٥٥.

وعليه ترى أنهم يحاربون أهل التنزيه، والقائلين بعصمة الرسل عليهم السلام، تراهم يعطون لرجالهم من الإطراء والتعظيم مما يجعلهم يوهنون الكتاب والسنة ويستخفون بعقول المسلمين بل ويحاربون ويسقطون كل من يقول خلاف ذلك؟!

رغم أنه قد تظهر شطحات أو إظهار الحق على ألسنة بعض رجالهم مما يناقض به دين أهل السنة والجماعة، عندما يكفرون ويزندقون من يقول بالعصمة؟!

منهم ما أستند به القاضي عياض[1] في العصمة في إبطال قصة الغرانيق الخرافية اليهودية!

وكذلك بعض فلتات الرازي، عندما يضرب تراث سلفه عرض الحائط، ويجتهد برأيه الشخصي في البراهين العقلية، والتي كاد أن يخرجه ابن تيمية والذهبي من أهل السنة والجماعة؟!

عندما يصرح بخصوص مسألة الغرانيق بقوله: إنا لو جوّزنا ذلك لارتفع الآمان عن شرعه صلى الله عليه وآله وجوّزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك[2]؟!

هذا كما قلنا: إن جلّ المفسرين بالرأي كانوا عيالاً على كتاب الرازي، تفسر القول بقوله: بأن جلّ المفسرين بالمأثور هم عيال على تفسير الطبري؟!

وكما ذكرت سابقاً أن كل شيء مبرر ومؤول لكل من حُسب على أهل السنة والجماعة حيث يغفر له، وغايته أن يتحفظ في كلمات بحثه بغاية الرقة خشية أن يمس مقامه مثل قولهم: والعجب، كيف يصدر هذا عن الطبري وهو إمام التفسير ووحيده والذي.... الخ.

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٥٥.

(٢) تفسير الرازي ٢٣/ ٥٠

أو كأن لسان حالهم يقول: وبماذا أخطأ ـ وحشاه ـ الإمام الطبري (رض)؟! فهو في كل ذلك مأجور؟! لأنه فسر وفق منهج أهل السنة، وإلا لو لم يتصد الإمام الطبري للتفسير لجاءتنا تفاسير الزنادقة وأهل البدع والرفض لعنهم الله تعالى.. فهؤلاء لا ولن يصدر عنهم أي شيء من الحق، لأنهم لا سلف لهم في التفسير كالإمام الطبري والإمام الرازي وغيرهم!

بل كل ما ينقلوه هو الغلو بعلي وأهل البيت لما لم يصح عن النبي ﷺ؟!

أما أهل السنة فلهم سلف صالح ينقلون عنهم الصحاح رضوان الله عليهم أجمعين، ومنهم أخذوا أسس عقائدهم، وصحاحهم وبالتالي تفاسيرهم كل ذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة، ولكن بدون تعصب وغلو كما يفعله أصحاب الفرق الفاسدة لعنهم الله تعالى.

فإمام التفسير الطبري (رض) مثلاً بعد أن تجرد عن المبالغات والغلو وابتعد عن تفاسير أهل البدع والضلال، سلك منهج السلف في تفسيره الصحيح؟!

بحيث أعطى الصورة الحقيقية الواضحة التي لم يأتِ بها ولم يلتفت إليها غيره (رض) عن هؤلاء من أهل المعاصي والظلم والجور، الذين يحكمون بغير الحق تبعاً لأهوائهم، وهم الأنبياء...؟!

ولم يكن بذلك قد تطاول عليهم بل لأنهم هم هكذا أصحاب ذنوب ومعاصي، أتباع الشياطين بسبب مللهم من الله تعالى وتكاليفهم الشديدة التي لا تعطيهم فرصة الأنس في أجواء الشياطين ولانفتاح عليهم وأخذ شيئاً منهم، وفي قصة الغرانيق التي أراد هذا النبي ﷺ أن يتخفف من ظلم الله وملاحقته بالآيات، فتمنى أن يأنس بمجالس أندية الشرك ويناجي الشيطان ويأخذ منه ويتلو آياته لا كلها آيات الله فقط... الخ.

ولم يقف "الإمام الطبري (رض) عند هذا الحدّ، من كشف أسرار

الآيات والتي لم يسبقه أحد غيره، الأمر الذي جعل تفسيره قدوة وإماماً لأهل السنة والجماعة؟!

وكيف لا وقد فضح لنا أسرار غيب الآيات، عن الله المبتلى وغير القادر على ضبط حالات التمرد والعصيان ممن اتخذهم أنبياء ـ كما مرّ ـ وحتى الملائكة؟!

فاستمع إلى تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢] أنه: لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام عيّرتهم الملائكة، فقال الله تعالى: «أما أنكم لو كنتم مكانهم وركّبتُ فيكم ما ركبت فيهم، لعملتم مثل أعمالهم، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك، قال فاختاروا ملكين من خياركم؟!

فاختاروا هاروت وماروت، فأنزلهما إلى الأرض فركب فيهما الشهوة، فما مرّ بهما شهر حتى فتنا بامرأة وراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يدخلا في دينها، ويقتلا، ويشرب الخمر فأجاباها...؟!»[1].

هذا بالإضافة ما ذكرنا سابقاً في قصة يوسف عليه السلام عندما حلّ سراويله حتى إليته، وجلس منها مجلس الخائن[2]؟!

فما أروع تفسير الإمام الطبري (رض) هذا، حيث كشف لنا أسرار تمرد واقتحام المعاصي والشهوات من قبل الأنبياء جميعاً حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم بل والملائكة المقربين، فما ذا يمكننا أن نصنع نحن البشر غير المعصومين، وقد جاءنا الله يقرأنه ظلماً وتعسفاً بالتكاليف والأوامر الكثيرة المتشددة التي لا يطيقها حتى الملائكة والأنبياء عليهم السلام، تلك التي عرفنا من اللذات والتمتع بالدنيا والشهوات والإباحيات وذلك بالدعوة إلى ما لا طاقة لنا على تركه؟!

---

(١) الطبري ـ جامع البيان ـ ٢/ ٤٣١.

(٢) الطبري المصدر نفسه ١٦/ ٣٥.

فضلاً عن الحجر علينا بأن لا نعبد ولا نستمع إلا إلى آيات الله، مع منعنا من الذهاب إلى أماكن اللهو واللعب الحرام، والاستماع إلى آيات الشيطان. . .؟!

وكل ذلك ينسب إلى السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، لأنهم لا يعتمدون إلا مادح من الأحاديث الصحاح، ولم يأخذوا من تفاسير أهل البدع والزندقة والرافضة لعنهم الله؟!

هذا إن علمنا أن من طبيعة منهج الطبري هو التعقيب على كل ما يمر عليه، ويقوم بعد ذلك بالمناقشة والترجيح، دون هذه الإسرائيليات فقد كتب وفسر على ضوئها، وكانت أولى من غيرها بالتعقيب والبحث لخطورة ما ذكر فيها من كفريات وأباطيل وافتراءات، بحيث لا تخرج صاحبها عن السنة والجماعة بل عن دين الإسلام إلى اليهودية التي فسر بتوراتها القرآن الكريم وكأن سكوته دليل الرضى عن ذلك، أن لا مقدس قرآني إسلامي لدى الطبري إمام تلك الإسرائيليات التي جاءت من سلف الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بما فيهم المنافقين ـ الذين ذكرهم القرآن ـ والمرتدين، وأهل الكتاب واليهود المتسترين بالدين، والزنادقة والوضاعين والكذابين، والخوارج والباغين والمارقين.

٢ ـ أبو الليث السمرقندي:

هو أبو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، توفي عام ٣٧٣. وقيل ٣٧٥هـ[١].

وتفسيره هو (بحر العلوم) وهو تفسير مخطوط ويقع في ثلاثة مجلدات كبار. في هذا التفسير يسوق مؤلفه الروايات عن الصحابة والتابعين من بعدهم ـ كله مقبول وإن كان فيه ما فيه ـ دون ذكر الأسناد ـوكما هو عندهم وعندنا

---

(١) طبقات المفسرين للراودي ص٣٢٧، ومعجم المفسرين لنويهض ٢/ ٧٠٠ ـ ٧٠١.

من أعظم التعميات والتجهيل - إلى من يروي عنهم، ويندر سياقه للأسناد في بعض الروايات!

وإذا ذكر الأقوال والروايات المختلفة فلا يعقب عليها ولا يرجح[1]، كما يفعل ابن جرير الطبري إلا في حالات نادرة - كما ذكرنا أنه يعقب ومن ثم يرجح ما يتعلق بالدفاع عن عقيدة أهل السنة ويجهد لرد أقوال مخاليفهم، ويتنبه من تسلل أي رأي للزنادقة وأهل البدع والروافض[2]؟!

أما غير ذلك كما ذكرنا - من القصص الإسرائيلية وروايات اليهود، فهي من المسلمات عند الطبري، لأنها ضمن منهج أهل السنة والجماعة التي عدلت رواتها، وزكت رجالها ولم تجرحهم!!

وروى السمرقندي، من القصص الإسرائيلي على قلة - وكأنها ملح تفاسير أهل السنة - ويخرج عن الضعفاء مثل رواية الكلبي وأسباط عن السدي - من الذين ضعفوهم دون اليهود - ومن روايات غيرهما ممن تكلم فيه، كما يعرض لموهم الاختلاف والتناقض في القرآن ويزيل هذا الإيهام[3].

ويقصدون برفع الموهوم والاختلاف، ما لم يأتِ على منهج أهل السنة، وإن كان من الإسرائيليات؟!

٣ - الثعلبي النيسابوري:

هو أبو اسحاق أحمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المقرىء المفسر، كان حافظاً واعظاً ثقة، وقد توفي عام ٤٢٧هـ[4].

وتفسيره هو «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» وهو مخطوط غير

---

(١) وما فائدة التعقيب والترجيح إذا تعبدنا بها على أن كلها صحاح!

(٢) التعريف بالقرآن والحديث ص١٧٢، فتاوى ابن تيمية ٢/ ١٩١.

(٣) التفسير والمفسرون ١/ ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٤) انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢٢، معجم الأدباء ٥/ ٣٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٣٠.

كامل، يوجد منه أربعة مجلدات حيث ينتهي عند سورة الفرقان والباقي مفقود؟! وهو موجود بمكتبة الأزهر.

وهو يفسر القرآن بما جاء عن السلف؟! مع اختصار الأسانيد اكتفاءً بذكرها في مقدمة الكتاب، كما يعني بالمسائل النحوية، وشرح الكلمات اللغوية، وأصولها وتصاريفها، ويتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام، فيذكر الأقوال المتعددة والخلافات والأدلة؟! ويتوسع في عرض آراء المذهب الشافعي؟!

كذلك يتوسع كثيراً في ذكر الإسرائيليات ـ فما المانع بعد تصحيحها بالجملة وتعديل رواتها دون المجروحين من الشيعة والروافض ـ دون تعقيب عليها ـ وله في سلفه الطبري قدوة في عدم تعقيبه ـ ويرجع ذلك إلى ولعه بالأخبار والقصص إلى حدّ كبير. ثم إنه لم يتحر الصحة ـ ألم يقولوا بأنها صحاح ـ فيما ينقل من تفاسير السلف ـ وهل يوجد مرتاب بما نقله السلف إلا أن يكون خارجاً عن السنة والجماعة؟!

المصيبة العظمى: أنه ينقل أحاديث على ألسنة الشيعة، وهذه أمور أخذها عليه العلماء[1]؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حتى قال فيه ابن تيمية: وكان الثعلبي حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضيف وموضوع[2]؟! ألم يعلم الثعلبي بأن المسموح له أن يأخذ من الروايات الإسرائيلية ورجالها ومن عناهم القرآن بالنفاق من بعض الصحابة أو الخوارج، أو وعاظ بلاط معاوية وبطانته، ومن جندهم معاوية لمصلحته في البغي على مركز الخلافة الرابعة ـ بأقل تقدير ـ والذين قتلوا (٣٦٠) صحابياً كانوا مع الإمام علي عليه السلام، وعلى رأسهم

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٢٢٨.

(٢) ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ص٣١، والفتاوى ٢/ ١٩٣، والكتاني في الرسالة المستطرفة ص٥٩.

عمار بن ياسر (رض)، ومن الذين أفتوا بقتال سبطي رسول الله ﷺ وريحانته، الإمامان إن قاما وإن قعدا. . .الخ.

أو من الذين خاضوا في دماء أهل البيت والمسلمين مع كل حاكم غالب برهم وفاجرهم، بحيث أجمع هؤلاء باسم السنة والجماعة ـ المدعاة ـ على إقامة الحظر والحصار على أهل بيت النبوة وطمس آثارهم، ومحو فضائلهم، وتجهيل الناس بهم. . حيث وصل الأمر بأن أهل الشام أنكروا على النساء ما يذكره من فضائل لرجل لم يعرفوه، نعم يعرفونه من خلال أنهم كان يسبّونه، لأنه الخارج عن جماعة سيدهم معاوية، وقد عجبوا عندما سمعوا بمقتله في المسجد، إذ في منظورهم كيف وصل عليّ الـ(. . .) إلى المسجد؟!

وعندما طالبوه بذكر فضائل معاوية أنكرها وقال كما ذكرنا حديثه: (لا أشبع الله له بطناً) وهذا مما أغاظهم فحملوا عليه وداسوا في بطنه حتى قتلوه؟! بل بلغ الأمر قتل كل من كان اسمه علياً[1]؟! ومن هو هذا علي؟! الذي لم يردّ اعتباره إلا في زمن أحمد بن حنبل، حيث تفضل وبين للناس أنه علياً هو الخليفة الرابع؟! أي بعد فترة طويلة من التجهيل المتعمد؟!! لق جاء الثعلبي بأمر نكراً وخطيراً وعظيماً؟!

كيف خرق ذلك الحضر المضروب على أهل بيت النبوة، بأجماع أهل السنة والجماعة وعلى سنة ولاة الأمر الغالبين ـ لا سنة رسول الله ﷺ ـ بفتاوى وعاظهم، حضر شامل ومقاطعة تامة أشد مما فعله المشركون بحصار النبي وبني هاشم الذي سمي شعب بن هاشم لأن ذلك الحصار كان بشروط بسيطة، بينما هذا يمثل حظراً شاملاً وكانوا عليه مأجورين ـ على ضوء سنة الحاكم الغالب لكونه اجتهاداً ـ بينما ذلك الحظر اعتبر شركاً وكفراً؟!

ألا يعلم الثعلبي أن سنة سيدنا معاوية ـ الحاكم الغالب وإن كان باغياً ـ

---

(١) روى ابن حجر: كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه؟! تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٩.

كانت تريد إخفاء وطمس ذكر النبي ﷺ نفسه ـ ثأراً لبني عشيرته ـ الذي جاء بدين ساوىٰ فيه بين العبيد والأسياد من بني حرب وسفيان، فاستمع إلى معاوية يقول: وإن ابن أبي كبشة ـ من كنىٰ قريش استهزاءً بالنبي ﷺ ـ ليصاح به كلّ يوم خمس مرات (أشهد أن محمد رسول الله) فأي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟ لا والله إلا دفناً دفناً[1]؟!

إذا كان هذا شأن رسول الله ﷺ فما قيمة عليّ في سنة الحاكم الغالب ومرتزقته؟!

ألم يصل الثعلبي خبر جمع ابن زياد والي معاوية في الكوفة لحمل الناس البراءة من عليّ[2]؟!

وجزاء من لم يتبرأ القتل، كما حصل لعمرو بن الحمق الخزاعي، وطافوا به وألقوه في حجر زوجته[3]؟!

ألم يعلم الثعلبي أن بني أمية ـ وكل حاكم غالب ـ قد يخالفون سنة رسول الله ﷺ لإقناع الناس بسنتهم المبتدعة، عندما خالفوا السنة وقدموا الخطبة على الصلاة، لأن الناس كانت تفر من أكاذيبهم وأباطيلهم وبدعهم، وكذلك كانوا لا يتماسكون من لعن علي بن أبي طالب (رض) حسب ما جاء على لسان ابن حزم وغيره[4]؟!

ألم يتعظ الثعلبي أو يستفد من أئمة أهل السنة والجماعة، في إيهام وطمس ذكر عليّ، كما جاء في تفسيره خلافاً لما ذكره في تاريخه، من قوله

---

(١) الموفقيات ص٥٧٦، ومروج الذهب ٢/ ٤٥٤، وشرح ابن أبي الحديد ١/ ٤٦٢ ط مصر تحقيق أبو الفضل ٥/ ١٢٠.

(٢) المسعودي فيتاريخه في أيام حرب معاوية ٣/ ٣٠، وابن عساكر ٥/ ٤٢١.

(٣) المعارف ـ لابن قتيبة ٧/ ١٢، والاستيعاب ٢/ ٥١٧، والإصابة ٢/ ٥٢٦، وتاريخ ابن الأثير ٨/ ٤٨، والحجر ص٤٩٠.

(٤) المحلى ـ لابن حزم ـ ٥/ ٨٥، وانظر كتاب الأم للشافعي ١/ ٢٠٨.

تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قال: النبي ﷺ فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا... وكذا...»؟!! وكذلك فعل قرينه وشبيهه ابن كثير[1]؟!

ألم يخشى الثعلبي من مفارقة الجماعة والخروج عن سنة السلطان الغالب ووعاظه البديلة عن سنة النبي ﷺ والتي تدعو إلى التمسك بأهل بيته؟! والتي هجرها بل وسعى إلى طمسها أهل السنة والجماعة، بسنة الغالب المبتدعة ـ الجديدة ـ؟!

ألا يخاف الثعلبي بأن يصيبه ما أصاب النسائي والشافعي عندما صرحا بحب علي وأهل بيت النبوة، بحيث أن بعضهم أخرجهم من زمرة أهل السنة والجماعة؟!

وعليه فليحمد الثعلبي ربه بأن ابن تيمية والذهبي لم يخرجاه عن أهل السنة والجماعة بل اعتبراه حاطب ليل يحمل أحاديث الشيعة؟!

ألا يعلم الثعلبي أنه كغيره محجور عليهم مهما بلغوا أو توصلوا إلى معرفة الحق، أن ينطقوا به؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الحق سلطان غالب:

لا غالب السلطان. الذي شكلوا معه بدعة (سنة) مخالفة لسنة رسول الله ﷺ وما جاء من آيات بينات تدعو إلى الحق وأهله لا إلى الغالب ورجاله! فلو كان الإنسان منصفاً وموضوعياً ومتقياً لوثق بالحق الذي أراده الله تعالى وأمر به رسوله ﷺ، كما حصل للثعلبي، والنسائي، والشافعي وكل الذين استبصروا بنور الحق.

أما الذي عرف الحق كمصلحة تنسجم مع مصلحة الغالب والرجال،

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٧٢، والبداية والنهاية ٣/ ٤٠.

ومن ثم يدفعه تعصبه الأعمى إلى الإدعاءات والعناوين التي لا تواري سوء انحرافه عن الحق وأهله، إن لم يكتفِ بذلك بل يحارب بمختلف الوسائل والأساليب. وفي النهاية فإن الحق منتصر لا محالة فاتقوا الله؟!

فلماذا كل هذا الحجر والإصرار على منع المسلمين من التحري عن الحق؟! كيف وأن الأمر مسألة هداية ومصير! فما نقله الثعلبي وفسر به لم يكن الوحيد، فقد أخرج في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣، والأنبياء:٧] عن جابر بن عبد الله الأنصاري: قال لما نزلت هذه الآية قال علي: نحن أهل الذكر...)[1].

وكذلك في تفسيره لسورة الفاتحة قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أخرج الثعلبي عن أبي بريدة أن الصراط المستقيم هو صراط محمد وآله[2]. ويؤيده ذلك من طرقهم.

وهكذا في تفسير قوله تعالى في آية الولاية (المائدة:٥٥، ٥٦)، وآية الإكمال وإتمام النعمة، (المائدة:٣) الدالة على يوم الغدير، وآية الاعتصام ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣] آية ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ [المعارج:١، ٣]، آية الإرسال، (الزخرف:٤٥، آية الأعراف:٤٦).

/ ومنها تفسير الآية ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[3] [النور:٣٦].

---

(١) أخرجها الطبري أيضاً بنفس الطبري في تفسيره ١٧/ ٥، وانظر: شواهد التنزيل ـ للحاكم الحسكاني الحنفي ١/ ٣٣٤ بستة طرق، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٥١، وص١٤٠، تفسير القرطبي ١١/ ٢٧٢، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٠ روح المعاني للآلوسي ١٤/ ١٣٤.

(٢) انظر: شواهد التنزيل ١/ ٥٧ حديث: ٨٦ و٨٧ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٥ و١٠١ و١٠٢ و١٠٣ و١٠٤ و١٠٥، الأتحاف للشبراوي ص٧٦، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص١٦٢.

(٣) أخرج الثعالبي عن أنس بن مالك وبريد قالا: قرأ رسول الله هذه الآية... فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها، وأشار إلى بيت علي وفاطمة، قال نعم من أفاضلهما. وفي الباب ١٢ من غاية المرام تسعة صحاح، إنها نزلت في أهل البيت. انظر أيضاً: شواهد التنزيل ١/ ٤٠٩

الحق المضيّع:

فإن ضاع الحق على أيدي المتخاذلين من خالفوا الكتاب والسنة، واشتروا به ثمناً نجساً ألا وهو الارتزاق في بلاطات السلطان الغالب وعاظاً وقضاةً ومفتيين، ليبتدعوا ديناً وسنة تخالف الإسلام والسنة النبوية، وتبرر كل ذلك بالاجتهاد والإطاعة للأمير؟! فإن هناك أحراراً أبوّا أن يتخاذلوا ويسترخوا في بلاطات حكام الهوى ويرتزقوا على فتات موائدهم المغصوبة المسروقة من قبل الحاكم وعصبته الوارثة.

نعم أحرار تمسكوا بالحق على قلة أهله وضعفهم المادي المغصوب، قاسموا الحسن سبط رسول الله ﷺ في محنه، وجاهدوا مع الحسين عليه السلام في شهادته، يتحينون الفرص للقاء زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والتعلم من الإمام جعفر الصادق عليه السلام... الخ.

تحت ظروف التقية التي لم يتحملها إلا (من امتحن الله قلبه بالإيمان) وباع دنياه بآخرته، لا من باع آخرته بدنياه بل وباع آخرته بدنيا غيره من حكام اتبعوا مصالحهم وهواهم وقبلياتهم! أولئك الذين عرفوا الحق فعرفوا أهله، فكان الصادق مع الصادقين، والمجاهد مع المجاهدين والسني مع من أوصت السنة باتباعهم.

لا الذي ضيع الحق وأهله، إذ عرف الحق بالرجال، وأي رجال؟! لا يميزون بين الكفر والإيمان كما في اشتباهات الأشعري الجزافية.. أم من تعصب وغالى برجاله وسمى أحاديثهم صحاحاً؟! وقد ثبت بطلانها نقلاً عن واقعاً وعقلاً.. وأهمهما تبنيهم وتزكيتهم للإسرائيليات التي أصبح عندهم إذا أشير إلى فلان بحسن تفسيره لا لشيء إلا أن اعتماده على الإسرائيليات كان أقل نسبياً من غيره؟! مع حذره الشديد من أن يتنوّر بالحق سواء من

= بثلاثة طرق، الدر المنثور للسيوطي ٥/٥٠، تفسير روح المعاني للآلوسي ١٨/٦٥٧، غاية المرام ص٣١٧.

الكتاب أو السنة الشريفة، التي جاءت في فضائل أهل البيت عليهم السلام؟!!!

كما صرحوا بوهن الثعلبي والطعن فيه لأنه أورد أحاديث على ألسنة الشيعة؟! فبأي دين تزينون وعلى أي سنة تسيرون؟!!

٤ ـ البغوي[١]:

أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، الفقيه الشافعي، المحدث، المفسّر، الملقب بمحي السنة وركن الدولة (ت عام ٥١٠هـ).

وتفسيره هو «معالم التنزيل في التفسير» قال فيه ابن تيمية: والبغوي تفسيره مختصر عن الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة[٢]؟!

وقد بيّنا سابقاً أن الثعلبي أراد كسر الحجر المتعسف، الذي فرض على أحاديث أهل البيت لأنها تسقط الشرعية لإدعاءات الحاكم الغالب وشيعته؟!!

وسرعان ما ينكشف لك الحق وضلال من ينحرف عنه، عندما يقع النقد والطعن فيما بينهم.

فقد صرّح الكتاني: وقد يوجد فيه ـ يعني معالم التنزيل ـ من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه[٣]؟!

تناقض معهود: بأن يأتي من يحمل حبة دواء لتنقية ذلك الماء المختلط أو حقنة سحرية لشفاء المرض الميؤس منه. فقد وصفه الخازن ـ من مفسري الرأي ـ في مقدمة تفسيره بأنه من أجمل المصنفات في علم التفسير وأعلاها... جامع للصحيح ـ طعناً بغيره ـ من الأقاويل، عارٍ عن الشبه

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للسيوطي ص١٣، وفيات الأعيان ١/ ١٤٥، الطبقات الكبرى للسبكي ٤/ ٢١٤.

(٢) ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير ص٣١.

(٣) الكتاني في الرسالة المستطرفة ص٨٥.

والتصحيف والتبديل، موشىً بالقصص الغريبة ـ قصص بني إسرائيل ـ وأخبار الماضين العجيبة ـ وهي التي تكثر فيها الإسرائيليات ـ مرصع بأحسن الإشارات، مخرج بأوضح العبارات، مفرغ في قالب الجمال بأفصح مقال[1]؟!

نقض الغزل: وكما هي العادة، تجدهم يوردون عليه المآخذ والطعون بما يهدم ذلك البناء ولكن عند من؟!

أنه عند الباحث الموضوعي والمنصف المتقي، فهو إن كان ممن يحسب على الشيعة فإن قوله لا يحمل أدنى درجات الحجية، وهو ممن يريد إلغاء تاريخ وعقيدة ورجال الأمة لأنه يطعن بالسنة ورجالها؟!

وأنه مغالي بأهل البيت، وصاحب بدع ورافضي لا يستأمن على حديث. . . الخ.

أما الناقد الذي يُحسب على أهل السنة والجماعة فتجده:

أ ـ يكون نقده منسجماً مع مذهب أهل السنة والجماعة أي النقد الطائفي المذهبي، مثاله الشيخ محمد حسين الذهبي صاحب كتاب (التفسير والمفسرون). حيث نلاحظ وكأنه بعد أن ارتاح من أبعاد التفاسير الشيعية أوأنه بعدة أسطر بأنها لا يمكن الوثوق والأخذ بها، تجده ـ كما مرّ عليك سابقاً ـ يجمع النقائض، وبما أنه سلّم لتفاسير أسلافه ومن على شاكلته، فيحاول عرض المغالات والمبالغات بداية، وبعدها عندما يمر على الجنايات، وفدائح الأمور، وكبائر المؤاخذات على المفسرين الذي قد يصل بعضه الزندقة والكفر والخروج عن الدين، تراه يمرّ عليها بكل هدوء، محاولاً تخفيف وتلطيف تلك العظائم وتهوينها وتبريرها مهما أمكن لكي لا يمس رجاله الذين عرف الحق بهم ولو كان على حساب إعطاء صورة عن الله تعالى

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٢٣٦.

أشبه بإله بني إسرائيل الجالس على عرشه وله يدان وأصابع. . .الخ أو أهانه مقام الأنبياء عليهم السلام كما أهانها بني صهيون، وكذلك الملائكة. . .الخ.

وكذلك فعندما يمر على تلك التفاسير يراعي أيضاً شعور الجهد المنتسب إلى أهل السنة والجماعة أو لعله خشية أن يتهم ولو بميل إلى الشيعة، أو ظهور من هو على شاكلته ابن تيمية أو الذهبي ممن يدخلون ويخرجون من شاؤوا إلى أهل السنة والجماعة، وفي تاريخنا المعاصر يوجد خلفهم كابن باز أو أمير مؤمنين حركة طالبان؟!

ب ـ حصر الدراسة النقدية في طائفة واحدة وهي طائفة أهل الحق والسنة والسلف الصالح والجماعة. . لأن مأثورهم صحيح أخذ عن الصحابة والتابعين ـ فرض خيالي يبطله الواقع ـ وكأنها يدٌ بيد وعليه تأتي تفاسيرهم صحيحة؟!

الأمر الذي يغري الجمهور واطمئنانهم بذلك الموروث الصحيح كله، بل وغالباً ما ينطلي على كبار العلماء والمفسرين من غير المغالين والمتعصبين، مما يوقعهم في الحيرة بين ما هو مدعى وما هو واقع؟! أمثال الشيخ محمد الغزالي، وعبد الفتاح أبو سنة وغيرهم.

ومن أشهر هؤلاء الناقدين الطائفيين هو الدكتور محسن عبد الحميد (تطوّر تفسير القرآن، وكذلك الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب (اتجاهات التفسير في العصر الراهن).

ومن مجموع ذلك نخلص إلى أن: سياسة الحكام وشيعتهم ـ سنة الحاكم الغالب ـ نتيجة تغلبهم بالقوة بحيث كثر سوادهم ترهيباً وترغيباً، واتعاظ الأمة وحتى كثير من العلماء بما جرى للمعارضة، وكان السيف بيد والقلم بالأخرى، ففرضوا وخطوا منهج أهل السنة والجماعة، وصحاح الحديث، وسلامة التفاسير، حتى جاء النقد ليتعامل مع الموجود في الساحة ومنسجماً معها معتبراً الباقي فضولاً وشواذاً؟!

ونعود ونطبق ما توصلنا إليه في تقييم آخر مقطع من تفسير البغوي.

قال د. محمد حسن الذهبي[1] فيه بعدما امتدحه سابقاً: ويلاحظ أنه يروي أحياناً الضعفاء مثل الكلبي؟!

وأنه ينكر بعض الإسرائيليات؟! مثل ما ذكره في قصة هاروت وماروت ولا يعقب عليها؟!

وأنه ينقل الخلاف عن السلف في التفسير، ويذكر الروايات في ذلك ولا يرجح؟!

نلاحظ على الدكتور الذهبي:

أ ـ وإن كنا لا نعرف الآن من هو هذا الكلبي، فمن قال أنه من الضعفاء؟! بعدما رأينا التناقضات والموضوعات في الصحاح ورجالها؟!

ب ـ هونت الخطب عندما قلت: أنه يذكر بعض الإسرائيليات أي لا كغيره! ثم أن الإسرائيليات عندكم معتبرة بعد تعديل وتزكية أقطابها، وليست هي بأخذ من أحاديث الشيعية فبعضها وكلها سواء! هذا فضلاً عن أنه أخذ القصة من إمام سلفه الطبري (رض) وعليه لا مجال للطعن والتساؤل؟!

ت ـ وهل تريد للبغوي أن يخرج عن سنة السلف الصالح، وكل أحاديثهم صحيحة، وكلهم عدول بما فيهم المنافقين الذين ذكرهم القرآن، وتقاتلوا فيما بينهم، وقتلة عثمان، والباغي على علي والمنتهكين حرمة الكعبة والمسلمين، رضوان الله عليهم أجمعين، فهم وإن اختلفوا إلا أنهم مأجورين بأجر واحد لاجتهادهم وعليه فلا داعي للترجيح نستغفر الله من ذلك؟!!

ث ـ الدكتور الذهبي كغيره عندما يتعرض لكتب التفسير التي تعود لسلفه الصالح الصحيح، يستدرك وقد يطرح، مثلاً إذا كان هذا التفسير هو هو مجرد اجتهاد صاحبه؟!

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٧.

وكما ذكرنا سابقاً أنه يحاول جهد إمكانه لدفع الشبهات وذلك الخلط والتناقض، والحضور الكبير للروايات الإسرائيلية، وتضارب الصحاح المزعومة، وبعد ترقيع الخلف، أو تخفيف وتلطيف تفاسير السلف ومع ذلك تبقى الحيرة والتناقض؟!

فيقوم الذهبي وغيره رفعاً ودفعاً لتلك التناقضات والهروب من الحيرة والتساؤل، بقذف أو زرق شحنة في غاية المبالغة ولو على حساب الطعن بتفاسير السلف الصالح المقدسة، والتي صدرت عن أئمتهم وقدواتهم في التفسير حيث يقول في تفسير البغوي:

وهذا الكتاب في جملته أحسن وأسلم من كثير من الكتب التفسير بالمأثور[1]...؟!

٥ - ابن كثير:

هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي. ولد عام ٧٠٥ - وتوفي عام ٧٧٤هـ[2].

وتفسيره هو «تفسير القرآن العظيم» من أشهر ما دّون في التفسير المأثور؟! ويعتبر في ذلك، الكتاب الثاني بعد تفسير الطبري[3]؟!

وقد قدّم له بمقدمة قيمة تتعلق بالتفسير معتمداً فيها على كلام شيخه ابن تيمية؟!!

لا يشرف المفسر أن ينسب إلى أمثال ابن تيمية.. في الوقت الذي هو عار وسبه عندما ينسب نفسه إلى السلف الصالح والسنة والجماعة ومن يفتخر به تعصباً وجهلاً، لما عرفت من افتضاح نصبه الواضح بعداوته لأهل البيت

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٢٣٤ وما بعده.

(٢) انظر ترجمته في: الدور الكامنة ١/ ٢٧٣، مستندات الذهبي ١/ ٢٣١، طبقات المفسرين للراودي ص ٣٢٧.

(٣) كثرة المبالغات تدل على وقوع الاختلافات، وقد مرّ عليك ما في الطبري فهل تنفع ترقيعات الفرع الكثيري!

النبوة ﷺ والتكلف باستبعاد التفاسير بحق علي عليه السلام وأهل بيته بالرغم من كونها متواترة وبعضها قريب من التواتر في صحاحهم وسنتهم، هذا فضلاً عن إدعاءاته العريضة غير المستندة إلى أدلة على خلافهما، بالإضافة إلى مزاعمه وأراجيفه الباطلة بتزوير الحقائق ونقلها بلا أمانة ولا تقوى لأجل إشباع نزوته التعصبية تجاه الحق وأهله؟!

عبارته سهلة موجزة... ويقوم ابن كثير عند شرحه للآية برد الآيات المتناسبة معها في المعنى.

ويقوم أيضاً بترجيح بعض الأقوال على بعض، وتصحيح بعض الروايات وتضعيف بعض آخر منها، وهذا لمعرفته بفنون الحديث وأحوال الرجال كما ذكروا[1].

وكثيراً ما ينقل من تفاسير من سبقه كابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن عطية وغيرهم

هذا ويمتاز تفسير ابن كثير بأنه متنبه للإسرائيليات ـ فأي داعي لذلك وقد تبناها السلف وزكاها ـ ويحذر من منكرها ـ وقد عمل بها السلف ولكن المنكر عندهم روايات الشيعة وعليه فلا منكر ولا مشكلة ـ تارة على وجه الإجمال ـ خشية جرح سلفه بجرحها أو من باب استجارة المشرك وقتل المسلم ـ وأخرى على وجه التحديد والتعيين ـ ويكون بذلك قد خالف السلف، وظلم اليهود عندما قرنهم مع الشيعة؟!! ـ لذلك نلاحظ أنه عندما يشرح آيات الأحكام يوضح خلافات الفقهاء، ويناقش أقوالهم وأدلتهم مع الأقوال في ذلك[2].

وهذه تعتبر ظاهرة انحراف خطيرة ـ إذ كما ذكرنا سابقاً أن رجالهم

---

(١) كيف نفهم القرآن ص٢٠٩.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٧.

يمرّون بكل تؤده على الانحرافات الخطيرة ـ عندهم بحيث كنا نعتقد بأن الإسرائيليات وكفرياتها محصورة في جانب القصص فقط، لا أنها تمتد بفضائحها وأباطيلها إلى آيات الأحكام والعبارات، بحيث تأتي العبادة وبقية آيات الأحكام منسجمة مع عبادات اليهود وحاخاماتهم.. ومخالفة لما جاء به الشارع المقدّس؟!

هل أصلح ابن كثير الموروث الفاسد الكثير؟

يعتبر (اهتمامهم بتفسير ابن كثير والقرآن العظيم) أنه يستبطن تدارك بل التستر على تفاسير من سبقه، من الذين كثرت فيها الموضوعات والإسرائيليات، بحيث جاءت تفاسيرهم وعليها بصمات اليهود على نسق توراتهم المحرفة من تشبيه وتجسيم، ونظرتهم ـ وهم قتلة الأنبياء عليهم السلام ـ الدونية إلى الأنبياء عليهم السلام بارتكابهم المعاصي، وتصرفاتهم المشينة والمضحكة بل القبيحة ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وكذلك لم يوفروا ذلك حتى على الملائكة الكرام؟!

فهذا يدل على أن مخططات اليهود التي أفسدت المسيحية، قد وجدت في صحاح القوم وتفاسيرهم التي يغالون بها وبرجالها، المجال الرحب لضرب الإسلام وفتنة المسلمين، منها التهم اعتبروا أن هذا ما عليه أهل السنة والجماعة والمخالف لهم ـ وإن كان على تفسير القرآن بالقرآن أو السنة الحقة ـ زنادقة وروافض خوارج يهود هذه الأمة...؟!

وعلى ضوء ذلك فلا توجد أي ميزة لتفسير ابن كثير عن تفاسير سلفه إلا توقفه على الحياد متأرجحاً لا هو بالقادر ـ وأنّى له ذلك ـ في الطعن على تلك التفاسير بالموضوعات والإسرائيليات التي جاءت على لسان كبار الصحابة والتابعين وتاعبي التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.. ولا هو عنده من تفسير أو حتى تأويل بما يمكنه الاعتماد والتخلص من ذلك الانحراف الفاضح؟!

لذلك قرر ابن كثير بصدد ذلك الوقوف بلا حراك ولا تأثير!

ومن الأمثلة المستهجنة التي وردت في تفسيره بذلك الشأن:

قوله: أما (هاروت وماروت) فيأكد أنهما جبريل وميكائيل؟! وقد أورد مقارنات ـ مضحكة عن سلفه نقلاً عن صحاحه المدعاة ـ بين هاروت وماروت، وبين عصيان إبليس ـ بنفس يهودي ـ وبرر ذلك حسب ما ذكر أنه وقع أخف مما صدر عن إبليس!

وقد حكاه عن القرطبي، وابن مسعود وابن عباس، وابن عمر، وكعب الأحبار؟! والسدي والكلبي[1]؟!

ثم يردف ذلك عن حديث أحمد بن حنبل، يقول: أن آدم لما أُهبط إلى الأرض قالت الملائكة أي رب ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾... الآية قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى: للملائكة سمّوا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض... القصة. فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتل الصبي..؟! ولكنه اكتفى بالتعليق أن هذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين، إلا موسى بن جبير، والأنصاري السلمي مولاهم المديني الحذاء؟!

ثم يذكر بعدها قصة أخرى بين الله والملائكة، فيها يقسم كعب الأحبار ـ اليهودي ـ فوالله: ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه؟!

ثم أورد عن سالم، عن كعب الأحبار، فذكره قائلاً: فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر، لأن سالم أثبت في أبيه، من مولاه نافع! ثم قال عن كعب الأحبار أنه نقل ذلك عن كتب بني إسرائيل والله أعلم؟!!

---

(١) التفسير العظيم ـ ابن كثير ـ ١/ ٢٠٢، علماً أن كعب هذا من أقطاب الإسرائيليات، كذلك أن ابن كثير كان قد جرح الكلبي في مقدمة تفسيره ص١٢؟!.

وأخيراً ما لبث أن قواه بالآثار الواردة عن الصحابة والتابعين (رض)[1]؟!! وصدق قول الشاعر فيهم:

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإن القول ما قلت حذامِ

وعليه فكل من ورد بالصحيحين أو زكاه السلف ولو كان كعب الأحبار اليهودي، فهو عدل ثقة يقبل حديثه ولو كان بهذا المستوى من الانحطاط بل والضلال والكفريات المقتبسة من أساطير اليهود.. بينما يجرح فلان المسلم ولا يقبل منه الحديث ويتهم بالوضع والكذب والزندقة.. إذا شم منه أنه يتشيّع لعلي عليه السلام أو أنه يرى الحق مع علي في حربه مع سيدنا معاوية (رض)؟!

وهكذا نجد أن ابن كثير يورد في تفسيره، ما في تفاسير سلفه، المشحونة بالإسرائيليات ومما فيها مما يهد الجبال ذكره، لما يمثله من عصيان اليهود وإيذائهم لأنبيائهم فعلاً وقولاً ونسب إليهم ما لا يليق بهم بل إلى الخالق تعالى مما تتفطر له السموات وتتصدع له الجبال سبحانه وتعالى عما يصفون؟!

ولكن ابن كثير ـ وهو الأقل أخذاً بتلك الإسرائيليات ـ ينقلها بتفسيره غير مبال ولا مكترث بكل برودة أعصاب، وبكل اطمئنان، لأنها جاءت عن الصحاح، وكبار السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين؟!

فقد ذكر في مورد آخر، عن أسباط عن السدي ـ في قصة هاروت وماروت ـ حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنها واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية بيدخت وبالفارسية أناهيد[2]... الخ.

هذا وقد مرّ عليك أن اليهود بإسرائيلياتهم كانوا يدسون أمثال اسم كلب

---

(١) التفسير العظيم ١/٢٠٣.

(٢) التفسير العظيم ١/٢٠٦.

أصحاب الكهف، وبقرة موسى عليه السلام . . . الخ. عندها تعلم أن هذه من تلك ولكن الذي يلاحظ عليهم وبشكل لا شك فيه ـ كما مرّ عليك سابقاً ـ أنهم مراعاة لا أدري هل لكعب الأحبار وأمثاله من اليهود أقطاب للروايات الإسرائيلية وخشية مسهم ولو بشطر كلمة أو مراعاة مقام رجالهم الذين زكوّا أولئك اليهود وتبنّوا رواياتهم الإسرائيلية؟!

وهكذا وبعد أن سوّد ابن كثير تفسيره، بهذه الكفريات والضلالات من الأساطير الإسرائيلية، التي يأبى وبلا ريب تنزيه منزل القرآن سبحانه وتعالى، ومبلغه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والراسخون في العلم، أن يدنس قدس القرآن بأمثال هذه التفصيلات القذرة الوقحة، والتي لا تناسب حتى ما لمح القرآن الكريم على بعض الناس أمثال زوجة العزيز، وقوم لوط وغيرها، والتي ذكرها بنحو والكناية والإشارة.

لذلك نجده في ختام ذلك وبعد أن أوقع تابعيه في حيرة الذين يغالون به وبأمثاله بحيث يقيسون الحق عليهم كما توارثوها رجل عن رجل وسموهم السلف الصالح وأهل السنة والجماعة وغيرهم الخارجين والروافض. . . الخ.

فيما ذكر بقوله: وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؟! إذ ليست فيها حديث مرفوع صحيح متصل الأسناد إلى الصادق المعصوم. الذي لا ينطق عن الهوى، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أورده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال[1]!

ونلاحظ على تفسير ابن كثير ما يلي:

١ ـ مخالفته بل مصادرته لمنهج أسلافه الذي سموّه ما عليه أهل السنة والجماعة؟!

إذ أن منهجهم مبتنياً على سلسلة الصحابي ثم التابعي ثم تابعي التابعي. . . الخ.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٠٧.

وعليه فأي منهم قد خرج عن سنّة النبي ﷺ؟!

٢ ـ إن إدعاء ابن كثير العريض الخطير يعتبر طعناً بسلفه الذين تركوا السنة الصحيحة المتصلة بالمعصوم وأخذوا بسنة الوضاعين واليهود، وكانوا خارجين عما ادعوه من كونهم أهل السنة والجماعة، وصحيح صحاحهم؟!

فهو أراد أن يزكي نفسه ويتورع بل ويتبرأ عما صنعه أسلافه، فسفههم وفسقهم ضمناً لجرأتهم على آيات الله تعالى وتفسيرها بالموضوعات والإسرائيليات.

٣ ـ نسأل ابن كثير ما هو مدى تأثير رأيك هذا المنفرد والخارج سواء!

أ ـ كونه في مرحلة تاريخية متأخرة وهي القرن الثامن الهجري أمام القرون الأولى لسلفك التي تسمونه خير القرون، وأصول سنتكم وكل ما يأتي بعدها يكون عيال عليها وأضعف عن أضعف وهكذا؟!

ب ـ أي قيمة لتفسيرك هذا خصوصاً وقد نسف تفاسير آراء كبار وأركان التفسير عند أهل السنة والجماعة؟! كالطبري والرازي والبيضاوي والبغوي، والنسفي، وابن الليث السمرقندي وغيرهم.

والذي يشهد لهم جل علماء أهل السنة أن تفاسيرهم هي الأصل وما بعده إما مختصرات أو عبارة عن تقليد لها، حيث لم يتحرجوا مما تحرجت منه؟!

٤ ـ أن ابن كثير ـ كغيره من كثير من علمائهم ـ يغرون الناس بألقابهم وشهرتهم وفي الأزمات يتركونهم في حيرة من أمرهم!

وهكذا يكشف مدى جرأة أمثال هؤلاء على التصدي للعلوم وخاصة التفاسير مع ذلك العجز والضعف وبكل إصرار يدل الاعتراف لأهل الفضل والذكر والراسخون بالعلم ليربحوا ويرتاحوا وينجوا وينجّوا؟!

فمثله كمن ينصب نفسه دليلاً إلى هدف، فما يلبث أن يترك المستهدي به في مفارق طريق محفوفة بالمخاطر والألغام ليقول له: إن جلّ الذين سبقونا قد ضلوا الهدف، وهم أكثر مني خبرة ومعرفة، وهم سلفي وقدوتي أما أنا فلا شيء عندي إلا أن أقول لك اختر ما تشاء والله أعلم؟!

في الوقت التي يطعن بسلفه وتأثرهم الكثير بالإسرائيليات وأنها لا يمكن نسبتها للمعصوم.

ولكنه تابع سيده ابن تيمية القائل بتجويز الحديث عن بني إسرائيل ولكن من غير تكذيب ولا تصديق!

وبالفعل فإنَّك عزيزي القارىء تجد مدى الإفراط والتفريط بين أقصى اليمن أو أقصى الشمال، والأخذ تارة من هنا وأخرى من هناك، وكثرة القراء حتى أنك أن تستمع إلى خطيبين تجد الاختلاف بينهما إلى حد حرام ولا يجوزه وحلال جائز. ولقد استمعت إلى برنامجين على الفضائيات حول الوقوع بالبدعة وعدمها فكان الأول يتسامح بإقامة إحياء مناسبات ولادة الرسول ﷺ وغيرها، واعتبارها مناسبات مهمة لهداية الناس وأسماعهم الإسلام. بينما الثاني اعتبرها بدعة بحد الشرك وهكذا؟!

٦ ـ السيوطي:

هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي الشافعي. ولد عام ٨٤٩هـ ـ ٩١١هـ. كان عالماً فذاً في علم الحديث وفنونه رجالاً ومتناً وغريباً واستنباطاً للأحكام، وقد أخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث. وله مؤلفات كثيرة نافعة وذات شهرة وقبول عند الناس[١].

وتفسيره هو «الدّر المنثور في التفسير المأثور» وهو تلخيص واختصار لكتاب آخر له في التفسير اسمه «ترجمان القرآن» حيث حذف الأسانيد وهذه من أكبر الجنايات والمثيرة للشكوك ـ مخافة الملل، وعزا كل رواية إلى الكتاب إلى الكتاب الذي أخذ منه[٢]!

وقد نال تفسيره الكثير من النقد من بني جلدته ومذهبه بالرغم من إطلاقهم سمة الصحاح على جلّ أحاديثهم بما فيها الإسرائيليات والموضوعات

---

(١) ترجمته في: شذرات الذهب ٨/ ٥١ ـ ٥٥، ومعجم المفسرين لنويهض ١/ ٦٤.

(٢) كيف نفهم القرآن ص ٢١٠.

ـ والويل لمن كفره النمرود ـ فقالوا فيه أنه لم يتحر الدقة فيما جمع فيه، وإنما جمع الصحيح والعليل ـ لعل العكس هو الصحيح ـ مع أنه من أهل المعرفة بالحديث وعلله[1].

ولذا فالكتاب بحاجة إلى تمحيص وإخراج العليل منه وتصفيته؟! كما أنه يلاحظ أن السيوطي لم يخف شيئاً في أمور المنثور من الاجتهاد والرأي كما هذه جولة مختصرة ومركزة عن أهم شيوخ التفسير وكتبهم فمن منهج التفسير بالمأثور، عند مدعي السنة والجماعة، حسب التسلسل الزمني لوجودهم عبر العصور، وباعتبارهم أهم من يمثلون سنتهم من رجالهم وأئمتهم في المحافظة على التشيع لمعاوية ولكل سلطان غالب داعمين مذهبهم بالموضوعات المبالغ بها وتبرير الإسرائيليات التي طفحت بها كتبهم وسموّا ذلك صحاحاً ورفعوا شعار أهل السنة والجماعة؟!

تعارك وتناقض حول مدرسة التفسير بالمأثور:

ذكرنا سابقاً في تفسير الطبري الملئ بالإسرائيليات والموضوعات ومع ذلك فأنهم يعدونه من أفضل تفاسير المأثور، ومنهم ابن تيمية، وكذلك من جاء بعده واقتصر تفسيره كالبيضاوي والنسفي وغيرهم.

وكيف أنه لم يعقب أو يرد أو يبطل تلك الخرافات اليهودية مما أدى إلى إغراء من جاء بعده بل ولا زال يغرر بتابعيه والمتعصبين له (رض)؟!

وكما هي العادة والمنهج عند مدعي السنة والجماعة الذين نصبوه وأمثاله، أئمة لهم وتعصبوا بل وغالوا بهم خشية أن لا يبقى ما يدعوه أمام الحق والسنة فعل غيره من أصحاب كتب التفسير بالمأثور، بحيث يكاد يكون مقتصراً فقط على النقل والرواية، وهو مطبوع ويقع وفي ستة مجلدات ويتداوله أهل العلم[2].

---

(١) فهو لم يكن بأسوأ حال من غيره في جرأته مع ممن سموّا كل ما عندهم صحاحاً وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة وكأنهم وكلاء وأوصياء على كل ما يفعلونه!!

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٢٥٢.

هذا إذا علمت أنهم في الوقت الذي يشددون من استخدام الرأي والاجتهاد ـ وهو الارتجالي والجزافي ـ والذي يعتبروه تهجماً على الله ورسوله والشرع، إلا إنهم لم يتمكنوا من التخلص من تلك العقدة، حتى في التفسير المأثور، كما سمعت أعلاه في إشكالهم على السيوطي، وذلك لما تلقوه من كبار رجالهم الذين غالوا بهم، الأمر الذي جعل من الشرع القويم ملعباً مفتوحاً لكل من يحلو له التلاعب بالأحكام سواء بالتفسير أو الفقه وإذا ما أبنت له أخطاؤه قال هذا رأيي واجتهادي؟!

وبذلك نجد أن أغلب مدعي السنة والجماعة، مستغنين عن سؤال العلماء وكتب الفقه لأنه لا حرج عليه أن يجتهد في كل شيء أينما كان وحيثما كان!

فهذا مثلاً يرى باجتهاده أن أكل السكر حرام، ولذلك فهو يشرب الشاي بدون سكر؟! وحرم بعضهم الدراسة في المدارس والجامعات لا لشيء، وإنما لأنه يوجد فيها جرس، ومدرس حليق!

وقال بعضهم: إن أصول الفقه بدعة! وآخر أن علم التوحيد بدعة وهكذا[1]؟!

إن الحقبة التي جاء بها رسول الله ﷺ والتفسير الحق الذي يعطى للقرآن الكريم، منزلته كمعجز من عند الله تعالى لا نظير التوراة والإنجيل المحرفتين؟!

فمن أبرز النقاد والطاعنين على الطبري وأمثاله ممن طفحت كتبهم بأساطير انحرافات الإسرائيلية التوارتية.. الزمخشري ـ الذي سنذكر حملته الشديدة على مدعي السنة وأهلها ـ في تفسيره (الكشاف) الذي لم يرَ فيه ذكراً أو أدنى إشارة؟!

ولكنه حمل حملة شديدةً جداً لما أورده الطبري في قصة يوسف عليه السلام

---

(١) المتفيهقون ـ د. محمد هيتو ـ ص٤٨ ـ ٤٩.

منتصراً ليثبت عصمة الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم كما لا يليق بساحتهم ومنزلتهم، حيث يقول الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز على نبيّ أن يكون منه همٌّ بالمعصية وقصد إليها؟ قلت: المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة، ونازعت إليها عن شهوة الشباب ميلاً يشبه الهمّ به والقصد إليه ـ وإن كنا لا نوافقه على تفسيره ـ وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم، وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالانتفاع لأن استعظام الغير عند الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه، كهمنا عن عزيمة لما صرحه الله بأنه من عباده المخلصين[1]؟!

شاهد وخارج ثاني على إسرائيليات الطبري[2] في قصة (هاروت وماروت). وهو الفخر الرازي فقد قال: «وأعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة، لأنه ليس في كتاب الله عز وجل ما يدل على ذلك بل فيه ما يبطلها من وجوه:

أولها: عصمة الملائكة عن كل المعاصي.

وثانيها: إن قولهم إنهما خيّرا بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة فاسد، بل كان الأول أن يخيّرا بين التوبة والعذاب، لأن الله تعالى خيّرا بينهما من أشرك طول عمره، فكيف يبخل عليهما بذلك.

وثالثها: إن من أعجب الأمور قولهم: يعلمان السحر في حال كونهما معذَبين ويدعوان إليه وهما يعاقبان[3]؟!

أما النيسابوري فقد رواها في تفسيره ـ عند تفسيره للآية الكريمة ـ بروايتين مختلفتين في الألفاظه مترفقتين في المعنى ثم تعقبهما بالرد والإبطال فقال: وهذه القصة عن المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها.

---

(١) الزمخشري ـ الكشاف ـ ٢/ ٣١١.

(٢) الطبري ـ جامع البيان ـ ٢/ ٤٣١.

(٣) الرازي ـ مفاتيح الغيب ـ ٣/ ٢٢٠.

ولأن الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها، ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب، ولأن الفاجرة كيف يعقل أنها صعدت إلى السماء، وجعلها الله تعالى كوكباً مضيئاً، ولأنه ذكر في القصة أن الله تعالى قال لهما: «لو ابتليتكما بما ابتليت به آدم لعصيتماني، فقالا له: لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك، وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل»[1].

أقول: هذا هو مأثور أهل السنة والجماعة ورغم ذلك يدفعهم التعصب الأعمى أن ينتصروا ويدافعوا عن ذلك التراث لأنه صدر عن رجالهم وأئمتهم (رض)؟!

كذلك العارف محي الدين ابن عربي:

أورد الآية، ثم ردها وأبطلها نقلاً وعقلاً فقال: «. . . قال القاضي: وإنما سقنا هذا الخبر لأن العلماء رددوه ودونوه فخشينا أن يقع لمن يضل به ـ وهل بعد الحق إلا الضلال، ـ وتحقيق القول فيه: إنه لم يصح سنده، ولكنه جائز كله في العقل لو صح النقل، وليس بممتنع أن تقع المعصية من الملائكة ويوجد منهم خلاف من كلفوه، وتخلق فيهم الشهوات، فإن هذا لا ينكره رجلان: أحدهما: جاهل لا يدري الجائز من المستحيل ـ فهم جحدوا العقل وتعصبوا لما عندهم من نقل ـ والثاني: من شم ورد الفلاسفة فرآهم يقولون: إن الملائكة روحانيون، وإنهم لا تركيب فيهم وإنما هم بسائط وشهوات الطعام والشراب والجماع لا تكون إلا في المركبات من الطبائع الأربع[2]»

أما ابن عطية:

رواها مختصرة ثم تعقبهما بالرد والإبطال فقال: «وهذا القصص يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض، ولا يقطع من شيء فلذلك اختصرته»[3].

---

(١) النيسابوري ـ غرائب القرآن ـ ١/ ٣٩١.

(٢) ابن عربي ـ أحكام القرآن ـ ١/ ٢٩.

(٣) ابن عطية ـ المحرر الوجيز ـ ١/ ٣٧٠.

كذلك القرطبي:

حيث دمغ مغالاة أهل السنة لرواياتهم ورواتهم؟!

فقد قال: «قلنا: هذا كله ضعيف عن ابن عمر وغيره؟!!! ولا يصح منه شيء فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة[1]، الذين هم أمناء الله على وحيه وسفراؤه على رسله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧]. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠].

وأما العقل ـ المجمد عند السنة أمام مطلق نقل ـ فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه، ويخلق فيهم الشهوات، إن في قدرة الله تعالى كل موهوم، ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء، والفضلاء العلماء، لكن وقوع هذا جائز لا يدرك إلى بالسمع ولم يصح، ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق هذه النجوم والكواكب حين خلقت السماء، والسماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة زحل والمشتري... ثم أن قول الملائكة «ماكان ينبغي لنا.» عورة لا تقدر على فتنتنا، وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته إلى الملائكة الكرام، وقد نزهناهم وهم المنزهون[2] عن كل ما ذكر ونقله المفسرون، سبحان رب العزة كما يصفون»[3].

أما ابو حيان[4]:

فقد ذكرها من غير أسناد، وعزاها للمفسرين، وقال بعد ذلك معقباً: «وهذا كله لا يصح منه شيء، والملائكة، معصومون عنه ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا

---

(١) وهذه مشكلة مدعي السنة لا يؤمنون بالحقائق إلا من خلال رجالهم ومدعاة صحاحهم!

(٢) وهو خلاف ما عند السنة لا الملائكة ولا الأنبياء بل ولا الخالق تعالى في ميزان صحاحهم!

(٣) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ ٢/ ٥١.

(٤) كيف نفهم القرآن ص ٣٠٨.

يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠].

ولكن المعتمد في ذلك عند مدعي السنّة والجماعة هو صحاح رجالهم وإن جاءت خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع والعقل؟!

فهذا ابن تيمية المتناقض، يشيد بتفسير الطبري بقوله: «وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً؟!!»[١].

في الوقت الذي يشن حملاته الشديدة على ابن عربي والرازي وغيرهم من أصحاب العقل والعرفان، ولذلك ترى مدى قوله هذا أشبع فضول أعراب الوهابية المتخلفة.

ومن مجازفات ابن تيمية الواضحة أيضاً قوله في الطبري: «إنه لا يروي الموضوعات ولا يروي عن المتهمين؟!»[٢].

وهذه كغيرها يتبين إدعاءات ومجازفات ابن تيمية المعهودة عياناً، وقد مرّ عليك سابقاً هذا بالإضافة إلى عدم موافقة أي واحد حتى الطبري نفسه، إذاً كثيراً من الروايات التي أوردها في تفسيره، وروايات أخرى، لم يردّها ولم يعقب عليهما، قال فيها الدكتور الذهبي: «ابن جرير يروي في تفسيره أباطيل كثيرة يردها الشرع ولا يقبلها العقل، ثم هو لا يعقب عليها بما يفيد بطلانها اكتفاءً بذكر أسانيدها»[٣].

وهذا القول يشمل الإسرائيليات الموجودة في رواياته لتفسير السلف.

بل أن ابن تيمية نفسه الذي قال: «إن الطبري يروي تفاسير السلف، بالأسانيد الثابتة»[٤].

فهل يجد المسلم أي أثر للصدق والتقوى، أو الباحث لشي من الأمانة

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ـ ابن تيمية ـ ص٩٠.
(٢) مقدمة في أصول التفسير ص٥١.
(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص١٢٠.
(٤) مقدمة في أصول التفسير ص٥١.

العلمية نعم بمثل هذه الافتراءات والأباطيل ثم تعمية وتجهيل بل وفتن الأمة بالباطل دون الحق، عندما ينسب كل ذلك زوراً وبهتاناً إلى السلف الصالح والسنة المباركة!

هكذا يفعل التعصب الأعمى فعله، وهكذا يجعل الغش وتضليل الأمة عن الحق؟!

وهكذا تعرف مدى تأثير الموضوعات والإسرائيليات في أحاديث القوم وبالتالي تأثيرها السيء على تفاسيرهم، والتي أن تعارضت مع تنزيه الله تعالى ورسله عليهم السلام والملائكة والعقل والإجماع، أسقطوها، وتمسكوا بروايات رجالهم الصحيحة وآرائهم الاجتهادية؟!!

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، وأن كره الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ومن يرى غير ذلك فهو مبتدع زنديق رافضي خبيث؟! ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما مرّ عليك سابقاً هذا بالإضافة عن سكوت الجميع عن قضية الغرانيق في حق رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وهذه مسألة متسالمة ومجمع عليها عند كل أهل السنة والجماعة، وكأنهم قد عاهدوا اليهود أن يكونوا أمناء على إسرائيلياتهم، والتستر على موضوعاتهم تحت غطاء صحيح البخاري ومسلم وغيرهم؟!

هذا كله لأجل تدعيم مذاهبهم لا الحق، بدليل أن ابن تيمية مثلاً لم يلتزم بما قاله في الطبري إذا تعارض مع مصلحة مذهبه الذي تعصب له، وذلك عندما غض طرفه عن كل تلك الإسرائيليات وأشاد بالطبري، حيث لم يلتزم بذلك عندما يصادم ذلك مصلحته، والتنفيس عن حقده ونصبه الأعمى تجاه علي عليه السلام وأهل بيته الكرام؟!

حيث يقول وتفاقم الأمر ـ فمن ليس لهم سلف من الصحابة، ولا أئمة المسلمين، من تفاسيرهم الباطلة ـ في الفلاسفة والقرامطة والرافضة فأنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي منها العالم عجبه!

فتفسير الرافضة كقولهم: في علي بن أبي طالب ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥].

هو علي! ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم[1]؟!!

في حين رواها الطبري نفسه بأسانيده عن السلف من خمس طرق؟!

وعلى هذا يتضح لنا كيف تم تهميش شخصية عظيمة السباقة في كل علم وفضيلة وآيات ومتواترات حسان ومواقف مشهودة ومرجعية لكل الصحابة...؟!!

ثم لو فرضنا ـ وفرض المحال ليس محالاً ـ أن هناك مبالغة في ذلك فهل هذا الأمر يستوجب اتهام قائليه بالبدع والزندقة والرافضة.... الخ. إذا قارناه بالتفاسير التي مرت على ضوء الإسرائيليات في مأثورهم؟!!

الفرع الرابع: التفسير العرفاني والصوفي أو الإشاري:

وهو المنسوب لأرباب الكشف والحقيقة والمشاهدة، ممن غاصوا في باطن وأسرار النص القرآني.

والعامة في الأغلب لهم موقف سلبي منه وكذلك من التفسير الكلامي كما سيجيء لأنهم معتزون بموروثهم المزعوم من كونه صحيحاً عن الصحاح وقد علمت ما فيه!

وينقسم إلى قسمين:

تصوف نظري يقوم على المباحث النظرية والأفكار الفلسفية، وكان زعيم هذا الاتجاه ابن عربي.

تصوف عملي أو فيضي: يقوم على الرياضة الروحية والسلوك الذي

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ٨٧.

يتبعه العرفاني في معراجه حتى يصل إلى درجة الكشف والشهود. ومن أشهر هؤلاء النيسابوري والآلوسي والتستري، وكذلك ابن عربي وغيرهم.

والعامة كعادتهم يظنون أن ما هم عليه هو السنة والحق، والناس أعداء ما جهلوا فإن وجدوا عند الآخرين ما يفوقهم أو يدحض حجتهم، شنوا عليهم مختلف الحملات والاتهامات ولكن (ولو ردّوه إلى الله ورسوله لعلمه الذين يستنبطونه) فالنسفي في عقائده يقول: النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل إلحاد؟!

ولكن السعد التفتازاني ردّ عليه قائلاً: سميت الملاحدة باطنية ـ هذه من جملة اتهاماتهم وتكفيرهم المتسرع ـ لإدعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم. وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكليّة!

ثم قال: وأما ما يذهب إليه بعض المتحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو كمال الإيمان ومحضر العرفان[1].

أشهر المفسرين العرفانيين والصوفيين:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١ ـ التستري:

أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠هـ ـ ٢٧٣هـ)[2]، وتفسيره هو «تفسير القرآن العظيم» يكثر من حكايات الصالحين وأخبارهم[3]. وقد علمت أنهم يتهمون هؤلاء أي الصالحين بأنهم أكذب الناس بوضع الأحاديث؟!

٢ ـ السلمي:

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (٣٣٠هـ ـ

---

(١) العقائد النسفية، وشرحها لسعد الدين التفتازاني ص١٤٢.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٣٨٩.

(٣) التفسير والمفسرون ٢/ ٣٠.

٤١٢هـ) من كبار شيوخ الصوفية، محدث على سيرة السلف، إلا أنه لم يسلم من الطعن عليه[١]!

وتفسيره هو: «حقائق التفسير» ناهجاً فيه النهج الأشاري فحسب دون أن يلتفت إلى المعنى الظاهر، لا لأنه غير مراد، ولكنه صرح بأنه أحب أن يجمع تفسيره أهل الحقيقة والكشف في كتاب مستقل كما فعل أهل الظاهر[٢].

٣ ـ الشيرازي:

أبو محمد روزبهان بن أبي النصر البقلي الشيرازي (ت ٦٠٦هـ) محدث وفقيه وأصولي، ومن شيوخ الصوفية في عصره[٣]. وتفسيره «عرائس البيان في حقائق القرآن» لكنه لم يسلم من طعنهم كغيره من الصوفية[٤]!

٤ ـ ابن عربي:

أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي (٥٦٠هـ ـ ٦٣٨هـ) كان من كبار شيوخ الصوفية حتى لقب بالشيخ الأكبر.

إلا أنه لم يسلم من هجومهم نظراً لآرائه الكلامية المتطرفة لاسيما في القول بوحدة الوجود وغيرها، وله العديد من المصنفات المختلفة[٥].

أما تفسيره المنسوب إليه «تفسير ابن عربي» فقد اختلف العلماء والمحققون حول نسبته إليه، فمن قائل إنه هو الذي وضعه، ومن قائل إنه لم يضعه وإنما نسب إليه[٦]. ويرجع ذلك لسببين:

---

(١) طبقات المفسرين للسيوطي ص٣١، طبقات الشافعية ٣/ ٦٠.
(٢) حقائق التفسير للمسليم ص١ ـ ٢، التفسير والمفسرون ٢/ ٣٨٤.
(٣) انظر: هدية العارفين ١/ ٣٧١.
(٤) التفسير والمفسرون ٢/ ٣٩٠.
(٥) شذرات الذهب ٥/ ١٩١، طبقات المفسرين للسيوطي ص٣٨.
(٦) تفسير المنار ١/ ١٨، التفسير والمفسرون ٢/ ٤٠٠.

أ ـ اغترارهم واعتمادهم على ما سموّه صحاحاً حيث لا يميلون إلى غيره.

ب ـ ومن نتائج تلك بعد فهمهم عن العرفان ومعانيه فكان كعادتهم الهجوم على الآخرين.

وعلى ضوء ذلك يمكن الرد على أسلوب مدعي السنة المغالي أنا الحق وغيري باطل أنا... الخ.

فهذا الحجر وذاك الجمود ينافي الموضوعية فضلاً عن حصر فهم الكتاب بموروثهم الذي سموه صحاحاً وإن جاء مليئاً بالموضوعات والإسرائيليات؟!

كما أن إعجاز الآيات قد يستفاد منها كثير من الآفاق المتوافقة مع الظاهر!!

وقد وفق في ذلك العلاّمة الطباطبائي غاية التوفيق.

وعليه فيمكن حمل مرادات ابن عربي وغيرهم من أهل العرفان على المحامل الحسنة إذ استفدنا منه ذلك ضمن شروط شرعية سيأتي بيانها.

فمثلاً قد ذكر ابن عربي في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة:١٨٨]. يقول: لا تأكلوا معارفكم ومعلوماتكم بباطل شهوات النفس ولذاتها، بتحصيل مآربها، واكتساب مقاصدها الحية والخير إليه باستعمالها، وترسلوا إلى حكام النفوس الإمارة بالسوء[1].

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] يرى أن البيت هنا إشارة إلى القلب الحقيقي[2].

إن هذا التجوز الفضفاض في الكلمات والمعاني والدلالات جعل كثيراً

---

(١) ابن عربي، تفسير القرآن الكريم ١/ ١٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه ١/ ٢٣.

من علماء مدعي السنة ـ أعداء ما جهلوا ـ يصفون الصوفية بالجهل تارة وبالكفر أخرى.

بينما تجد علمائنا يوجهون تلك التجوزات بأحسن توجيه، شأنها شأن علم الكلام وغيره!

وحجة الصوفية في منهجهم التفسيري المعتمد على الباطن رواية يروونها عن النبي ﷺ «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع»[1].

ولعمري أن هذا الحديث ليس بأقل صحة من كثير مما سموه صحاحاً؟!

إن علماء الشرع قد يقبلون بعض التفسير الصوفي، أو الاشاري أو الترمذي إذا توافرت فيه شروط أربعة:

أ ـ أن لا يكون التفسير منافياً لظواهر النظم القرآني.

ب ـ أن يكون شاهد شرعي يؤيده.

ت ـ أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

ث ـ أن لا يدعي أن المراد وحده دون الظاهر[2].

نعم أما غرائب التفسير، وشواذ التأويل، مما يعرفه المفسر الحصيف المستند على ركن وثيق، فلا تؤخذ بعين الاعتبار ولا يقوم دليل نصي أو تاريخي على صحتها كما في تفسير قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦].

أما إذا جئنا إلى أمثاله من رجالهم في هذا الفن فترى العجائب والخرافات والأباطيل بما يكان أن يكون كفراً أو هو الكفر بعينه؟!

أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والبسطامي وحتى الآلوسي... الخ.

---

(١) الاتقان ـ السيوطي ـ ٤/ ١٩٥.

(٢) التعبير الفني في القرآن ـ أمين بكري ـ ص١٢٢.

ففي حلقات الدروشة يروون أن «عبد القادر» حمل الله... وأنه فقأ عين ملك الموت... وأنه يشافي كل مريض... وأن أصحابه رأوا روحه طارت كالطير فسمّوه بالباز...؟!

ولم أسرد ذلك للتعريض أو التهجم بل لتوضيح أمر، وذلك أنهم إذا وجدوا ما هو أقل من ذلك بكثير أو عند رجل جاهل متخلف، إلا أنه محسوب على أهل بيت النبوة ﷺ! جعلوها ذريعة للنيل منا زنادقة، مشركين فرقة باطلة... الخ.

بينما يكون المقياس عندهم رجالهم، حيث لا يبالون بعدم تنزيه الباري سبحانه وتعالى، ولا تعظيم رسوله ﷺ، ولا مراعاة الإجماع أو احترام العقل، إذا ما صدر عن رجالهم قول أو فعل ـ كما مرّ عليك سابقاً ـ وهنا مثلاً إدعاء الآلوسي رأى الله ثلاث مرات في منامه؟!

إنه الحب والعشق[1]!

وهذا ابن عربي وإن كان يعتبر من أفضل رجالهم في هذا المجال، لأنه إذا استثنيا من هم دونه ـ إلا أنه لم يسلم من الطعون الكثيرة لوجود الشطحات الخطيرة في هذا المجال الحساس والدقيق؟!

منها إدعاؤه بأن له ما يشبه معراج النبي ﷺ، وكعادتهم فقد اتهمه متعصبوا أهل السنة (...) بالزندقة والكفر والإلحاد، وطالبوا باستئصاله وتخليص المجتمع منه ومن أمثاله وحرموا على العامة قراءة تصانيفه، مما أدى إلى حبسه وإيذائه[2]؟!

كذلك اختلف العلماء منهم في التفسير المنسوب إليه «تفسير ابن عربي» لما فيه من غرائب وتجاوزات منها قوله في (الفتوحات المكية) كنت نائماً في

---

(١) السيوطي، الاتقان ٤/٢٠٣.

(٢) مقدمة تفسير ابن عربي ١/١٤.

منام ابراهيم عليه السلام وإذا يقاتل من الأرواح ـ أرواح الملأ الأعلى ـ يقول لي عن الله: ادخل مقام ابراهيم[1]؟!

فمن قائل إنه هو الذي وضعه، ومن قائل إنه لم يضعه وإنما نسب إليه[2].

وذلك لأنه جمع فيه بين التصدق النظري والعملي، ولم يتعرض فيه لظاهر الكلام ـ وهذه كما أشرنا إليها تمثل الانحراف إلى التأويل المتكلف ـ والموضوعات والإسرائيليات الذين عجزوا عن مجارات وصد الغزو الثقافي الأجنبي على الإسلام واكتفوا بالسباب والتكفير؟!

كمال الانحراف: وذلك عندما حصل له خلط بين شطحاته الصوفية وبين موضوعات مدعي السنة، عندما قال في تفسيره لسورة النجم في الآيتين ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٥، ٦].

فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ روح القدس الذي هو ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ قاهر لما تحته من المراتب ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورته الذاتية... لاستحالة تشكل الروح المجردة في مقام القلب إلا بصورة تناسب الصورة المثقلة في مقامه، ولهذا كان يتمثل بصورة (دحية الكلبي؟!)... أن لو لم يتمثل بصورة يمكن انطباعها في الصور لم يفهم القلب كلامه، ولم يرَ صورته[3]؟!!

وكذلك في تفسير، للآيتين (٢٩ ـ ٣٠) من سورة الفجر ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ حيث يقول: «... ادخلي جنتي التي هي ستري، وليست جنتي سواك فأنت تسترني ـ يا ابن عربي ـ بذاتك الإنسانية فلا أُعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلاّ بي، فمن عرفك

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تفسير المنار ١/ ١٨.

(٣) تفسير ابن عربي: ٢/ ٥٥٤.

عرفني... فأنت عبداً رأيت رباً، وأنت رب لمن فيه أنت عبد، وأنت رب، وأنت عبد لمن في الخطاب عهد[1]؟! علماً أن الكلام الذي قال ما هو قريب من هذا القول، حيث أدى إلى الحكم بزندقته وقتله!

ومن جانب آخر نجد أن من جعلوا أنفسهم وكلاء عن السنّة، يكفرون هذا ويتهمون ذلك مع العلم أن الذي عندهم هو أسف وأكفر ويسمّوهُ صحاحاً وقائله إماماً، فمثلاً أنهم يتهموننا بمختلف التهم لأجل أحد المفسرين وهو الفيض الكاشاني، عندما يؤول الآيات المناسبة قريبة لأهل البيت النبوة، ورغم ذلك تصدى له كثير من علمائنا ـ كما سيجيء ـ بالردّ عليه؟!

ولكن استمع إلى ابن عربي، في نفس الآيتين يؤولها فلسفياً وصوفياً من غير مناسبة، ولكنه محض لانتمائه إلى أهل السنة والجماعة (رض) فقد قال: في تفسير الآيتين (٢٩، ٢٠) من سورة الرحمن ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ يقول: مرج البحرين، بحرا الهيولى الجسمانية الذي هو الملح الأجاج، وبحر الروح المجرد، الذي هو العذب الفرات يلتقيان في الوجود الإنساني ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ هو النفس الحيوانية[2]؟!!

وبالنتيجة فليس هو بأسوأ حال من ناقديه فهو لم يحسن الأخذ من الفلاسفة وهم أخذوا بالموضوعات والإسرائيليات وسموها صحاحاً، والأمر الذي فقدوا فيه التمييز بينه وبين النبوي الصحيح؟!

وأخيراً فيمكن القول بل الردّ على المعترضين من سمّوا أنفسهم أهل السنة أنه لا مجال لشن حملات التكفير والزندقة وغيرها، على ابن عربي وغيره من الصوفية، وذلك لأنكم قد وقعتم قبلهم في الشراك التي نصبها أقطاب اليهود لتقسيم الإسلام إلى فرق منحرفة عن السنة النبوية الأصيلة، وكل فرقة تغالي برواياتها ورواتها ورجالها لا بأهل الحق حقاً؟!

---

(١) المصدر السابق نفسه: ١/ ١٩١.

(٢) تفسير ابن عربي: ٢/ ٢٨٠.

وقد مر سابقاً بما فيه الكفاية عن اختراق الإسرائيليات وبكثرة في التراث لدى السنة بالشكل الذي ظهر عياناً حتى عندهم؟!

وبذلك يأتي الخوض في مجال التصوف لرجالهم وسلفهم مكملاً للمخططات اليهودية الواضحة التأثير في مناهجهم ومذاهبهم.

إذ أن من كبار اليهود الذين كانوا يخططون للمؤامرات على الإسلام بواسطة التصوف، والذي ظهرت بصماته الواضحة على ما أسلفناه هو ـ ابراهيم بن موسى بن ميمون ـ تولى طائفة اليهودية في مصر بعد أبيه، فألف كتابه، (كفاية العابدين) وهو موسوعة في الصوفية، وغاية الزلفى عنده الاتحاد بالله تعالى؟! وليس معرفة الله[1]؟!

الفرع الخامس: التفسير الكلامي «الفلسفي»:

إن دور القرآن الكريم هو بناء الإنسان والإنسانية مفتحاً مختلف الآفاق الحياتية في النشأتين، كما أن له الدور الكبير المعجز المتحدي ليدل على أنه من لدن حكيم خبير.

فمما تطرق إليه القرآن الكريم موضوعات في علم الكلام، في الإلهيات والنبوات وحقيقة الإيمان والسمعيات والكونيات، وفي إقامة الأدلة والبراهين، والردّ على الأديان الأخرى والمذاهب الوضعية والمنحرفة وغيرها!

ولكن وكما عهدنا ممن ادعوا لأنفسهم أنهم أهل السنة والجماعة، ونظرهم الضيق من خلال ما ادعوه أنه الحق وأنه ما عليه السلف الصالح، ومن كونه صحاحاً، مما جعلهم يتعصبون لأوهامهم وظنونهم، وذلك بالحجر على الفكر الإسلامي وصبغه بلونهم الجامد!

---

(١) للمزيد راجع كتاب ـ موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ـ د. عبد المنعم الحنفي.

فتراهم يشنون الحملات الشديدة على المعتزلة والإمامية بل وعلى بعضهم البعض أيضاً، يغلون ويكابرون بالرغم من تذكيرهم أنها وردت في الكتاب العزيز والسنة، هذا فضلاً عن الثقة الكبيرة بالإسلام المتحدي لكل التيارات والايديولوجيات قديماً وحديثاً.

وهذا مما انعكس على الواقع المعاصر، فمثلاً تجدهم اليوم في مجابهة العلمانية لا يملكون إلا الخطابات النارية الشديدة، ويحشدون الآيات والأحاديث كما هي غير عرضها وبلورتها الشكل الحضاري، بحيث يجد العلمانيون أنفسهم وقد غلبوا بأفكارهم وطروحاتهم بل ودحضوا الحجج الإسلامية، كما حصل في قضية حامد نص أبو زيد وغيره، بحيث تبقى القضية غير مشبعة بالرد لحجة الإسلام العظيم.

بل بالعكس لم نسمع سوى التكفير والاتهامات و. . . .الخ!

وهذا الموقف هو نفسه السالف من طروحات الجبر والتفويض مثلاً، وخلق القرآن، والمحكم والمتشابه، وآيات الصفات وغيرها. فما أن يظهر عجزهم نتيجة جمودهم وتعصبهم على مدعياتهم كالصحاح الطافحة بالموضوعات والإسرائيليات وغيرها ـ حتى يرموا الآخرين بالكفر والزندقة والباطنية ويقصدون بذلك الشيعة والمعتزلة والجهمية وغيرهم!

فلقد هاجم ابن قتيبة المعتزلة وانتقدهم انتقاداً شديداً ولاذعاً في كتابه «تأويل مختلف الحديث»[1].

ومنهم إمامهم «أبو الحسن الأشعري» فيمن حكم على تفاسير المعتزلة بأنه ضلال وزيغ!

فيقول: «أما بعد، فإن أهل الزيغ والتضليل ـ السباب دليل العجز ـ تأولوا القرآن على آرائهم وفسروه على أهوائهم تفسيراً لم ينزل الله به سلطاناً،

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث ص٨٠، التفسير والمفسرون ١/٣٧٦.

ولا أوضح به برهاناً ـ نتيجة جموده على النص مما أوقعه كما علمت بالتجسيم والتشبيه والنظر فلم يرو عن رسول ربّ العالمين من أحاديثهم الموضوعة والإسرائيلية الغالبة بكثرتها على غيرها ولا عن أهل بيته الطيبين[1]؟! ولا عن السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين ـ والواقع أنها سلف وعاظ السلاطين ومرتزقتهم المتخاذلين افتراءً على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين. وإنما أخذوا تفسيرهم عن أبي الهذيل بياع العلف ومتبعيه، وعن ابراهيم نظام الخرز ومقلديه، وعن القوطي وناصريه... ورأيت الجبائي ألف في تفسير القرآن كتاباً، أوّله على خلاف ما أنزل الله عزّ وجلّ... وإنما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه...»[2].

وكذلك شيخ السباب وتميمة والبدع ابن تيمية مقدمة تفسيره[3]. وكان اقذع سباباً وشتماً تمليذه ابن القيم عن تفسير المعتزلة بأنه: «زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور....»[4].

بل ولم يوفر ابن تيمية شتائمه حتى على من حسبوهم على أهل السنة والجماعة، كالفخر الرازي، والغزالي، وابن سينا وغيرهم، فوصفهم بأنهم: «أفراخ الفلاسفة، وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلاّل اليهود والنصارى والصابئين»[5]؟!

وقد سئل تقي الدين ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) عن المنطق والفلسفة، فقال: الفلسفة أسسٌ السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ

---

(١) وكأنها فلتة لسان! فلو أخذ هو عن أهل بيت النبوة ﷺ لما وقع في هذه الانحرافات والضلالات، ولكنه خالفهم ورفضهم وسنتهم، ليدعي أنه ومن معه أهل السنة والجماعة، ورمى أهلها بالرفض والزندقة... الخ.

(٢) ابن عساكر، تبيين كذب المفتري ص١٣٩.

(٣) ابن تيمية، أصول التفسير ص٢٢.

(٤) ابن القيم، أعلام الموقعين ١/ ٧٨.

(٥) ابن تيمية، المحمدية الكبري ـ العقود الدرية: ٧٥.

والزندقة، فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شرّ هؤلاء المياشيم، ويعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام[1]؟!!

عقيدة أهل السنة:

هكذا تتوضح لنا أهم مرتكزات وقواعد أهل السنة والجماعة وهي:

أ ـ ادّعائهم العريض أنهم أهل السنة، وما عندهم هو الصحاح وما جاء به رجالهم هو الحق، وعليه تقاس كل عقائد المسلمين بل الكتاب والسنة والعقل والإجماع، فهم الحق وغيرهم الكفر والزندقة والضلال!

ب ـ عند عجزهم عن الردّ والحوار، ومقارعة الحجة بالحجة التجأوا إلى السباب والشتائم، والاتهامات والطعون، ولهم في ذلك سلف وهو سيدهم معاوية بن أبي سفيان في سبه المعروف للإمام علي عليه السلام؟!

ت ـ إذا عجزوا عن الحجة والبرهان بالنقل أو العقل عمدوا إلى سيف السلطان، لتخيير الآخرين وتطويعهم أو إلغائهم، على طريقة إبادات الحجاج بن يوسف الثقفي، وصلاح الدين، والوهابية وحركة طالبان لشعب الأفغان؟!

نعم هؤلاء كانوا رجع صدى ذلك الجحود والتعصب والسباب، بينما فلاسفة الغرب والمستشرقين لم يتعرفوا على الإسلام من أبي الحسن الأشعري وابن تيمية وابن القيم، ولو عرفوه كذلك لنسبوا التخلف للإسلام ولقرنوه بمسيحية القرون الوسطى. ولكنهم عرفوا الإسلام بواسطة الفارابي، وابن سينا، والرازي، أما مسألة الإنصاف وغيرها فمسألة أخرى وإن كان قد ظهر هناك منصفون بل ومن أسلم منهم!

---

(١) فتاوى ابن الصلاح: ص٣٤. ط القاهرة.

وعلى ضوء ما عرفت من جمود الأشاعرة، حتى سمّاهم السنة من أهل البيت عليهم السلام بأهل الخلاف لمخالفتهم ما عليه السنة الحقة، وأن ادعوها تكلفاً وتكابراً من دون دليل أو برهان بل لمجرد تبرير مخالفاتهم. وكذلك اعتزال شيوخ المعتزلة عن آرائهم التي عادت العقل وتمسكت بجمود النص وأحاديثهم المتضاربة التي سموّها صحاحاً؟!

يقول الجاحظ بصدد ذلك: أن متكلمي الحشوية الذين يحشون الحديث إضافة ونقيصة بلا أمانة ـ والثابتة ـ من فرق مدعي السنة ـ قد صار لهم بمناظرة أصحابنا، وبقراءة كتبنا بعض الفطنة[1].

أي لقد استفاد بعضهم عندما تنازل عن جهله وجموده نتيجة غلوه وتعصبه لما عنده ظاناً ومدعياً أنه الحق والصحيح.

ولعل الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) هو أول من استوفى القول في هذا المجال، وذهب في فهم القرآن إلى: «إن كل ما أشكل فهمه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه»[2].

وقد مرّ عليك شدة الحملات التي يحملونها على الغزالي والرازي والمعتزلة، وبالخصوص على سنة أهل البيت عليهم السلام!

ويمكن الرد عليهم وهو: أنكم في مسائل الصفات وغيرها مثلاً جوزتم رؤية الخالق تعالى أو قمتم بالتجسيم والتشبيه، مبررين ذلك بورودهما في الكتاب. ولكنكم في مسائل علم الكلام متحجرون حتى على آراء وتفسيرات رجالكم! وما ذلك إلا للعجز من ناحية، والضعف في مدعياتكم في إثبات وتأكيد حقانية فرقتكم ودعاواها العريضة.

---

(١) الجاحظ ـ الفصول المختارة على هامش الكامل للمبرد ٢/ ١٢٣.

(٢) الغزالي، أحياء العلوم ١/ ٢٥٩.

وحيث لا منافاة بين الشرع والعقل، كذلك دعوة القرآن الكريم إلى استثارة العقول فينا وإقامة البراهين، ورد الشبهات ومجادلة وحوار الآخرين وغيرها، لأدلة تدحض توقفكم الجامد غير المبرر والمستند إلى نقل صحيح وعقل صريح!

وقد ظهر مدى عجز مدعي السنة حينما حاولوا خوض هذا المجال بما يلي:

أ ـ فمثلاً الاضطراب في مجال الحسن والقبح، ومسألة الجبر والتفويض، عندما قال الأشعري بالجبر، والذي يتنافى مع العدل الإلهي، ولكنهم جحدوا على سنتهم التي بررت ذلك كما بررت للحكام ظلمهم والاستنان بسنتهم!

ب ـ التوقف الذي يكشف العجز والجهل وإن ألبسوه مسوح الورع والرهبانية المتكلفة!

ت ـ نكران أكثرهم للتأويل بلا دليل منير. علماً أن هناك الكثير من علمائهم من عمل بالتأويل، بل وهم أيضاً إذا اضطروا إليه خاصة للصحابة والحكام؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الفرع السادس: التفسير الفقهي:

في هذا التفسير أيضاً ـ وكما هي عادة مدعي السنة ـ جاء كغيره من المبالغات والغلو برجالهم الذين عرفوا الحق بهم!

فقد حجروا على الإسلام العظيم بما سمّوه بالصحاح ـ وتبين أنها لم تكن كذلك ـ وكذلك على المنهج التشريعي الفقهي أن حصوره برسم ومرسوم الأربعة من رجالهم ومذاهبهم بل فرقهم التي ناقضت وعاركت بعضها بعضاً، وحتى لو جمعناها فإنها ستزيد من الاضطراب والخلل لذلك الجمع النشاز، الذي لم يحل المشكلة فضلاً عن مجيئه مخالفاً لأحكام القرآن كثيراً؟!

فمثلاً يقول: عبد الله الكرخي (ت ٣٤٠هـ) وهو من المتعصبين لمذهب الإمام أبي حنيفة: كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ[١]!

في سنة (١٠٧) قال قاضي الحنفية بدمشق: لو كان لي من الأمر شيء لوضعت الجزية على الشافعية وفي سنة (٥٦٧) قال أبو حامد الطوسي المقال نفسه في الحنابلة. وذات يوم رأى الوالي الحنفي، . . مسجداً للشافعية فقال: أما آن لهذه الكنيسة أن تغلق.

وأما أهل الأندلس من المالكية، فكانوا يطردون الحنفي والشافعي والحنبلي، فإن كان معتزلياً فربما قتلوه[٢]؟!

بل لقد صرح كثير من كبار العلماء عندهم ببدعة تقليد المذاهب الأربعة وعدم شرعيتها وكونها ناسخة للشريعة والدين[٣]؟!

ومن أشهر كتبهم في آيات الأحكام:

١ ـ **الجصاص**: أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص (٣٠٥هـ ٣٧٠هـ) في بغداد كان من أكبر شيوخ الحنفية في عصره[٤].

وتفسيره هو «أحكام القرآن». والجصاص يتعصب لمذهب الحنفية ويهاجم خصومه بشدة ولا سيما من الشافعي[٥]. كما تراه متأثراً بمذهب المعتزلة بعض الشيء[٦]!

---

(١) السبكي، السايس والبربري، مذكرة في تاريخ التشريع الإسلامي ص٢٨١. كيف نفهم القرآن ص٢٤٣.

(٢) عبد الحليم الجندي ـ الإمام الصادق ـ ص٢٥٦ ط مصر.

(٣) انظر: القنديل ـ أبو المنذر عبد الحق ـ ص٤٣، الإنصاف للدهلوي ص٦٨، قواعد الأحكام ـ العز بن عبد السلام ـ ٢/ ١٣٤ وغيرها.

(٤) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص٢٧، تاريخ بغداد ٤/ ٣١٤.

(٥) أحكام القرآن ٢/ ١٤٣.

(٦) أحكام القرآن ١/ ٤٨، ٢/ ٥٥، ٣/ ٥ وغيرها.

ولعله بسبب أنه حرر عقله من الجمود الأشعري إلى شيء من العقل المعتزلي؟!

٢ ـ **الكيا الهراسي**: عماد الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي.

الفقيه الشافعي (٥٠٤هـ) من علماء العراق، تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد[١].

وتفسير هو «أحكام القرآن» وهو من أهم كتب التفسير الفقهي عند الشافعية، وكان قاسي العبارة صلباً مع خصمه الجصاص السابق الذكر[٢].

٣ ـ **القرطبي**: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزجي المالكي. (ت ٦٧١هـ) وتفسيره هو «الجامع لأحكام القرآن»[٣].

وقال القرطبي عن منهجه في هذا الكتاب: «... ومبيناً ما أشكل منها بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف»[٤].

وهكذا نجد في واقع من قالوا: نحن أهل السنة، هو أنهم بعد كل ذلك التفخيم بل الغلو بأوائل رجالهم من السلف، وكما بينا بعضه سابقاً يأتي تابعي التابعي المتأخر من الخلف ليقوّم انحرافهم ويزيل فساد مذاهبهم كما حصل لابن كثير وموقفه من سلفه وعلى رأسهم الطبري الذي طفح تفسيره بالإسرائيليات والموضوعات. كذلك نفهم هذا المعنى من القرطبي أو ما طرحه الشاطبي من تنظيم فوضى السلف بنظرية المقاصد...؟!

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٥٨٧، معجم المفسرين ١/ ٣٧٦.

(٢) أحكام القرآن: ص٢١٣.

(٣) شذرات الذهب ٥/ ٣٣٥، هدية العارفين ٢/ ١٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١/ ٢.

ثم يتابع القرطبي بقوله:) «وشرطي... واضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بد منه... نبيّن فيه ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت فيها من التفسير والتأويل هكذا إلى آخر الكتاب...»[1].

أما موقفه من الإسرائيليات ـ التي ملأت كتب سلفه ـ فقد كان يرفضها، ولا يتعرض إليها، غير أن كتابه لم يخل منها[2]؟!!

وهذا دليل صريح يضاف إلى الأدلة السابقة عن انحراف سلفهم عن السنة النبوية الشريفة بتلك الإسرائيليات واستبدالها بسنة اليهود، والتي فسروا بها الكتاب ليجيء على نسق الانحراف التوراتي فهل ينفع ترقيع القرطبي؟! بينما الكفر والبدع والزندقة لمن فسر أو أخذ من أهل البيت عليهم السلام، ولو كان ذلك موجد في كتبهم إما متواتراً أو يكاد يبلغ التواتر. ويرمى أصحابها بأنهم لا يستأمنون على حديث أو تفسير، لا لشيء إلا لأنهم قالوا: إن آية التصدق بالخاتم نزلت في علي عليه السلام وهو يصلي... أو أن أولي الأمر هم أئمة أهل البيت عليهم السلام... أو كونهم أهل الذكر...؟!

وفي المحصلة أن مما يؤكد ذلك ظهور المخالفة والانحراف بل الضلال في أكثر تفاسيرهم ومنها قيد البحث موضوع التفسير وذلك بما يلي في هذا المبحث:

أ ـ مسح الأرجل أو غسلها؟ قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

فإن قلنا بالكسر في (أرجلِكم) فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/ ٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٥، والتفسير والمفسرون ٢/ ٤٥٨.

الرؤوس، بل حتى لو تنازلنا وجارينا تعصبهم ومخالفتهم وقرأنا بالفتح (وأرجلَكم) فهي تكون منصوبة[1] محلاً، ومجرورة لفظاً بالباء أي بنزع الخافض[2].

ومن قال بالمسح الرازي في تفسيره، والطبري الجمع بينهما في تفسيره، والحسن البصري: أنه مخيّر بينهما[3]... وعن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، عن أنس، عندما سمع الحجاج يقول بالغسل في خطابه قال أنس: صدق الله وكذب الحجاج. وهكذا عن قتادة، والأعمش قرأها بالخفض وكذلك علقمة، والضحاك ومجاهد[4].

وأعجب من ذلك كله حكمهم ببطلان وضوء من يمسح ولا يغسل؟!

ب ـ منعهم للخمس وحصرها في آية الغنائم: أن عند كل أئمة اللغة أنه أي الغنيمة في الأصل أعم مما يظفر به الإنسان في الحرب. كما عن الأزهري: قال الليث: الغنم الفوز بالشيء، والاغتنام انتهاز الغنم»[5]. وقال الراغب الأصفهاني[6]: الغنم معروف... والغنم: إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل منظور به من جهة العِدى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ والمغنم ما يغنم وجمعه مغانم ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

وهكذا ابن فارس، وابن منظور، وابن الأثير، والفيروز آبادي، في معاجمهم فهذه النصوص تدل على أن المادة لم توضع لخصوص غنائم الحرب، بل معناها أوسع!

---

(١) كقولهم: ليس هذا بعالم ولا عاملا. قال الشاعر:

معاوي إننا بشر فاسجع ... قلنا يا لجبال ولا الحديدا

أنظر: المغني لابن هشام: الباب الرابع.

(٢) كقول الشاعر تمرون الديات. أي بالديار.

(٣) الطبري: التفسير: ٦/ ٨٦، الرازي في تفسيره: ١١/ ١٦٢، والمنار: ٦/ ٢٢٨.

(٤) الطبري في تفسيره ٦/ ٨٢.

(٥) والأزهري: تهذيب اللغة مادة «غنم».

(٦) الراغب الأصفهاني: المفردات، مادة «غنم».

هذا بالإضافة إلى اتفاقهم ربما رووه عن النبي ﷺ من ورود أي الخمس في الركاز والكنز والسيوب. مما تضافرت الروايات عليه. ووجوب ذلك عند أبي يوسف في المعدن والركاز. هذا أو غيره كثير، ولكنهم خالفوا كتاب الله في الخمس أيضاً عندما اجتهدوا بالرأي الجزافي أمام النص القرآني ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

ومما ورد في صحيحيهما: «وقد أرسلت فاطمة، تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته ولم تكلمه تى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها. الديث[1].

ولكنهم ينكرون ذلك أشد الإنكار، يرسلونه إرسال المسلمات؟!

ت ـ مكابرتهم وإنكارهم لزواج المتعة بأدلة واهية تنم عن تأثير الموضوعات والإسرائيليات والتعصب لها ولرجالها وإن خالفت القرآن الكريم ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤].

وقد صرّح جماعة من كبار الصحابة على شأن نزولها: أمثال ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحبيب بن أبي ثابت، وسعيد بن جبير وغيرهم.

وكذلك أشهر من ذكروهم من مفسريهم ومحديثهم: أمثال أحمد بن حنبل في مسنده، وأبي جعفر الطبري في تفسيره، وأبو بكر الجصاص، وأبي بكر البيهقي، والزمخشري، والقرطبي والرازي[2] وغيرهم.

---

(١) البخاري: ٣/ ٣٦ باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم: ٥/ ١٥٤: «... وصلى عليها علي».

(٢) ابن حنبل: ٤/ ٤٣٦ الطبري في تفسيره: ٥/ ٢٩ الجصاص في أحكام القرآن: ٢/ ١٧٨، سنن البيهقي: ٧/ ٢٠٥، الكشاف تفسير الزمخشري: ١/ ٣٦٠، القرطبي في جامعه: ٥/ ١٣، مفاتيح الغيب للرازي: ٣/ ٢٦٧.

ففي الوقت الذي يخالفون فيه كتاب الله، لا بسنة رسوله ﷺ بل بسنة الوضاعين والإسرائيليات من وعاظ البلاط ومرتزقتها. يتسترون خلف مسوح الرهبان ليوحوا بالغمز واللمز على طهارة مذاهبم والطعن بالآخرين، علماً أن لهم ما يسمى بزواج المسيار، الذي يتهربون منه، بحيث لم يبيّنوا أحكاماً وحلولاً لتابعيهم بل دفعهم للوقوع بالزنا والفحشاء؟!

ث ـ مخالفتهم بالإشهاد على الطلاق: حيث انفردنا به نحن سنة أهل البيت عليهم السلام فقط بينما لا تجد لها عنواناً للبحث في كتبهم الفقهية قط، نعم قد ذكرها البعض من رجالهم في كتب التفسير، ولكنهم كالعادة ينكرون ما لا يوافق سنتهم الموهومة، التي ورثوها من وعاظ البلاط ومرتزقته وادعوا أنها هي السنة دون غيرها؟!

وإن خالف الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وسيرة المتشرعة وما عليه سبيل المؤمنين وعرفهم المستوحى من التشريع الإسلامي. فخالفوا هنا الكتاب العزيز أيضاً ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

وإن روى الطبري ـ المعتمد جداً عندهم ـ عن السدي في تفسيرها، وقال: عند الطلاق وعند المراجعة، وتقول عن ابن عباس: إنه فسرها بالطلاق والرجعة[١].

وكذلك السيوطي قال: أخرج عبد الرزاق عن عطاء قال: النكاح بالشهود والطلاق بالشهود، والمراجعة بالشهود. وسئل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يشهد، وراجع ولم يشهد؟ قال بئس ما صنع طلّق في بدعة، وارتجع في غير سنة، فليشهد على طلاقه ومراجعته وليستغفر الله[٢]! ولكن وكما مرّ عليك سابقاً فقد يأتي المتأخر من الخلف لينسف كل سنة

---

(١) الطبري في تفسيره: ٢٨/ ٨٨.

(٢) السيوطي: الدر المنثور: ٦/ ٢٣٢.

السلف. عندما قال بذلك الشيخ أحمد شاكر القاضي المصري، والشيخ أبو زهرة[1]. ولكنه كغيره لم يأتِ بذات نفع؟!

ج ـ **مخالفتهم في الطلاق بالثلاث**: إذ فضلاً عن اللغة وما ورد في السنة كذلك جاءت مخالفتهم في تفسير الآيات، الأمر الذي أوقعوا تابعيهم بالعسر والحرج، واتخاذ العلمانيين وكل أعداء الإسلام ذلك مطعناً وسخرية بالإسلام العظيم؟!

وهذا يبطل زعمهم بأن المذاهب الأربعة التي أغلقوا على أربابها الباب تكمل بعضها بعضاً، فهم إما أن يبحثوا عن رأي خارج نطاق تلك المذاهب أو يرجعوا إلى مذهب الحق؟!

مخالفة الكتاب العزيز:

قال تعالى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة:٢٢٩] فقد اختلفوا بين كونها راجعة للفقرة الأولى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ ومنهم من جعلها ناظرة إلى التطليق الثالث الذي جاء في الآية التالية.

ولكن الحق أنه بعد الطلاقين هناك الطلقة الثالثة ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أي أن كل مرة من المرتين يجب أن يتبعها أحد أمرين: إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

والتفسير الصحيح ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾: ظاهر في لزوم وقوعه مرة بعد أخرى لا دفعة واحدة وإلا يصير مرة ودفعة. فلو قال: أنت طالق ثالث، لم يطلق زوجته مرة بعد أخرى ولم يطلق مرتين، بل هو طلاق واحد، وأما قوله «ثلاثاً» فلا يصير سبباً وتكرره؟!

وتشهد بذلك فروع فقهية لم يقل أحد حتى من فقهائهم سواء الحشوية

---

(١) أبو زهرة: والأحوال الشخصية: ٣٦٥. وكما في الفقه على المذاهب الخمسة: ص١٣١. والآية: ٢،٣ من سورة الطلاق.

من أصحاب الحديث أو أهل الرأي والقياس أو حتى متخلفي الحنابلة...؟!

فمثلاً أعتبر في اللعان شهادات أربع، فلا تجزي عنها شهادة واحدة، مشفوعة بقوله «أربعاً». أو ولو قال المقرّ بالزنا: «أنا أقرّ أربع مرات أني زنيت» كان إقراراً واحداً ويحتاج إلى إقرارات أخرى، إلى غير ذلك من الموارد التي لا يكفي فيها العدد عن التكرار! ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ وعليه وعلى ضوء ما قدمنا من التفسير الصحيح الموافق للكتاب وللسنة التي هي عبارة عن مذكرة تفسيرية، يؤمي بالانحراف عنها الانحراف عن التفسير، وقد قال النبي ﷺ لا طلاق إلا بعد نكاح، وقال ولا طلاق قبل نكاح[1].

وهذا يعني أن تعدد الطلاق رهن تخلل عقدة الزواج بين الطلاقين، ولو بالرجوع، وإذا لم تتخلل يكون التكلم أشبه بالتكلام بكلام لغو، وتفسير فقهي لغو!

هذا بالإضافة إلى كل ذلك: أنه لو صح التطليق ثلاثاً فلا يبقى لقوله سبحانه وتعالى ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ محل ومجال، لأنه يكون بائناً ويبلغ الأمر إلى ما لا تحمد عقباه، ولا تحل العقدة إلا بنكاح رجل آخر وطلاقه مع أن الظاهر أن المقصود حل المشكلة عن طريق الرجوع أو العقد في العدة.

ح ـ **مخالفتهم في الطلاق أثناء الحيض والنفاس**: اتفقت كلمتهم على أنه يجب أن تكون المطلقة حال الطلاق طاهرة عن الحيض والنفاس بلا خلاف، ولكن مدعي السنة خالفوا كعادتهم وفاقاً لموروثاتهم بأن الطهارة شرط كمال وإتمام لا شرط صحة وأجزاء؟!

وبعبارة فقهية هل هي حكم تكليفي متوجه إلى المطلّق، وهو أنه يجب أن يحل العقدة في حال كونها طاهرة من الحيض والنفاس، فلو تخلف أثم

---

(١) سنن البيهقي الكبرى: ٧/ ٣١٨، الحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٤.

وصح الطلاق، وهذا ما عليه جلّهم وهو بذلك يكون مخالفاً للتفسير الصحيح للآيات البينات!

والصحيح كما هو عندنا أنه حكم وضعي مقيد لصحة الطلاق، ولولاه كان الطلاق باطلاً!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾ [الطلاق: ١].

فخالفوا فافترقوا من أن معنى العدة في الآية هي الجهات الثلاث. لا الاطهار الثلاثة وحجتنا على ذلك ما توضحه الآية من قوله تعالى ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إنها تعني الأطهار الثلاثة. كما روي عن باب مدينة رسول الله ﷺ الذي أبعدوه واغتصبوا حقوقه ونكروا وصاياه وفضائله، وإن كانوا يرجعون إليه في عظائم مشكلاتهم وخطوبهم، روي عن علي عليه السلام روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله أكان عليّ يقول: إن الإقراء التي سمّى الله في القرآن إنما هي الطهر، فيما بين الحيضتين وليست بالحيض؟ قال: نعم، كان يقول: إنما القرء الطهر، تقرأنيها الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض، قذفته[1].

أما على حسب تفسيرهم المخالف عندما فسروا العدة بالحيضات، نقول: إن من يجوّز الطلاق في الحيض يقول بعدم احتساب تلك الحيضة من «القروء» فنقول: إذا قلنا بأن العدة عبارة عن الإطهار فيكون اللام في قوله: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ بمعنى «في» ويكون المراد: فطلقوهن في عدتهن، نظير قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ [الحشر: ٢].

أي طلقوهن في عدتهن أي في الزمان الذي يصلح لعدتهن[2] أو هي

---

(١) الوسائل: ٢١٥، الباب ١٥ من أبواب العدد، الحديث ٤.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب: ٣/ ٣٠.

بمعنى الغاية، فيكون المعنى طلقوهن لأن يعتدون بعد الطلاق بلا فصل، وعلى كلا الوجهين تدل الآية بالملازمة على شرطية الطهارة في الطلاق.

أما إذا قلنا ـ على تفسيرهم المخالف ـ بأن العدة عبارة عن الحيضات الثلاث يكون المراد من ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ مستقبلات ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ كما تقول: لقيته لثلاث بقين من الشهر، تريد مستقبلاً لثلاث[1]. فبما أن العدة على هذا الفرض هو الحيض، فيكون قبيله هو ضدها أعني الطهارة؟!

وعلى كل تقدير، فالتفسير الصحيح المنسجم مع الكتاب العزيز أن الآية ظاهرة في شرطية الطهارة في صحة الطلاق.

خ ـ مخالفتهم في الوصية: وذلك بتفاسيرهم الموروثة عن رجالهم الذين غلو فيهم وسموهم أئمة، وبالتالي لمرويات رجالهم (...) بحيث بلغ بهم الأمران فسّروا بها آيات الكتاب العزيز؟! جاء في جواز الوصية قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠].

فالآية صريحة في الوصية للوالدين، ولا وارث أقرب للإنسان من والديه، وقد خصهما بالذكر لأولويتهما بالوصية ثم عمم الموضوع وقال: ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ ليعمم كل قريب وارثاً كان أم لا.

وهذا صريح الكتاب ولا يصح رفع اليد عنه إلا بدليل قاطع مثله. ولكن القوم قالوا بنسخ آية الوصية بالكتاب ـ على ضوء موروثهم ـ وكذلك بالسنة وكلاهما باطل وزخرف بعيد وذلك:

أولاً: قولهم إنها منسوخة بآية المواريث:

ويمكن الرد وإبطال هكذا نسخ: هو أن الميراث في طول الوصية، ولا يصح للمتأخر أن يطارد المتقدم، أي أن الوّراث يرثون بعد إخراج الدين

---

(١) الزمخشري في الكشاف: ١/ ١٣٧ وهو ما أشار إليه الشيخ الطوسي في الخلاف، ولاحظ المصباح المنير مادة «عدّ» والوسائل ١٥/ باب ١٤ من أبواب العدد.

والوصية قال سبحانه ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النساء:١١]، وفي موردين آخرين ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النساء:١٢] وبذلك يكون من الجهل بمكان إدعاء النسخ بل وحتى التخصيص؟!

ولذلك حاول القرطبي ـ كعادته هو وغيره عندما يجدون التنافي والتناقض ـ من تبرير ذلك وتأويله تكلفاً للدفاع عن سلفه الذين يتجرأون على التفسير بالموضوعات والإسرائيليات التي استنّوا بها!

ثانياً: كذلك أن ادعاء النسخ، أو التخصيص في الآية بآية المواريث، متوقف على تأخر الثانية عن الأولى، وأنّى للقائل بهما إثباته؟!

بل لسان آية الوصية بما فيها من التأكيد لأجل الإتيان بلفظ ﴿كُتِبَ﴾ وتوصيفه، بكونه حقاً على المؤمنين يأبى عن كونه حكماً مؤقتاً لا يدوم إلا شهراً أو بعض شهور؟!

وكما هو منهجهم من تطبيق القرآن الكريم على موروثات رجالهم، فقد أثاروا من جملة ذلك أن الإيصاء للوالدين يؤدي إلى ظهور العداء؟!

وهذا أيضاً من عجيب جرأتهم بعد أن نصّبوا أنفسهم قيميين على الشريعة، وهنا يريدون أن يتدخلوا في شؤون المولوية وتشريعاته سبحانه وتعالى!

لذلك نقول لهم إن الله تعالى هو الحكيم الخبير بعباده، والأعرف بمصالحهم، فمثلاً قد تُطلق الأم ولا يكفيها ما يصيبها من التركة، وهنا تجبرها الوصية وغيرها من وجوه الحكمة التي لا تدركها عقولهم القاصرة المحدودة. هذا إذا علمنا أن أحكام المواريث العادلة على أساس التسامي بين الطبقات باعتبار أنهم سواسية في الحاجة، كما أنهم سواء في القرابة، فلا غرو أن يجعل أمر الوصية مقدماً على أمر الإرث، ويجعل الوالدين والأقربين في آية أخرى أو من بالوصية لهم من غيرهم، لعلمه سبحانه وتعالى بما يكون من التفاوت بينهم في الحاجة أحياناً!

وهكذا ثبت بطلان نسخهم، وذلك بأن الله تعالى أعطى للإنسان حق

الإيصاء للوالدين لمصالح هو أعرف بها، على حد لا يتجاوز الثلث، وليكن إيصاؤه أيضاً بالمعروف[1]؟!

د ـ مخالفتهم لعمومات القرآن في إرث المسلم من الكافر: وذلك غلواً بأحاديث رجالهم واعتبارها صحاحاً تنسخ وتصادر الإطلاقات والعمومات وتنافيها، ولو يخبر الواحد، ولكن الكتاب أجل من أن يخصص بالظن؟!

بينما نرى أن عمومات وإطلاقات الكتاب تبقى محفوظة معتبرة لا تؤثر عليها الموضوعات والإسرائيليات وإن غالوا فيها وتعصبوا لرجالها. لأن القرآن الكريم هو فقه الرسول ﷺ وتشريعه، وما دور الرسول ﷺ سوى التفسير والبيان أو ما أذن له الله تعالى بالتخصيص والتقييد!

فإطلاقات وعمومات الإرث أعم ما إذا كان المورّث كافراً والوارث مسلماً وأما عكس للمسألة فقد خرج بالدليل. فقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ وقوله سبحانه ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ وقوله تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾.

وقد تضافرت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام على ذلك التفسير.

ذ ـ مخالفتهم التوريث بالعصبة: فلا اعتبار عندهم لما يقوله القرآن الكريم، كما مرت عليك مسائل سابقاً، وكذلك لا مجال للعقل، إذ بعد أن تخلوا عن السنة الحقة. ولكن ما أن يعثروا على حديث ولو كان خبر آحاد، لأي أحد حُسب على أهل السنة ولو كان (. . .) إلا نسخوا وصادروا به الكتاب والسنة والإجماع والعقل والسيرة وبناء المتشرعة والعقلاء؟!

وقد عرفت في احتجاج أبي بكر بحديث وهن «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وكيف أن السيدة الزهراء عليها السلام احتجت عليه بالآيات التي توارث بها الأنبياء عليهم السلام وغيرها!

---

(١) وإذا أردت أن تعرف عن بطلان نسخها بالسنة كذلك فراجع، الاعتصام بالكتاب والسنة ـ للسبحاني ـ ص٢٤٥.

وهنا أيضاً فقد صموا عن الآيات البينات بإطلاقاتها وعمومها الباقية ما بقي، التشريع سارياً، وهو أن الملاك عندهم بعد الفرض هو التعصيب[1]؟!

وحجتنا قوله سبحانه ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١] أي كونه صاحب فريضة في الكتاب.

والدليل الآخر: إن القربى إذا لم يكن صاحب فريضة فالأقرب إلى الميت. هو الوارث للكل أو كما فضل من التركة. قال تعالى ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ر ـ **خلطهم في فهم العول**: والعول عكس التعصيب، فإن هذا الأخير هو رمز إلى تقصر الفروض عن استيعاب التركة. فإن العول آية زيادة الفروض عليهما، وهو مأخوذ من: عال يعول عولاً: إذا زادت أو من العول بمعنى الميل قال تعالى ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]. وهي كغيرها من المسائل التي ابتلي بها عمر بن الخطاب، صاحب الاستغاثات بالإمام علي عليه السلام؟!

وهنا عندما خالف هذه المرة باب مدينة العلم انحرف عن السنة إلى بدعة جديدة تنضم إلى بدعة المعروفة، وهنا حيث أورد النقص على الجميع من دون تقديم ذي فرض على آخر. وخالف بذلك علياً وابن عباس وابن مسعود، وهو إيراد النقص على البعض دون بعض من دون أن يكون عملهم ترجيحاً بلا مرجح!

وهكذا تابعت المذاهب الأربعة كل انحراف وإنكار، وعمل بالموضوعات والإسرائيليات من قبل السلف والتي زادتها ضلالاً فترات الحكام ومرتزقتهم،

---

(١) من العصابة التي يعصب بها الرأس فإن الأخ مثلاً إن مات عن أخت أو أختين فيرث الأخ، أو العم، ما فضل من التركة، وإن كانا بعيدين، بما أنهما عصبة. أما عندنا وهو الحق إما كونه صاحب فريضة أو الأقرب للميت هو الوارث للكل أو لما فضل عن التركة كتاباً وسنة صحيحة وعقلاً وعرفاً وسيرة عقلانية...!

لذلك قالوا بالعول! والحق الفيصل: إن المال إذا ضاق عن سهام الورثة قدم ذوو السهام المؤكدة المذكورة من الأبوين والزوجين على البنات، والأخوات من الأم على الأخوات على الأخوات من الأب والأم من ا لأب، وجعل الفاضل عن سهامهم لهن.

وكعادتهم واتهاماتهم غير المسؤولة والعلمية، ظهر جاهل إعرابي[1] يتهمنا بإدخال النقص على المؤخر مخالفة للكتاب العزيز؟!

هكذا ينكشف ويفتضح كل من لا يدخل في حوارات ومجادلة بالتي هي أحسن لأجل توحيد الكلمة وتحري الحق. والبادي أظلم كما قيل، فهم كما مر عليك سابقاً عندما يتبنون مذهباً أو يتعصبون لأحاديث فيها ما فيها، تراهم يلبسونها صفات الحق أهل السنة والجماعة، المذاهب الأربعة وما دونها الرفض والخروج، وما عندهم الصحاح وغيرهم الموضوعات... الخ.

وهنا نخاطب هذا الضال ـ موسى جار الله ـ إذا كان في دخول النقص على المؤخر اعتبرته مخالفة لظاهر الكتاب، ففي دخولها على الجميع مخالفة مضاعفة، فقد عرضت في ما سبق أن من فرض الله له النصف أعطوه أقل منه، ومن فرض له الثلثان أعطوه أقل منها. فهو كمال المخالفة لأصل الفروض المفروضة في الكتاب، وبذلك يكون وبلا شك أولى وأشد مخالفة مما اخترناه؟!

بل هناك التناقض في المذهب الواحد، لذلك يقولون مثلاً نأخذ أرجح الأقوال من المذهب الفلاني.

الفرع السابع: التفسير البلاغي ـ البياني ـ:

وهو المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفعل وما يتفرع من ذلك من استعمال

---

(١) المدعو ـ موسى جار الله ـ وقد رد عليه وعلى شبهاته وفاقاً للكتاب والسنة والإجماع والعقل الذي انحرف عنها وهو يحسب إنه يحسن صنعاً، كل من العالمين الجليلين: السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه ـ أجوبة موسى جار الله والسيد محسن العاملي في ـ نقض الوشيعة.

حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية، أو تحقيق في العلاقات اللفظية والمعنوية أو كشف الدلالات الحالية والمقالية. والبحث في هذا الجانب يعد بحثاً أصيلاً في جوهر الإعجاز القرآني ومؤشراً دقيقاً في استكناه البلاغة القرآنية[1].

ومن أشهر مفسري هذا الفن هو أبو عثمان الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) إذ خصص كثيراً من مباحثه في كتابه (نظم القرآن) إلى استيفاء مجال العبارة، واستخراج ما فيها من مجاز وتشبيه بمعانيها الواسعة غير المحددة، إلا أن هذا العرض من قبل الجاحظ جاء مجزءاً ومفرقاً ولم يكن متفرغاً للقرآن كله بل لبعض من آياته كما يبدو وذلك من خلال معالجته البيانية في (نظم القرآن) والبيان والنبين للجاحظ!

ولكن عند ظهور الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) في كتابيه: «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» فكانت الحال مختلفة فالجرجاني عالم واسع الثقافة مرهف الحس، متوقد الذكاء، وقد استخدم ذلك في استنباط الأصول الاستعارية والأبعاد التشبيهية، والمعالم المجازية لآيات القرآن الكريم وأخضعها باعتبارها نماذج حية للتطبيق العلمي. فهو بذلك أوسع بكثير من سابقه الجاحظ في هذا المضمار، إلا أن الصورة التكاملية للقرآن مفقودة في كلا الكتابين على عظم قدرهما البلاغي، ومفتقرة إلى السعة لتشمل القرآن أجمع.

إلا أن ظهور جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) فتح لنا عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية التطبيقية، انتظمت على ما ابتكره عبد القاهر الجرجاني، وما أضافه من نكت بلاغية، ومعان إعجازية اعتمدت المناخ الفني فعاد تفسيره المسمى «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» كنزاً من المعارف لا تنتهي فرائده.

---

(١) دراسات قرآنية ـ محمد حسين الصغير ـ ص١٠٣.

فقد تجلى فيه ما أضافه من دلالات جمالية في نظم المعاني، وما بحثه من المعاني الثانوية في تقديم العبارة وعائدية الضمائر، والتركيب اللغوي، وتعلق العبارة بعضها ببعض من وجهة نظر بلاغية تعتمد على عنانية بالكناية والاستعارة والتشبيه والمجاز والتمثيل والتقديم والتأخير، عناية فائقة فهو يفصل القول في الفروق المميزة بينها، ويثير من خلالها إلى المعاني الثابتة، وهو كثير التنقل بالألفاظ القرآنية من الحقيقة إلى المجاز، إذا كان المعنى الحقيقي يختلف عن نظريات المذهب المعتزلي وصميم أفكاره!

وقد أخضع تفسيره هذا للوجهة الكلامية عند المعتزلة والتعريف، والفصل والوصل، والمجاز اللغوي والمجاز العقلي وفي التمثيل والتشبيه. وامتاز على عبد القاهر الجرجاني. أن عبد القاهر قد وجه عنايته بنظريته إلى المعاني ومدى علاقتها بالنظم، ولم يعر أهمية لبديع القرآن بينما اهتم الزمخشري وجعله أساساً يندرج تحت مفهوم البيان باعتبار البديع أشكالاً وقوالب وصوراً، تفنن بها القرآن وأبرزها على نحو فني تتميز به أساليب القول.

وبهذا امتاز الزمخشري بكونه من أوائل العلماء البلاغيين الذين كرسوا الجهد في الكشاف لاستجلاء الإعجاز من خلال الاستعمال البياني في التفسير!

وكان له لقطات والتفاتات رائعة في كثير من المواضع منها في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] يبحث موضوع الاستواء والعرش في ضوء ما تستعمله العرب من المجاز والكناية، ويضرب لذلك الأشباه والنظائر من القرآن وأقوال العرب فيقول: «لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك، مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون مَلَكَ، وإن لم يجلس على السرير البتة، وقالوا أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه، وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه

قولك: يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم تكن له يد رأساً قيل فيه يده مبسوطة، لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي هو بخيل! ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا مبسط، والتفسير بالنعمة والتحمل للتشبيه من ضيق العطن، والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام؟!»[1].

حقيقة مدعي أهل السنة: أن الزمخشري ببيانه هذا لم يعمل سوى تفسير المتشابه على وفق البلاغة وعلم المعاني العربي، مع ميلانه إلى الاعتزال أي تحرير عقله عن الجمود الأشعري.

وهذا مما أشار حفيظة من ألبسوا أنفسهم ثوب السنة، لأنّهم تعصبوا لأحاديثهم وغالوا برجالهم ومنهم شيخهم الأشعري الذي تنطع وكابر في تفسيره للمتشابه فارتكس بالتشبيه والتجسيم والجبر والرؤية وغيرها. بالإضافة إلى جمودهم وتجميد عقولهم على موروثاتهم، فلم يتمالكوا أمام افتضاح زيغهم وضلالهم إلا بشن الطعون والاتهامات كعادتهم ضد المعتزلة والعدلية وأهل التنزيه تعصباً وإصراراً وإن ظهر وبدا لهم زيف مذهبهم؟!

ونقول لهم لا داعي لكل هذا الضجيج، وإطلاق الاتهامات، فإن الزمخشري فسر القرآن باللغة التي نزل بها وهي لغة العرب، ثم وإن كنا لا نوافق المعتزلة في إفراطاتهم العقلية في مقابل تفريطات العقول عند مدعي السنة، إلا أن الزمخشري قد حرر عقله مقابل جمود القوم!

حملة الزمخشري على مدعي السنة:

فقد سخر واستهزأ بمن سموّا أهل السنة بل وسفه مذهبهم نتيجة

---

(١) الزمخشري ـ الكشاف ـ ٢/ ٥٣٠.

تعصبهم وغلوّهم بموروثاتهم الجامدة والضالة فتارة يسميهم بالمجبرة لأنهم قالوا بالجبر، والحشوية لأنهم بالغوا بأحاديثهم وإن خالفت الكتاب والسنة الحقة والعقل والإجماع، وأخذوا يحشونها كالذي عنده صندوق قديم بالي وهو يحاول تزيينه وتجميله وأكثر هؤلاء من الحنابلة الممقوتين حتى من بقية المذاهب السنية الأخرى، ومن رجالهم أحمد بن حنبل، وابن تيمية، والذهبي وابن القيم وأمثالهم وبالتالي هم سلف الوهابية؟!

وكذلك سخّف الزمخشري معتقدهم بالتشبيه والتجسيم عندما تعصبوا لأحاديثهم وإن كانت طافحة بالموضوعات التي تناقض الشرع والعقل، أو مدنسة بالإسرائيليات التي لم تنزه الخالق سبحانه، وأنبيائه ﷺ وملائكته، حيث جاءت على نمط التوراة المنحرفة والمزوّرة.

وأيضاً سفه جهلهم بمسألة القدر، التي طالما رموا بها غيرهم، ولكنهم في الواقع يعتقدون بها، لذلك اعتبرهم الزمخشري ممن ينطبق عليهم حديث النبي ﷺ: إن القدرية مجوس هذه الأمة.

وجاء ذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت:١٧]، حيث قال الزمخشري: ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها ﷺ ـ وكفى به شاهداً ـ إلا هذه الآية لكفى بها حجة[1]!

كما انتقدهم كقدرية إذ يحيون لياليهم في تحمل فاحشة ينسبونها إلى الله تعالى، وذلك عندما يفسرون القرآن الكريم بموروثاتهم التي سموّها صحاحاً، وبآراء رجالهم الذين قالوا بالقدر والجبر حيث فسروا قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس الآيتين:(٩،١٠)] عندما أرجعوا الضمير في زكى ودسى لله تعالى؟!!

---

(١) الكشاف ـ للزمخشري ـ ٢/ ٣٢١.

وإن هذا التفسير يكشف عن إسرائيليات التفسير، ويهودية المعتقد على الأسلوب التوراتي لآله اليهود الذي رسموه بعقولهم وأهوائهم وزيف توراتهم، وبالتالي نقلوه إلى من ادعوا أنهم أهل السنة والجماعة بحيث تقبله هؤلاء بل وتبنوه وضموه إلى ما ادعوه من الصحاح، وعدلوا أقطاب الوراة الإسرائيلية، وكأنهم وكلاء يدخلون من شاؤوا ويخرجون من رغبوا إلى سنتهم المزعومة؟!!

وهنا يستدل الزمخشري على اتهامهم ساحة المشرع سبحانه عندما ينسبون إليه الفاحشة وعليه فهم يتمادون فيها ويخوضون في منكراتها وغيها... والزمخشري ينعي عليهم سخفهم وبالتالي ضلالهم، عندما يقول لهم إن التأنيث راجع إلى (من) وهي النفس، لا لله تعالى عما يصفون! ثم يقول: فمن تعكيس القدرية الذين يوردون على الله قدراً هو بريء منه ـ تعالى عن ذلك علواً كبيرا ـ ومتعال منه، ويحيون لياليهم في تمحل الفاحشة نيسبونها إليه[1]؟!!

أهل البدعة لا السنة: وذلك عندما يفسر الزمخشري قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] نجده بعدما يعترف بأن الآية واردة في حق اليهود والنصارى، هي إنها شاملة لمبتدعي هذه الأمة، وينص على أنهم المشبهة والمجبرة على الحشوية وأشباههم»[2].

ويكشف خلالهم أكثر وأكثر في تفسيره لقوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]. يقول الزمخشري: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموه كنه أمره، وقبل أن يتدبروه ويقضوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط

---

(١) الكشاف ٥٤٧.

(٢) الكشاف: ١/ ٣١٩.

نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشيء على التقليد من الحشوية، إذا أحسن بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه ـ وإن كان أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة ـ أنكرها في أول وهلة، واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد، لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب[1]؟!!

ولكن مشكلة هؤلاء أنهم ألبسوا أنفسهم لباس أهل السنة وتعصبوا لرجالهم وصححوا صحاحهم، فلا عجب أن ترى من حمل العمى والضلال شعاراً يدافع فيه عن سلفه، وإن لم ينزهوا الباري تعالى تجسيماً وتشبيهاً ورؤية.. ونسب القبائح والفواحش إليه وغيرها تعالى عنها علواً كبيرا؟!!

وهكذا نسبة ما يخل بعصمة ومقام الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وكذلك الملائكة الكرام.. وعليه فلا غرو أن يرمي كل من لا يوافقهم بمختلف التهم والطعون والتي تبين أنها فيه وهو غارق في وُحُولِها من باب رمتني بدائها وانسلت... فيرمي أهل بيت النبوة عليهم السلام بالرافضة وأهل البدع والشذوذ عن جماعة المسلمين... الخ.

وهنا فبدل أن يراجع المنتمي إلى ما سمي أهل السنة معتقداته على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة والإجماع والعقل، وتفسيرات العلماء، يقوده تعصبه الأعمى وتحجره الجامد إلى الاندفاع بل والاستماتة دون موروثات وأصنام رجاله، فيصم سمعه ويطبق عينيه ويعطل فكره، عندما يتصدى للزمخشري لا لشيء إلا أنه معتزلي؟!!

علماً أنَّ الزمخشري وحسب التحقيق، إنَّما فهم الآيات الكريمة وفق النظرة الأدبية بعيداً عن اتهام أهل السنَّة الذين كعادتهم في حال عجزهم فلا

---

(١) الكشاف: ١/ ٥٨٢.

يملكون إلاّ التهم والطعون غير الشريفة والعلمية لتنفير الأُمّة عن أهل الحق من علمائها كما فعلوا مع الشيعة؟!

فمن كان بيته من زجاج، فلا يرمي الناس بحجر؟!

ولعلّ أوضح سبب لذلك هو أن الزمخشري كغيره من المنزهة لله سبحانه من التشبيه والتجسيم أو إجازة الرؤية، أو الجبر الذي هو محض الجور[1]؟!

فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨] الشهادة على وحدانيته وعدله؟

قلت: هم الذين يتبنون وحدانيته وعدله بالحجج والبراهين القاطعة، وهم علماء العدل والتوحيد ـ لا الجبر والتشبيه والرؤية ـ (فإن قلت) ما فائدة هذا التوكيد، يعني في قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (قلت: فائدته أن قوله: لا إله إلا الله... الخ.

وإن ما عداه فليس من الإسلام والدين في شيء. قال: لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام[2]؟!!

هذا وكما سيأتي أننا لا نوافق على كل استرسالات الزمخشري بحيث ينتقل من واقعية الأشياء إلى خيالاتها؟!

وهذا هو عين التعصب بل الغلو ممن ادعى السنة وأهلها! وأختم أنه لو غلب الخوارج وحكموا لأصبح رجالهم أهل السنة والجماعة (رض) ولاتهموا من يغلون اليوم بهم وخصوصاً الحكام بالرافضة والزندقة وأمثالها؟!!

الفرع الثامن: التفسير العلمي:

منهج التفسير العلمي عندهم كغيره من التفاسير بين طرفي الإفراط

---

(١) الأمر الذي جعل والمعتزلة وأهل البيت، يصرحون بالعدل وسموا بالعدلية.
(٢) الكشاف ١/ ٢٩٧.

والتفريط، ما بين الجمود الروائي والتعصب له، وما بين فتح الباب واسعاً لأعمال الرأي والاجتهاد!

وعليه فتأرجح التفسير ما بين الأحجام والأقدام، والقرآن الكريم بلا شك يدعو إلى إثارة العقل وتحريكه والنظر في آيات الكون وآفاقه وفي نفس الإنسان ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت:٣٥].

ولكن بسبب واقعهم المضطرب فقد وقفوا من التفسير العلمي موقفين، فمنهم من أنكره ومنهم أنكر التوسع، كالشاطبي في موافقاته، وغيره من المتقدمين إما من المتأخرين فقد أنكره الزرقان جملة وتضليلاً وعدوه من المغالاة التي لا طائل معها[1]. واعتبره أمين الخولي ليس بذي جدوى، والقرآن غني عن هذا التكليف الذي يوشك أن تخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الناس[2].

وممن اشتهر بالتفسير العلمي قديماً ودعا إليه الغزالي في «جواهر القرآن» والفخر الرازي. أما من من المتأخرين فأشهرهم الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره (الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) فقد حشره بالعلوم الطبيعية والكونية والنفسية والصناعية، وعالج به المكتشفات والاختراعات العصرية. وكذلك عبد الرزاق نوفل (القرآن والعلم الحديث)، والأستاذ عبد الغني الخطيب في: أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة، ومنهم د. مصطفى محمود وهكذا.

ولكن ملاحظتنا على ذلك هو أن: القرآن الكريم مما لا ريب فيه قد أيقظ الإنسان على أعمال عقله للتوصل إلى معرفة القوانين العلمية منها التي تنظم داخله والكون من حوله، وأنه سبق العلوم ويواكبها، إلا أنه ينبغي التأكد

---

(١) مناهل العرفان ـ عبد العظيم الزرقان: ١/ ٥٠١.

(٢) (مادة تفسير) دائرة المعارف الإسلامية ـ أمين الخولي: ٥/ ٣٦٢.

من صحة وثبات النظريات لئلا تتغير بنظرية علمية أخرى مما يحدث الخلل بين الآيات والنظريات.

والناحية الأخرى عدم المبالغة والاهتمام في جانب واحد مما قد يبعد القرآن عند منهجه وغايته العليا وهو الهداية وبناء الإنسان والإنسانية. أضف إلى ذلك أنه يمكن تصنيفه ضمن منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم كسائر التفسيرات الموضوعية الإنسانية والعلمية وغيرها.

الفرع التاسع: التفسير التاريخي:

لمنهج هذا التفسير عدة دلالات سنعرضها فيما يلي.

أ ـ يميل البعض إلى هذا التفسير زمنياً وذلك بحسب مراحل النزول، أي الابتداء بسورة العلق تفسيراً وللانتهاء بآية الإكمال للدين والإتمام للنعمة، أو بالآية (٢٨١) من البقرة على اختلاف الأقوال في أوائل النزول وخواتيمه طيلة ثلاثة وعشرين عاماً[1].

وهذا المنهج أيضاً يدل على التكلف والدعوى بغير دليل، والمبالغة في الرأي والاجتهاد المعهود عند القوم فضلاً عن أنه عمل غير مثمر وغير مجد خاصة إذا ضممنا إليه توهين بل الانحراف عن السنة والإجماع والعقل والقول بالتحريف وهنا تجرأ بالتخرص بالقرآن وآياته المباركة وذلك لعدة وجوه:

الأول: أشكال حصر الترتيب الزمني لانقطاع الرواية في ذلك لا سيما وقد عرفت ما أصاب الحديث وبطلان دعواهم في صحاحهم، وقد رأيت مدى الاختلاف ومنها ضبط العلماء بين المكي والمدني على اختلاف في جملة من الآيات!

الثاني: نكرر دعوتنا إلى محتكري السنة والجماعة إلى إيقاف غلواء

---

(١) الاتقان ـ للسيوطي ـ ١/ ١٦.

الرأي والاجتهاد في الأمور الخطيرة والمقدسة، فإننا رغم ما نملكه من المنهج العقلي السليم فضلاً عن سنتنا المعروضة على الكتاب والمتناسبة مع روح الإسلام إلى أننا لا نرتجل ونتجرأ على مخالفة الترتيب التوفيقي للقرآن الكريم الذي أجمع عليه العلماء وساروا على منهجه!

وعليه لا يحق لأي رجل من رجالكم وإن غلوتم فيه ونعتموه بإمام الأئمة وشيخ الشيوخ والسلطان الغالب. . من أن يضع شيئاً من الآيات مكان شيء آخر فاعرفوا قدركم وقفوا عند حدكم؟!

الثالث: لا تشوهوا التسلسل الترتيبي الذي عليه المصحف الآن، حيث لا مجال لأهواء آرائكم أمام ذلك لا شرعاً ولا عرفاً بل ولا ذائقة فنية واعتبار عقلائي كما تجرأتم عليه في مجالات أخرى، الأمر الذي يجعل النظم القرآني مفككاً، والوحدة الموضوعية متلاشية، وهو أمر حدب على تبويه القرآن الكريم وإجماع المسلمين ولئلا تصدموا المسلمين كما فعلتم ذلك في أكثر من مضمار!

لأن القرآن ليس حوادث بمجموعه حتى تنظم تاريخياً، ولا وقائع حتى ترتب زمنياً، ولا منهجاً متسلسلاً لينسق علمياً. نعم قد يتفق أن تكون بعض الحوادث متعاقبة الوقوع فتفسر تاريخياً وموضوعياً وإن كان هذا من الندرة بمكان. ولكن لا مجال للتطاول على التسلسل الترتيبي الحالي، فاتقوا الله وفسروا آرائكم واجتهاداتكم في سنتكم وصراع مذاهبكم وإسرائيليات تفاسيركم!

نعم هناك يمكن الاستفادة من تاريخ الأمم الغابرة التي وردت في المصحف، بجانبها التطبيقي وذلك باستخدام التمثيلي عليها، وإدانة الشاهد بحسب جرائم الغائب على أساس ما ورد في ظلم الظالمين والطواغيت فردية وأمم كما في قوم عاد وثمود، لأجل الاعتبار، والقياس على الأمثلة، لصيانة الحاضر والمستقبل!

الرابع: قد يراد بالتفسير التاريخي، النظر إلى واقع الأمة التي نزل فيها وإلى لغة تلك الأمة، وكيف طوّر القرآن من دلالاتها اللغوية، وثبتها وأغناها

بحيث أصبحت اللغة أداة للتعبير عن قيم وحضارة لا يمكن تجاهل بل وتتحدى غيرها، وقد مال إلى هذا الاتجاه د. أحمد خليل بقوله: «من هنا كان التفسير التاريخي أمراً تقتضيه طبيعة التطور وتلتزم به تلك النقلات الكبيرة التي تعرضت لها العربية في تاريخها الطويل، ونشخص العوامل التي أدت إلى وجود تيارات متقابلة في عملية التفسير نفسها من متشدد إلى متحرر...»[1].

وإن كان قد سبق إلى هذا المنهج الشيخ محمد عبده، في عرض الآراء السابقة للمسلمين وربطها بالآثار المعاصرة، والغرض من ذلك هو الكشف عن التطور الحضاري للأمة، في ضوء ما ترك الأقدمون من آثار، وما استفادة المحدثون من آراء.

الفرع العاشر: التفسير الموضوعي:

وهو في مقابل التفسير التجزيئي المتعارف، وهو دراسة وتفسير القرآن الكريم عن إيجاد الترابط بين الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد.

وهذا التفسير سيكون أهدى بنسبة من تفاسيرهم التجزيئية التي فسرت على ضوء التعصب لما سموه صحاحاً ولكنه ثبت غلبة الموضوعات والإسرائيليات، حتى أثرت على أذواق نفس المفسرين وتركت عليهم بصماتها. إلا أن ذلك الابتعاد والشطط في التفسير سوف يخفف ويتقلص في التفسير الموضوعي للآيات وإن لم ينته نهائياً؟!

وقد مال إلى هذا الأستاذ أمين الخولي، إلى دراسة القرآن موضوعاً موضوعاً، لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سوراً، أو قطعاً، وأن تجمع آياته الخاصة بالموضع الواحد جمعاً إحصائياً مستفيضاً، ويعرف بترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحاقة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى، وأوثق في تجديده[2]؟!

---

(١) دراسات في القرآن ـ د. أحمد خليل ـ ص١٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ـ أمين الخولي ـ مادة تفسير ٥/٣٦٨.

وهذا المنهج يعني أن يقوم جملة من المتخصصين على دراسة شذرات، ونجوم من القرآن كل حسب تخصصه، فيجمع مادة موضوع من مواضيع القرآن ويستقصيها إحصاءً لتكون هيكلاً، مترابطاً يشكل وحدة موضوعية متكاملة واحدة، ثم يقوم بتفسيرها بحسب منهجه فالمتخصص بفن القصة، والمثل القرآني، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد وهكذا، يقوم بذلك البحث والجمع الموضوعي.

هذا وكما ذكرنا أنه يخفف من غلواء التشرذم المذهبي لموروثات المفسر، كذلك فإنه يغني الباحث والطالب في سير المواضيع والاطلاع على أسرار القرآن العظيم مبوبة ومنهجة، وبذلك ييسر كثيراً من الجزئيات المتناثرة، ويقوم بعملية التقاء، ووصلة لآخر الموضوع بأوله، ولشارده بوارده.

ولعل ما ذكرناه سابقاً من التفسير الفقهي يعتبر محاولة أولى في هذا المجال حيث جمعت فيه آيات الأحكام كوحدة موضوعية للدراسة. كما أنه معاصراً قام بذلك بعض العلماء منهم د. محمد الغزالي، وأفضل من وفق بذلك وفصله تفصيلاً علمياً شاملاً يتناسب مع مقام القرآن الكريم هو سماحة الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر (رض).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الفرع الحادي عشر: التفاسير الحديثة:

فيمثل العصر الحديث صدمة جديدة للتراث التفسري الجامد لمدعي أهل السنة، وكانت الصدمة الأولى هي مرونة المذاهب التي لا تعترف بها أهل السنة، كالإمامية (سنة أهل البيت عليهم السلام)، والمعتزلة، والظاهرية والزيدية وغيرهم.

وأقصد بالمرونة التي تمثل آفاق القرآن الكريم وتحمله الوجوه التي تمثل إعجازه ونورانيته وتجدده لكل عصر وزمان. إن لو بقي على مراد أهل السنة من الجمود لأصبح بلا شك كالأكليريوس المسيحي، تخلف وجمود التشريع، واتخاذ الرهبان والأحبار أرباباً وإطاعة كل قيصر غالب؟!

١ ـ لذلك تعتبر التفاسير الحديثة اما ضحية وتعصب الخلف لسلفه بكل ما فيها من غث وسمين بل وسموم قاتلة!

٢ ـ تمرّد المجددين أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم!

فمثلاً تجد أن التعصب قد يصل إلى حدّ الخيانة والغش! يذكر الأستاذ محمود شاكر: أنّ الذين نقلوا عن الطبري في غير زماننا، مثل السيوطي وابن كثير وأبو حيان والقرطبي... ولما راجعت كتب التفسير وجدت بعضهم ينقل عنه فينسب إليه ما لا أجده في كتابه؟!

ويؤيده في ذلك د. عبد المنعم النمر[1] ثم تابع د. النمر تحت عنوان تجريد التفاسير القديمة معارضاً طريقة الترقيع غلواً بالسلف. إذ قال: إن تجرد هذه الكتب من كل هذا الغذاء الفكري السام ويعاد طبعها بدونه أو الوقاية خير من وجودها وتحذير الناس منها.. وقد لا ينتبهون وقد لا يحذرون فالوقاية خير من العلاج! وبالفعل وقع ما حذر؟!!

ولكن الذي أنقذ الموقف من السقوط هو تمرد اللوثريين (أصحاب الرأي والاجتهاد) إلا أنهم لم يتمكنوا من التخلص من النزعة المذهبية الأربعة المفروضة بثقلها عليهم وذلك:

أ ـ مثلاً، مدرسة، رشيد رضا ـ صاحب تفسير (المنار)، فإنه قد حمل حملة عنيفة على الإسرائيليات والانحرافات المبثوثة في أغلب تفاسير أسلافه، إلا أنه يدافع وينتصر لمذهبه وكأنه برأ من تلك الطعون، ثم يبرر ذلك حتى بالأحاديث الضعيفة بل الموضوعة أحياناً. وكان متأثراً بأستاذه الشيخ محمد عبده الذي كانت كل تفاسير السلف أمامه، فلم يتقبل طريقتها كما هي؟! وإنما نحا منحى جديداً في التفسير ـ أي تمرد ونعى على السلف منهم فساد

---

(١) علم التفسير ص ١١٠.

وضعف تفاسيرهم ـ في دروسه التي ألقاها ببيروت حين نفي إليها... وهو بذلك كان متأثراً بإصلاح أستاذه جمال الدين الأفغاني! لذلك صرّح محمد رشيد في مقدمة تفسيره المنار نتيجة تشربه روح أستاذه بقوله[1]:

«كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه ـ عن روح الهداية والهدف المقصود منه ـ عن هذه المقاصد العالية منها... استنباطات الفقهاء المقلدين ـ بعد سد الباب على الأربعة ـ وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض وبعضها يلفتها عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات وقد زاد الفخر الرازي صارخاً آخر عن القرآن؟! مما قلده فيه بعض المعاصرين وهي تصد قارئها عما أنزل الله القرآن لأجله»[2].

ثم يقول بنفس الصفحة: «وصحيح أنه لا بد من وسائل فهم القرآن... ولكن الانحراف في ذلك، واللجوء إلى الروايات الباطلة الخرافية أمر يذهب بهداية القرآن؟!».

ب ـ تفسير في ظلال القرآن للسيد قطب الذي يعتبر غاية في التمرد على موروث سلفه حيث اعتمد على رأيه الشخصي وما تناسب مع منهج الاخوان المسلمين. ولكن ومع كل ذلك نراه لم يتمكن من التخلص من عقدة تراث سلفه التي كما ذكرنا قد حاول الخلف تخفيف غلواء الإسرائيليات، والموضوعات والخرافات والتعصبات والغلو برجالهم بحيث تمس مقام الربوبية والتنزّه والانحراف ببشرية النبي ﷺ وكذلك أمير الأولياء علي بن أبي طالب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ متأثراً بتراث الوضاعين من وعاظ البلاطات أعداء الإمام الزاكي الذي أجمعوا على تسميته بـ (كرّم الله وجهه) لأنه لم يسجد لصنم ولم يقترف المعاصي كغيره ونشأ مع الرسالة وتربى في حجر النبوة؟!!

---

(١) علم التفسير د. النمر ص ١٣٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ونخلص من تفسير هذين المفسرين المتأخرين ما يلي:

١ ـ عدم التمكن من التخلّص من الإسرائيليات والموضوعات الموروثة، نعم لقد حاولوا التخفيف منها بنسبة ما. بدليل بقاء مسألة الغرانيق، والتشبيه والرؤية وغيرها.

٢ ـ مراعاة واحترام أساتذتهم الذين ربواهم على تلك الموروثات، كذلك ردّات فعل المقلدين لتلك المذاهب من الناس.

٣ ـ انهيار الهيكل على الجميع فستّتهم مرتكزة على ذلك الكمّ الهائل من تلك الأحاديث (...) وهي بالتالي قوام مذاهبهم وعماد تفاسيرهم.

المطلب الثالث

وفيه مباحث

المبحث الأول: شهادتان، وتساؤلات:

الأول: شاهد من أهلها:

يقول د. عبد المنعم النمر: ولذلك فإنني أرى أن الفكر الإسرائيلي قد غزا الثقافة الإسلامية من منبعها وشوش عليها وأساء إليها، حتى لنرى الكثير من العقول ـ حتى عقول العلماء ـ، فيها أثر كبير لهذا الغزو الغريب الذي كان يجب على مفكرينا وعلماءنا أن ينتبهوا له ويتحاشوه. ولكن هذا ما كان، وظهر أثره جلياً في عصرنا، عصر العلم والحساسية الدينية، وهجوم الكثيرين على الإسلام وكتبه، مما يلقي علينا الآن عبئاً كبيراً في تطهير كتبنا من أثر هذا الغزو الذي بات يشكو منه الكثيرون ويستهجنونه[1]؟!!

وفي جانب آخر يحمل على بني قومه المتعصبين والمغالين بتراثهم،

---

(١) علم التفسير ـ د. عبد المنعم النمر ـ ص١٠٤.

الذي ورثوه من التشيع لمعاوية وجائهم من واعظ سلطان لخلفه، ولكنهم يكابرون الحق، ويدعون عريضاً عندما يدعون أنهم أخذوا مذهبهم عن الصحابة بتسلسل مترابط، تابعي عن صحابي عن. . .الخ وليسمّوا أنفسهم أهل السنة والجماعة يحتكرونها ويخرجون بقية المسلمين عن الإسلام وأنى لهم التناوش والدليل؟!

فيذكر د. النمر: أن الدكتور الذهبي يدرج تفاسير الغير ضمن التفاسير البدعية، تأثراً برأي أهل السنة فيهم[1]؟!

فالدكتور النمر، لم يوافق على ذلك ويدعو إلى كسر جمود التعصب والانفتاح على آراء المعتزلة ويدافع عنهم، كما يقول أيضاً: وأمامنا تفسير كمجمع البيان للطبرسي الشيعي، نجد فيه مرجعاً طيباً للبحوث التفسيرية، من حيث الأعراب والقراءات واللغة والمعنى، على الاعتماد عليه[2]. . .؟!

ولكن ومن المؤسف له حقاً أنه بعد ذلك كله، نراه كغيره لم يتمكن من التخلص من تلك العقدة التعصبية لعنوان أهل السنة والجماعة، والتي سماهم بها الكاتب المصري صالح الورداني بـ(أهل السنة شعب الله المختار)؟!!

وذلك كما رأينا سابقاً أنهم كلما وجدوا تخلفاً أو انحرافاً أو فساد مذهب مقابل الآخرين الذين يحاجوهم بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، وحيث يظهر عجزهم وفساد مذاهبم وعيّهم عن الأدلة، التجاؤوا إلى نبرتهم القديمة الجديدة، هذا ما عليه إجماع واتفاق السلف من أهل السنة والجماعة وغيرها؟!

وإلا وبدون هذه الادعاءات يتحولون إلى شعب الله المختار؟! وذلك:

أ ـ فلا دليل لهم ولا برهان عن أنهم أخذوا سنتهم عن رسول الله ﷺ وغيرهم فضول؟

---

(١) م.س نفسه ص١٠٢.

(٢) م.س نفسه ص١٠٥.

ب ـ وهل هم إلاّ شيعة معاوية الباغي على الخلافة الرابعة، والأسوأ من الخوارج الذين طلبوا الحق فأخطأوه؟!

ت ـ لم تكن فكرة ومصطلح أهل السنة واردة في القرون الأولى، بل وحتى عند رموز المذاهب كأبي حنيفة ومالك والشافعي، نعم ظهرت بداياتها في عصر ابن حنبل الذي هو بريء من تعسفاتهم بتكفير أهل القبلة واحتكار السنة والقيمومة على الآخرين كما تفعله الوهابية اليوم.

ث ـ هل هم حفظة السنة أم الأمناء على الموضوعات والإسرائيليات وأقطابها من اليهود، والتعصب للرجال دون الحق؟!

ج ـ أي سنة التي ترعرعت في أحضان الحكام وبلاطاتهم وسيفهم، وعلى يد وعاظهم ومرتزقتهم؟!

ح ـ هل السنة هي في تجميد وإهمال العقل، وتقديس الحكام على حساب جماهير المسلمين سواء بالخداع أو بالقوة.. وتضخيم الرجال والغلو بهم دون الحق.. أو استخدام الإرهاب الفكري تجاه من لم يكن على هواهم؟!

الثاني: استغاثة أزهرية:

كذلك ينقل النمر عن الطبري، كيف أن الخرافيين ممن كانوا يعتمدون على هذه الروايات الكاذبة، كانوا يستولون على قلوب العامة، ضد العلماء الذين ينكرون هذه الروايات، حتى يوجعوهم ضرباً وإهانة، ومع ذلك عنى الطبري نفسه بتدوينها؟!!

ثم يتابع إننا نجني من هذا وذاك الآن الكثير من المر، والكثير من التهجم على الإسلام وكتابه... ولقد كونت هذه الروايات جانباً خرافياً في عقول المسلمين، تحتاج إلى الكثير من الوقت في القضاء عليه، وبعض المتمردين على الدين ـ من المسلمين أنفسهم ـ مع الأسف ممن تأثروا بمؤثرات غربية، يتخذون من هذا تكأة لرفض الدين كلية؟!

ونحتاج نحن إلى دفاع وجهد كبيرين لتطهير عقول الناس من هذه الخرافات، والروايات الإسرائيلية المظللة؟!!

ويتابع أيضاً: ولقد كان من الأولى لهؤلاء السلف الطيبين أن يكونوا بعيدي النظر، فيريحوا أنفسهم والأجيال التي بعدهم من هذه الخرافات والأضاليل، ويذكروا لنا ما صح سنده وما رأوه، بعقولهم الناضجة؟ نعم كان من الأولى.. ولكن ماذا نفعل الآن وهذا هو الذي كان[1]!!

وأخيراً فقد دعا إلى التجديد أي تنقية التفاسير والأحاديث من الموضوعات والإسرائيليات بقوله: وبذلك نقضي على هذه الخرافات والإسرائيليات من العقول... ولا بد من عدم السماح بطبع أي كتاب آخر فيه شيء من هذه الأضاليل[2]؟!

وهكذا دعوات جلّ المتأخرين من الواعين كأمثال الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، والمراغي والسيد قطب وغيرهم.

ولكن كيف وقد اتسع الفتق على الراقع، وبماذا سوف يجيبون أتباعهم وشيعتهم من سقوط فلان وفلان.. وماذا سيبقى من سنة أهل السنة لو جردناها عن ذلك؟! وأين سيكون موضع الحكام العظام فيها؟! وما سيكون الموقف من أصحاب المذاهب الأربعة؟! وأين هي الصحاح ورواتها؟! وما قيمة كل ذلك التراث لأهل السنة والجماعة؟! وهل سيدركون بأي خدعة كانوا مخدوعين وبأي غش كانوا مغشوشين؟!

كذلك أقول؛ بل حتى هؤلاء الذين يدعون إلى التجرد والتجدد، هل

---

(١) أقول بل ما كان لهم إلا هذا؟! فإن الذي تشيّع للباغي معاوية ضد علي عليه السلام، واختلق له سنة الحاكم الغالب بآراء الرجال من وعاظ ومرتزقة السلاطين، وبالتالي تسيّس المذاهب واستخدهم الإرهاب الفكري ضد كل صوت حق إسلامي فهل تتوقع منه تلك النزاهة والأمانة والتقوى؟!

(٢) م.س نفسه ص١١٤ ـ ١١٥.

تمكنوا هم أنفسهم من إزالة كل العوالق والترسبات التي تركتها عليهم الولاءات لمطلق الحكام، استتبعها من إيجاد التبريرات لتسلطه، والضعف أمام مواهبه وعطاياه، والوقوف معه لضرب المعارضة ومحاربتها سياسياً وعسكرياً وإعلامياً. . ولو كان ذلك عن العناد وخداع الخلف الذي يسير على ما سار عليه السلف، ولو على حساب نكران ومخالفة سنة رسول الله ﷺ بل وآيات الكتاب بالمودة والولاء والاتباع للحق المتمثل بعلي عليه السلام وأهل بيته الطيبين، سفن النجاة، وباب حطة، وحبل الله، ومصابيح الهدىٰ. . . الخ مما هو مبثوث في كتبهم؟!.

المبحث الثاني: تساؤلات محتار آخر[1]؟!

يقول د. محمد الغزالي: وفي هذا ما فيه محاصرة النص القرآني، وقصد فهمه على عصر يعني ـ العصر الأول وإن إدراك أبعاد النص مرتهن بها ـ وعقل محكوم برؤية ذلك العصر، وحجر على العقل، وتخويف من التفكر!

ثم يعلق أنها قد تتأتى فهوم مستقبلية أكثر وعياً وإدراكاً للنص القرآني: «بلغوا عني ولو آية»[2]، «فرب مبلغ أوعى من سامع»، «فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

إن الدعوة إلى محاصرة العقل، والحجر عليه، وقصر التدبر على مفهوم السابقين هو الذي ساهم بقدر كبير من الانصراف عن تدبر القرآن. وصار أي رأي أو احتمال آخر، خروجاً عن الإجماع، أو نوعاً من الابتداع[3]؟!

وكان بالفعل هو منطق من احتكر السنة والجماعة، وأن الصحيح حديثاً وتفسيراً عنده، والآخرين أهل بدع وخروج وزندقة و. . .الخ.

---

(١) د. محمد الغزالي ـ كيف نتعامل مع القرآن ـ مطبعة الوفاء مصر ١٩٩٢م.

(٢) رواة البخاري ـ كتاب الأنبياء، باب ذكر بني إسرائيل.

(٣) كيف نتعامل مع القرآن ص١٩.

ويقول أيضاً: فالقرآن موجود بين أيديهم كما كان موجوداً بين أيدي الصحابة، ونصوصه محفوظة.. لكن المشكلة: بالتعامل والفهم[1]؟!

فكيف نتعامل معه ضمن التحجير والجمود ضمن الجوّ الإرهابي على الفكر من قبل مدعي أهل السنة والجماعة، وكيف نصرح بالتفسير الصحيح وهم يرمون الآخرين بالبدعة والزندقة لأنه لم يأتِ على وفق تراثهم الطافح بالموضوعات والإسرائيليات... الخ.

ويتابع د. الغزالي قوله: كل من رأيت من إخواننا الذين لهم فكر، ويريدون العمل ما وهنا لا يعاملون إلا معاملة قطاع الطرق... وما قيمة أن يقال: إن الناس قلوبهم مع الحسين وسيوفهم مع يزيد[2]؟!

نعم لأن أمثال هؤلاء الأحرار لهم أسوة بأصحاب أهل البيت عليهم السلام والحسين عليه السلام بينما ينعم الوعاظ والمرتزقة في بلاطات الحكام كقضاة ومفتين ومحدثين ومفسيرين... الخ.

ويقول في مورد آخر: إن ابن تيمية أنكر المجاز في القرآن في اللغة؟!

وهو ليس من رجال الأدب واللغة! لكن هذا لا يجوز، لأن المجاز بديهي في القرآن.. والمجازات موجودة في لغات الأرض، وليس في اللغة العربية وحسب[3]؟!!

وفي مكان آخر قام الغزالي بكسر حاجز بل وركن مهم من أركان بنائهم ألا وهو تقديس الرجال ومعرفة الحق بهم بقوله: أريد أن يُعرف الدين على المعنى القرآني السليم الصحيح ولا يفهم الدين من خلال تقاليد الرهبان؟!!

وظيفة الراهب: قيادة الناس إلى الله، لكنه في واقعه صدّهم عن دين

---

(١) م.س نفسه ص١٤٨.

(٢) م.س نفسه ص١٥١.

(٣) م.س نفسه ص١٦٠.

الله[1]: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] فبدل أن يكون العلماء أدلاء إلى الله، أصبحوا وعاظاً للسلطان وقطاع طرق! حسب تعبير الشهيد الصدر (رضي).

مذاهب الطاغية واللص، بهذا التشبيه يقوض د. الغزالي ركناً آخر من بناء مدعي السنة والجماعة ألا وهو إضفاء الشرعية ولقب أمير المؤمنين لمطلق حاكم وإن غلب بمختلف وسائل الظلم والتنكيل والاحتيال...

حيث يذكر الغزالي بقوله: هنا نجد الأئمة الذين قادوا الأمة علمياً: أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل... غلب على هؤلاء وأولئك الرغبة في ألا يصطدموا بالنظام القائم، لأن النظام اصطدم به الخوارج... فنكل بهم النظام تنكيلاً، قطع دابرهم، وأيأس الناس عن أن يكون مجال لإصلاح سياسي[2]... الخ.

التفسير المتكلف والمتعصب، إذ يقول الغزالي: أنه لكي نقول: إن العمل الذي نؤديه هو من صنع الله - تأييداً لمسألة الجبر الأشعري المنحرف - استدللنا بالقرآن ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. انتزعنا هذه الآية من السياق كله لكي تدل على مذهب أهل السنة: إن العمل مخلوق لله! ونسينا أن هذا الكلام لو صح، ما كان عبدة الأصنام مسؤولين! لأنهم إذا كانوا مخلوقين لله، وشركهم ووثنيتهم مخلوقة لله، فما عليهم من ذنب؟! وجعلنا هكذا دليلاً لرأي باطل[3]...؟!

ولكن هذا قد صار من العقيدة فما قاله أهل السنة أو الأشعري هو الحق ودونه الباطل والبدعة والزندقة ويأتي متعصب أعمى فيقول: وهذا ما عليه اتفاق وإجماع أهل السنة والجماعة والسلف الصالح؟!

---

(١) م.س نفسه ص٤٤.

(٢) م.س نفسه ص٦٠.

(٣) م.س نفسه ص٧٣.

كافر يكفر المسلمين:

إن مما أسقطوا به أنفسهم (مدعو أهل السنة) غفلتهم واعتقادهم الفاسد أنهم بالتزامهم بالأربعة مذاهب، قد نجوا وصار غيرهم شيعاً! كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

ولكن د. الغزالي يؤكد أنهم فرقاً وشيعاً بفاسد اعتقادهم، إذ يقول: إن المقصود: «بالتفريق» التفريق بالعقائد، وليس التفريق بالمذاهب والاجتهادات[1]...؟!

ولا يشك أحد في بطلان عقيدة الأشاعرة في الجبر والتشبيه والرؤية والتجسيم وغيرها؟! هذا فضلاً عن اختلافهم بكثرة العقائد كالماتريدية والطحاوية والواسطية وغيرها؟!

حيرة يحار جوابها:

ومما ذكره د. الغزالي أيضاً قوله: وفي رأيي إن الكلام في بعض رجال له أصل ـ أي أنهم زكوا وعدلوا الكذابين والوضاعين واليهود ـ والذين رفضوا بعض أحاديث في البخاري أو مسلم لهم عذرهم؟!!

كل القراء تقريباً وكل المصاحف تقول إن المعوذتين سورتان مكيتان، وكلام البخاري يفيد أن المعوذتين مدنيتان، ومن آخر ما نزل[2]؟!!

نتائج البحث:

بعد أن استعرضنا أهم مدارس ومناهج التفسير عند العامة ـ مدعي أهل السنة ـ تبين لنا أنه لا مجال للاعتماد على تلك التفاسير للأسباب التالية:

---

(١) م.س نفسه ص١١٢.

(٢) م.س نفسه ص٢٠١.

أ ـ ذكرنا ما أصاب الأحاديث من منع وحرق وغيرها، ثم إعادة اعتبارها بعد فترة متأخرة، تحت مظلة السياسات الحاكمة وبلاطاتهم وعلى يد وعاظهم ومرتزقتهم، بحيث يمكن تسميتها بسنة الحكام لا سنة رسول الله ﷺ؟!

ب ـ تنكرهم ومكابرتهم وإصرارهم بمخالفة ما جاء من متواتر الأحاديث وحسانها التي ملأت كتبهم في علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، ولكنهم وتبعاً لسنة حكامهم انحرفوا إلى تجهيل وتهميش مقام وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام فكل من ذكر فضائله اعتبر مغالياً وصاحب بدع لأنه يعطيه أكثر من منزلته بل واعتبروا ذلك توهيناً للصحابة وبذلك يكون قائله ممن يسب الصحابة؟!

ت ـ ومن بعض نتائج ما سبق أنهم خالفوا سنة النبي ﷺ بقوله: «عترتي أهل بيتي» الحديث المتواتر والمسند عندهم إلى سنتهم بادعاء «سنتي» خبر آحاد المرفوع من مالك وعصره!

ث ـ معرفتهم للحق والدين برجالهم لا العكس، وبذلك تعصبوا وغالوا برجالهم الذين لسبب ما (. . .) تركوا ما وصى به النبي ﷺ باتباع عترته وأهل الذكر. . . وراحوا يعدلون أقطاب اليهود على ضوء حديث هو من تلك الانحرافات، فامتلأت كتبهم بالإسرائيليات وكذلك والوضاعين، بحيث يبقى أولئك الرجال على كل ذلك التقديس والمرجعية عند الخلف الذي توقف عند تلك الإسرائيليات، من دون أن يمس مقام سلفه! هذا علماً أنه باتباع ذلك السلف قد تأثر بشكل أو بآخر بانحرافات لم يتمكن أن يميزها من ذلك الموروث، بالإضافة إلى مدى تأثيره الذي يضيع في خضم أن التقديس يأتي عندهم حسب التسلسل من الصحابي ـ السلف ـ ثم التابعي ـ الخلف ـ وهكذا تابعي التابعي؟!

ويظهر حجم الانحراف وباطله بتمرد الخلف المعاصر وحيرته كما ضربنا أمثلة عن الشيخ محمد عبده، وتمليذه، والسيد قطب ود. الغزالي. .؟!

ج ـ وتفريعاً على ما سبق أنهم غالوا برجال أحاديثهم عندما سموّها صحاحاً وقد تبين خلاف ذلك وعكسه!

خ ـ عندما يتهمونا بأننا شيعة علي عليه السلام بينما هم حتى لم يدعوا أنهم شيعة أحد من الخلفاء الراشدين، نعم ألبسوا أنفسهم إرسالاً وارتجالاً وفي القرن الثالث اسم أهل السنة! فلم يكونوا سوى شيعة معاوية وبالتالي سنة كل حاكم متسلط، عندما استن بسنة أئمة سلفهم ـ بتقية محرمة ـ سواء بالسكوت والرضى أو بالعمل مع السلطان، الأمر الذي يشكل سلسلة من تابعين مغترّين بأولئك السلف معتبراً كل انحراف هو سنّة مقدسة! سواء برفض بقية المسلمين أو إسكاتهم وعدم قبول ما عندهم ولو كانت السنة المحمدية الحقة أو بعضها؟! بل حتى لو سايرناهم في ذلك فلا نجد إلاّ عدم السلفية والارتباط الحق المزعوم بالصحابة؟! وذلك اعتراف الخليفة الأول بعجزه في عدّة مناسبات عن فهم تفسير كثير من الآيات هذا أولاً، أما بالنسبة لعمر بن الخطاب فهو أكثر وأكثر ومنها أنه ضرب رجلاً يقال له (صبيغ) لأنه كان يسأل عن متشابه القرآن؟! حيث قال له عمر: تسأل محدثة؟ وكان يسأل عن معنى (المرسلات) و(العاصفات)؟! أما عثمان فلم يكن عنده شيء من التفسير كذلك ـ وكعادتهم ـ لا يعدمون حديثاً في كل مجال منها مسألة القضاء والقدر فإنهم يحدثون عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «إذا ذكر القدر والقضاء فأمسكوا» (رواه الطبراني من حديث ابن مسعود) وكذلك حديث «الأمة الأمية التي لا تحسب ولا تكتب» وهذا يكشف عن العجز. الأمر الذي اضطرهم أن يضخموا ابن عباس وسنبين أنه ليس كذلك وأخيراً حسموا الأمر بأن ملأوا الفراغ بالرجوع إلى اليهود! عناداً وتعصباً من الرجوع إلى علي عليه السلام وأهل بيته؟! وفي النتيجة كان تأثير ذلك كله على تفاسيرهم؟!

ح ـ ومنها تعصبهم لشعار أهل السنة وصحاحهم، وإن خالفت السنة ولم تنزه الخالق تعالى مما أوقعهم في تناقض خطير ومأزق عقائدي، عندما كفّروا غيرهم من المسلمين بما لم يبلغ تلك الدرجة من عدم التنزيه، وإن قالوا بلا تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، ولكنهم وقعوا في التشبيه والتجسيم وله مكان، ويصعد وينزل... الخ.

مما جعلهم في حيرة من أمرهم ولكنهم حسموا المشكلة بأن انتصروا لسنتهم وصحاحهم على حساب تنزيه الله سبحانه والطعن بملائكته، ومعاصي رسله.

د ـ وأخيراً أليس أولى بمن احتكر اسم السنّة أن يأتي تفسيره وكتبه موافقة للكتاب والسنّة؟! ولو في الأغلب لا العكس.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثاني

مرجعية أهل البيت (ع) في التفسير ومنهج مفسريهم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

قدوة التفسير:

اتفق الجميع على أن نشأة وظهور التفسير بدأ وارتبط في أوائل نزول القرآن الكريم على قلب الرسول المصطفى ﷺ. وكان هو المعلم الأول في توضيح مقاصد وحلول ما نقرأ من عبارات الكتاب العزيز، ولكن المشكلة من هو الذي توارث علم التفسير وحجته في ذلك؟!

لقد ادعى العامة في التفسير كما ادعوا في غيره، أنهم أخذوه عن السلف والصحابة على شكل متسلسل إلى تابعي وتابع تابعي... الخ.

ولو جاريناهم على ذلك الادعاء والزعم، فقد ذكرنا سابقاً كيف أن الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ حجت أبا بكر بالكتاب عن ميراثها عندما ادعى أن الأنبياء لا يورثون، كذلك، قوله: «أي أرض تقلني وأي سماء تظللني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»؟! وان أبا بكر لم يعرف معنى السؤال ولا معنى الإجابة؟! عندما جاء رجل وسأل النبي ﷺ[1] وأيضاً قول عمر بن الخطاب في معنى الأب»[2]. عمر لا يعرف تفسير ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ و﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن...﴾ فيعلمه ابن عباس كما نقلوه!

---

(١) الاعتصام، للشاطبي ١/ ٢٩١.

(٢) الاتقان ٢/ ١١٣.

ورواية عمر ـ المنكرة ـ أن آخر ما نزل هو آيات الربا[1]؟! لذلك كانوا ولا يزالوا يتخبطون في فهم مسألة الربا؟!!

أما عثمان بن عفان فلم تكن تعرف له فضيلة في علم وتفسير، بل أن أهل السنة يصرحون في كل كتبهم: أن أقل ذكراً للتفسير هو الخلفاء الثلاثة؟! وقد برر بعضهم ذلك بسبب قصر مدتهم وانشغالهم؟! ويمكن الإجابة وإبطال ذلك: بأن الإمام علي عليه السلام كان في عصر شغله بالقاسطين والمارقين والناكثين وغيرها ولكنه ملأ الخافقين تفسيراً؟!

ولكن ممن ذكروهم من الطبقة الأولى من المفسرين، كان أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وأنس، وأبو هريرة وأبو موسى، وكان أشهرهم عبد الله بن عباس، الذي ملأوا تفاسيرهم بما أخذوا عنه، هذا إذا علمنا أن ابن عباس يصرح في عدة مناسبات: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب» ولا ننسى نصيحة علي عليه السلام لابن عباس في صفين عندما ذهب لمحاججة الخوارج بأن لا يحاججهم بالقرآن لأنه حمال ذو وجوه؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كذلك بطلان ادعاءهم المزعوم من أن النبي صلى الله عليه وآله دعا لابن عباس: اللّهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل!

فلو صح ذلك فإنّ:

١ ـ توفي النبي صلى الله عليه وآله وابن عباس عنده من العمر إما ثلاث عشر أو خمس عشر سنة.

٢ ـ إن هذا يبطل ويوهن منزلة كبار صحابتهم ورجالهم ممن لازموا النبي صلى الله عليه وآله عمراً طويلاً فضلاً عن إبطال مدعاهم من أن النبي بيّن جميع معاني

---

(١) دراسات في التفسير، أبو يقظان الجبوري ص٢٨.

القرآن لأصحابه وفي أقلها أن يتساوى ابن عباس معهم لا أن يفوقهم بذلك الدعاء؟!!

هذا إذا عرفنا كيف أن الكثير طعنوا بابن عباس لأخذه بالإسرائيليات أو استفادته من شواهد الشعر، ومنهم مثلاً الطبري الذي شكك في رواة ابن عباس مثل مجاهد والضحاك وغيرهم[1]. وكان منهج هؤلاء في التفسير أنهم ينقلون ما سمعوه من النبي ﷺ في معاني الآيات بشكل أحاديث مسنده[2]. وقد بلغت هذه الأحاديث كلها إلى نيف وأربعين، ومائتي حديث أسانيد كثير منها ضعيفة، ومتون بعضها منكرة لا يمكن الركون إليها.

وربما ذكر هؤلاء تفسير بعض الآيات على أنه تفسير منهم بدون أسناده إلى الرسول ﷺ فعد المفسرون من متأخري العامة هذا القسم أيضاً من جملة الأحاديث، بحجة أن الصحابة أخذوا علم القرآن من النبي ويبعد أن يفسروا من عند أنفسهم!

وبقي هذا مجرد زعم وادعاء كبقية ادعاءاتهم العريضة بصحاحهم وأنهم أهل السنة وغيرها؟!

هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً من تزكيتهم وتعديلهم لأقطاب الرواية الإسرائيلية وخاصة في أسباب النزول واختلاق الأسباب لها ولو من عند اليهود، وكذلك القصص التاريخية التي جاءت على النسق والدين اليهودي المنحرف!

وقد مرّ عليك أن أحمد ابن حنبل اعتبر أن ما جاء من التفاسير مما لا أصل له؟!

وحتى إذا رجعنا إلى ابن عباس وكما بيّنا سابقاً كيف أنهم ضخموه

---

(١) مباحث علوم القرآن، صبحي الصالح ص ٢٩١ .

(٢) آخر كتاب الاتقان، طبع القاهرة سنة ١٣٧٠هـ.

تملقاً وتزويراً للارتزاق من بلاطات بني العباس بدليل أن التفسير كغيره بدأ في عصر التدوين وهو أواخر بني أمية وأول عصر بني العباس! ومما يقوي ذلك أيضاً أن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولما توفي الرسول الأكرم ﷺ كان له من العمر ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة في رواية[1] هذا نقلاً عن أنَّ التاريخ يؤكّد أنَّ ابن عباس من شيعة علي عليه السلام لأنّه كان معه في الجمل وصفّين بل محاور الأعداء؟!!

ومع ذلك عدوه من طبقة مفسري الصحابة، وأعطوه من الصفات ما لم يدعه لنفسه كالبحر وحبر الأمة، ودعاء النبي ﷺ بأن يبارك الله تعالى منه وينشر الدين منه. . .الخ.

تناقض مألوف: إذ سرعان ما ينقض مدعو السنة والجماعة غزلهم، عندما يذكرون أن ابن عباس كان يأخذ أحياناً من أخبار اليهود[2]؟!

وأنه منقطع الصلة عن تلك السلسلة المدعاة بالأخذ عن الصحابة، وذلك أن ابن عباس في كثير من الأوقات كان يستشهد بأبيات شعرية في فهم معاني الآيات، كما نرى ذلك جلياً في مسائل نافع بن الأزرق، فإن ابن عباس عند الإجابة عليها استشهد بالشعر في أكثر من مائتي مورد من الآيات، وقد نقل السيوطي مائة وتسعين جواباً منها في كتابه الاتقان[3]؟!!

وكان ابن عباس لا يعرف معنى الفطر في قوله تعالى ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى سمع أعرابيان يتخاصمان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: ابتدأتها[4].

وهكذا حتى تعرف الأمة مدى تضخيم فلان وفلان نتيجة سياسات البطون القبلية في مقابل تجهيل وتهميش بل ونسيان أهل الحق؟!

---

(١) كيف نفهم القرآن: ص١٨٠، ووفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ٣/ ٦٣.

(٢) فتح الباري، بشرح البخاري ٦/ ٤٩٨.

(٣) الاتقان ١/ ١٢٠.

(٤) فتح الغدير للشوكاني ٤/ ٣٣٩.

تفاوت الصحابة واختلاف تلقيهم! مرّ عليك سابقاً الحديث الوارد عن البخاري: «فربّ مبلغ أوعى من سامع» «فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»! هذا فضلاً عن دعوة أهل السنة وتكلفهم بتقديس الصحابة مطلقاً وكونهم المرجع في التفسير والثقافة الإسلامية، رغم أن فيهم ما فيهم من منافقين غير ضابطين ومستوعبين وغيرها ويمكن إيجازها بما يلي:

أ ـ الاتجاهات الثقافية الإسلامية وأخذهم بعضهم من اليهود حتى أغضبوا النبي ﷺ في حياته، بالإضافة إلى الثقافات الرسوبية التي عاش كثير منهم جاهلية جهلاء من ممارسة الفواحش والمحرمات والشرك.

ب ـ الاتجاهات المصلحية ذات الطابع الشخصي أو القبلي.

ت ـ وأخيراً لتشكل منهم الاتجاه السياسي والتراثي!

مرجعية الأئمة ومشكلة المحكم والمتشابه:

مرّ عليك سابقاً ضلال مدعي أهل السنة والجماعة في مجال المحكم والمتشابه، كذلك المعتزلة وشيوخها وإن كانوا أقل انحرافاً إلا أن مبالغتهم بإطلاق العنان للعقل، جعلهم يجانبون الحق؟!

بينما والحق يقال يتجلى كل الحق في فهم أئمة أهل البيت عليهم السلام لحل المشكلة الكبرى في تفسير المحكم وللمتشابه، وكيف لا وهم أعدال الكتاب والثقل الثاني لخلافة الرسول ﷺ الحقة من بعده؟!

فقد أثر عنهم عليهم السلام نفي وجود آية متشابهة لا يمكن معرفة مدلولها الحقيقي، بل الآيات التي لم تستقل في مدليلها الحقيقية على معرفة تلك المداليل بواسطة آيات أخرى ـ كما هي طريقتهم عليهم السلام في تفسير القرآن ببعضه ـ وهذا معنى إرجاع المحكم إلى المتشابه. فإن ظاهر قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]. وقوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]. يدل على الجسمية كماأوهم الأشاعرة وغيرهم من مدعي السنة والجماعة، وقالوا بأن الله تعالى مادة، ولكن لو رجعنا إلى قوله تعالى

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]. علمنا أن الاستواء والمجيء ليسا بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان إلى مكان آخر[١].

أقول: وهكذا يتبين لنا مدى مجازفة ومغامرة الخائض في التفسير وهو يدعي أن كل ما عنده هو الحق وإن فسر برأيه وقصور اجتهاده، عندما يتشابه عليه المتشابه ويضل في ردّه الصحابي وتابعيه وإن اجتمعوا وادعوا ذلك! بينما هو واضح التفسير عند أهل ذكره والراسخون في العلم ووارثي علوم جدهم رسول الله ﷺ؟!!

وذلك لأنهم عليهم السلام أخذوا عندما قال ﷺ وهو يصف القرآن الكريم: «وأن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم فاعلموا به وما تشابه عليكم فآمنوا به»[٢].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله؟!»[٤].

وفي هذا الصدد يجعل الإمام الرضا عليه السلام ميزاناً للهدى والضلال في تفسير المحكم والمتشابه، عندما قال: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» ثم قال: «إن في أخبارنا متشابهاً لتشابه القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا»[٥].

إن هذه الأحاديث خاصة الأخيرة منها صريحة في أن الآيات المتشابهة

---

(١) للمزيد راجع: القرآن في الإسلام ـ للطباطبائي ـ ص٣٨.
(٢) الدر المنثور: ٢/٨.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١.
(٤) تفسير العياش: ١/١٦٢.
(٥) عيون الأخبار: ١/٢٩٠.

هي الآيات التي لا تستقل في مدلولها بل لا بد من ردها إلى الآيات المحكمة.

ومعنى هذا أنه ليس في القرآن آية لا يمكن معرفة معناها بطريق من الطرق؟!

ولكن هيهات لمن قاده التعصب الأعمى لمذهبه ورجاله ورأيه أن يصل بالأمة إلى نور الحق، وإن استخدم الشعارات المختلفة اتفاق وإجماع السلف من أهل السنة والجماعة وأئمة أهل التفسير وغيرها، وفي المقابل يتهم الآخرين بالضلال والبدع... الخ.

الكتاب بين التعظيم والتحجيم:

لقد وضح لك بشكل جلي نظرة من ادّعى السنة والجماعة وذلك الذي لم ينزّه الله سبحانه وتعالى فكيف ينزه ويعظم قرآنه الكريم؟!

فتجدهم في التفسير كأنهم يتعاملون مع كلام لا يملك شيئاً من الإعجاز الإلهي العظيم المتحدي حيث فسحوا المجال فيه للرأي، ونسخوه بالآحاد من مروياتهم، وفسروه بإسرائيلياتهم وهكذا وفي المقابل شنوا حملاتهم على كل من حاول تنزيه وتعظيم القرآن ومنزله سبحانه وتعالى؟! حيث اتهموا المنزهين بالباطنية والخروج عن السنة والتعصب لمذاهبهم... الخ.

ونرد عليهم فنقول: المعلوم في علوم القرآن أن المورد لا يخصص الوارد، وهذا الأمر قد أوقع العامة في مجازفات في التفسير، عندما جمدوا على أسباب النزول وبالغوا فيها وعند المحققين أن فيها كثير من عدم الصحة في نسبة تلك الأسباب، هذا بالإضافة إلى نظرة أئمتنا عليهم السلام في إعطاء الأبعاد والآفاق للكلمة القرآنية، حيث جرى على ألسنة الأحاديث عندهم مسألة «الجري»! فإن القرآن الكريم كتاب دائم لكل الأزمان وتسري أحكامه على الناس، فيجري في الغائب كما يجري في الحاضر وينطبق على الماضي والمستقبل كما ينطبق على الحال. مثلاً الآيات النازلة في حكم على أحد المؤمنين بشروط خاصة في عصر النبوة يسري ذلك الحكم على غيره لو توافرت تلك الشروط في العصور التالية

أيضاً، والآيات التي تمدح أو تذم بعض من يتحلى بصفات ممدوحة أو مذمومة تشمل من يتحلى بها ممن لم يعاصر النبي ﷺ.

فإذاً مورد نزول آية ما لا يكون مخصصاً لتلك الآية نفسها. وتعني بذلك لو نزلت في شخص أو أشخاص معنيين لا تكون الآية جامدة في ذلك الشخص أو أولئك الأشخاص، بل تسري في كل من يشترك مع أولئك في الصفات التي كانت مورداً لتلك الآية.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام، في حديثه للفضيل بن يسار، عندما سأله عن هذه الرواية «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيها حرف إلا وله حدّ ولكل حدّ مُطّلَع، ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال عليه السلام: ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع... الحديث»[1].

وفي بعض الأحاديث يعتبر بطن القرآن ـ يعني انطباقه بموارد وجدت بالتحليل ـ مثل الجري[2].

المراد والهدف هو التمسك بالقرآن، حيث يأتي منسجما لحديث رسول الله ﷺ الذي أوصى المسلمين بالتمسك بالثقلين، وقد مرّ عليك تفرد عليّ عليه السلام بحق المعرفة للقرآن فجاء الحديث: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي...»[3].

ولو تنزلنا وقلنا باحتمال الثاني القائل و(سنتي)، نسأل كيف حجت فاطمة الزهراء عليها السلام أبا بكر عندما منعها إرثها بالقرآن؟!

إذ لم يحر جواباً ولم تسعفه السنة في ذلك المقام؟!!

---

(١) تفسير العياش: ١/ ١٠.

(٢) القرآن في الإسلام ـ الطباطبائي ـ ص٥٢.

(٣) ربما يروى عنه ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي. ولا تعارض بين الخبرين، سوى أن الأول متواتر دون الثاني، والأول مسند والثاني مرسل نقله مالك في موطئه، وأين هو من حديث العترة الذي أطبق عليه المحدثون من كلا الفريقين!

بل أفحمته عليها السلام خصوصاً عندما استشهدت بالقرآن، متهمة إياه بتركه ونبذه وراء ظهره.. حيث قالت عليها السلام: «أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟» إذ يقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وقال أيضاً فيما اقتص من خبر زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾. وقال ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾. ثم قالت: أخصكم الله بآية أخرج بها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثان[1]؟!

القرآن عند أئمة أهل البيت(ع) ميزان وتبيان:

وللمزيد للتعرف على مرجعية باب مدينة علم وحكمة رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الإمام علي عليه السلام وبعد ما مرّ عليك نضيف ما يلي:

ما ورد في كتابه لوليه مالك الأشتر: في تفسير قوله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فالراد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والراد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[2]. أي السنة التي تربطك بالنبي صلى الله عليه وآله لا سنة الرجال الحكام؟!

ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: «إذا جاءكم عنّا حديث فوجدتم عليه

---

(١) انظر: أبو بكر بن عبد العزيز الجوهري كتاب ـ السقيفة وفدك ـ المجلد الرابع ص٨٧ في شرح النهج، صحيح الترمذي باب: ٤٤ ـ ٤/ ١٥٧، شرح النهج الحديدي ١٦/ ٢١١، الإمام أبو الفضل ـ بلاغات النساء ـ ص٢٣، وفاء الوفاء ٣/ ٩٩٥، مشكل الآثار ١/ ٤٧.

(٢) نهج البلاغة، كتاب لمالك الأشتر، الوسائل ١٨/ ٨٦ ح٣٨.

شاهداً، أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإلا فقفوا عنده، ثم ردّوه إلينا حتى يستبين لكم»[1].

بل ومعرفة الرجال بالقرآن والحق لا كما ذهب إليه شيع الحكام (أهل السنّة)!

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لجابر الجعفي «. . . ولكن أعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله. . فأثبت وأبشر فإنه لا يضرك ما قيل فيك»[2].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) الكافي ٢/ ٢٢٢ ح٤، وسائل الشيعة ١٨/ ٨٠ ح١٨.
(٢) تحف العقول ص٢٠٦.

الفصل الأول:

دور الإمام علي
والأئمة من ولده (ع)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الأول:

دور الإمام علي (ع)

قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣، والأنبياء:٧].

فقد استفاضت الروايات عن جمهور العامة إنها نزلت في أهل البيت عليهم السلام وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين[١] عليهم السلام. علي عليه السلام دار الحكمة وباب مدينة العلم، ومن عنده علم الكتاب[٢]. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣]. كان الإمام علي عليه السلام أعلم بعلوم القرآن من غيره[٣].

---

(١) شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١/ ٣٣٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٥١ و١٤٠ تفسير القرطبي ١١/ ٢٧٢، تفسير الطبري ١٤/ ١٠٩، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٠، روح المعاني للآلوسي ١٤/ ١٣٤.

(٢) رواه أبو سعيد الخدري، وابن عباس، راجع شواهد التنزيل ١/ ٣٠٦، المناقب لابن المغازلي ص٣١٤ تفسير القرطبي ٩/ ٣٣٦، ينابيع المودة ص١٠٢، دلائل الصدق ٢/ ١٣٤.

(٣) شواهد التنزيل ١/ ٢٩، ابن عساكر ٣/ ٢٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٣١٩، جامع بيان العلم ١/ ١١٤، الرياض النضرة ٢/ ١٩٨، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٢٤، الاتقان ٢/ ٣١٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٨، فتح الباري ٨/ ٤٨٩ عمدة القاري ٩/ ١٦٧، مفتاح السعادة ١/ ٤٠٠، حلية الأولياء ١/ ٦٨، ينابيع المودة ص٧٤، ابن سعد ٢/ ٣٣٨ أنساب للأشراف ٢/ ٩٨، مجمع الزوائد ٩/ ١١٦، دلائل الصدق ٢/ ٣٣٥، أسنى المطالب للجزري ص٧٣ الصواعق ص٧٦.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] أي الأئمة[١] عليهم السلام.

وقد قال ابن عباس: نزل في علي وحده ثلاثماية[٢] آية. وقال غيره نزل فيهم ربع القرآن[٣].

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: «كان لعليٍّ ما شئت من ضرس قاطع في العلم...»[٤] علي عليه السلام مرجع الخلفاء وكبار الصحابة والأعداء.

كرجوع أبي بكر، وعمر بن الخطاب.. وهي أشهر مما تذكر فقد أنقذه الإمام من مهالك ومعاضل محرجة بل ومهكله، بقوله: لولا علي لهلك عمر. وقوله: أعوذ بالله من أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن!

ورجوع عثمان بن عفان، وزوج النبي صلى الله عليه وآله عائشة وابن عمر بل ومعاوية أيضاً[٥].

عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا

---

(١) راجع: غاية المرام ص٣٥١ ط دار القاموس الحديثة.

(٢) راجع الصواعق المحرقة ص١٢٥، كفاية الطالب ـ للكنجي الشافعي ـ ص٢٣١. ينابيع المودة ص١٢٦ و٢٨٦ تاريخ دمشق ٢/٣١، تاريخ الخلفاء ص٣٧٢، نور الأبصار ـ للبشلنجي ـ ص٧٣ وغيرها.

(٣) راجع ينابيع المودة ص١٢٦، شواهد التنزيل ١/ ٤٤. مناقب علي بن أبي طالب ـ لابن الغازلي ـ ص٣٢٨.

(٤) يوجد: في الصواعق المحرقة: ص١٢٥ الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٤٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١، الرياض النضرة ٢/ ٢٤٨، ابن عساكر الشافعي ٣/ ٦٠، ذخائر العقبى ص٧٩.

(٥) انظر: ما رواه ابن السمان، الرياض النضرة ٢/ ٢٢٤، كنز العمال ٣/ ٣٠١، كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة ـ للفيروز آبادي ص٣٠٧ وفيه عشرات المصادر، سنن أبي داود ٢٨/ ١٤٧ البخاري ك المحاربين، مسند ابن حنبل ١/ ١٤٠، الدر المنثور للسيوطي، موطأ مالك ص٣٦، سنن البيهقي ٧/ ٤١٩، والشافعي في العدة ص١٧١، فيض القدير للمناوي ٤/ ٣٥٦، كنز العمال ٣/ ١٠٨، الباري في شرح البخاري ١٧/ ١٠٥، النسائي ١/ ٣٢، ابن ماجة ص٤٢، أبو حنيفة في مسنده ص١٢٩ وغيرها كثير!

تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم. وسلوني عن كتاب الله؟!! فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، وأم في سهل أم في جبل؟!!»[1].

ومنها حديث الاختلاف: فقد روى الحاكم في المستدرك وغيره أن النبيﷺ قال لعليعليه السلام: «أنت تبيّن لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي» قال هذا صحيح على شرط الشيخين[2].

وقد روى أبو نعيم في الحلية: عن ابن مسعود قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وان علي بن أبي طالبعليه السلام عنده علم الظاهر والباطن»[3].

هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً وقد اعترف بذلك كبار رجال أهل الحديث والتاريخ، أمثال البخاري وأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس وأبي داود، والحاكم، والبيهقي، فضلاً عن المفسرين[4]؟!

ولكن لا يلبث وعاظ ومرتزقة البلاطات من إثارة التعتيم والضبابية على شخصية مثل الإمام علي عليه السلام وصرف توجه الباحث بل الأمة عن تلك الحقائق الحقيقة في سير وأقوال أهل الحق وقدوات الأمة الحقيقين ورعاتها الأهل؟!

---

(١) كيف نفهم القرآن ص١٧٩، التفسير والمفسرون ١/ ٩٠، الاتقان ٢/ ١٨٧، مناهل العرفان ١/ ٤٨٢.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣/ ١٢٢، فضائل الخمسة ٢٣/ ٢٨٤ .

(٣) حلية الأولياء ١/ ٦٥ .

(٤) وبذلك تعلم مدى الخيانة والغش الأموي المتعسف في تعميق انحراف الأمة من خلال طرح الادعياء من الصحابة والمشبوهين
منهم، في مقابل التعتيم على مقام الإمام عليعليه السلام كمرجع للصحابة وبالتالي الأمة بل انهم أخذوا يطاردون كل من يذكر علياً بل قتل من سمي باسمه، وهكذا استمرت هكذا سنة للعباسيين! وما ذلك إلا لمصلحة الحكام السياسية من غلبة ظهور الحق في أبناء عليعليه السلام على الساحة وعندها ترتبط الأمة بهم سياسياً وفكرياً وعقائدياً؟!!

فلا تعجب عندما يخبرك التاريخ عن مواقف علي عليه السلام في حروبه مع النبي صلى الله عليه وآله ودفاعه في تثبيت الرسالة في أشد الحالات، وفرار كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان في أُحد وحنين وتذكير عمر بن الخطاب بطلب الأمان من رأس الشرك أبي سفيان وهكذا، ولكن يأتي مرتزق ويقول: هناك شجعان وأبطال كثر دافعوا عن الإسلام؟!

وهكذا فإن علياً وصف أنه باب مدينة علم وحكمة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن لا تعجب أن يأتي مرتزق ليوهن قول الرسول صلى الله عليه وآله وباب مدينته عليه السلام ويكل جرأة قائلاً: هناك فلان وفلان.. أو أن ينكر أو يحرف متواتر الأحاديث وحسانها كالغدير والمنزلة وحديث الدار وعلي مع القرآن والحق وهما معه... الخ.

بل ان جلّ العلماء ينسبون أصول العلوم والمناهج إليه عليه السلام مثل علماء النحو، والفلسفة، والعرفان، والتصوف، والقضاء، وغيرها... ويفتخرون بذلك!

فكيف لا يكون علي عليه السلام أسطورة تنشدها الأجيال والأمم؟!!

ولكن الأعداء وبحسدهم وبغضهم صوّروها على أنها غلو ومبالغات من صنع شيعته؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هكذا غيبت وضيعت الحقائق عن الأمة حيث تركت قول النبي صلى الله عليه وآله الذي أمره الله سبحانه، من التنصيص على الإمام علي عليه السلام وبيان منزلته. تركت كل ذلك إلى الاستماع من أعدائه ومبغضيه؟!!

المطلب الأول

علي (ع) والقرآن

شروعاً لم نجد ممن قيّم للقرآن حق تقييمه.. وكشف لنا حقائق أسرار إعجازه.. إلا تلميذ الرسول صلى الله عليه وآله ونفسه ووارث علمه، وباب مدينة علمه وحكمته ذلكم هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكيف لا وكلامه عليه السلام فوق كلام المخلوقين ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ودون كلام الخالق! فهو وأهل بيته عليهم السلام أعدال الكتاب، وأهل بيت النبوة ومعدن التنزيل، ومهبط الوحي وهم المطهرون بآية التطهير.. فهم في تماس مادي وتماس روحي إشارة لقوله تعالى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩].

فاستمع إلى علي عليه السلام حيث يسلك بالعلماء إلى مشارق أنوار الكتاب، ويقف بهم على شاطيء أسراره العميقة، في إحدى خطبه ـ بعد ذكر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ـ «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُهُ، وسراجاً لا يخبا توقده، وبحراً لا يدرك تعسره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه»[1].

فلو أخذنا فقرة من تلك الخطبة فقط وهي الأولى: «نوراً لا تطفأ مصابيحه»: فإن أروع تعبير عن أن القرآن باعتباره معجزة النبي الأعظم، والدليل على نبوته، وصحة دينه وشريعته، لا في زمن نزول الوحي، بل في جميع العصور والقرون والأزمان!

على ضوء تلك الفقرة يكون القرآن الكريم بموجبها قانوناً ونظاماً عالمياً دائماً وشاملاً لكل الأزمنة والعصور لبناء الإنسان وخلاص الإنسانية في النشأتين!

وفي مقطع آخر لأمير المؤمنين أيضاً، حيث يؤكد تلك النظرة بقوله] عليه السلام: «وهو الذي لا تزيغ به الأهواء»[2].

وهو الذي يتحدى بالقرآن الكريم كل القوانين والشرائع الوضعية والمؤقتة، وكذلك يدفع شبهة: إن واضع النظام في عصر كيف يمكنه أن يستوعب بنظره كل العصور ومنها المستقبلية وحاجاتها؟!

---

(١) نهج البلاغة ـ صبحي الصالح ـ: ص٣٥١. الخطبة: ١٩٨.

(٢) سنن الدارمي ٢/ ٤٣٥، كتاب فضائل القرآن، التفسير الكبير ٢/ ٤، الترمذي ١١/ ٣٠ أبواب فضائل القرآن، تفسير العياشي ـ البحار ـ ٩/ ٧.

ولكن علياً عليه السلام بقوله هذا يوضح بأنه ما دام من عند الله عالم الغيب والشهادة، فإن كل العصور تستوي في نظر سبحانه وتعالى!

وفي خطبة أخرى يقول عليه السلام[1]: «ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن...».

وهذا مما يبطل شبهة من قال: إن القرآن مختص بمن خوطب به وعلينا بالرواية!

علي (ع) إمام المفسرين:

فقد تواتر حديثياً ومعنوياً أنه لا يوجد كلام بعد القرآن الكريم، وحديث النبي صلى الله عليه وآله مثل كلام أمير المؤمنين.. وهذا ما أكده جل الصحابة، مما سمعوه عن النبي صلى الله عليه وآله وما قاله علي عليه السلام متحدياً مع إذعان كل الصحابة أمام ذلك؟!

مثل: «علي أعلم الناس بالكتاب والسنة»[2].

وقال الإمام علي عليه السلام: «نحن أهل البيت أعلم الناس بما قاله الله ورسوله»[3].

وقال عليه السلام في موضع آخر: «فما نسيت حديثاً أو شيئاً سمعته من رسول الله»[4].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وكان يصرح في مناسبات كثيرة: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت»[5].

نشرت صحيفة (المسلمون) في مدينة مكة المكرمة موضوعاً يتحدث عن

---

(١) نهج البلاغة خطبة، ١٧٦.

(٢) المعيار والموازنة ص١٠٢، ونقل عن عائشة قولها: «علي أعلم الناس بالسنة» البخاري، التاريخ الكبير ٢/ ٢٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ ٦/ ٢٤٠.

(٤) أنساب الأشراف ـ للبلاذري ـ ١/ ١٢١.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٦٧، أنساب الأشراف ١/ ٩٩.

المصاحف القديمة، وطبعوا فيها صورة الصفحتين من القرآن الكريم ذيل في آخره أنه بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وهذه النسخة موجودة في مكتبة الجامع الكبير صنعاء. كذلك تحتفظ مكتبة أمير المؤمنين في النجف الأشرف بنسخة من المصحف المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام حيث ذيلت بعبارة: كتبه علي بن أبي طالب[1]!

هذا فضلاً عن أن علياً عليه السلام قد أسدى خدمة للقرآن الكريم عندما أمر تلميذه أبا الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني بوضع النقاط على الحروف المتشابهة. وكان عاصم بن أبي النجود الكوفي تصل روايته في القراءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

حتى بلغ به عليه السلام الأمر أن يدعو المسلمين والصحابة من العبّ من فيوض علومه المتفجرة الصافية، لكونه باب مدينة حكمة وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول بكل ثقة واعتزاز: «سلوني عن كتاب الله فإنه ليس آية وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار، في سهل أو في جبل»[3].

ومما اشتهر أنه قال ما لم يقله أحد غيره أبداً، ومن حاول افتضح وفشل، فقد كان يرفع صوته المبارك عالياً: «سلوني قبل أن تفقدوني»[4].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المطلب الثاني

نقد تبرير الذهبي

حيث يقول: «كثرت الرواية في التفسير عن علي رضي الله عنه، كثرة جاوزت الحد؟!

---

(١) خط تلاوة القرآن، د. محمد باقر حجتي ـ من مؤتمر القرآن الكريم علوم وآفاق ـ ص٣٠٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ .
(٣) أنساب الأشراف ١/ ٩٩. كنز العمال ١/ ٢٢٨.
(٤) جامع بيان العلم ١/ ١٣٧.

الأمر الذي لفت أنظار العلماء النقاء، وجعلهم يتتبعون الرواية عنه، بالبحث والتحقيق، ليميزوا ما صح من غيره؟!

وما صح عن علي في التفسير قليل بالنسبة لما وضع عليه؟!! ويرجع ذلك إلى غلاة الشيعة الذين أسرفوا في حبه، فاختلقوا عليه ما هو بريء منه، إما ترويجاً لمذهبهم وتدعيماً له، وإما لظنهم الفاسد ـ بينما ظن شيعة الحكام هو السنة والحق ـ أن الانحراف في نسبة الأقوال العلمية إليه يعلي قدره ويرفع من شأنه العلمي ـ ألم يقل سلوني؟! ـ وأظن أن مانسب إلى علي من قوله: «لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن لفعلت» لا أصل له: اللهم إلا في أوهام الشيعة؟! الذين يغالون في حبه، ويتجاوزون الحد في مدحه[1]؟!

وكأن د. الذهبي كغيره وسداً لباب الذرائع فضلوا إسقاط علياً عليه السلام بسبب جناية وغلو شيعته فيه، إبقاءً لعلي بهذا الحجم ـ الذي رسمه النواصب وبلاطات الحكام ـ وحفاظاً على أمانة نقل الأحاديث الصحيحة ومسؤولية إيصال السنة الصحيحة إلى المسلمين؟! وهذا إجماع السلف وما عليه السنة والجماعة؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجواب على ذلك:

أ ـ لقد ناقض الذهبي نفسه، عندما نقل بصحيح رجاله قول علي عليه السلام: سلوني وإن علياً عنده منه الظاهر والباطن، وصاحب القلب العقول، واللسان السؤول... الخ.

فلم استكثرت عنه الروايات في القرآن الكريم، وأرجعت صدى النواصب بكثرة الروايات التي جاوزت الحد؟!

ب ـ من هم هؤلاء العلماء الأعلام الذين يزكون أمير المؤمنين علي بن

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٩٠.

أبي طالب عليه السلام؟! بأي مقياس يوزنون ذلك؟! أبسنة البلاطات التي خطّأت حتى رسول الله صلى الله عليه وآله باجتهاداته وأنه واحد من المجتهدين؟! أم بسنة المرويات الإسرائيلية بعد تزكية وتعديل أقطابها القائلين بعدم تنزيه حتى الله تبارك وتعالى، والطعن بالأنبياء عليهم السلام والملائكة، وقصة الغرانيق[1] وغيرها؟!

وبالفعل فقد وجدنا علياً عليه السلام في موازين جرحكم وتعديلكم أقل شأناً وأخفى ذكراً من أقطاب اليهود ككعب الأحبار، ووهب بن منبه.. والديري النصراني.. وذي الخويصرة الخارجي بل من الوضاعين والكذابين وزكيتموهم حيث وجدتموهم في صحاحكم...؟!

ت ـ ما أشبه هذا المنطق المغالط، بمنطق العلمانيّين والحكام ـ إسلام ما يسمّىٰ بالمعتدلين ـ المتخاذل، عندما يقيس المقاوم والمدافع عن دينه ووطنه بأنه إرهابي مقابل أولئك المعتدلين، لأنهم غالوا بإسلامهم وقادتهم بظنون فاسدة لا أصل لها إلا في أوهام المتطرفين أو يرفضون كل دين لأن في بعضها تعصب وأساطير؟!

قال علي عليه السلام: «هلك فيّ رجلان محب غال، ومبغض قال»[2] نعم هلك الغلاة لإفراطهم بما جاء في علي من تفاسير ومتواترات وحسان الأحاديث، وعظمة المواقف، وعلم الكتاب، وبسطة في العلم والجسم و...و...الخ، وهلكت أيضاً أنت أيها الذهبي، لتفريطك وزهدك بعلي، حيث استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

وذلك عندما تنكرت كغيرك مناقضاً لما أسسته سابقاً، ثم لتحشره في زوايا كتبك المعتمة بعد أن فضلت وقدمت عليه كل رجالك الذين غلوت بهم بأوهامك، وما هم في الحقيقة إلا صنائع وإفرازات بلاطات الحكام ـ إلا من

---

(١) راجع أشهر تفاسيرهم كالطبري، والبيضاوي، والآلوسي، والنسفي.

(٢) قصار الحكم (٤٦٩). وراجع المعيار والموازنة ص٢٣.

رحم أبي ـ فأين الثرى من الثريا، وأين معاوية من علي؟! بل وأين كبار الصحابة منه حتى قرنته بزعانف تابعيهم؟!

لتجعل من علي إماماً في أوهام الغلاة من شيعته، بينما تجعل من هو دونه إمام حق لأهل السنة والجماعة؟!

ث ـ إن الذي سار على صراط علي عليه السلام هو الناجي والواثق من فلاحه، فليس بحاجة إلى ترويج أو تدعيم لمذهبه، ولا يحتاجون إلى شهادة حسن سلوك من أحد بل هم يعطوها لمن ضل عن صراط علي عليه السلام؟!

نعم لأولئك الذين سواء عليهم انخدعوا بشعارات معاوية وبلاط الحكام أو مرتزقته ووعاظه عندما ادعوا أنهم أهل الجماعة تكلفاً وبلا حجة فأبطلها الواقع والتطبيق؟! جماعة معاوية الباغي على الخلافة أو قبلية بني أمية، أو وراثية البطون وإن كانوا كيزيد ومروان والوليد، أو بلاط اليهود والنصارى ومواخير يزيد معهم... الخ.

أو الادعاء بالصحاح وعندما بدا فيها التناقض والإسرائيليات والموضوعات التي تنسخ وتفسر الكتاب.. تجرأوا بالاجتهاد والرأي الارتجالي الجزافي، ثم القياس الظني والاستحسانات والمصالح المرسلة... الخ.

الأمر الذي أوصلهم إلى نسخ الشريعة بالمذاهب الأربعة، بعد نسخها على يد كل حاكم غالب...؟!

ج ـ أن من كان باب مدينة علم وحكمة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عنده علم الكتاب، وبمنزلة القرآن وهو كله في صحاحهم وسنتهم المعتبرة بالتواتر والاستفاضة، ألا يكون له البعد والأفق الواسع لبيان وتفسير القرآن وعرض الإسلام بشكل علمي وحضاري، وما قيمة «السبعين بعيراً في تفسير أم الكتاب»[1] لو فسرت لغوياً وبلاغياً وعرفانياً بأسماء الله الحسنى، والاسم

(١) انظر: التراتيب الإدارية ٣/ ١٨٣.

الأعظم والظواهر والبواطن، والمبدأ والمعاد، والصراط والعدالة، والتشريع، وكونها أم أصول القرآن السبع المثاني. . .الخ.

خ ـ نسأل الذهبي ألم تدعي عريضاً أن في رجالكم من نخل الأحاديث نخلاً. فلماذا لم ينخل سلفك وجنابك ما ألصق الشيعة بعلي حتى تحافظ تارة على تراث تفسيري كبير ومهم وتبقي علياً في منزلته بدل أن تغيبه في بطون كتبكم، وتحجبوه عن الأمة نصباً وبغضاً وحسداً؟! لكن عماك وأمثالك اضطرهم تعصبهم أن يتركوا الحق المتمثل بعلي إلى حيث وحول الوضاعين والإسرائيليات تنخلونها فهي في أرقى الحالات لا تخرج إلا الخيانة والكذب والغش والتزوير والانحراف والضلال؟!!

نعم أما في سنتهم وكون الكتاب محتاج إلى رجالهم واجتهاداتهم التي هي بمستوى اجتهاد النبي ﷺ فما يكون علم علي عليه السلام في ذلك المقياس ما دام عندكم من يقول في الصحابة هم رجال ونحن رجال، وقد بالغ بل غلا أبو حنيفة عندما ادعى أن لو كان الرسول ﷺ موجوداً لأخذ منه؟!

ثم يتابع الدكتور الذهبي قوله: ثم هناك ناحية أخرى أغرت الوضاع بالكذب عليه؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تلك هي ناحية نسبته إلى بيت النبوة، ولا شك أن هذه الناحية، تكسب الموضوع قبولاً وتعطيه رواجاً وذيوعاً على ألسن الناس[1]؟!!

ويمكن إبطال هذه الدعوى الافترائية بما يلي:

أ ـ أي ذكر وأية مودة بقيت لعلي عليه السلام يوم السقيفة[2]؟!

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/ ٩٠.

(٢) انظر: مناقب علي ـ لابن المغازلي الشافعي ـ ص١٢ ح١٥٥، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٢٢٢ـ ٢٢٥ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٣٨٦، ميزان الاعتدال ـ للذهبي ـ ١/ ٤٤٢، فرائد السمطين للحموين الشافعي ١/ ٣٢٠ ناهيك عن خطبته الشقشقية، الخطبة الثالثة ١/ ٣٣.

ـ أم في احتجاج فاطمة بنت الرسول ﷺ في خطبها المشهورة[1]؟!

ـ أم في قول عمر بن الخطاب: كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم. وروى الطبري محاورتين جرتا بين الخليفة عمر وابن عباس في ذلك[2]؟!

ب ـ بل العكس هو الصحيح فقد قدّم ابن عباس عليه تزلفاً لحكّام بني العباس؟! بل حتى تفسيره فهو منسوب تكلفاً إليه فقد قال فيه صاحب القاموس المحيط: «هذا التفسير ضعيف الصلة بابن عباس إن لم نقل أنه مما نسب إليه زوراً، وقال عنه السيوطي في الاتقان... فهي سلسلة الكذب[3]؟!!

وفي هكذا غش يأتي من يسموه بالتابعي فيأخذ ذلك أخذ المسلمات لأنه عن ابن عباس! لا من إمامه علي بن أبي طالب أو عن أسياده من أهل البيت عليهم السلام؟!!!

ت ـ أما في زمن معاوية ومن بعده فقد كانوا يلعنون علياً على المنابر في المساجد والعيدين وخطب الجمعة، فكان بعض الناس لا يرتضي ذلك مما حدا بهم مخالفة السنة بتقديم الخطبة على الصلاة[4]؟!

بل كان بنو أمية يقتلون من سُمّي علياً[5]؟!

فهل يبقى بعد كل ذلك ذكر أو فضيلة لعلي عليه السلام؟!

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٣٨٤. بلاغات النساء ـ أحمد بن أبي طيفور المتوفى ٢٨٠هـ ص ١٢ـ ١٩، أعلام النساء ـ لعمر كحالة ٣/ ١٢٨.

(٢) في ذكر عمر من حوادث سنة ٢٣هـ من تاريخ الطبري ١/ ٣٠، تاريخ ابن الأثير ٣/ ٢٤.

(٣) علم التفسير، د. النمر ص٣٤ .

(٤) راجع تطهير اللسان ـ ابن حجر ـ ص٥٥، المحلى ـ لابن حزم ـ ٥/ ٨٥، كتاب ـ الأم ـ للشافعي ١/ ٢٠٨، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٢٣، البخاري ٢/ ١١١، ومسلم ٣/ ٢٠، سنن أبي داود ١/ ١٧٨، مسند أحمد ٣/ ١٠، إرشاد الباري ٦/ ١١٢.

(٥) انظر: تهذيب التهذيب ـ لابن حجر ـ ترجمة علي بن رياح اللخمي (ت ١١٦ أو ١١٧هـ) ٧/ ٣١٩.

وأخيراً يأتي الذهبي وأمثاله من المتأخرين بتكملة ذلك الشوط الجائر المتعسف بحق أمير المؤمنين سواء بالتعصب لفضائل علي وجعلها في إطار الغلو والمبالغات ومن ثم مصادرتها لأنها جاءت على ألسن الشيعة المغاليين به[1]؟!

وهكذا تعلم أن ما ذكر الذهبي بل ما جهد واجتهد به هو وأمثاله، ومن قبل سلفه في طمس وإخفاء ذكر علي عليه السلام بمختلف المبررات، الأمر الذي جعلهم يعملون على خلاف ذلك تماماً بأن رفعوا من هم دونه سواء من بني هاشم أو غيرهم. وخير مثال على ذلك تضخيم ذكر ابن عباس في كتبهم خصوصاً في التفسير وإن كان قد اعترف بنفسه أنه ما استفاد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا من علي عليه السلام، وما ذكره الذهبي عن ابن عباس: إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره؟!

نعم رفع ذكر ابن عباس لأنها تسميته ولكن لكونه جد الحكام العباسيين الذين لا يعدمون وعاظاً ومرتزقة، شأنهم شأن أي مرتزقة في بلاطات الحكام يرفعون ويزينون وفي المقابل يخفون ويبعدون من شاؤوا وعلى هذا فقس....؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المطلب الثالث

أعذار واهية

ثم يتابع د. الذهبي قوله: والحق أن كثرة الوضع على عليٍّ رضي الله عنه أفسدت الكثير من علمه[2]؟!

---

(١) كما هو ديدن الذهبي في ميزان الاعتدال، راجع كلام المغربي فيه في كتاب الملك العلي بصحة باب مدينة العلم علي ـ للمغربي ـ ص١٦٠، شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المعتزلي ٣/ ٢٥٩.

(٢) فليس من المنطق والعدالة رفض ذلك بهذا بل بالعكس فهي تدخل في ضمن التواتر المعنوي في مقابل اللفظي كما لو كثرت المبالغات في شجاعة عنترة، وكرم حاتم، فهي قرائن ومؤيدات لا أسباب مسقطات!

ومن أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح فيما يروونه عنه إلا على ما كان عن طريق الإثبات من أهل بيته، أو من أصحاب ابن مسعود، كعبيدة السلماني، وشريح وغيرهما؟!

وهذه أهم الطرق عن عليٍّ في التفسير:

أولاً: طريق هشام، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، عن علي، طريق صحيحة يخرج منها البخاري وغيره؟!

ثانياً: طريق ابن أبي الحسين، عن أبي الطفيل، عن علي. وهذه طريق صحيحة، يخرج منها ابن عيينه في تفسيره.

ثالثاً: طريق الزهري، عن علي زيد العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي؟! وهذه طريق صحيحة جداً، حتى عدها بعضهم أربع الأسانيد مطلقاً[1].

ولكن لم تشتهر هذه الطريق اشتهار الطريقين السابقين، نظراً لما ألصقه الضعفاء والكذابون بزين العابدين من الروايات الباطلة[2].

ونرد على ذلك بما يلي:

أ ـ لقد مرّ علينا سابقاً متواتر الأحاديث وتفسير الآيات ومرجعية علي عليه السلام لكل الصحابة وشهادتهم أفهل من العقل بشيء أن نسقط أو نرفض شخصية المحتفى فيه لمجرد أن أولئك المحتفلين به قد بالغوا في ذكره؟!

فضلاً عن أن نهمل ونهمّش دوره الإسلامي التاريخي الكبير، لأن هؤلاء البسطاء ذكروه بذلك؟!

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص٩.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٩١.

فهل نسقط أو ننكر آلاء الله تعالى أو ضوء الشمس لمجرد بعض الغبار والغيوم؟!

وهل أن علياً عليه السلام أقل شأناً من أولئك، لو ذكر فإنه زكاة لراويه ونفحات عطرة للمجالس، وبركة ورحمة وعلم ونور ومواعظ في المحافل؟!!

فتعساً وبعداً لكل منهج أو جماعة أو رجال أو وعاظ حكام تضل شيعتها عن التشيّع لعلي؟! وكيف وهو صنو رسول الله ونفسه وأخوه ووارثه ووصيه.. وطاعة علي كطاعة الرسول صلى الله عليه وآله ومعصيته كمعصية الرسول صلى الله عليه وآله[1]؟!! بل حياته حياة الرسول صلى الله عليه وآله: «من أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»[2].

وإذا أردت أيها الذهبي وأمثالك تعرف سرّ غلوّ المسلمين بعلي عليه السلام ونبذ من دونه ممن تتولاهم، اغتراراً بسنة الحكام وبلاطاتهم، فاستمع إلى الزيادة من كبار رهطك يخرجون، قول النبي صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى ابراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب!!!»[3].

---

(١) انظر: المستدرك ـ للحاكم ـ ٣/ ١٢١، تلخيص المستدرك ـ للذهبي ـ، ابن عساكر الشافعي ٢/ ١٨٨ عن أربع طرق، ذخائر العقبى ـ لمحب الدين الطبري الشافعي ص٦٦، ينابيع المودة ـ للقندوزي الحنفي ص٢٠٥ الرياض النضرة ٢/ ٢٢٠، فرائد السمطين ١/ ١٧٩ ح١٤٢ وغيرها.

(٢) انظر: حلية الأولياء ـ لأبي نعيم ـ ٤/ ٣٤٩، مجمع الزوائد ٩/ ١٠٨، ابن عساكر ٢/ ٩٩ ح٦٠٢، فرائد السمطين ١/ ٥٥.

(٣) أخرجه البهقي في صحيحه، وأحمد بن حنبل في مسنده، نقله عنهما ابن أبي الحديد ٢/ ٤٤٩ ح٤، الفخر الرازي في تفسيره الآية المباهلة ٢/ ٢٨٨ وقد أرسله إرسال المسلمات، ابن بطة من حديث ابن عباس ـ فتح الملك العلي ـ للإمام أحمد بن محمد المغربي ص٣٤، وممن اعترف بأن علياً هو الجامع لأسرار الأنبياء أجمعين شيخ العرفاء محي الدين بن المغربي، فيما نقله عن العارف الشعراني في المبحث ٣٢ من كتابه اليواقيت والجواهر ص١٧٢، ينابيع المودة ـ للقندوزي الحنفي ـ ص٢١٤ و٣١٢، وقريب منه الفصول المهمة ـ لابن الصباغ ـ المالكي =

علي الذاب عن القرآن تنزيله وتأويله، لقول ﷺ: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو قال لا، قال عمر: أنا هو، قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني علياً، قال أبو سعيد الخدري: فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ»[1].

أزيدك: عن ابن عباس: «ما نزل في أحد في كتاب الله ما نزل في علي»[2]؟!

فمن كان كذلك ـ وهذا غيض من فيض ـ كيف لا تهوي إليه الأفئدة، وتهيم في حبه القلوب، وتعب منه العلماء... وكيف لا يغيظ الحكام ومرتزقتهم، ولا يقض مضاجع من ضل عنه إلى إسرائيليات وموضوعات سموها صحاحاً وصححوا رجالها تعصباً مقابل علي عليه السلام؟!!

ب ـ ونورد على قول الذهبي حيث ذكر: (من أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح؟! فيما يروونه عنه إلا ما كان من طريق الإثبات من أهل بيته)!

الجواب: لقد بان لك وهن الادعاء العريض والتي منها دعوى الصحاح، وهذا شيء طبيعي فأنّى للمنحرف عن علي عليه السلام أن يوجد له صحيح، أو الذي يحاول تكابراً وتطاولاً طلب الشروط من إمام العلماء والصحابة باعترافهم واعتراف ابن عباس نفسه؟!

بينما يفتح الباب وبلا شروط للإسرائيليات وأقطابها، والخوارج،

= ص١٠٧، مناقب أمير المؤمنين ـ لابن المغازلي الشافعي ـ ص٢١٢ ح٢٥٦، المناقب للخوارزمي ص٢٢٠، ذخائر العقبى ص٩٣، الرياض النضرة ٢/ ٢٩٠، فرائد السمطين ١/ ١٧٠.

(١) يوجد في: مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١/ ٦٤، الحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٢، مسند ابن حنبل ٣/ ٨٢ المناقب للخوارزمي ص ١٨٣، نظم درر السمطين ـ للزرندي الحنفي ـ ص١١٥، ابن عساكر ٣/ ١٢٧، حلية الأولياء ١/ ٦٧، أسد الغابة ٣/ ٢٨٢، الصواعق المحرقة ـ ابن حجر ـ ٢/ ٣٩٢، كنز العمال ١٥/ ٩٤ ح٢٦٦، خصائص النسائي ص١٣١.

(٢) ابن عساكر ٢/ ٤٣٠، شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٣٩، نور الأبصار ـ للشبلنجي ص٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١، الصواعق ص١٢٥، إسعاف الراغبين ص١٦٠.

ووعاظ الملوك ومرتزقتهم ومن ذوي الادعاءات أو من تَعصب لهم ولم يكونوا أهلاً لذلك.

بل حتى ابن عباس الذي تقولوا عليه الكثير وضخموه يقف ليسفه الذهبي وغلوه بسلفه بالأخذ بالإسرائيليات نتيجة انحرافهم عن سنّة النبيﷺ في أهل بيتهعليهم السلام فقد روى البخاري عن ابن عباس يخطب صارخاً ومستنكراً: «يا معشر المسلمين: تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلّى الله عليه وسلّم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه لم يشب؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم»[1]؟!!

فهنيئاً للذهبي بسلفه الذين أخذوا دينهم عن اليهود مخالفين أحاديث الرسولﷺ ومنحرفين عن أهل بيته والعناد حتى عن أمثال ابن عباس؟!!

وما ذلك إلا أن التعصب لأهواء سنتهم المزعومة هو الذي قاد الذهبي وبني شيعته حتى وإن أدى إلى تناقض الأحاديث لا عن ابن عباس بل عن النبيﷺ!!

فمثلاً في هذا الصدذ تجد تناقضاً كثيراً بين ما نسبوه لابن عباس من الأخذ بالإسرائيليات فضلاً عن التقول على النبيﷺ بقوله بما معناه أن لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم، ويناقضه قولهﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»؟! فأي تناقض هذا بل وضلال؟! هذا وقد مرّ عليك سابقاً استنكار النبيﷺ على من كان يأخذ من اليهود في حياتهﷺ؟!!!

أما قول الذهبي (إلا على ما كان عن طريق الإثبات من أهل بيته)؟! ولكنه سرعان ما ينقض حتى هذا الأساس، الذي عده الزهري من أصح الأسانيد؟! وذلك كما قيل:

---

(١) علم التفسير، د. النمر ص٢٨ .

عذر أقبح من ذنب؟! فقد صادر ذلك: بسبب ذاته أي لما ألصقه الضعفاء والكذابون بزين العابدين من الروايات الباطلة؟!

وسبب ذلك واضح جداً، لأن المقياس عندهم رجالهم، الذين يملكون الصحاح فقط بينما يطلبون من غيرهم وخصوصاً أهل البيت عليهم السلام الأدلة الصحيحة؟!

فعلي ابن أبي طالب أراد العمل بكتاب الله وسنة نبيه، فأعطيت الخلافة لعثمان لقبوله العمل بسيرة الشيخين؟! وتبررون بقولكم أبى علي أن يسلم قتلة عثمان إلى كاتب الوحي وإمام الصحابة والجماعة معاوية، فانتهى الأمر بأن أصبح علي إمام الشيعة والغلاة، ومعاوية إمام الجماعة ووارث الصحابة؟!

وكان لزماً على الجماعة المتمثلة بمعاوية وشيعته، القضاء على كل من رفض الانضواء إلى هذه الجماعة، وكان مركز التشريع والقرار بلاطه الـ(...)؟!

فاستبدلت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بسنة عصبة الحاكم وبطون أسرته، وعليه صدرت التشريعات المضادة إلى طمس ما جاء في علي وأهل بيته ومنها مقام ولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

مثال على ذلك: فقد روى ابن حجر في تطهير اللسان[1]، وقال: إن عمراً ـ أي عمرو بن العاص ـ صعد المنبر فوقع في عليٍّ، ثم فعل المغيرة بن شعبة... فصعد الحسن عليه السلام... ثم قال: أنشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن السائق والقائد أحدهما فلان[2]؟! قالا: بلى ثم قال: يا معاوية! ويا مغيرة! ألم تعلما أن النبي صلى الله عليه وآله لعن عمراً بكل قافية قالها لعنته؟ قالا اللهم بلى...) الحديث.

---

(١) تطهير اللسان ـ ابن حجر ـ ص٥٥ وقواه الذهبي.

(٢) إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله رأى أبا سفيان على جمل، ويزيد يقوده، ومعاوية يسوقه فقال صلى الله عليه وآله: «لعن الله الراكب والقائد والسائق» تاريخ الطبري ١١/٣٥٧، تاريخ أبي الفداء ٢/٥٧.

أخاطب الذهبي؟ أليس الحسن بن علي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله من الإثبات فهل أخذت منه ما يدلك إلى الحق، ولكن تعصبك الأعمى قادك إلى أن تناصر ادعاءات معاوية الباغي والقاتل للصحابة وأهل البيت، ومفرق المسلمين تبعاً لسنة بلاطه عندما ادعى أنه إمام الجماعة؟! كذباً وزوراً وبهتاناً وصرت من شيعته كعمر بن العاص، والمغيرة، وابنه الخمّير السكّير يزيد. . . وتركتم الحسنين الإمامان قاما أو قعدا!!! وسكت كما سكت أقطاب شيعتكم عن كل بدع وجرائم معاوية ومنها سمّ الحسن عليه السلام ونقض العهد؟!

وبررتم ليزيد قتل سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وهذا الإمام زين العابدين وسيد الساجدين يقاد مع أخت الحسين زينب الكبرى بطلة كربلاء أسيراً؟!

فأي طريق بقي لكم عن أهل البيت عليهم السلام عندما تعذرون قتلتهم وسابيهم وغاصبي حقوقهم بل تتربصون بهم وتبايعهم الدوائر على الظنة والتهمة؟!

ت ـ الذهبي ينقض غزله! إذ بعدما وضح الحق وظهر على فلتات لسانه وما خطت يداه بالاعتراف بمنزلة علي عليه السلام من كونه مرجعاً للخلفاء وجلّ الصحابة، ولولاه لهلكوا وحكموا بالفاسد والباطل، والكل يقف إذا ثبت أن هذا من عليٍّ ويتركون غيره بلا توقف؟!!

بعد كل ذلك يقدم الذهبي وأمثاله بالتجني وهلاك نفسه، كمن يحاول الاستدلال على الشمس بالشموع، عندما يجعل الطريق الصحيح إلى عليٍّ عليه السلام بواسطة أصحاب ابن مسعود، كعبيد السلماني وشريح، وهشام، عن محمد بن سيرين، يخرج منها البخاري وغيره؟! وعن ابن الطفيل؟!

فما أضل وأعمى هذا المقياس وهذا الطريق. وأن نسبته إلى ما عليه السنة والجماعة، مما أغرى الذهبي وهو بدوره، يغري من يأتي بعده، بحيث يهمش الإمام علي عليه السلام عندما يجعله في الطبقة الرابعة؟! أو من يذكر أن

أكثر ما ورد في التفسير عن الصحابة هو لَمِن عليٌّ ولكنه سرعان ما يستدرك ويقول ولكن الذي صح منه قليل جداً؟! أو من يغيّب علياً بين زحمة فلان وفلان؟! الأمر الذي يجعل من الذهبي وأشباهه شهود زور وقطاع طريق للوصول إلى النور العلوي الأهل بيتي؟! واعترافهم بفضله وسموّ مقامه عليه السلام، ثم ما أشد تناقض الذهبي؟ نتيجة التعصب والعمى؟! أم الغفلة والجهل المركب منه؟!

وذلك عندما نقل أعلاه عن أبي الطفيل الذي يعتمد عليه قوله في علي عليه السلام وهو يقول: سلوني....؟! وأتحدى إن كان بعده عليه السلام قد قال ذلك؟! أو قدر على أن يأتي بأقل من ذلك؟! وقد تقدم كم من الفضائح والتكفير وشنائع الأمور قد ظهرت سباباً وتفسيقاً بين حتى كبار من انتخبتموهم من رجالكم...؟!

كذلك أنه ما من شخصية في أي مجتمع ذات مواهب إلا وتنسج عنها القصص الغريبة والخيالات والمبالغات، رغم أن بعضهم في مجتمعات كافرة مثل هرقل، ورستم...الخ.

كذلك عندكم ممن هم دون مقام الإمام علي عليه السلام أمثال عبد القادر الجيلاني، حيث يردد مشايخ طريقته أقوالاً فيه في غاية الغلوّ منها (عبد القادر رفع الله...) وغيرها وهكذا بالنسبة للسيد البدوي وأمثالهم بل وحتى في عصرنا هذا لا زالت تذكر كرامات لأولياء الله يتداولها الناس، أما صدقاً أو توهماً فذلك بحث آخر.

نرجع إلى الذهبي ونقول له: على حسب نظريتك التي فيها ما فيها (...) هب لو أن جماعة من المسلمين اجتمعوا في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك وعند قبر ولي وهم يتغنون بأقوال وأشعار شخص قائد أو عالم من نسل الرسول صلى الله عليه وآله فهل بانحراف هؤلاء وتغنيهم بالباطل نسقط مقام ذلك الولي الصالح؟!

وأخيراً أخاطب الذهبي وأشباهه من المتشيّعين لباطل سنّة الحكّام ووعّاظهم: ان المتعيّن الأوحد الوتر هو الإمام علي عليه السلام إمام ومرجع الصحابة فقط وفقط وإن كره النواصب وشيعة البلاطات؟!

يقول الدكتور النمر: «إن الصحابة رضوان الله عليهم مع عنايتهم الشديدة بالقرآن، لم يتيسر لجمهرتهم حفظه كله، كما لم يتوافر لهم بالتالي تفسيره وفهمه تفصيلاً، وإن كان هناك من خواصهم من تيسر لهم حفظه، وتوفر على فهمه قدر استطاعته[1]!

أما رواية مسروق فهي توضح ذلك، بأنّ الصحابة كالإخاذ ـ يعني الغدير ـ فقد يروي الرجل أو الأكثر، أي على اختلاف مستويات الصحابة وتقبلهم». ويقول ابن قتيبة: «إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل ان بعضها يفضل بعضاً في ذلك». ثم يعلق د. النمر وهذا أمر طبيعي... ويرجع إلى استعدادهم، كما يرجع إلى قربهم من الرسول... وبعدهم عنه[2]!

أقول: ومن كان باب مدينة علمه وحكمته، وربيبه ومن آخاه في المدينة وسدّ كل الأبواب إلاّ باب علي، ووصيه ووارثه وصهره.... الخ.

(١) علم التفسير، د. النمر ص٤٣ .
(٢) المصدر السابق نفسه.

القسم الثاني:

دور الأئمة الثلاثة (ع) في التفسير

إذ يبدأ دور الحسنين عليهما السلام بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام حيث ورثا الخلافة عن وصية النبي صلى الله عليه وآله بعد أبيهم عليهم السلام. فقد اشتهر بين المسلمين قول الرسول صلى الله عليه وآله عنهما: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام ذلك عندما عيّن ولده الحسن عليه السلام الذي بعث برسالة يذكر معاوية بما عاهد به في صفين بقوله: «فإن أمير المؤمنين عليه السلام نزل به الموت وولاني هذا الأمر من بعده»[2]. وهذا ما أكده ابن عباس للناس إلى مبايعة الإمام الحسن عليه السلام بقوله: «هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه»[3].

ومما ذكر في علمه، فقد ألف الإمام الحسن عليه السلام في علوم كثيرة، كما يظهر من كلام السيوطي بقوله: «إنه وأباه أول من كتب في العلم، وظهر عنهما من علوم الإسلام ونفع المسلمين»[4].

---

(١) الأربلي ـ كشف الغمة ٢/ ١٥٩، الشيخ المفيد في الإرشاد ص٢١٠.

(٢) الأصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ـ ص٥٥، المسعودي ـ مروج الذهب ـ ص/ ٤٢٢.

(٣) الأصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ـ ص٣٤، والطبري أعلام الورى ص٢٠٩.

(٤) تدريب الراوي ص٨٨.

بل لقد جسد وطبق الإمام الحسن عليه السلام القرآن الكريم عملياً في عباداته وأقواله المفسرة ومواقفه السامية، وفي صلحه ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وكما كان جده صلى الله عليه وآله تلميذاً للكتاب في صلحه في الحديبية، فإن الحسن عليه السلام تلميذه صلى الله عليه وآله في صلحه المتأخر! هذا في المقابل فإن يزيد ابن معاوية كان قد تربى عند أخواله من بني النجار النصارى واستمر يعاقر وينادم مرتزقة أبيه كسرجون والأخطل وغيرهم الخمرة في البلاط؟!

وعلى ضوء ذلك فأين منزلة العلم والعلماء والصحابي والتابعي بل الدين كله إذا تسلط أمثال هؤلاء الرعاة ينكلون بأهل الحق والدين، ويقربون وعاظ البلاط ومرتزقته؟!

وبالفعل فقد أعلنها معاوية جهاراً: «أتروني ما قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟! وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون[1]».

وقال أيضاً: «ألا كل دم أصيب في هذه مطلول، وكل شرط شرطته، فتحت قدمي هاتين»[2].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وعليه هكذا كتب التاريخ والتشريعي منه بالخصوص، تحت مظلة وفي بلاطات الحكام وبأيدي مرتزقتهم، وإلا فإن الحاكم الذي ينكل بأئمة الحق ويسبّهم وينافح لمحو آثارهم، فما هي قيمة المرتزق والمتخاذل عنده؟!

وبذلك لا تبقى لفقيه ومؤرخ خارج دائرة البلاط قيمة أو صوت في تاريخ الحكام، إلا أن يقدم آيات الولاء والطاعة، ومنها التبرير والتزوير... ولتصبح بعده سنة لمن يأتي بعده وإلاّ فهناك الكثير من المرتزقة المتسكعين على بلاط الحكام؟!

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي ٤/ ١٦٠، الطبري ٤/ ١٢٤. ابن الأثير ٣/ ٢٠٣.
(٢) المصدر السابق نفسه.

وعندها أصبح القرآن الكريم عند الحاكم، للمتاجرة والاستخفاف بالمسلمين وفتنتهم عندما يرفعه معاوية على السنان قبيل هزيمته، ومن ثم ليفسره وعاظه ومرتزقة بلاطه على ضوء تلك النظرة لكتاب الله العزيز؟!

المطلب الأول

دور الإمام الحسن بن علي (ع)

قيل للحسن بن علي: «فيك عظمة. قال: لا بل عزة، قال تعالى: فللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين»[1].

وقد قال فيه جده ﷺ: «لو كان العقل رجلاً لكان الحسن»[2].

ومن خطبه له عليه السلام قوله: «إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليس من سار بالجور... ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾»[3].

ومن وصية له عليه السلام لأولاده وأولاد أخيه: «يا بنيَّ أنكم صغار قوم فتوشكون أن تكونوا كباراً، فتعلّموا العلم فمن لم يستطع أن يحفظه أو يرويه فليكتبه ويضعه في بيته»[4].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وكان الإمام الحسن عليه السلام أحياناً مرجعاً لحلّ بعض المعضلات التي يطرحها بعض الناس على معاوية[5]؟!

فكيف لا وقد تربى الإمام الحسن في حجر جده رسول الله ﷺ وأب وأم كعلي والزهراء عليهما السلام؟!!

---

(١) ربيع الأبرار للزمخشري ٣/ ١٧٧.
(٢) فرائد السمطين ٢/ ٦٨.
(٣) قاتل الطالبيين ص٤٧، ذخائر العقبى ص٤٠، نظم درر السمطين ص٢٠٠.
(٤) البخاري ـ التاريخ الكبير، ٥/ ٤٠٧.
(٥) الزمخشري ـ ربيع الأبرار ١/ ٧٢٢.

المطلب الثاني

دور الإمام الثالث الحسين بن علي (ع)

فلقد فسّر وطبق القرآن الكريم وآياته عملياً وذلك بالجهاد ونيل الشهادة، حتى يضرب للأمة أن تحرير الدين ومن ثم الإنسان لا يكون إلا بحفظ بيضة الإسلام!

وهو يمثل دور جده ﷺ وامتداد رسالته المباركة حيث أعطى للأمة منهاجاً محمدياً في مقابل التخذيل الجاهلي الذي يلبس لبوس الإسلام والسكوت على الظلم والانحراف ووجوب إطاعة الحاكم الغالب وإن كان فاجراً أو مفسداً. . . الخ.

فقال الحسين عليه السلام: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحط الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[1].

وهكذا أصبح دمه ثورة تدوي في التاريخ، لإيقاظ الناس بالتمسك بالإسلام الحق لا الانجرار خلف دين الملوك وانحرافاتهم بشعاراتهم المظللة. الأمر الذي تلاعبت بالسنة والتفسير خصوصاً والذي مثل تبرير الظلم ومخالفة مبادىء الإسلام!

وقد شخص الحسين عليه السلام انحراف عصابة بني أمية الغاشمة للأمة والمظللة لها بقوله: «إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء»[2].

وهكذا نسخت السنة، وحجبت الحقائق بسنة الحكام، وذلك بإسكات كل صوت لأهل الحق، وكل تفسير حق، واستعاضتها بتفاسير وعاظ البلاط،

---

(١) الفتوح ـ ابن الأكثم ٥/ ١٧.

(٢) البلاذري في تاريخه ٢/ ١٧١، ابن الأكثم ٥/ ١٤٤، الطبري ٤/ ٣٠٤.

فقد قال الفرزدق للإمام الحسين عليه السلام في وصف الأمة المسلمة: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»[1].

هذا بالإضافة إلى التبذير والإسراف والتلاعب بالأموال الذي يمثل تكملة الامتداد الانحراف ومخالفة الكتاب والسنة، وذلك بشراء ضمائر المرتزقة من وعاظ ومؤيدين، عندما خاطب الحسين عليه السلام الأمة التي غشها حاكمها الفاسق: «يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله ما لنا ولكم... قالوا خفنا العطاء؟! قال عليه السلام: ما عند الله من العطاء خير لكم»[2].

ومرجعية الإمام الحسين عليه السلام كانت واضحة حتى لمنافسيه مثل ابن الزبير. فقد روى الحافظ عبد البر عن عبد الله بن شريك عن بشر بن غالب، قال سمعت ابن الزبير وهو يسأل الحسين بن علي، ما تقول في فكاك الأسير على ما هو[3]؟

وهكذا مثلت أمثال هذه الحوادث المنحى الخطير في تراث الأمة، فكان الارتزاق وعطاء الحاكم، يحرفهم عن حقائق السنة والتفسير، إلى حيث سنة الحاكم ومراداته الأمر الذي كان له التأثير السيء على تفاسير القوم من ذلك السلف إلى من جاء بعدهم من الخلف، بحيث أصبح ما يأتي من الصحاح والبينات عن أهل بيت النبوة منكراً واعتبروه شاذاً وغريباً، لأنهم ما سمعوا ذلك من سلفهم ورجالهم؟!

وأخيراً يحدثنا التاريخ والواقع عن الحملة المتعسفة الجائرة من قبل معاوية وابنه ضد الحسنين وذلك لمحو آثارهما من النصوص والنفوس عند الأمة!!

ولو كلّف نفسه أي مسلم لعرف مدى التجني والغش الذي مورس بحق أهل بيت النبوة عليهم السلام؟!!

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٩٠، تاريخ ابن أعثم ٥/ ١٢٤، الأخبار الطوال للدينوري ـ ص٢٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ـ تراثنا ـ العدد العاشر ص١٧٨.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر المجلد الأول آخر ترجمة الحسين عليه السلام.

المطلب الثالث

دور الإمام علي بن الحسين ـ السجاد (ع)

هو رابع أئمة أهل بيت النبوة، وكانت ولادته عام ٣٨ للهجرة، واستشهد عام ٩٤، بعدما دسّ له الوليد عبد الملك السمّ[١].

منزلته وعلمه:

يقول شمس الدين الذهبي: «وكان لعلي بن الحسين جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله»[٢].

تسلّم الإمام السجاد عليه السلام الإمامة، بعد استشهاد الحسين عليه السلام على يد يزيد وشيعته الأموية فعندما أسكتو القرآن الناطق، عرجوا إلى تزييف الكتاب الصامت والسنة، الأمر الذي قال شيعة بني أمية لقد خيّرنا بين هدم الكعبة وإطاعة الحجاج فأثرنا الطاعة وهذا الحجاج كان يعتبر مقام عبد الملك أفضل وأرفع من مقام الرسول صلى الله عليه وآله؟!!

كتب الشافعي رسالة بشأن الخبر الواحد قال فيها: «وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة يعوّل على الخبر الواحد»[٣].

وقال فيه العلماء: «ما رأيت أحد أفقه من علي بن الحسين»[٤].

وكفى بقول ابن أبي شيبة في فضل ومنزلة الإام السجاد عليه السلام عند أهل السنة، بأن أفضل سند هو «الزهري عن علي بن الحسين عن أبي عن علي»[٥].

---

(١) الاتحاف ـ للشبراوي ـ ص١٤٣.
(٢) سيرة أعلام النبلاء: ٤/٣٩٨.
(٣) طبقات ابن سعد ٥/٢٢٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٣٨١، ابن عساكر ١٢/١٩.
(٥) سير النبلاء ٤/٣٩١، تهذيب التهذيب ٧/٣٠٥.

ونقل عن الجاحظ أنه كان يقول: «الشيعي والمعتزلي والخارجي والعامة والخاصة ينظرون إلى شخصية علي بن الحسين نظرة واحدة ولا يشك أحد في منزلته وفضله على الآخرين»[1].

وكتب أبو زهرة قائلاً: «فعلي زين العابدين كان إمام المدينة نبلاً وعلماً»[2].

وكيف لا وهو من أعدال الكتاب، وخير المفسرين لآياته كما هي نظرية وتطبيقاً، فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمن ترك القرآن وجفاه إلا من كان في تقية. فقيل له وما التقية؟ قال: يخاف جباراً عنيداً يخاف أن يفرط عليه أو يطغى»[3].

هذا فضلاً عن رجوع الحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والزهري، بل وأعدائه كالحاكم الغاصب عبد الملك بن مروان يكتب إلى واليه الطاغية الحجاج في مسألة لملك الروم عجز عنها[4]

الصحيفة السجادية: هي منهج لتفسير الإسلام المحمدي الأصيل، وبالتالي التفسير الحق لآيات القرآن الكريم، بينما ضل الآخرون ترغيباً وترهيباً عندما حرفوا الآيات وفسروها على هوى الحاكم، فقد قال السجاد عليه السلام: «إن الله فرض على العالم الصلاة على رسول الله وقرننا به، فمن صلّىٰ على رسول الله ولم يصلِّ علينا لقي الله تعالى وقد بتر الصلاة عليه وترك أوامره»[5].

---

(١) عمدة الطالب ـ ابن عنبة ـ ص١٩٣.

(٢) الإمام الصادق ص٢٢.

(٣) ابن سعد ٥/ ٢١٤، أبو نعيم، نفس المصدر ٢/ ١٤٠.

(٤) العقد الفريد، نقلها ابن شهر آشوب في مناقبه ٤/ ١٢٤ .

(٥) تاريخ جرجان ص١٨٨.

في الوقت الذي يصرّ ويؤكّد مدّعو السنّة على الصلاة البتراء!

أولو الأمر وأهل الذكر:

ذكر ابن الأكثم[1]، أنه عندما: «أدخلوا حرم رسول الله إلى دمشق من الباب المسمى بـ(التوماء) ووضعوهم في المكان الذي يوضع فيه الأسرى قريباً من باب المسجد وعندها قرّب منهم شيخ وقال: الحمد لله الذي قتلكم وراح الناس منكم وسلط أمير المؤمنين عليكم! فقال له الإمام السجاد: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم قرأته.

قال: هل قرأت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟

قال نعم قرأتها.

قال: يا شيخ نحن القربى. يا شيخ، وهل قرأت آية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ ي سورة بني إسرائيل؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى. وهل قرأت ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى. وهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن أهل البيت الذين خصهم الله بآية التطهير.

---

(١) تاريخ ابن الأكثم ٥/ ٢٤٢.

فسكت الشيخ ساعة وظل نادماً وقال: اللهم إني أعوذ بك مما قلت وما سبق مني من بغضهم، اللهم إني أبرأ إليك من أعداء محمد وآل محمد».

هذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام في هداية الأمة بالقرآن الكريم بالبينات والاستدلالات بآياته؟!

وبالفعل فقد انحرفت الرسالة عن مبادئها على يد الحكام وبطونهما بالوراثة أموية وعباسية وهكذا... حيث تبنى السلف المرتزقة من وعاظ البلاط، والاستعانة بأقطاب الرواة الإسرائيلية، ومخططات أعداء الإسلام من أهل الكتاب، بحيث تغيرت السنة النبوية إلى سنة الحكام وهكذا التفسير بالخصوص؟!

التفسير بالجبر: وقد ذكرنا مسألة الاعتقاد الذي ساد عند العامة القول بالجبر، لتبرير انحرافات الحكام وتجبرهم على المسلمين وغشهم، وجعل ذلك سنة للمفسرين خصوصاً، يقول أبو هلال العسكري: «أن معاوية كان هو المبتكر له»[1].

حتى رويت الروايات المزوّرة التي تؤيد وتبرر انحراف الحاكم وتؤكد سنته لا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله التي تمثلت بوصاياه فضلاً عن الآيات بأن الوريث هو الثقلان الكتاب والعترة الطاهرة، ومن تلك الموضوعات البلاطية ووعاظها قول عبد الله بن عميس الذي كان يدعو إلى الإطاعة المطلقة لمطلق حاكم غالب، وإن ضرب ظهرك بالسياط وأخذ مالك... الخ. فقد قال: «فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان!»[2].

ولا يخف عليك فالأمثال هذه المبررات والأعذار للحاكم الغالب كان

---

(١) الأوائل ـ أبو هلال العسكري ـ ٢/ ١٢٥.

(٢) تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ـ ص١٩٣.

لما له التأثير السيء على السنة والتفسير خصوصاً، حيث كان السيف والمال والقلم بيد أولئك الحكام؟!

ويكفي لمعرفة الحقائق التي طمست وزورت قصيدة الفرزدق الشهيرة في الإمام زين العابدين عليه السلام وبيان منزلته وعلمه وشرفه وإمامته، في حضور الحاكم الزمني هشام بن عبد الملك الذي اعترف بذلك مكرهاً وبهت أمام ذلك الحق الناصع؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

القسم الثالث

دور بقية الأئمة من أهل البيت (ع)

المطلب الأول

دور الإمام محمد الباقر (ع)

هو الإمام الخامس، ولد سنة ٥٨ للهجرة. فقد روى عنه اليعقوبي أنه قال: قتل جدّي الحسين ولي أربع سنين وأني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت»[١].

أما سنة شهادته فكانت في عام ١١٧ للهجرة كما ذكر اليعقوبي، إلا أن أكثر الروايات تشير إلى أنها كانت عام ١١٤[٢]. وسمّه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك، فاستشهد ودفن في البقيع في المدينة المنورة[٣].

يقول محمد بن مكرّم في معنى كلمة الباقر: «التبقر التوسع في العلم والمال وكان يقال محمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر رضوان الله عليهم لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه»[٤]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٠.

(٢) البغوي ـ المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٦، تاريخ ابن زراعة الدمشقي ١/ ٢٩٥.

(٣) الفصول المهمة ص٢٢١.

(٤) لسان العرب، آخر كلمة باقر.

وكان رسول الله ﷺ قد بشر به وبمولده، فقد ذكر اليعقوبي، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قد أخبره النبي ﷺ بولده الباقر عليه السلام: «فلما كبر سنّ جابر وخاف الموت جعل يقول: يا باقر... يا باقر أين أنت؟ حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه ورجليه ويقول: بأبي وأمي شبيه أبيه رسول الله ﷺ أن إباك يقرؤك السلام»[1].

فإذا كان الصحابي الجليل جابر الأنصاري اتبع سنة النبي ﷺ في أهل بيته فأدركهم فوجدهم الامتداد الطبيعي لجدهم ﷺ، بينما ضل من خالفهما إلى سنة الحكام، وعاند نصباً وتعصباً بالأخذ من أعدائهم وقتلتهم. فاستمع إلى هذا النص: لما كان زيد بن علي بل حتى الذهبي الناصبي والمخالف لأهل البيت عليهم السلام يقول فيه: «كان أحد من بيت العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة وكان أهلاً للخلافة؟!!»[2] وكتب الأستاذ أبو زهرة عن المرجعية العامة للإمام ما يلي: «كان محمد الباقر عليه السلام وريثة الإمام السجاد في إمامة أهله وقيل الهداية ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ منه» وكتب أيضاً: «كان يقصده من أئمة الفقه والحديث كثيرون»[3].

ولذلك روى عنه كبار محدثي العامة والنواصب، ومنهم أبو حنيفة النعمان الذي كان يشكك في أحاديث ملته، الأمر الذي نزع إلى القياس، ولكنه كان قد روى الكثير من الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام وخاصة الإمام الباقر؟!!»[4].

وكذلك ذكر الذهبي ما قد نقلوا عنه كأمثال أبي حنيفة، وعمر بن دينار والأعمش، والأوزاعي، وابن جريح، وقرة بن خالد[5].

---

(١) اليعقوبي ٢/ ٣٢٠، الطبري ـ المنتخب من ذيل المزيل ص٤٢.
(٢) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ ٤/ ٤٠٢.
(٣) أبو زهرة ـ الإمام الصادق ـ ص٢٢ دار الفكر العربي ـ بيروت.
(٤) الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ـ ١/ ١٢٧. وراجع كتاب مسانيد الإمام الأعظم أبو حنيفة.
(٥) الذهبي ـ التذكرة ـ ١/ ١٢٤.

ولما رآه أبو اسحاق ورأى مكانته الرفيعة واصفاً إياه: «لم أر مثله قط»[1].

وقال عنه أبو زرعة وهو من كبار المحدثين: إن أبا جعفر أكبر العلماء»[2].

كان الشهيد زيد بن علي (رض) عند هشام بن عبد الملك فوصف الباقر «بالبقرة» استهزاءً وتنكيلاً بزيد! فردَّ عليه الشهيد زيد قائلاً: «سمَّاه رسول الله ﷺ باقر العلم وأنت تسمّيه البقرة؟! لقد اختلفتما إذن»[3].

هذا نموذج عن انحراف الحكام ووعاظهم عن سنة النبي ﷺ إلى سنة الوضاعين والإسرائيليات وأهواء الحكام ومختلف الرجال؟!!

مكانته العلمية ومنها التفسير:

مما لا ريب فيه أن كبار علماء العامة يعتقدون أن الإمام الباقر عليه السلام قد حاز على سبق الشهرة في زمانه مما جعله مقصداً للعلماء وكان مجلسه يغص دوماً بالوافدين من مختلف أصقاع العالم الإسلامي!

وكان الوافدون عليه يبدون خضوعاً وإجلالاً كبيراً لشخصيته العلمية بحيث كان عبد الله بن عطاء المكي يقول: «ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر ولقد رأيت الحاكم بن عيينة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه»[4].

ويصفه أيضاً ابن عنبة بقوله: «كان واسع العلم ووافر الحلم»[5].

وقال فيه ابن أبي الحديد: «كان سيّد فقهاء الحجاز»[6].

---

(١) أسد حيدر ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.

(٢) ابن شهر آشوب ـ مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٧.

(٣) عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ٢/ ٢١٢.

(٤) المغير ـ الإرشاد ـ ص٢٨٠، حلية الأولياء ٣/ ١٨٠، كشف الغمة ٢/ ١١٧.

(٥) ابن عنبة ـ عمدة الطالب ـ ص١٩٥.

(٦) ابن أبي الحديد ـ شرح النهج ـ ١٥/ ٧٧.

الفرع الأول: علوم الإمام أمام تعسف الحكام:

فالفضل ما شهدت به الأعداء. إلا أن الحكام الذين لم يكن من مصلحتهم سوى إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مكاناتهم وخلق الضبابية بل وتضعيف أدوارهم العملاقة في الأمة؟!

منها أن الأبرش الكلبي سأل هشام بن عبد الملك: «من هذا الذي احتوشته أهل العراق يسألونه؟قال: هذا نبي الكوفة وهو يزعم أنه ابن رسول الله وباقر العلوم ومفسر القرآن؟!»[1].

وجاء في موضع آخر أن هشاماً وصفه بـ«المفتون به أهل العراق»[2]!

ولكم تعجب عندما لم تجد آثار ذلك الجميل والإنصاف بأن القوم وكتبهم تتحدث عن صغار تلامذته ممن سموهم بالتابعين وتتجاهل أمثال باقر العلم وإمام العلماء؟! منها من قال: «ليس يروي عن الباقر من يحتج به»[3].

وما هذا إلا بسبب الحصار والجوّ التعسفي للحكام ووعاظه وتعصّبهم ونصبهم لكل من يروي بأهل البيت عليهم السلام وعدم الاهتمام بهم وأنهم قد فقدوا صلاحيتهم إذ يسمونهم بالتشيع والرفض وأمثالها زيادة في تشويه سمعتهم؟!!

ولكن وبأقل نظرة إنصاف سيجد القارىء أن كبار محدثيهم كانوا قد رووا في كتبهم الروايات والأحاديث عن الإمام الباقر عليه السلام[4]؟!

الفرع الثاني: الفرقان في الاختلافات:

كانت الفترة الممتدة بين عام (٩٤ ـ ١١٤هـ) هي الفترة التي بدأت فيها المشارب الفقهية، وبلغت فيها رواية الحديث المتعلقة بالتفسير خاصة

---

(١) الكافي ٨/ ١٢٠، بحار الأنوار ٤٦/ ٣٥٥.

(٢) الشبلنجي ـ نور الأبصا ـ ص١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٥.

(٣) ابن سعد الطبقات الكبرى ٥/ ٣٢٤.

(٤) راجع كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر، وكتاب ابن حبان الثقات تحت اسم محمد الباقر عليه السلام؟!

ـ موضوع قيد البحث ـ ومنهم الزهري ومكحول وقتادة وهشام بن عروة، وهم ممن كانوا مرضيين عند السلطة، وفي المقابل كان هناك من كانوا من مرتزقة البلاط الأموي مباشرة، كالزهري، وابراهيم النحعي، وأبي الزناد وأمثالهم!

بينما كان الجوّ التعتيمي بل الإرهابي لمراقبة أهل البيت عليهم السلام وتلامذتهم من قبل جلّ الحكام ووعاظهم. ومع ذلك فقد كتب الإمام الباقر عليه السلام كتاباً إلى سعد الخير مدافعاً عن القرآن الكريم من علماء السوء جاء فيه: «فاعرف أشباه الأحبار والرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين»[1]!

ومما يؤكد هذا المعنى قول أنس بن مالك: «ما أعرف شيئاً مما كان على عهد رسول الله؟ قيل الصلاة. قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها؟!»[2].

تصدّيه (ع) للإسرائيليات:

تلك التي ذكرنا أنها لم تسلم منها كل تفاسير العامة بينما كان أهل البيت عليهم السلام يحذرون الأمة من اليهود مثل: «لا تشبهوا باليهود»[3].

وقد جابه الإمام علي عليه السلام أقطاب الرواة الإسرائيلية وحذر الناس منهم منها قوله عليه السلام: «لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدّين حداً للنبوة وحداً للإسلام»[4].

وقد مرّ علينا كيف أن العامة قد سودت تفاسيرها بأمثال هذه الإسرائيليات وفي موضوعنا فقد جاء رجل من بجيلة يقال هل عاصم بن عمر

---

(١) الكليني ـ الروضة ـ ص٧٧.
(٢) ضحى الإسلام ١/ ٣٨٦. نقلاً عن البخاري والترمذي.
(٣) وسائل الشيعة ٣/ ٥٧١.
(٤) الطبري ـ مجمع البيان ٨/ ٤٧٢.

فقال للإمام الباقر عليه السلام إن كعب الأحبار يقول إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة. فقال له أبو جعفر عليه السلام فما تقول فيما قال كعب؟ قال الرجل صدق كعب. فقال له الباقر عليه السلام كذبت وكذب كعب والأحبار معك ثم قال وهو غاضباً:

«ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها»[1].

الإمام الباقر (ع) ومرجعيته في التفسير:

فقد نقل عنه عليه السلام أحاديث كثيرة في التفسير كما في كتب التفسير مثل البرهان للعلامة البحراني والصافي للمحقق القيض الكاشاني وغيرها. أحاديث توضح الآيات القرآنية، وأسباب نزولها... فقد كتب أبو زهرة ما يلي: «وكان رضي الله عنه مفسراً للقرآن، ومفسراً للفقه الإسلامي مدركاً حكمة الأوامر والنواهي فاهماً كل الفهم لمراميها»[2].

فقد بلغ ما نقل عنه عليه السلام عند علماء العامة في التفسير بحيث شاع واشتهر، حتى قالوا عن شخصيته العلمية: «لم يظهر على أحد من ولد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه في التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام»[3].

ومدح مالك بن أعين الجهني الإمام الباقر عليه السلام بأبيات شعرية منها:

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالاً
وأن فاه فيه ابن بنت النبي تلقت يداه فروعاً طولاً[4]

ونسب ابن النديم في كتابه (الفهرست) إلى الإمام الباقر عليه السلام كتاباً في

---

(١) الكليني، الكافي ٤/ ٢٣٩، بحار الأنوار ٤٦/ ٣٥٤.
(٢) أبو زهرة ـ الإمام الصادق ـ ص٢٤.
(٣) ابن شهر آشوب ٣/ ٣٢٧، بحار الأنوار ٤٦/ ٢٩٤.
(٤) الأتحاف بحب الأشراف ـ للبلاذري ـ ص١٤٤، كشف القمة ٢/ ١٢٣، ابن عنبة عمدة الطالب ص١٩٥ ابن الصباغ الفصول المهمة ص٢١٠، الذهبي سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠، الشبلنجي ـ نور الأبصار ـ ص١٤٣.

التفسير، وقال هذا الكتاب نقله أبو الجارود بن المنذر عن الإمام[1].

وأخيراً نختم بما يمثل قمة الاعتماد على القرآن الكريم، وغاية الوثوق بالالتزام بالمنهج والسنة الحقة، عندما يقول الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لجابر الجعفي: «... ولكن أعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله... فأثبت وأبشر فإنه لا يضرك ما قيل فيك»[2].

إمام التفسير في مسالة جري القرآن:

في حديثه للفضيل بن يسار: «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيها حرف إلا وله حدّ، ولكل حد مطلع.. ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مفسرا ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كلما منه شيء وقع»[3].

المطلب الثاني
الإمام جعفر الصادق (ع)

ولد عام ٨٠ أو عام ٨٣ للهجرة، وفاته في شوال عام ١٤٨ للهجرة.

هو أستاذ العلماء والفقهاء والتفسير وكعبتهم في مختلف العلوم.

قال أبو عمرو الجاحظ: «جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ويقال أن أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب»[4].

---

(١) راجع كتاب القريشي ـ الإمام الباقر ١/ ١٩٠.
(٢) تحف العقول ص٢٠٦.
(٣) تفسير العياشي ١/ ١٠.
(٤) وسائل الجاحظ ص١٠٦.

كذلك تتلمذ مالك بن أنس على يديه[1].

ويثني ابن حجر الهيثمي أيضاً على مكانة الإمام وشخصيته العلميّة ويشير إلى أن أشخاصاً مثل يحيى بن سعيد، وابن جريح، ومالك، وسفيان، وأبي حنيفة، وشعبة وأيوب السجستاني نقلوا عنه الكثير من الروايات[2].

وهكذا ما قاله الشهرستاني في الملل والنحل[3]، وقول أبو حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد وأنه أعلم الأمة»[4].

شهادة الأعداء:

فهؤلاء امّا كونهم وعّاظاً أو ممن اغترّوا بالوعّاظ وتراكضوا خلف فلان وفلان ممن ضخموهم مقابل أئمة أهل البيت عليهم السلام من هؤلاء ابن خلكان، عند ذكر ترجمته: هو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية كان من سادات أهل البيت ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر وله كلام في صنعة الكيمياء والزرج والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الكوفي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة[5].

ومنهم القرماني، وهو أشد انحرافاً عن غيره عن الصادق عليه السلام حيث يقول: «الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه نقل عنه العلوم ما لم ينقل عن غيره، وكان رأساً في الحديث روى عنه يحيى بن سعيد، وابن جريح ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبو حنيفة وشعبة وأبو أيوب السجستاني وغيرهم. وقال نقل أن كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن له.

---

(١) المناقب للزوادي ص٤١، نقلاً عن أبي زهرة ـ الإمام مالك ص٩٤.

(٢) الصواعق المحرقة ص١٢٠.

(٣) الملل والنحل ١/١٤٧.

(٤) جامع المسانيد ١/٢٢٢، الإمام الصادق ـ أبو زهرة ص٢٢٤، الإمام أبو حنيفة ص٧٠.

(٥) وفيات الأعيان ابن خلكان ترجمة جعفر.

أما ابن الصباغ المالكي فقد ذكر في كتابه الفصول المهمة عند ذكر الصادق عليه السلام ما ذكره القرماني وأشياء كثيرة غيرها نقتصر منها على موضع الحاجة[1]

الإمام الصادق (ع) والتفسير:

فبالإضافة إلى ما وصلنا منه أحاديث في مجال الفقه والكلام والأخلاق ومختلف العلوم، وكذلك في مجال التفسير، فراجع تفاسير البرهان، والصافي، ونور الثقلين.

وقد مرّ عليك كيف أنه عليه السلام حسم موضوع الجبر والتفويض الذي اختلفت فيه المعتزلة والأشاعرة مما أدى إلى تسويد صحائف تفاسيرهم بنسبة ما لا يليق بحضرة الخالق سبحانه وتعالى، عندما أطلق عبارته المشهورة بقوله: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» بحيث تعدّ أجمل وأشمل وأدق تعبير حسم ذلك الصراع الذي تهافت فيه العلماء؟!

وفي رده على الغلاة بقوله لأحد أصحابه: «يا سدير ليس من هذه الأحاديث حديث صحيح، فنحن حجج الله وأمناؤه على عباده ونأخذ الحلال والحرام من كتاب الله»[2].

وكان يؤكد عليه السلام بأن: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله»[3].

وقال عليه السلام في المحكم والمتشابه: «المحكم ما يعمل به والمتشابه اشتبه على جاهله»[4].

---

(١) تاريخ القرماني، ص ١١٢ .

(٢) تفسير الشهرستاني المخطوط الورقة ٢٥، نقلاً عن آذرشب مجلة تراثنا عدد ١٢ ص١٨.

(٣) كشف الغمة ٢/ ١٧٠، الكافي ١/ ٥.

(٤) تفسير العياشي ١/ ١٦٢.

وقد عدّ العلامة الطباطبائي أن الطبقة الأولى من المفسرين عند الشيعة هم تلامذة الصادقين عليهما السلام مثل زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، ومعروف بن خربوذ، وجرير، وأمثالهم.

المطلب الثالث

الإمام السابع موسى بن جعفر (ع)

وقد لقبه المسلمون والشيعة خاصة بالكاظم لحلمه وصبره وكظم غيظه أمام أعدائه[1].

ولادته في الأبواء (بين مكة والمدينة) سنة ١٢٨هـ، شهادته في ٢٥ رجب عام ١٨٣هـ في بغداد في سجن هارون العباسي.

كتب عنه الشيخ الطبرسي بقوله: «كان عليه السلام أحفظ الناس لكتاب الله وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين»[2].

وكتب عنه ابن أبي الحديد المعتزلي: «جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر»[3].

وكتب عنه اليعقوبي في تاريخه نقلاً عن أبي هاشم: ثقة إمام من أئمة المسلمين»[4].

محاجة الإمام (ع) لهارون بالكتاب:

عندما أدخل الإمام عليه السلام على هارون الذي سأله ما هذه الدار؟ فقال: هذه دار الفاسقين.

---

(١) كتاب المناقب ٢/ ٣٨٢، الإرشاد ص٢٧٩، عمدة الطالب ص١٦٩، الصواعق المحرقة ص٢٠٣.
(٢) أعلام الورى ص٢٩٨.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٥/ ٢٧٣.
(٤) اليعقوبي ـ شذرات الذهب ١/ ٣٠٤.

فقال نه هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة، قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال: أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معمورة، قال: فأين شيعتك؟

فقرأ أبو الحسن عليه السلام: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾[1].

فقال له: فنحن كفار؟

قال لا، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[2].

فغضب عند ذلك هارون وغلظ عليه[3]. وكان هذا أحد أسباب سجن هارون للإمام!

استشهاد الإمام (ع) بان الحسنين هما ابنا رسول الله (ص):

فقد كان الحكام يحاولون إبعاد ذلك عن حق أهل البيت عليهم السلام فقد كان عمرو بن العاص ممن ينفر من ذلك أيضاً كما كان الحجاج يبدي تأثراً عجيباً منها، وهكذا كان الأمر مع هارون عندما سأل الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «تقولون إننا من ذرية رسول الله ولم يكن لرسول الله أبناء، وإنما أنتم أبناء ابنته» فاستدل الإمام عليه السلام بآيتين:

الأولى: الآية التي نسبت عيسى عليه السلام إلى ابراهيم عليه السلام عن طريق أمه مريم عليها السلام بقوله تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٥﴾ [الأنعام الآية: ٨٥].

الآية الثانية: آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ

---

(١) البينة: ١.

(٢) ابراهيم: ٢٨.

(٣) الاختصاص، ص٣٦٢، تفسير العياشي ٢/ ٢٣٠، بحار الأنوار ٤٨/ ١٣٨.

تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١].

وكان سبب سجنه عليه السلام أن هارون عندما زار النبي صلى الله عليه وآله في المدينة، فقال السلام عليك يا ابن عم.

فدنا الإمام الكاظم عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبه[1]؟!

ردّه (ع) على العامة في العقائد:

وقد كثرت الروايات عند أهل الحديث من العامة (السنة) وخاصة أصحاب أحمد بن حنبل وقد سموّا بالحشوية ـ أي من الذين يحشون الأحاديث على أهوائهم ـ منها:

سؤال أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وكذلك الإمام الرضا عليه السلام، في حديث نزول الله إلى السماء الدنيا... فقد ورد عن يعقوب بن جعفر الجعفري[2]، عن أبي ابراهيم عليه السلام قال: «... ونقض ذلك فاستشهد بالآية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٩].

كذلك ما أصاب أهل الحديث بالتمسك بظواهر الآيات عندهم كما في آية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] فقال الإمام الكاظم عليه السلام دحضاً لذلك: استوى على ما دق وجلّ»[3]!

ومنها أيضاً مسألة الجبر والتفويض التي سقط وتهافت فيها كثير من كبار علماء المذاهب جهلاً ورهبة وطمعاً، منها نشر معاوية عقيدة الجبر[4]. ومن

---

(١) ابن الأثير ٦/ ١٦٤، الصواعق المحرقة ص٢٠٤، الاحتجاج ٢/ ١٦٥، مرآة الجنان اليافعي ١/ ٣٩٥.

(٢) الكافي ١/ ١٢٥، التوحيد ص١٨٣.

(٣) الاحتجاج ٢/ ١٥٧، مسند الإمام الكاظم ١/ ٢٦٢.

(٤) فصل الاعتزال، ص١٤٤. بحوث مع أهل السنة والسلفية ص٥٣.

جملة الأحاديث حديث: «الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه»[1].

وسئل الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً في هذا المجال، ما عن الفضل بن شاذان عن محمد بن أبي عمر قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى الحديث؟ فقال عليه السلام: «الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء»[2].

وهذا الجواب الشافي والحق يشمل حتى انحرافهم بتفسير الآيات المتعلقة في هذه المسألة من الجبر والتفويض!

وكذلك سئل عليه السلام عن حديث قد فسروه بالجبر، فأجابهم عليه السلام بالقرآن العظيم!

قلت له: فما معنى قوله عليه السلام: اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له. فقال: إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه. وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ فيسّر كلاً لما خلق له، فالويل لمن استجب العمى على الهدى»[3].

وللإمام الكاظم عليه السلام تفصيلاً رائعاً في مسألة الجبر والتفويض، وذلك عندما سئل عن فاعل المعصية فقال عليه السلام: «لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله عز وجل، وليست منه، فلا ينبغي أن يعذب عبده بما لا يكتسبه، وإما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد، وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد وهي منه، فإن عاقبة الله فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده»[4].

---

(١) سنن ابن ماجة المقدمة ص٧، سنن الدارمي المقدمة ص٢٣، مسند أحمد ٢/١٧٦.
(٢) التوحيد ص٣٥٦، مسند الإمام الكاظم ١/ ٢٧٣.
(٣) التوحيد ص٣٥٦، مسند الإمام الكاظم ١/ ٢٧٣.
(٤) التوحيد ص٩٦، مسند الإمام الكاظم ١/ ٢٧٣.

ومن يراجع كتب العامة عن الإمام الكاظم عليه السلام يجد أنهم يروون عنه ما يشبه الغيب، كابن الجوزي في كتابه مثير الغرام، كما في تاريخ أخبار الدول للقرماني، وكاتب الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة، والشبلنجي في نور الأبصار، فقد نقلوا عظيم العلوم والكرامات. فهذا إن دلّ دلّ على سعة علم الإمام الكاظم عليه السلام ورجوع الناس في أمر دينهم إليه[1].

المطلب الرابع

الإمام الرضا (ع) الإمام الثامن

كانت ولادته عليه السلام سنة ١٤٨هـ وتوفي عام ٢٠٢هـ.

فكما عاش آبائه عليهم السلام أمام المشكلات التي كانت تعصف بالمسلمين وتمزقهم إلى مذاهب وفرق، بسبب التفاسير المتأثرة بالإسرائيليات، والتي شجع عليها بنو أمية ووعاظ بلاطاتهم بالجمود على ظاهر الآيات والروايات الدالة على التشبيه؟!

ولكن الإمام الرضا عليه السلام كان يبين للأمة التفسير عن أهل البيت الحق بقوله: «ما شهد به الكتاب والسنّة فنحن القائلون به»[2].

كذلك مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى، وهي من المسائل التي لم يتمكن الأشاعرة إيجاد التفسير المناسب والصحيح لها مما وقعوا بالقول به، منها الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ وفي معرض ردّه، قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ يقول: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) راجع الفصول المهمة، لابن الصباغ ترجمة موسى بن جعفر.

(٢) التوحيد ص١١٣، الكافي ١/ ١٠٠.

فآيات الله عز وجل غير الله؟! وقد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة... حتى قال عليه السلام: «إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها»[1].

وقال عليه السلام في تفسير الآيات الأخرى التي يستدل بها الأشاعرة من العامة، مثل آية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال عليه السلام: يعني مشرفة تنتظر ثواب ربها[2].

وأيضاً في تفسير الآية: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قال عليه السلام: «جاء أمر ربك والملك صفاً صفاً»[3].

لذلك وصف ابراهيم بن عباس كلام الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «كان كلامه كله وجوابه، وتمثله، انتزاعات من القرآن»[4].

وكيف لا وأن الأئمة عليهم السلام واستناداً إلى القرآن الكريم دحضوا أقوال الشاذين، وذلك عندما عرض على مسامعه عليه السلام رأي المعتزلة في عدم غفران الكبائر قال عليه السلام: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة؟! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

وقد ردّ على من جعل لله تعالى يداً لقولهم: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أجاب عليه السلام: «إن كان مرادهم أنها كأيدي الإنسان كان مخلوقاً»[5].

وهكذا يتضح لنا أن الأئمة هم الثقل الثاني مع الكتاب العزيز ولا مجال للأمة إلا بالتمسك بهم، لا كونهم مجرد علماء ومفسرين؟!

---

(١) التوحيد ص١١١، والكافي ١/ ٩٥.
(٢) عيون أخبار الرضا ١/ ١١٤، أمالي الصدوق ص٢٤٦، مسند الرضا ١/ ٣٧٩.
(٣) التوحيد ص١٦٢.
(٤) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٨٠.
(٥) التوحيد ص١٦٨.

وفي هذا ردّ على من يتساءل فَلِمَ لا يجوز أن يكون في الأرض إمامان في وقت واحد؟ ولماذا يجب أن يكون من أهل بيت رسول الله ﷺ؟!

ولعل الجواب في حديث الإمام الرضا عليه السلام ما رواه عن جده ﷺ قوله: «كلمة الله حصني، فمن دخل حصني آمن من عذابي... فلما مرت للراحلة نادانا: بشروطها وإنا من شروطها»[1].

ومن أقواله عليه السلام في مجال التفسير ومنهجه القويم: «من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» ثم قال: «إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا»[2].

روي عن العباس أنه في مدينة مرو، استدعى علياً الرضا فأنزله أحسن منزلة وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب، فلم يجد وقته أحد أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا عليه السلام فبايعه[3].

وقال إبراهيم بن العباس سمعت العباس يقول: «ما سئل الرضا عن شيء إلاّ علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي[4].

وهذا ما يؤيد ما جاء في كتاب العهد له بالخلافة من بعد المأمون، «لما رأى من فضله البارع وعلمه الذائع، وتفرده عن الناس...»[5].

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٣٤، التوحيد ص٢٥، معاني الأخبار ص٣٧١، أمالي الصدوق ص١٤٦ أبو نعيم، حلية الأولياء ٣/ ١٩٢.

(٢) عيون الأخبار ١/ ٢٩٠.

(٣) راجع تاريخ ابن خلكان ومروج الذهب.

(٤) راجع الفصول المهمة، لابن الصباغ.

(٥) راجع الفصول المهمة ونور الأبصار، للشبلنجي الشافعي في ذكر الرضا عليه السلام.

المطلب الخامس

الإمام محمد بن علي بن موسى الرضا (ع) تاسع الأئمة (ع)

ولد في الخامس عشر أو التاسع عشر من شهر رمضان عام ١٩٥هـ في المدينة وتوفي في العام مائتين وعشرين[١].

علوم الجواد (ع) والكتاب منه خصوصاً:

لقد أراد الخليفة العباسي المأمون أن يبين فضل الإمام الجواد عليه السلام. رغم صغر سنه، حيث كان في التاسعة من عمره، فجمع له العلماء وعلى رأسهم قاضي القضاة والفقيه في زمانه يحيى بن أكثم[٢]، عندها أفحمهم الإمام عليه السلام وأذعنوا له، حتى قال المأمون: «إنه لأفقه منكم، وأعلم بالله ورسوله، وسنته وأحكامه، وأقرأ لكتاب الله منكم، وأعلم بمحكمه، ومتشابهه، وناسخه، ومنسوخه، وظاهره، وباطنه، وخاصه، وعامه، وتنزيله وتأويله منكم!!»[٣].

ونأخذ من تلك المناظرات فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، والاستدلال الوافي بالآيات بالشكل الذي يؤمي إلى إذعان علماء المسلمين بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دون السنة التي أصابها ما أصابها من إسرائيليات وتزوير... فضلاً عن المنع والحرق... الخ.

فاستمع إليه عليه السلام عندما ردّ على الفقيه يحيى بن أكثم الذي قال: قد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لو لم أبعث لبعث عمر؟!

فأجابه الجواد عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

---

(١) تاريخ أهل البيت ص٨٥.

(٢) قال عنه/ الذهبي؛ في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٦١) «كان من كبار الفقهاء».

(٣) تحف العقول ص٤٥١، الإرشاد ص٤٦، الفصول المهمة ص٢٦٧، تفسير القمي ١/ ١٨٣.

فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكل الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى: وقد روي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما احتبس الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال الجواد عليه السلام: وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي صلى الله عليه وآله في نبوته قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!

قال يحيى: روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر!

فقال الإمام عليه السلام: وهذا محال أيضاً لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون[1].

المطلب السادس

الإمام الهادي (ع) عاشر الأئمة

ولد في منتصف ذي الحجة عام ٢١٢هـ[2].

---

(١) الاحتجاج ٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩.

(٢) الكافي ١/ ٤٩٧، الإرشاد ص٣٢٧، التهذيب ص٩٢، الكامل لابن الأثير ٧/ ١٨٩.

الإمام الهادي (ع) وتصديه لمسألة تحريف القرآن:

كانت هناك بعض التشكيكات حول مسألة التحريف والنقص في القرآن الكريم. لذلك وقف الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة القائلين بتحريف الكتاب وخصوصاً الغلاة ممن يحسبون على الشيعة، في الوقت الذي كان هناك عند أهل السنة جماعات تقول بالتحريف ولهم في ذلك روايات كما ذكرناها سابقاً إلا أن ذلك يغمض عنه باعتبارهم وكما ادعوا أنهم أهل السنة ودعاتها وكذلك كونهم من المتبنين والمقربين للحاكم في زمانه!

ولكن المؤسف له حقاً أن كل تهمة وانحراف تاريخية تنسب إلى المغلوبين والمعارضة المضطهدة، بينما يعطى الغالب والحاكم وشيعته كل الصفات الحسنة والصورة الملمعة وإن كان بعد التحقيق والدراسة تجد العكس تماماً في ذلك؟!

لذلك تجد أنه عند العامة لم يكن سوى ادعاء، أما عندنا نحن السنة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فقد كنا نحارب على جميع الجبهات والثغور وعملياً بإعطاء التفاسير الموافقة للكتاب والسنة الحقة، فقد نقل عن ابن شعبة الحراني رسالة مستفيضة عن الإمام الهادي عليه السلام يؤكد فيها بشدة على أصالة القرآن.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الفرع الأول: الإمام الهادي (ع) وحسم مسألة خلق القرآن:

من المسائل المهمة التي كشفت تهافت العامة (أهل السنة) وادعائاتهم العريضة بحفظهم للقرآن وتفسيره الصحيح. وكان ذلك في بداية القرنالثالث وقد أدت مسألة خلق القرآن إلى تشتت فرق أهل السنة ورجالها؟!

وهذه المسألة أشاعها أحمد بن أبي داود[1]، وتبعه على ذلك المأمون الذي كان يجعل من مجلسه طابع المناظرات بين العلماء، وعلى أثر ذلك باتت للحاضرين مدى ضعف وتهافت ادعاءات أهل السنة، خاصة في المناظرات

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١/ ٢٩ ط الرياض ١٩٨٣م.

التي جرت بينهم وبين الإمام الرضا عليه السلام وأهمها أيضاً ما بين قاضي القضاة يحيى بن أكثم والإمام الجواد عليه السلام وكان حدث السن؟!

كذلك أن المعتصم العباسي كان قد تبنى تلك المسألة، حيث أكره جميع العلماء والمحدثين على الاعتداد بخلق القرآن وسميت القضية تاريخياً باسم محنة القرآن.

وكان أحمد بن حنبل على رأس أهل الحديث ـ الحشوية[1] ـ ممن يعتقد بعدم الخلق وأنه قديم نتيجة اعتماده على صحاحه المرعاة والمختلطة مع الإسرائيليات حيث تعرض أثر ذلك للكثير من الهوان والسياط بسبب إصراره على ذلك، ولم ينقذه من محنته تلك إلا تسلط المعتصم الذي تبنى الأتراك الذين ساندوا سلطانه منها استخدامهم التنكيل بالعلماء الذين يرون عكس ذلك لا بالحوار والمناظرات لذلك تبنى قول ابن حنبل!

ومع كل ذلك ولوضوح المسألة وتناقضها مع قدم القرآن، وإعطاء الأجوبة الصافية عن الإمام الرضا عليه السلام والجواد عليه السلام إلا أن الإمام الهادي عليه السلام في تلك الفتنة رأى تعصب الحكام وتحيزهم ونشر الصراع بالتالي بالخوض بدماء المسلمين كتب الإمام الهادي عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن تفعل فبها ونعمت، وإن لم تفعل فهي الهلكة. نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيه السائل والمجيب. فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه. ليس الخالق إلا الله وما سواه فمخلوق.

فالقرآن كلام الله لا تقبل له اسماً من عندك فتكون من الظالمين. جعلنا الله وإياك من الذين يخشون الله بالغيب وهم عن الساعة مشفقون»[2].

---

(١) ممن يحشون الحديث بالغث والسمين.

(٢) متشابه القرآن ومختلفه ١/ ٦١ وفي نفس هذه الصفحة جاءت رواية عن السجاد عليه السلام أنه قال: لا خالق ولا مخلوق بل كلام الخالق.

وهكذا يأتي الموقف الحكم من أعدال وثقل الكتاب بشكله الحاكم!!

وكونه المعيار لقياس صمت الروايات، إضافة إلى اعتبار القرآن النص الوحيد المحفوظ والسالم من أي تحريف!

حيث قسم الإمام أولاً الأخبار إلى صنفين:

الأول: الأخبار الصحيحة التي يلزم اتباعها والإقرار بها.

الثاني: الأخبار المنافية للحق والتي يلزم اجتنابها ورفضها.

ثم أشار الإمام إلى إجماع الأمة المسلمة وأهل الحق على أن القرآن حق، وأنه لا مجال للتنكيل فيه.. حيث قال: فإذا وافق القرآن خبراً فلم تقبله جماعة فالحق قبوله والإقرار به فإن الكل مجمعون على صحة القرآن ثم مثّل لذلك بخبر الثقلين ذاكراً الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٥٥].

استناداً إلى شأن نزولها والذي جاء متواتراً أو كاد في كتب العامة. وبعد أن ضرب هذا المثل انتقل إلى شرح معنى: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين»، واستشهد بالقرآن الكريم على تصديق صحة هذا الخبر من خلال استعراضه للآيات الدالة عليه. وقد اقترن ذلك بتقديم عشرات الآيات القرآنية التي تشير إلى التفويض من جهة وإلى الجبر من جهة أخرى. واستشهد كذلك بالأقوال التي نطق بها باب مدينة النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

الفرع الثاني: دفعه (ع) للشبهات وبينات الحق:

فهي تمثل أسمى مواقف الثبات وبينات الهدى رغم كل الضغوط التي يصنعها الحاكم وفريقه في دفع المعارضة والمضطهدين إلى حالة التنفيس بأن تتكون عندهم حالات من الغلو، وفي جانب آخر نجد أن وعاظ الحاكم كان لا بد لهم من دفع ضريبة تبني الحاكم لهم بمحاولة تسييس الدين!

---

(١) تحف العقول ص٣٣٨.

ولكن الإمام الهادي عليه السلام وسيراً على نهج آبائه ومن ثم جده عليه السلام كان يأبى إلا أن يديّن الحكم والسياسة ويبرز وجه الحق رغم كل ذلك؟!

فقد كتب له عليه السلام أحمد بن محمد بن عيسى في قوم يتكلمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك، منهم رجل يقال له علي بن حسكة والقاسم اليقطيني ومن أقاويلهم: أن تغير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ معناها رجل لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي، تأوّلوها وصيّروها على هذا الحد الذي ذكرت. فكتب عليه السلام: «ليس هذا ديننا فاعتزله»[1] ونقل نظير هذا الكلام مستفيضاً ضد أمثال هؤلاء!!

المطلب السابع

الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (ع)

ولد في ـ على قول الكليني ـ في شهر رمضان أو ربيع الثاني من العام ٢٣٢ للهجرة، وقبض وهو ابن ثمان وعشرين سنة[2]. وقال أكثر المؤرخين أن استشهاده كان عام ٢٦٠هـ[3].

الإمام العسكري (ع) ودفاعه عن القرآن:

ينقل ابن شهر آشوب عن كتاب «التبديل»[4] لأبي القاسم الكوفي جاء فيه: «بدأ يعقوب بن اسحاق الكندي فيلسوف العرب في زمانه (١٨٥ ـ ٢٥٢هـ) بتأليف كتاب في تناقض القرآن، وتفرد به في منزله؟!

---

(١) رجال الكشي ص٥١٨.

(٢) الكافي ١/ ٥٠٣.

(٣) الإرشاد ص٣٣٥، المقالات والفرق ص١٠٢، نور الأبصار ص١٦٨.

(٤) الذريعة ١٢/ ٣١١.

طلب الإمام الهادي عليه السلام من أحد تلامذته قائلاً: إن أتاك المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا وجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه.

وعندما بلغ ذلك الكندي قال له: أعد عليَّ فأعاد عليه. فتفكر في نفسه، ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر. فقال أقسمت إليك إلا أخبرتني من أين لك؟

فقال: امرني فيه أبو محمد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت. ثم دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه»[1]

التفسير الجليل المنسوب إلى الإمام العسكري:

يحتوي على تفسير سورة الحمد، وقسم من سورة البقرة، وقد تعرض هذا الكتاب منذ بداية شيوعه في القرن الرابع ولحد الآن الآراء متباينة. فوافق فريق على نسبته إلى الإمام ونقل عنه عدة أحاديث.

واعتبره فريق آخر موضوعاً ولا يحظى بأي اعتبار، ويعود السبب إلى نشوء هذا الاختلاف إلى سند الكتاب!

والكتاب يضم مواضيع يمكن طرح الكثير من المؤخذات العلنية ضدها بل لا يمكن نسبة بعضها إلى الإمام عليه السلام على الإطلاق. وقد عرض العلامة التستري أربعين مثالاً لهذه المواضيع[2]. ومن جملة المعارضين نسبته إلى الإمام عليه السلام كل من: الغضائري والعلامة البلاغي، والسيد الخوئي.

---

(١) المناقب ٤/ ٢٤٢، بحار الأنوار ٥٠/ ٣١١.

(٢) الأخبار الدخيلة ١/ ٤٩.

أما الفريق الآخر الذي يدعم بقوة فكرة نسبته إلى الإمام عليه السلام فنذكر الصدوق والطبرسي صاحب الاحتجاج، والكركي، والمجلسي الأول والثاني، والشيخ الحر العاملي[1].

والفريق الثالث موقفاً وسطاً وقال: أن شأنه شأن الكتب الروائية الأخرى يمكن انتقاده، وانتقاء الروايات الصحيحة منه. وكتب العلامة البلاغي رسالة في نقده وأورد النقاط التي تطعن في مصداقية الكتاب[2].

المطلب الثامن

الإمام الحجة (عج)

الإمام الثاني عشر وهو حيّ الله، وصاحب الأمر إمام الزمان (عج) الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

ولد في الخامس عشر من شعبان، وذكر المفيد والكليني أن ولادته كانت سنة ٢٥٥هـ. أي أن عمره عند رحلة أبيه كان خمس سنوات[3].

وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وعندها سيعمل بالقرآن الكريم وتغييره الصحيح الصافي كما أنزل، وبعدما تلاعبت به يد السياسات الحاكمة والفرق والمذاهب المختلفة!

وكيف لا وهو من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وثقلها الثاني وعدل الكتب، وقد ورد في الزيارة «السلام عليك يا مظهر العدل والإيمان السلام عليك يا إمام الإنس والجان... السلام عليك يا شريك القرآن!».

---

(١) مجلة نور العلم عدد أول ـ السنة الثانية ص١١٨.

(٢) رسالة حول التفسير المنسوب للإمام العسكري؟ تحقيق الشيخ رضا استادي، مجلة نور العلم عدد أول ص١٣٧.

(٣) الإرشاد ص٤٣٦، الكافي ١/ ٥١٤.

القسم الثالث:

دور الأئمة (ع) في هداية الأمة

وهكذا يتبين لنا عظمة الحديث النبوي المتواتر المسند عند الفريقين في حق العترة الطاهرة «كتاب الله وعترتي أهل بيتي...»!

وكيف أن الأئمة من آل ياسين عليهم السلام قد جسدوا واقع وخلافة جدهم صلى الله عليه وآله وهو الإسلام النظري والعملي وبالخصوص في مجال التفسير. ومدى التجني والمظلومية التي لحقت بآل البيت عليهم السلام وتقديم المتأخر عنهم، أريد بذلك تكريس وتبرير انحراف الحكام ووعاظهم عن السنة التي منعت وحرفت وتبنوا إسرائيلياتها وأقطابها وتهميش ما جاء في حق الآل عليهم السلام، بل كان تاريخ البطون والأسر القبلية والسلاطين ومن يدور في فلكهم ومن يرتزق من فتات موائدهم المغتصبة لبيت مال المسلمين؟!

فلم يكن ثمة عالم كان يملك حرية الرأي، ولا هو مطلق التصرف بما يريد أن يقول أو يكتب، كيف وقد رأي ما حلّ بعد ما يسمى بعقدة صفين من جرائم معاوية مما أدى إلى اعتبار الآخرين، وما لاقى أبو حنيفة من حبس وجلد ابن حنبل ومالك وأشدها مصارع الطالبيين والعلويين المنتمين لآل البيت عليهم السلام؟!

حتى بلغ الأمر بقتل من سمي علياً، وأن حديثاً في فضل علي عليه السلام كان يثير غضب الحاكم، فيصدر أمره بجلد مئات السياط، ويروي الطبري

حديث الطبري، فيرجم العامة داره حتى كان على بابه تل من الحجارة وقد مرّ عليك الكثير في ذلك!

وعندما ملك الحاكم وفريقه السيف والقلم كتب تاريخهم وتاريخ مذاهبهم، بينما نسي بل وتناسى وهمّش الشخصيات التي وقفت في موقع التحدي لانحرافات الحكام ووعاظهم فضلاً عن التصدي لأصحاب الأهواء والبدع المذهبية، والعصبيات العرقية والمزورين وغيرهم.

مما أدى إلى حرمان الأمة من معرفة الأيدى الأمينة المخلصة التي سارت على سير الرسول ومنهجه الأصيل ﷺ ألا وهم أهل بيت النبوة عليهم السلام!

بل انهم تعصبوا بتضخيم رجال صنعتهم السياسات والعاطفة نتيجة انحرافهم عن أهل الحق الذين أكّد عليهم النبي ﷺ! هذا رغم أنّهم في كثير من الموارد يعترفون بفساد ما ذهبوا إليه؟! فهذا راويتهم أبو هريرة يقول: «إنّ اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وان اخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام على نخلهم..»!

وكذلك لما تفرق الصحابة بالأمصار.. يقول ابن حزم: «قد يكون في تلك القضية حكم عن النبي ﷺ موجود عند صحابي آخر في بلد آخر... وكان الأمر كذلك لمغيب بعضهم عن مجلس الرسول في وقت حضر فيه غيره، ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب، فيدري كل واحد منهم ما حضر ويفوته ما غاب عنه. وكان الأمر كذلك أيضاً في التابعين وفي أتباع التابعين[1].

وليت شعري كيف تعصبوا بدفع حقائق ثابتة مثل إمامة علي عليه السلام ومرجعية أهل البيت عليهم السلام وغيرها؟!

---

(١) المحلى، لابن حزم ص١٢٤ .

وكيف كان لمسألة تعدد الأئمة عليهم السلام ودور كل إمام وفق ظروفه وتحدياته بوجه الانحرافات الفكرية وخصوصاً في التفسير، باعتبارهم أهل الذكر لا كمن ينصب ليأخذ من أهل الكتاب ويملأ تفاسيره بالإسرائيليات المنحرفة.

ثم كما مرّ عليك موقفهم عليهم السلام في قضية خلق القرآن والسكوت عنه وما أدى ذلك من نتائج جنبت الأمة الويلات.

وكما مرّ عليك سابقاً من تشتت الأمة في مسألة الجبر والتفويض والقضاء والقدر ومسألة التوحيد وصفات الخالق تعالى... مما يثبت بطلان دعوى من قال: «حسبنا كتاب الله» ظانين بعقولهم القاصرة سهولة فهم مرادات القرآن الكريم، ومصادرة أسراره العميقة مما أوقعهم في الضلال عن التفسير الحق ومن أحرج من قال بذلك الشيخ الارتجالي أمام الأعراب الحنبلي ابن تيمية جهلاً وتقولاً وفي المقابل شذوذ الصوفيين وأهل العرفان في المبالغة في البواطن والأسرار؟!

وما سبب ذلك إلا بانحرافهم عن سنّة النبي صلى الله عليه وآله عندما حدد لهم الخلاص والمرجع بما أن تمسكهم بهما، أي لا بالقرآن دون العترة المباركة، وأنهما متلازمان إلى يوم الحشر بينما من من ادّعى أنه أهل السنة أخذ سنته من الرجال وأهل الكتاب ووعاظ السلطان!

ونتيجة ذلك جاءت شيعة الآل تحمل التوازن والاعتدال لأنها أخذت من أعدال الكتاب، كذلك وردت بالتشديد على عدم قبول الإسرائيليات ورجالها، بالإضافة إلى رفض الرأي والاجتهاد الجزافي، ومع كل هذا كان مفسرونا على توخي الموضوعية عندما لم نطلق مصطلح الصحاح على أحاديثنا وبالتالي على تفاسيرنا، بل هي عرضة للتنقيح والنقد والتمحيص؟!

ويكون ذلك باعتبار القرآن الكريم هو المرجع العام للرسالة. ولذلك أن السنّة النبوية وإن كانت تمثل المرجع الآخر، إلاّ أن القرآن العزيز يمتاز عليها فيما يلي:

أ ـ **ثبوت النص القرآني**: ودفع كل ما يقول بالتحريف!

ب ـ **قدسية ذلك النص**: باعتباره الكلام الإلهي!

ت ـ **المرجع والميزان للسنّة المباركة**: عند الشك في ثبوت مضمونها أو نصها وإ يقبل من الحديث إلاّ ما وافق القرآن الكريم. لا كما حصل لأهل السنّة الذين صححوا أحاديثهم برجالهم، وشق عليهم تكليف أنفسهم تطبيق صحاحهم المزعومة على القرآن. مما أوقعهم لمزيد من توهين وتناقض السنّة! الأمر الذي دعاهم إلى الترقيع والتبرير وحذف ما يراه الخلف غير مناسب بحق السلف؟!!

المطلب الأول

أسلوب أئمة أهل البيت في المحكم والمتشابه[1]

ما نفهمه من ملخصّ ما أثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام هو نفي وجود آية متشابهة لا يمكن معرفة مدلولها الحقيقي بل الآيات لم تستقل في مداليلها الحقيقية يمكن معرفة تلك المداليل بواسطة آيات أخرى. وهذا معنى إرجاع المحاكم إلى المتشابه. فإنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢].

يدل على الجسمية وأن الله تعالى مادة! ولكن لو أرجعناهما إلى قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١].

علمنا أن الاستواء والمجيء ليس بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان إلى مكان آخر.

قال النبي صلى الله عليه وآله وهو يصف القرآن الكريم: «وإن القرآن لم ينزل

---

(١) القرآن في الإسلام ـ الطباطبائي ـ ص٣٨.

ليكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به»[1].

وقال وصيه وباب مدينة علمه علي عليه السلام: «يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض»[2].

وقال حفيده الصادق عليه السلام: «المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله»[3].

وكذلك أيضاً حفيد النبي صلى الله عليه وآله الإمام الرضا عليه السلام قوله: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» ثم قال عليه السلام: «إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا مشتابهها فتضلوا»[4].

إن هذه الأحاديث وخاصة الأخيرة منها توضح منهج أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات المتشابهة التي شتت الأمة عن الكتاب والسنة إلى فرق ومذاهب عن السنة المتمثلة بأهل بيت النبوة عليهم السلام منها بيان المتشابه والتي معناها أنها الآيات التي لا تستقل في مدلولها بل لا بد من ردّها إلى الآيات المحكمات؟!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومعنى هذا أنه ليس في القرآن آية لا يمكن معرفة معناها بطريق من الطرق!

ويمكن تلخيص ذلك:

بأن المحكم، ما يدل على مفهوم معين لا نجد صعوبة أو تردداً في تجسيد صورته أو تشخيصه في مصداق معين.

---

(١) الدر المنثور٢/ ٨.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.
(٣) تفسير العياشي ١/ ١٦٢.
(٤) عيون الأخبار ١/ ٢٩٠.

والمتشابه، ما يدل على مفهوم معين تختلط على المفسر صورته الواقعية ومصداقه الخارجي!

المطلب الثاني

الموقف من التأويل والتنزيل

تأويل القرآن ورد في ثلاثة آيات هي:

١ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

٢ ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

٣ ـ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ ... بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: ٣٧ـ ٣٩].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وكان من الطبيعي اختلاف وتضارب التفسير ومناهجه عند أهل السنة حتى بلغت أكثر من عشرة أقوال إلا أن المشهور فيها قولان:

١ ـ أن التفسير والتأويل بمعنى واحد وهما مترادفان!! ولذلك ذهبوا إلى أن الآيات المتشابهة هي الحروف المقطعة التي في أوائل السور. وهذا القول تركة المتأخرون.

٢ ـ قول المتأخرين: وهو أن التأويل معناه خلاف الظاهر الذي يقصد من الكلام، وعليه فليس لكل الآيات تأويل، وإنما يختص ذلك بالآيات المتشابهة التي لا يحيط بعلمها إلا الله، كالآيات الظاهرة في الجسمية، والمجيء، والاستواء، والرضا، والسخط، والأسف وغيرها من الآيات

المنسوبة إليه جل جلاله، وكذلك الآيات الظاهرة في نسبة الذنب إلى الأنبياء عليهم السلام!

وقد بلغ هذا القول من الاشتهار بحيث أصبحت لفظة «التأويل» كالحقيقة الثانية في المعنى خلاف الظاهر، بحيث فهم تأويل الآيات في المباحث الكلامية والخصام العقائدي يعني هذا المعنى بالذات!

كما أن محل الآية على خلاف ظاهر معناها بدليل يسمونه «التأويل» موضوع دائر على الألسن مع أنه لا يخلو من تناقض. وذلك لأن تأويل الآية مع الاعتراف بأن التأويل لا يحيط بعلمه إلا الله تعالى عمل مناقض. ولكنهم ذكروا ذلك بعنوان أنه احتمال في الآية.

نقول: بما أن القرآن الكريم قال عن نفسه أنه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩]. فهي لا تتناقض مع قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لأنه بإذنه تعالى فيكون علم التأويل شبيه، بعلم الغيب الذي اختص به تعالى نفسه، وفي آية استثنى المرضيين فأثبت لهم العلم به ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وبذلك يكون المطهرون هم الذين يلمسون الحقيقة القرآنية ويصلون إلى غور معارف القرآن الكريم، كما دلت الآيات السابقة ومع ضمّ آياته التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نعلم وبلا شك أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم المطهرون العالمون بتأويل القرآن المجيد؟!!

ونختم بقول النبي صلى الله عليه وآله: «أنّا أقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله»[1].

---

(١) الإصابة ابن حجر ١/ ٢٥. القندوزي الحنفي ص٢٣٣.

معنى حجية أقوال النبي (ص) والأئمة (ع):

أن القرآن نفسه يثبت حجية أقوال النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في التفسير!

هذا الحجية واضحة والصريحة وخصوصاً الأحاديث قطعية الصدور، أما الأحاديث غير قطعية الصدور، والمسماة بخبر الآحاد فأمرها يرجع إلى المفسر نفسه!

ولا يخفى عليك كما ذكرنا من روايات العرض على القرآن، وتقسيم الأخبار إلى محكمة ومتشابهة، ودراستها دراسة موضوعية حيث لم نعطها صفة الصحاح مطلقاً، هذا وغيره مما يجعل المفسر أقرب لدائرة النور وهدايته وتوفيقه!!

ويمكن تلخيص أهم مشكلات الحديث وحلّها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي على ضوء معرفة الرجال بالحق وذلك بما يلي:

١ ـ محاسبة ورفع أي حصانة عن أي صحابي أو تابعي أمام الحق، وذلك بكشف تزويرهم ودسّهم ووضعهم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «لا تقبلوا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي، أحاديث لم يحدّث بها أبي، فاتقوا الله عزّ وجلّ ولا تقولوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى، وسنّة نبينا محمّد ﷺ...». وقد روى يونس أنه عرض على الإمام الرضا عليه السلام أحاديث فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله وقال لي: «لعن الله أبا الخطاب وأصحاب أبي الخطاب يدسّون في هذه الأحاديث إلى يومنا هذا... فلا تقبلوا به علينا خلاف القرآن، فإنّا إن تحدثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنّة»[1].

---

(١) رجال الكشي ص ١٢٦ .

٢ ـ رفض الغلاة والمتطرفين في أهل البيت عليهم السلام حيث كان سببها تعسف الحكّام وتطرفهم والبراءة منهم.

٣ ـ الانحرافات والانشقاقات بسبب الظلم السياسي والتي يستغلها الحاكم ووعاظه للتلاعب بها!

٤ ـ ظروف الاضطهاد والمطاردة والسرية التي كانت سبباً مهماً لاختفاء البيانات الواقعية أو للدسّ والتزوير تحت شعار (التقية)!

٥ ـ التعصب والنصب والعداء من مصالح الحكّام وارتزاق الوعّاظ من كتمان الحقائق أو تشويه ونشر الأكاذيب والإشاعات وإلصاق التهم لتضليل الأمّة عن أهل الحق مثل الرافضة والباطنية وغيرها!

٦ ـ فقدان الدقة في النقل أو سوء التلقي للأسباب المذكورة أعلاه!

٧ ـ ضياع الكثير من القرائن الحالية والمقالية التي كانت تقترن بالروايات والأحاديث وتوضح المقصود منها[1].

بينما أهل السنة وقد مرّ عليك مما أصاب أحاديثهم من منع وحرق، وتزكية أقطاب الإسرائيليات، وتزوير الحكام ووعاظهم، والأهم هو تركهم سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى سنة الرجال المختلفة، فإنهم يعملون بالخبر الواحد الذي سموه صحاحاً مما أثر ذلك الأثر السيء على تفاسيرهم كما فصلنا!!

وهكذا يتضح لك الفرق بين التفسير العلمي أي على ضوء المنهج العلمي للوصول بل أهلية المفسر للدخول إلى علم التفسير المبارك، هذا ما أكّده لنا أهل البيت عليهم السلام والسير فيه.

---

(١) للمزيد راجع علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ص ٣٥٠ . بحوث في علم الأصول للهاشمي ٢٨/٧ . وكتب الرجال مثل الخلافة للعلامة الحلي قسم الضعفاء.

وفي المقابل نجد أن القرآن الكريم منع الخوض في التفسير بالظن والرأي الجزافي الارتجالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٦﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء:٣٦) . كما أن السنة النبوية أكّدت ذلك في أحاديث كثيرة؟!

إلاّ أن أهل السنّة خالفوا كل ذلك نتيجة غلوهم وتعصبهم بصحاح رجالهم ظنوا أن تفاسيرهم هي الحق وما دونها الباطل؟!

وعلى ضوء ذلك يمكن تقييم التفاسير بأمرين:

الأول: اعتبار ما سموه تفسيراً هو مجرد تبرير سواء بالاعتماد على صحاحهم المدعاة، أو عقائد واجتهادات رجالهم، حتى وإن كان مدلول الآيات وظواهرها واضحة بالتفسير اللفظي والمعنى البلاغي.

تناقض مفروض: لقد بقي علماء (أهل السنة) ينظرون إلى تفاسير السلف على أنها نص ولم يحاولوا الاجتهاد بها إلا بعد ظهور التناقض والتضارب والدس والتزوير والوضع والإسرائيليات في تفاسير السلف؟!

الثاني: الاعتماد والثقة بتفاسيرنا التي جاءت مساوقة للرجوع إلى أهل بيت العصمة والرسالة وأعدال الكتاب!

والتي تدعو إلى الاطمئنان إلى تلك التفاسير. ولكن مع ذلك نعترف ما أصاب أهل بيت النبوة وأتباعهم من قهر وتنكيل التي فرضت ظروف التقية حيث أن الحاكم تبنى وعاظاً أو من استرخى رهبةً وطمعاً. فبينما ادعوا بل وضخموا رجال تفاسيرهم، لكننا في المقابل جعلنا كل شيء قابل للنقد وإن كان من كبار علمائنا غلواً وتقتيراً أو تأثراً برجالهم. وذلك عندما ينحرفون عن تلك الثوابت والأسس التي ركزها أعدال الكتاب من أهل بيت النبوة منجاة الأمة وهدايتها على المحجة والصراط المستقيم!


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني:

منهج مفسري الشيعة (أهل السنة) وطبقاتهم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقدم الشيعة في علم القراءة:

فقد حكي عن الذهبي وغيره ممن ألف في طبقات القراء أن أول من صنف ـ أي عند السنّة ـ في علم القراءات أبو العبيد القاسم سلام المتوفى سنة ٢٢٤! بينما عند الشيعة كان قد سبقه أبان بن تغلب المتوفى سنة ١٤١ كما ذكره الذهبي في الميزان، والسيوطي في الطبقات. وذكر مؤلفه في القراءة ابن النديم في الفهرست[١]. وكذلك حمزة بن حبيب[٢] المتوفى سنة ١٥٤ وهو من مشاهير الشيعة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام!

أما المنهج الي اتخذه الشيعة فيختلف عن منهج (أهل السنة) وذلك باختلاف المرجعية، وعليه فقد اختلف تقسيم طبقاتهم!

فإن الشيعة تعتقد ـ بنص من القرآن الكريم ـ حجية أقوال النبي صلى الله عليه وآله في التفسير، وترى أن الصحابة والمتابعين كبقية المسلمين لا حجية في أقوالهم إلا ما ثبت أنه حديث نبوي صحيح؟!

وبلا شك فإنّ من ينحرف عن سنّة النبي صلى الله عليه وآله المشيرة إلى أهل بيته عليهم السلام يسقط في حبائل الإسرائيليات وأهواء الرجال بل انهم يضخمون

---

(١) الفهرست لابن النديم، باب أخيار فقهاء الشيعة ص٣٠٨ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٤ .

ويتقولون على كبار الصحابة مما لم يقولوه مزيداً في عنادهم وتعصبهم لعنوان (أهل السنّة) وبالتالي لغش وتغرير أشياعهم وتضليل الأمة. وقد ذكرنا تزكيتهم حتى لأقطاب الإسرائيليات؟!

ونضرب لذلك بعض الأمثلة:

١ ـ عن أبي هريرة رفعه: «لم يكذب إبراهيم إلاّ في ثلاث: قوله إني سقيم ولم يكن سقيماً. وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا»[١] وهذا مما هو من عقائد اليهود في الأنبياء عليهم السلام؟!!

٢ ـ تضخيمهم وتقولهم عن ابن عباس منها: «ان النبي صلى الله عليه وآله قال لمّا أغرق الله فرعون قال: آمنت بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. فقال جبرئيل: فلو رأيتني وأنا آخذ من حال (الطين الأسود) البحر فأدسه فيه مخافةً أن تدركه الرحمة»[٢] هذا إذا عرفنا مدى كراهة وعداوة اليهود للملائكة أيضاً وقد ندد الله عز وجل بقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (البقرة: ٩٨). وكأن جبريل عليه السلام لا يريد قبول التوبة من فرعون؟!

أمّا في تناقض تفاسيرهم ونسبة ذلك إلى الصحابة ومن ثم إلى النبي صلى الله عليه وآله كذباً وزوراً!

جاء في تفسير الطبري، عن سعيد بن المسيب أنه كان يحلف أن آدم لم يأكل من الشجرة إلاّ بعد أن شرب من الخمر[٣].

وسعيد بن المسيب هذا نجده في موضع آخر لا يرضى أن يقول في القرآن شيئاً من التفسير[٤]؟!

---

(١) الترمذي ١٢/ ٢٤.

(٢) الترمذي ١١/ ٢٧١.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٢٣٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٨.

فكيف يمكن أن نوفق بين هذا التناقض ومن نفس تفسير الطبري بين يمين سعيد بن المسيب في الأول، ورأيه المتناقض في مورد آخر من نفس التفسير؟!!

والمصيبة أن الخلف يأخذ كل ذلك أخذ المسلمات بل والتقديس وإن خالفت سنّة النبيﷺ بل القرآن ووافقت اليهود والتقوّل على كبار الصحابة كذباً وزوراً!!

وكيف لا وهي رواية الطبري عن أبي هريرة أو ابن عباس ـ على مقاسهم ـ وهكذا ما ينسب إلى سعيد بن المسيب، وأبي سعيد الخدري من مختلف المتناقضات ونسبتها إليهم وإلى أمثالهم من صحابة السلف الصالحين منهم (رض)؟!!

وفي المقابل فقد ثبت بطرق متواترة في حديث الثقلين أن أقوال العترة الطاهرة من أهل بيت النبوة عليهم السلام هي تالية لأقوال الرسول ﷺ فهي حجة أيضاً.

هذا فضلاً عن كثرة الأحاديث المتواترة والحسان من ملازمة والرجوع إلى باب مدينة علمه ذلك الإمام علي عليه السلام.

القسم الأول:

طبقات مفسري الشيعة

(الطبقة الأولى): الذين رووا التفسير عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأدرجوا الأحاديث في مؤلفاتهم المتفرقة، مثل زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، ومعروف، وجرير وأمثالهم[1].

(الطبقة الثانية): أوائل المؤلفين في التفسير، كفرات بن ابراهيم الكوفي وأبي حمزة الثمالي والعياشي وعلي بن ابراهيم القمي والنعماني[2].

وطريقة هؤلاء في تفاسيرهم تشبه طريقة الطبقة الرابعة من مفسري أهل السنة فقد رووا الأحايث المأثورة عن الطبقة الأولى، وأدرجوها مسندة في مألفاتهم.

---

(١) زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم من فقهاء الشيعة وخواص الأصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

معروف بن خربوذ وجرير من خواص الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) فرات بن ابراهيم الكوفي، صاحب التفسير المشهور، من مشايخ علي بن ابراهيم القمي (ريحانة الأدب).

أبو حمزة الثمالي من فقهاء الشيعة وخواص أصحاب الإمام السجاد والباقر عليهما السلام (الريحانة).

العياشي، محمد بن مسعود الكوفي السمرقندي، من أعيان علماء الإمامية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري. النعماني، محمد بن ابراهيم، من أعيان الشيعة وهو تلميذ ثقة الإسلام الكليني. كان في أوائل القرن الرابع الهجري (الريحانة).

وقد مرّ عليك سابقاً كيف أن طبقات مفسري العامة لم تكن سوى اجترار لسلفهم وادعاء الخلف بتخفيف إسرائيليات من سبقهم؟!

ومن الواضح أن الزمن الذي كان يمكن الأخذ فيه عن الأئمة عليهم السلام كان طويلاً بلغ نحواً من ثلاثمائة سنة، فكان من الطبيعي أن لا يضبط الترتيب الزمني لهاتين الطبقتين بصورة دقيقة ـ فضلاً عن ظروف التقية وصعوبة التواصل والأخذ ـ لذلك كانت الطبقات متداخلتين!

وقد امتاز مفسرو الشيعة بقلة نقل الأحاديث في التفسير بشكل روايات مرسلة بل كانت جلّها مسندة. الأمر الذي دعا من جاء بعد تلك الطبقات في بعضها بحذف الأسانيد لأجل الاختصار، مثل تفسير العياشي الذي حذف بعض تلامذته أسانيده اختصاراً، فاشتهرت نسخة التلميذ المختصرة وحلت محل نسخة الأصل.

وسيجيء بأن طريقة مفسرينا لم تغل في رجال سلفهم وإعطاء صفة الصحاح لأحاديثهم كما فعلت العامة ـ رغم كل ما فيها من تناقض ـ بل كان كل شيء بدراسة، موضوعية على ضوء الكتاب نفسه والسنة الموروثة عند أهل البيت عليهم السلام.

(الطبقة الثالثة): أصحاب العلوم المختلفة، كالشريف الرضي في تفسيره الأدبي والشيخ الطوسي في تفسيره الكلامي، والمولى صدر الدين الشيرازي في تفسيره الفلسفي والمبيدي الكونابادي في تفسيره الصوفي، والشيخ عبد علي الحويزي في تفسيره نور الثقلين، والسيد هاشم البحراني (البرهان) والفيض الكاشاني (الصافي)[1].

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي، من أجلاء فقهاء الإمامية أعلم أهل زمانه في الأدب والشعر ومن تأليفه كتاب «نهج البلاغة» توفي سنة ٤٠٤هـ (ريحانة الأدب).
ـ الطوسي، محمد بن الحسن، شيخ الطائفة، من أعلام علماء الإمامية، في تأليفه «التهذيب» و«الاستبصار» وهما أصلان من الأصول الأربعة الحديثية عند الشيعة توفي سنة ٤٠٦ (الريحانة).
ـ الشيرازي، محمد بن ابراهيم، صدر المتألمين، الفيلسوف الكبير المشهور، مؤلف كتاب «أسرار الآيات» و«مجموعة تفاسير» توفي سنة ١٠٥٠ (روضات الجنات).

وهناك جماعة جمعوا في تفاسيرهم بين العلوم المختلفة، ومنهم الشيخ أمين الإسلام، الفضل بن الحسن الطبرسي[1]. في تفسيره الحجة المتحدي «مجمع البيان» والذي يبحث فيه عن اللغة والنحو والقراءة والكلام والحديث وغيرها كذلك الطبقة المتأخرة، وسيأتي الكلام فيها مفصلاً.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ـ السيد هاشم البحراني، صاحب تفسير «البرهان» في أربعة أجزاء كبار توفي سنة ١١٠٧ (الريحانة).

ـ الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن بن المرتضى، مؤلف كتاب «الصافي» و«الأصفى» توفي سنة ١٠٩١ (الريحانة).

ـ الشيخ عبد علي الحوئيري الشيرازي، مؤلف كتاب «نور الثقلين» توفي سنة ١١١٢ (الريحانة).

(١) أمين الإسلام، الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعيان علماء الإمامية صاحب تفسير «مجمع البيان» توفي سنة ٥٤٨ (الريحانة).

القسم الثاني:

معالم المنهج التفسيري عند الشيعة

المطلب الأول

موضوعيتنا القرآنية لتفسير القرآن الكريم

فقد وصف نفسه بأنه النور والضياء والتبيان لكل شيء، وعليه فلا يكون محتاجاً إلى شيء آخر!

حيث يقول محتجاً على أنه ليس من كلام البشر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

ولو اشتبه المفسر وظن أن فيه اختلافاً بالنظرة البدائية ـ كما حصل عند غيرنا ـ فإنه يرتفع بالتدبر في القرآن نفسه.

ومثل هذا الكتاب لو احتاج في بيان مقاصده إلى شيء آخر لم تتم به الحجة، لأنه لو فرض أن أحد الكفار[1] وجد اختلافاً في شيء من القرآن لا يرتفع عن طريق الدلالة اللفظية وفهم النص للآيات لم يقنع برفعه عن طرق

---

(١) كذلك بعض المستشرقين وأحصنة طروادتهم أمثال حامد نصر أبو زيد وأشباهه من الذين تسللوا من خلال الضعف في ثغرات التفسير عند العامة (أهل السنة).

أخرى، كأن يقول النبي ﷺ مثلاً يرتفع بكذا وكذا، وذلك لأن هذا الكافر لا يعتقد بصدق النبي ﷺ ونبوته وعصمته، وبناءً عليه فلا يتنازل المعاند لقوله ودعاواه!

وبعبارة أخرى: لا يكفي أن يكون النبي رافعاً للاختلافات القرآنية بدون شاهد لفظي من نفس القرآن لمن لا يعتقد بنبوته وعصمته. بل أن القرآن نفسه يثبت حجية أقوال النبي ﷺ وتفسيره، كما أن النبي يثبت حجية أقوال أهل بيته وتفسيرهم.

وهاتان المقدمتان توصلنا إلى أن في القرآن آيات تفسر الآيات الأخرى، ومكانة الرسول ﷺ وأهل بيته من القرآن كمرشد ومذكرة معصومة، فما يفسرونه يطابق التفسير الذي يستنتج من فهم الآيات بعضها إلى بعض ولا يخالفها في شيء.

المطلب الثاني

آفاق المنهج الأهل بيتي

قدمنا فيما مضى كيف أن منهج العامة قد ترك تركة تفسيرية مثقلة بالموضوعات والإسرائيليات، بحيث أن التابعي قام بكل جهده بتخفيف الإسرائيليات قدر الإمكان أما التفاسير المتأخرة فقد عهد أصحابها بالتمرد على تفاسير السلف بأن قاموا بالاعتماد على الرأي في أغلب التفاسير!

بينما المنهج الذي اعتمده مفسر وأهل البيت كان قد فتح آفاقاً تمتد مع امتداد الكتاب ودوره في الإجابة على كل المشكلات المعاصرة والمستقبلية المنطلقة من واقع القرآن وأهدافه لا بصياغة عقول الرجال وآرائهم!

١ ـ ميزانية القرآن الكريم وقواعديته:

وذلك على تفسير السلف من أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وتخص ذلك في استنطاق الآيات بعضها للبعض الآخرة، وكان قد وفق إلى ذلك العلامة

الطباطبائي صاحب الميزان، فمثلاً في الرد على من قال بإبطال السيئة للحسنة وإسقاطها عن التأثير بصورة عامة!

كما ذكره الشهرستاني[1]، هذا المعنى منسوباً إلى هشام بن عمر الغُوطي المعتزلي (ت ٢٢٦هـ) إذ قال: «من أطاع الله جميع عمره وقد علم الله أنه يأتي بما يحبط أعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد، وكذلك على العكس»!

بينما استند الطباطبائي[2] على قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢] باعتبار أن الآية ظاهرة في اختلاف الأعمال وبقائها على حالها إلى أن تلحقها توبة من الله سبحانه وهو ينافي التحابط بمعنى إبطال السيئة لأثر الحسنة بشكل عام. كما أن هناك آيات كثيرة تفيد بأن الجزاء على الحسنة يكون على حدة وعلى السيئة كذلك، إلا في بعض السيئات من المعاصي الكبيرة الارتداد قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ...﴾ [البقرة: ٢١٧] وكالكفر بآيات الله والعناد فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٢٢] وغيرها كثير!

نعم هناك آيات كثيرة وردت في إبطال الحسنة للسيئة لا العكس كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧]. هكذا يلخص منهجنا اعتماداً على قاعدته الأساس في التفسير التفسير (تفسير القرآن بالقرآن). وعلى مقياس منهجنا المتوازن القرآني فإن المفسر إذا أحاط باللغة والتاريخ وطرق تنقية

---

(١) الملل والنحل: ١/ ٧٣.

(٢) الميزان: ٢/ ١٧٠.

الأحاديث وعرضها على الكتاب، ومراعاة علوم القرآن، والفقه وأصوله والعقائد وعلوم أخرى..!

وعلى ضوء ذلك يأتي منهج مفسري أتباع أهل البيت مسنجماً مع آيات القرآن الكريم الداعية إلى استخدام العقل والتفكر والتذكر، حيث ذكر الكتاب ما يزيد على ثلاثمائة آية تدعو الناس إلى أعمال العقل أمام الآيات.

فهذه الآيات أن تلقّن المرسل عليه السلام الحجة لإثبات حق أو إبطال باطل كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم:٢٤] وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [ابراهيم:١٠] بل أن سبحانه وتعالى ذم التفكير الساذج في موارد كثيرة في الكتاب العزيز!

بل أن مفسرينا ووفاقاً لما جاء به القرآن المجيد أعطوا للعقل دور الاهتداء إلى الحق وآياته صفة أتباع الحق: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]. ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:١٠]. وهناك إشكال يثيره مفسرو أهل السنة تجاه الجانب العقلي ومنها حملهم على استخدام الأساليب المنطقية وأنها لو كانت طريقاً موصلاً لم يقع الاختلاف بين أهل المنطق؟!

ونجيب أن الخطأ إنما وقع في استعمال المنطق وليس في المنطق نفسه، فالمنطق هو آلة الاعتصام عن الخطأ في التفكير، وذلك كالسيف فإنه آلة القطع ولكن لا يقطع إلا عن استعمال صحيح[1].

٢ ـ وحدة القرآن ووحدة سياق سوره:

ومعناه تحديد الإطار العام والسياق لكل سورة، ووحدة سياق الآيات

---

(١) للمزيد انظر الميزان ـ للطباطبائي ـ ٥/٢٥٦.

وذلك أن القرآن الكريم يدور حول محور واحد وهو التوحيد، كما أن هدفه هو هداية وبناء الإنسان والحضارة الإنسانية. وعلى ضوء ذلك نجد أن كل سورة تكاد تكون منصبة على موضوع وغاية محددة.

وعليه يمكن للمفسر ابتداءً أن يحدد الإطار المناسب مع سياق آيات كل سورة من خلال قراءة ومتابعة متأنية ومتفحصة بحيث يتجه البحث والتفسير نحو قناة محددة، وفي نتائج التفسير والتدبر القرآني يعقد مقارنة بين منهجية سياقه الذي استنبطه لا برأيه كما عند الآخرين بل عبر ومن واقع آيات نفس السورة فإن وافق ذلك كان هو المراد القرآني، وإلا عولج على ضوء السياق العام للقرآن الكريم!

وحتى لا يتحول التفسير تطبيقاً لمسبقات فكرية ومذهبية، وهي كثيراً ما ينبه عليها مفسرونا ـ بحيث لا يستطيع المفسر والمتدبر أن يصل إلى التفسير القرآني الصحيح إذ يمكن لتلافي ذلك إتباع الخطوات المتالية:

١ـ الموضوعية في ربط الآيات القرآنية بالسياق:

ويتم ذلك عبر البحث والتنقيب وبذل الجهد، فالمفسر الذي يستطيع أن يكتشف العلاقة بين الآيات والمحور العام للسورة، فإنه سوف يتخلى عن خلفياته المسبقة ولو تدريجياً، تاركاً الأمر للسياق وقيادته. والأمثلة على ذلك كثيرة:

إذ يمكن التمييز بين المكي والمدني مثلاً ـ والذي وقع فيه تفاسير مختلفة ـ فإذا شهد السياق بأن مضامين هذه الآيات تناسب ما كان يجري عليه الحال في مكة أو في المدينة فهي مكية أو مدنية على الترتيب[1].

وفي مورد آخر نردّ على قول الزمخشري حين فسّر العباد في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]. بأنهم المخلصون والمعصومون،

---

(١) انظر الميزان: ١٣/ ٢٣٥.

وذلك بأن لازمه كون الله سبحانه رضي بالإيمان لمن آمن، ورضي الكفر لمن كفر إلا المعصومين؟! فإنه تعالى أراد منهم الإيمان وصانهم عن الكفر!!

وعليه فالسياق يأباه كل الآباء بلحاظ صدر الآية وهو قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾[1].

ب ـ التواضع أمام القرآن:

وذلك باستحضار عظمة وإعجاز آياته، وأنه لمن لدن الله الخبير العليم، لا كما مرّ عليك سابقاً من استخدام العقول والآراء الجزافية، وغرور بعض المفسرين كالفخر الرازي وتطرقه إلى أمور ترضية فضلاً عن صرفه وتكلفه وتأويله للآيات على وفق رأيه وأشعريته وهكذا غيره ممن بالغوا بالتفسير بالرأي!

بل أن منهج مفسرينا يخضعوا لنداءات الحق إذا تراءت أمام نواظرهم أوجه، فإذا حدد المفسر إطاراً أو سياقاً ثم انكشف خطأه وقف متواضعاً للقرآن وليعرف أنه أمام كلام الله تعالى، فلا حول له ولا قوة إلا بالاستعانة بآلائه وآياته، فعليه رفض واستعجال فرض فكرته التي يستنبطها بل يجهد نفسه بأن يحاور ويطوف بصفاء بين الأي من يريد، لعل الله تعالى يلهمه البصيرة لاكتشاف الحق والفكرة الأم في السورة من خلال سياقها.

٣ ـ سلامة عقائد المفسر:

وهذا الجانب له دوره الخطير على منهج المفسر، بحيث أنه يقوم كثيراً في تأويل الآيات وفق معتقده وتراثه الروائي؟!

وقد مرّ عليك سابقاً كيف سفّه بل وكفّر الزمخشري، مفسري الأشاعرة وتأويلاتهم الجبرية والتجسيمية والتشبيهية وكان لهم أن يرجعوا ولو إلى اللغة

---

(١) الميزان: ١٧/ ٢٤٠، الزمر: ٧.

والبلاغة ليعصموا من ذلك الانحراف والضلال الذي أدى به معتقدهم الأشعري؟!

وفي نفس الوقت فقد بالغ الزمخشري والمعتزلة من أمثاله في إطلاق عنان العقل والقول بالتفويض مما أوقعهم في متاهات وشطحات لا تقل عن نظائرهم من الأشعرية!

بينما اتخذ علماؤنا ومفسرونا الوسطية بين الجبر والتفويض إعطاء ما هو عقلي ضمن حدود العقل، ومسألة التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وعصمة الأنبياء والأئمة من بعدهم عليهم السلام ورؤية الله عز وجل، خلق القرآن و. . . . الخ.

٤ ـ الرفض الشديد للإسرائيليات:

مرّ عليك سابقاً كيف أن أهل السنة قد تبنوا الإسرائيليات وزكوا أقطابها، بحيث برر ابن خلدون ذلك بل حتى المعاصرون من مفسريهم! فقد رفضوا سنة النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته وتفسير كبار الصحابة من أنهم أهل الذكر، هذا فضلاً عن أن دعواهم بالأخذ من أهل الكتاب مستندة على خبر آحاد بينما هناك ـ كما ذكرنا سابقاً ـ حديث أقوى سنداً وصحة مع مجموعات مستفيضة بالتحذير من الأخذ عن أهل الكتاب وخاصة اليهود؟!!

أما منهج مفسرينا فقد جاء على نقيض ذلك، لأنهم التزموا حديث الثقلين المتواتر واتبعوا السنة الصحيحة المودوعة عند أهل البيت عليهم السلام أو كونهم أهل الذكر. . . !

ومن التجني أن يسمى الرافض للإسرائيليات والموضوعات والرأي المذموم الارتجالي، بالرافضي، بينما كان الأولى أن يسمى ذلك من رفض سنة النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام؟!

وكان من نتائج كثرة الصحائف المسوّدة بالإسرائيليات، أن أثرت حتى على مفسري أتباع أهل بيت النبوة، وقد علمت بأن التفاسير عند السنة جاءت

أن الخلف يخفف ويبرر كثرة الإسرائيليات عند السلف، بينما أخضع المتأخرون عندنا منهج المتقدمين للنقد والتمحيص من غير تبرير ولا تأويل معوج؟!

فكل حديث مهما كان سنده يخضع للعرض على الكتاب فما وافقه فبه أولم يوجد له معارض الموافق للكتاب، وما يمّس ركائز العقيدة وعصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يقيسون نفوس الأنبياء الكرام على سائر النفوس العامية؟!

وأيضاً ما لا يخالف صريح العقل وصحيح النقل؟!

وبناءً على ذلك سوف يأتي التطبيق الصحيح والنقد الصريح والتصدي لكل ما يشم منه أنه إسرائيلي، وإن كان التفسير من أجلاء المفسرين الأوائل!

كما سيأتي أن هناك تفاسير قد وفقت لهذا المنهج القرآني الصحيح، والتي يمكن أن نتحدى بها ونفتخر بنسبُها إلى أهل البيت عليهم السلام والتي عجز غيرنا أن يصل إليها بكثرة تفاسيره ومختلف رجاله؟!

فقد رفض كبار مفسرينا الإسرائيليات وإن كانت في منتهى أسنادها من عدة من الصحابة، بل حتى لو نسب القول إلى أمير المؤمنين وإمام ومرجع الصحابة علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن عباس وغيره[1].

بل وقد قام مفسرونا بمقارنة المرويات الإسرائيلية مع نصوص من التوراة، والإنجيل مع نصوص وقصص القرآن الكريم، الأمر الذي يؤدي إلى كشف البصمات اليهودية وتجذرها في مذاهب ومناهج المفسرين من أهل السنة؟!

٥ ـ الامتياز بالإحاطة بظروف النص القرآني:

لا بأسباب النزول فقط والتي لنا عليها عدّة إشكالات بل الإحاطة

---

(١) الطباطبائي ـ الميزان ـ ١١/ ١٦٧ وغيره من المفسرين.

الكاملة على مستوى الأحداث والوقائع أو على مستوى العادات والتقاليد التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي أو على مستوى الأوضاع السياسية والأخلاقية، وتأثير الرواسب في شخصية من التحق بالإسلام ومدى قربه ومعاصرته وسبقه للإسلام وغيرها؟!

هذا إذا علمنا أمية الكثير مع سذاجة وبساطة تلقي البعض أو انشغالهم في الصفق أو بعدهم عن النبيﷺ أو من كان يعدّه النبيﷺ وذلك هو الإمام عليعليه السلام لا ابن عباس أو فلان وفلان؟!!

وبالفعل فقد جاءت الروايات عن أهل البيتعليهم السلام تؤكد بيان إحاطة أحاديثهم بتلك المرحلة أي بزمان نزول الآيات ومن نزلت فيه والمؤهل للتبليغ بها بعد نبيّه بالحقّ. . .الخ!

فإنّ هذا التأكيد لا يراد منه مجرّد بيان سعة علمهم بالأحداث وإنما لبيان ارتباط ذلك بفهم القرآن وتفسيره[1].

وعليه فإن منهجنا التفسيري يحتكم إلى القرآن نفسه، ومسلمات الإسلام، والعقل الصريح والنقل الصحيح في رفضه لكل شواذ الأحاديث وموضوعاتها وإسرائيلياتها؟!!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم ص ٣٤٢ .

القسم الثالث:

مناهجنا في التفسير

المطلب الأول

منهجنا ودور العقل

عرفت سابقاً مدى التخبط والخلط الذي وقع فيه مفسرو أهل السنة، من موقفهم تجاه العقل!

وقد ظهر ذلك من خلال موقف الإمام الأشعري تجاه المعتزلة والإمامية وبالخصوص الحسن والقبح الذاتيين. وقد أثر ذلك كما مرّ من تعاملهم مع موضوعات وإسرائيليات الأحاديث، كذلك اعتمادهم على الرأي الجزافي الارتجالي، والذي لم يكن إلا ضرباً من الهوى والاستحسانات المنهي عنها حتى في كتبهم كما ورد عن النبي ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فقد اخطأ؟!»[1].

أما منهج مفسرينا فقد بينوا أن المراد مثلاً من هذا الحديث مثلاً أنه القول بغير علم، بناءً على حديث آخر لقوله ﷺ: «من قال في القرآن بغير

---

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه!

علم فليتبوأ مقعده من النار»[1]. نعم يرد هذا التفسير المنهي عنه على من يفسر القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي فيقيس كلامه تعالى على كلام الناس، ويؤيده ما نهى الله تعالى القول بغير علم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ ولكنه لا يشمل هنا حديث النهي، منهج التفسير العقلي إذا روعي فيه ما يحتاجه المفسر من الأدوات اللازمة في التفسير، ومنهج أهل البيت في الاجتهاد، دون ما فسر به علماء أهل السنة أن الاجتهاد هو الرأي!!

المطلب الثاني

منهج تفسير القرآن بالقرآن:

أن السنة وإن كانوا قد قالوا بهذا المنهج، إلا أنهم أخفقوا أيضاً في هذا المجال، ذلك لأن مفسريهم لم يتمكنوا من التخلص من عقدة غلوهم برجالهم وصحاحهم المدعاة، مما دعاهم إلى تطبيق ذلك وحكومتهم على القرآن بها، وهذا يعني عدم اهتمامهم بقرن الآيات بعضهما ببعض وإرجاع المتشابهات إلى المحكمات وأمثالها!!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بينما في المقابل فقد وفق مفسرو أتباع أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال أيما توفيق نتيجة سلامة المنهج وصفاء مصدره الذي اعتمد على القرآن أولاً وآخراً والانطلاق منه إلى الواقع الخارجي وما يحمله من استفسارات باعتباره النور والضوء والدليل لغيره لا العكس!

نموذج من منهجنا ذلك ما جاء عن العلامة الطباطبائي (قده)[2]:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.

(٢) القرآن في الإسلام، ص٦٨.

تكرر مضمون هذه الآية الكريمة في أربعة مواضع من القرآن، وبحسب هذا المضمون فإن جميع المخلوقات الموجودة في الكون هي خلق الله تعالى وصنعه.

ويجب أن لا تغرب عنا هذه النكتة أن في مئات من الآيات صدق موضوع العلية والمعلولية ونسب فيها فعل كل فاعل إليه، واعتبرت الأفعال الاختيارية من أفعال الإنسان نفسه وخصت الآثار بالمؤثرات كالإحراق بالنار والنبات إلى الأرض والمطر إلى السماء وغيرها.

والنتيجة أن صانع كل شيء وفاعله يُنسب فعله وصنعه إليه، إلا أن مفيض الوجود والموجد الحقيقي للفعل هو الله تعالى فقط وليس غيره.

ولكنك تجد أن كبار علماء السنة وعلى رأسهم الأشعري وقع في متاهة الخلط ونسب كل فعل خيراً كان أو شراً إلى الله سبحانه وعليه فلا ذنب ولا شيء على الإنسان وله؟!

وذلك عندما فسر قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

بينما المنهج القرآني السليم لمفسري أهل البيت عليهم السلام يأتي منسجماً ضمن المنظومة القرآنية المفسرة بعضها لبعض، فعند ضم الآية السابقة إلى آية ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

نجد أن الجمال والخلقة قرينتين، فكلما وجد في عالم المخلوقات من خلق كان موصوفاً بالجمال.

وهذا يعني أن الآيات القرآنية تعترف بالخير مقابل الشر والنفع مقابل الضرر والحسن مقابل السيء والجمال مقابل القبيح، وتعتبر كثيراً من الأفعال والأقوال والأفكار حسنة أو سيئة، ولكن هذه المساوىء والقبائح والشرور تبدو واضحة إذا قيست بما يقابلها، فوجودها نسبي وليس بنفسي.

مثلاً الحية والعقرب مؤذيتان، ولكن بالنسبة إلى الإنسان والحيوانات،

التي تتألم من سمها لا بالنسبة إلى الحجر والتراب، والشيء المر، والرائحة الكريهة ينفران ولكن بالنسبة إلى ذائقة الإنسان وشامته، لا بالنسبة إلى كل الحيوانات، وبعض الأعمال والأقوال تبدو شاذة، لكن بالنسبة إلى البيئة التي يعيش الإنسان لا بالنسبة إلى كل البيئات.

نعم لولم نلاحظ النسبة والقياس وننظر إلى الأشياء بنظرة مطلقة نراها في منتهى الجمال ونرى الوجود آخاذاً يلفت النظر ولا يمكن وصف حسنه وجماله، لأن الوصف نفسه من الخلق الجميل الذي يحتاج بدوره إلى وصف.

والآية المذكورة أعلاه تريد صرف الأنظار عن وجوه الجمال والقبح النسبية والقياسية والاعتبارية لتوجهها إلى الجمال المطلق وتجهز الإفهام لإدراك الكلي والعموم الذي هو الأهم.

نعم إذا ما أدركنا النقاط المبينة في مئات من الآيات القرآنية التي تصف عالم الوجود بكل جزء جزء منه وبمجموعة مجموعة منه وبمختلف أنظمته الكلية والجزئية ـ لنرى أنه أحسن دليل على التوحيد وأعظم مرشد إلى معرفة الله تعالى وكمال قدرته.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وعليه فلو تأملنا في الآيتين المذكورتين سابقاً وامعنا النظر فيه سبق من التفسير نعلم أن هذا الجمال المحيّر الذي ملأ عالم الوجود كله إنما هو لمحة من الجمال الآلهي ندركه نحن بواسطة الآيات السماوية الأرضية، وكل جزء من العالم كوة ننظر منها إلى القدرة اللامتناهية لنعرف أن ليس لهذه الأجزاء شيء من القدرة إلا ما أفيض عليها!!

ولهذا نرى في آيات قرآنية كثيرة نسبته أنواع الجمال والكمال إلى الله تعالى، فنقول:

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المؤمن: ٦٥].

و ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

و ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

و ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

و ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الاسراء: ١].

و ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

فبمقتضى هذه الآيات كل جمال وكمال نراه في عالم الوجود هو في الحقيقة من الله تعالى وليس لغيره إلاّ المجازية والعارية!

وتأكيداً لما مضى ذكره يوضح القرآن بأسلوب آخر أن الجمال والكمال المودع في مخلوقات العالم إنما هو محدود متناهي، وهو عند الله تعالى غير محدود، وليس له نهاية، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

و ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١].

وهكذا وقد ذكرنا سابقاً أن السنة قد وقعوا بالتشبيه والتجسيم والحيرة في صفات الله تعالى بينما لو أرجعوا آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ إلى الآيات الأخرى على حسب منهجنا لما وقعوا في تلك الضلالات والاشتباهات؟!

نتائج المنهج المعتمد:

وهو أنّ التفسير الواقعي والموضوعي عند مفسري أهل البيت للقرآن الكريم هو التفسير الذي ينبع من التدبر في الآيات الكريمة وضم بعضها إلى بعض. وهو يعتمد على إحدى طرق ثلاث:

١ ـ تفسير الآية لوحدها بالمقدمات العلمية وغير العلمية التي نملكها.

٢ ـ تفسير الآية بمعونة الأحاديث المأثورة عن المعصومين.

٣ ـ تفسير الآية بالتدبر والدقة فيها وفي غيرها والاستفادة من الأحاديث الصحيحة!

٤ ـ الإحاطة بظروف النص القرآني.

والمنهج الثالث في اعتقادنا هو المنهج الذي حث عليه النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فيما أثر عنهم، قال ﷺ: «وإنما نزل ليصدق بعضه بعضاً» وقال علي عليه السلام: «ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض».

ملاحظة:

إن هذا المنهج ليس في شيء من التفسير بالرأي المنهي عنه والذي تورط فيه مفسرو أهل السنة، رغم الحديث النبوي الصحيح «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»!

أما الطريقة الأولى: فقد اعتمدها مفسرو أهل السنة وهي في الحقيقة من قبيل التفسير بالرأي الذي لا يجوز، إلا ما كان على منهجنا الذي اخترناه في المنهج الثالث!

أما الطريقة الثانية: فهي التي كان يعتمدها علماء التفسير في الصدر الأول وكان العمل عليها عدة قرون، وهي الطريقة المعمولة حتى الآن عند فريق الإخباريين من الشيعة، بينما هي المنهج والطريقة الغالبة عند السنة، خاصة وأنهم غالوا برجالهم وصحاحهم هذا بالإضافة إلى الاستعانة بأحاديث الاعتماد على الإسرائيليات وتبني أقطابها وهي أخبار آحاد ضعيفة، بينما في المقابل توجد عندهم أحاديث أكثر صحة ومستفيضة بالحذر من الأخذ بالإسرائيليات!!

كذلك أن هذا المنهج محدود لا يفي بالحاجات غير المحدودة، لأن ستة آلاف وعدة مئات من الآيات الموجودة في القرآن الكريم، تقابلها مئات الألوف من الأسئلة العلمية وغير العلمية، فمن أين أين نجد الإجابة على هذه الأسئلة وكيف نتوصل إلى تفسيرها؟

فهل تسعفنا الأحاديث في ذلك؟!

أن ما يمكن تسميته بالحديث النبوي في التفسير، المروي عن طريق أهل السنة لا يزيد على مائتين وخمسين حديثاً...؟!

مع العلم أن كثيراً من هذه الأحاديث ـ كما مرّ عليك ـ ضعيفة الأسانيد، وبعضها منكرة ومليئة بالإسرائيليات بحيث نكرها بعضهم على بعض!

نعم الأحاديث المروية عن أهل بيت النبوة ﷺ تبلغ عدة آلاف حديث، وبأهم شرط وهي موافقتها لكتاب الله تعالى والتي أخضعناها للنقد والتمحيص ولم نغلُ بها، بحيث يمكن الاعتماد عليها، لسدّ نقص التفسير ولو بشكل غالب.

لأنه يوجد رغم ذلك آيات لم يرد فيها أحاديث أصلاً؟!

ففي المنهج الذي اعتمده السنة ـ كما مرّ عليك سابقاً ـ سواء بالغلو برجالهم وأحاديثهم وإن حشوها بالإسرائيليات والموضوعات وكل غث وسمين، أو في جانب آخر هو الأخذ بالرأي الارتجالي الجزافي الذي سموه اجتهاداً؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

منهجنا المعتمد:

أما منهجنا فقد جاء منسجماً مع ما دعا إليه القرآن الكريم نفسه من التدبر في آياته حيث أن الله تعالى ذكر أن الكتاب فيه تبيان كل شيء، لو أحسنا التدبر فيه بقرن بعضه مع بعض ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

لا كما عمد إليه أهل السنة من الطعن بالقرآن بأنه لا يفي كل الأحكام والمواقف فإذا لم يسيّروه بأحاديثهم، قاموا بفرض استحساناتهم وقياساتهم وغيرها لتفسير وتوجيه آيات الكتاب العزيز؟!

بينما منهجنا الذي يجعل من القرآن المحور والميزان للانطلاق منه إلى

الواقع والإجابة على كل طروحاته ومستجداته، لأنه النور والمنوّر لغيره لا العكس!

وعلى ضوء ذلك كان منهجنا مساوقاً لقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] وقوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٢] وكذلك ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨].

هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً من منهج عرض الأحاديث على القرآن الكريم[1]. بل وعرض النفس وكل الحقائق ووزنها بميزان القرآن المجيد!

ومن البديهي أن مضمون هذه الأحاديث يصح بشرط أن لو كانت الآيات تدل على مرادها ويكون لمدلولها ـ وهو التفسير ـ اعتبار، فلو رجعنا لمعرفة محصل مدلول الآية ـ وهو التفسير ـ إلى الحديث لم يبق موضع لعرض الحديث على القرآن.

وبالنتيجة فإن هذه الأحاديث ـ روايات العرض ـ أحسن شاهد على أن الآيات القرآنية كبقية ما يتكلم به المتكلمون لها مداليلها، وهي في نفسها حجة مع غض النظر عن الأحاديث الواردة في التفسير!

وهكذا تتوضح معالم المنهج الذي سار عليه مفسر وأهل البيت عليهم السلام وهو ملاحظة الأحاديث الواردة في التفسير عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيته عليهم السلام والغور فيها ليعرف طريقتهم، ثم يفسر القرآن الكريم على ضوء المنهج الأهل بيتي، الذي يعتمد على المصدر الأول والأهم وهو القرآن العزيز ثم السنة الصحيحة المنسجمة معه بعد عرضها عليه والأخذ بالموافق منها وطرح ما عداها، وعلى منهج: اعرفوا الرجال بالحق لا العكس، وإن كان الراوي من كبار الصحابة والمحدثين والمفسرين كما في منهج أهل السنة

---

(١) بحار الأنوار ١/ ١٣٧ اختلاف الأخبار وغيرها؟!

عندما غلوا برجالهم الذين تبنوا الإسرائيليات وأقطابها، والموضوعات بحيث وصل الأمر إلى أن التابعي لا يملك إلا محاولة تخفيف ذلك وهكذا كما عرفت سابقاً؟!!

المطلب الرابع

المحصلة

وهكذا يتبين خطا وخطل من قال: «حسبنا كتاب الله» أو من قال أن القرآن واضح لا يحتاج إلى تفسير، وأن النبي ﷺ «بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه» واستدل على ذلك ببعض الآيات والآثار، وقال: إن النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً. كذلك الادعاء بعدم وجود تأويل[1]؟!

أما منهجنا فإنه لا يعتمد على ارتجالات وجزافيات عقول الرجال، أي كل من برز في مجال هرعنا إليه وأخذنا بتفسيره كالطبري والبيضاوي و...و...الخ. أو كل من يدّعي أنّه الوحيد القيّم على الكتاب وتفسيره؟!

بل ينحصر عندنا المنهج بالنبي المرسل ﷺ وأهل بيته، وما زاد على ذلك فلا حجة له علينا.

لأن للقرآن ظاهر وباطن لا يعرفه إلا المعصوم، أما قول غيره فليس بحجة، نعم إذا أيدها بظواهر القرآن الكريم وليس نادرة وصعبة المنال إلا لمن له حظ عظيم وهداية مباركة!

بل حتى أن كثيراً من الظواهر تحتاج إليها بمباركة كلام أهل البيت عليهم السلام وبيانهم وإلا لِمَ كل هذا التخبط والزلل والشطحات وغيرها في تفاسير المسلمين ومن غالوا برجالهم وصحاحهم، بحيث تنطعوا وتكلفوا ولم

---

(١) الشيخ الإعرابي ـ ابن تيمية ـ مقدمة في أصول التفسير المقدمة.

يتوصلوا إلى مراد أو التفسير الصحيح للعقائد، كما في مسألة الجبر والتفويض مثلاً؟!

والقرآن الكريم بين أيديهم وكبار الصحابة وعلماء اللغة، فضلاً عن صحاحهم المدعاة، فقد انكشف أيضاً أن ظواهر القرآن لا تكفي لوحدها!

وقد علمت كيف أن أهل البيت هم فقط وفقط من اكتشفها وكشف عن تفسيرها؟!

وهكذا القضاء والقدر، حيث فسروا كل شيء بقضاء وقدر بمعنى الجبر كما ذهب إليه الأشاعرة المجبرية. بينما منهج أهل البيت يقول: نعم كل من عند الله تعالى، ولكن لا بمعنى الجبر، بل أن النتيجة مترتبة على هذه المقدمات، أي جعل الإحراق مترتباً على النار. نعم إلا إذا شاء الله عز وجل للمعجزة وللكرامة وغيرها!

وأيضاً مفهوم البداء الذي يشن فيه أعداء أهل البيت حملتهم جهلاً وتعصباً!

ولكن حسب منهجنا أن الكون محكوماً بقوانين وهذه بدورها محكومة للقدرة الإلهية، في أي وقت يشاء ويريد يبدو له أن يوقف هذا القانون وهنا تبرز أهمية الدعاء. صحيح الماء كقانون يرفع العطش ولكن هذا القانون يستطيع الخالق أن يقف أمامه بأن تشرب وتشرب حتى تنفجر ولا ترتوي. وهذا هو قانون البداء، أما أنه متى يبدأ؟ وليس ذلك جزافاً، كما شطح بذلك الأشاعرة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فقد قالوا بالإرادة الجزافية؟!

ولكن حسب نظرتنا الأهل بيتية: فإن الله تعالى أبى إلا أن يجري الأمور ضمن نظامها، لكن هناك بعض القوانين لا نستطيع أن نفهمها وعبر عنها بالروايات وبالأسماء المستأثرة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ حتى لمقام الرسالة؟!

وإلا لكنا نتخبط كما تخبط أولئك في تفاسيرهم، ومنها أيضاً صفات الحق تعالى فالله تعالى عالم بتصريح القرآن وهكذا بقية الصفات كالسمع والبصر والحياة والإرادة. . .الخ.

فجاء الخبط والخلط بين إفراط الأشاعرة كما علمت، وتفريط المعتزلة حيث قالوا أنه تعالى يقوم بعمل العالم وليس بعالم، عمله عمل العالم، عمله بعمل القادر؟! والقرآن بين أيديهم؟!!

أما ما ذهب إليه مفسرو أهل البيت الذين رجعوا إلى أهل الذكر (الأئمة عليهم السلام حيث قالوا: إن الله تعالى ليس فقط هو عالم بل علمه عين ذاته، لقول علي عليه السلام «لشهادة كل صفة إنها غير موصوفة. . .» أي غير زائدة؟!

بل حتى لو عذرنا القوم ضعف مرتكزاتهم عن أن هذه من عويصات وصعاب مسائل علم الكلام فإننا وجدناهم لم يوفقوا حتى في تفسير كثير من ظاهر الآيات القرآنية عندما وقعوا في التجسيم والتشبيه، الأمر الذي كفّر فيه الزمخشري أهل السنة عندما لم يتمكنوا حتى من تفسيرهم بأبسط الوسائل مثل القواعد البلاغية التي كان يفهمها أبسط إنسان يعيش في الأواسط الإسلامية، كالكناية والتشبيه وغيرها من القواعد البلاغية؟!

وعلى ضوء ذلك نخلص إلى سلام منهجنا المرتكز على الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم أهل الذكر. . . والعدل القرآني لحديث الثقلين «ما إن تمسكتم بهما» حيث لا يكفي التمسك بالقرآن بغير العترة، أي بهذه الثنائية المباركة؟!

وهكذا تتوضح معالم الميزان والمقياس للمنهج المتبع عندنا، ولكننا لا ننكر ما أصاب محبي أهل البيت عليهم السلام من ظروف المطاردة والقتل والتنكيل، الأمر الذي فرض عليهم التقية التي أدت إلى وجود ثغرات وقنوات كان يستغلها ويغمز منها جلّ المخالفين للنيل من شيعة أهل البيت عليهم السلام؟!

لذلك سوف نقوم بمحاكمة جلّ تفاسيرنا وفق المنهج الأهل بيتي ولو صدر من كبار الأصحاب والعلماء، لمعرفتنا الرجال بالحق لا العكس، وأن تعرف الحق تعرف أهله!!

وأخيراً:

يمكن القول ـ وبكل فخر واعتزاز بل ومسؤولية وأمانة، أن من نتائج منهج أهل البيت المبارك إن ظهرت تفاسير تحدت بل وأعجزت مفسري أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين على أن يأتوا بمثل ما جاء به مفسرو أتباع أهل البيت عليهم السلام مثل تفسير مجمع البيان للطبرسي، وتفسير آلاء الرحمن، للبلاغي، وتفسير شبر، وتفسير الميزان الكبير، وتفسير الأمثل، والفرقان... وسيأتي بيان ذلك مفصلاً!!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الرابع:

أشهر كتب التفسير

المطلب الأول

التفسـير بالمأثـور

١ ـ تفسير العياشي:

تأليف أبي النظر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، المتوفى سنة (٣٢٠) كان من أعلام المحدثين، سمع منه جماعة من شيوخ الكوفيين والبغداديين والقميين، كانت داره معهد علم ودراسة.

قال ابن النديم في الفهرست[1]: أنه من بني تميم من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم.

كان في حداثة سنه عامي المذهب (أي من أهل السنة) ثم استبصر (أي صار على مذهب أهل البيت عليهم السلام، وخدم الإسلام في مصنفاته الكثيرة وعلمه العزيز.

وله كتاب «التفسير» جمع فيه المأثور من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أساء

---

(١) نقلاً عن التفسير والمفسرون في ثوبة القشيب ـ الشيخ محمد هادي معرفة ـ ٢/ ٣٢٥.

ناسخه عندما أسقط الأسانيد، وانتصر على متون الأحاديث، ولكن هناك بعض المتقدمين، نقلوا منه أحاديث بأسانيد كأدلة، منهم الحافظ عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحسكاني النيسابوري من أهل السنة من أعلام القرن الخامس[1].

منهجه في التفسير:

إنه يسترسل في ذكر الآيات في ضمن أحاديث مأثورة، عن أهل البيت عليهم السلام، ولا يتعرض لنقدها جرحاً أو تعديلاً، تاركاً ذلك إلى عهدة الإسناد التي حذفت مع الأسف ويتعرض لبعض القراءات الشاذة المنسوبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام مما جاءت في سائر الكتب بأسانيد ضعاف أو مرسلة لا حجية فيها، والقرآن لا يثبت بغير التواتر أو حسب منهجنا في التفسير يؤيده بعد العرض على الكتاب، ومساوقته للسياق العام أو جوهر القرآن؟!

فمثلاً نراه عندما يتعرض لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨] فإنه يسندها إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قرأها: «حافظوا على الصوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر» ثم قال: وكذلك كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله!

إلا أن وعاظ الحكام وأتباعهم ونتيجة أنهم كانوا السبب في خلق أمثال هذه الظروف قاموا بخدع الأمة إرضاءً للحاكم، وتشويهاً للمعارضة، وذلك برمي الآخرين بأنواع التهم الباطلة. علماً أن أمثال هذه التأويلات الفاسدة موجودة عندهم كما مرّ عليك سابقاً؟!

كذلك مما ذكره العياشي في تفسيره، أنه يذكر تأويلاً للآية: وهي أن الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله، وعلي، وفاطمة، وابناهما ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾: طائعين للأئمة عليهم السلام[2].

---

(١) م.س نفسه ٢/ ٣٢٣.

(٢) تفسير العياشي ١/ ١٢٧، ١٢٨.

وهذا في المقابل تجده في كثير في تفاسير أهل السنة كما مرّ عليك وكما سيجيء في تأويل بل وتفسير الآيات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام والمهدي القائم (عج)!!

ومع ذلك نقول وإن كان لهذا التأويل وجه ومجال إلا أننا وقد أسسنا المنهج الأهل بيتي سابقاً، أنه لم يراع ضوابط التأويل الصحيح، من كونه مفهوماً عاماً منتزعاً من الآية بعد إلغاء الخصوصيات ليكون متناسباً مع ظاهر اللفظ وإن كان دلالته عليه غير بيّنة!

٢ ـ تفسير القمي:

منسوب إلى أبي الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم القمي المتوفى سنة (٣٢٩) من مشايخ الحديث، وأنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، وحدثته حسن الحال.

وهذا التفسير، هو من صنع تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى بن جعفر مع قسط وافر من تفسير أبي الجارود زياد بن المنذر السرجوب المتوفى سنة (١٥٠) كان من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وهو رأس الجارودية الزيدية.

ووفق ما حققنا فإن معاوية وشيعته وهكذا كل حاكم ادعوا لأنفسهم أنهم أهل السنة تكلفاً وادعاءً ورموا المعارضة بأنواع التهم والتشويه فضلاً عن التنكيل كما حصل لأتباع أهل البيت وأتباع الشهيد المظلوم زيد بن علي (رض) بل وحتى الجارودية والحرورية وغيرهم!

ورغم ذلك لم نجد من مشايخنا العظام من اعتمد على هذا التفسير أو فضل منه!

علماً أن هذا التفسير في ذاته تفسير لا بأس به، يعتمد ظواهر القرآن ويجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ في إيجاز واختصار بديع، ويتعرض

لبعض اللغة والشواهد التاريخية لدى المناسبة واقتضاء الضرورة. ومعناه أنه يمتاز رغم ذلك على أمهات تفسير أهل السنة التي بسببها هاجمهم الزمخشري لسوء استفادتهم حتى من ظواهر الآيات وتفسيرها وفق اللغة وبلاغتها، إلا أننا نسجل بعض الملاحظات على هذا التفسير: من أنه لم يراع منهج أهل البيت عليهم السلام في عرض الأحاديث على القرآن الكريم، حيث أنه نقل من الأحاديث رغم ما بلغ الإسناد من ضعف ورهن أو اضطراب في المتن، وبذلك نراه قد خرج بذلك حتى عن منهجه وأسلوبه الذاتي فنراه ينكر بعض المناكير مما ترفضه العقول، ويتحاشاه أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام ولكنه بحق قليل بالنسبة إلى سائر ما جاء في تفسيره، فالتفسير في مجموعة تفسير متميز لولا وجود هذه القلة من المناكير؟!

٣ ـ تفسير الحويزي (نور الثقلين):

تأليف عبد علي جمعة العروسي الحويزي، من محدثي القرن الحادي عشر المتوفى سنة (١١١٢) كان على مشرب الإخبارية، كان محدثاً فقيهاً، وشاعراً أديباً جامعاً، سكن شيراز وحدث بها، وتتلمذ على يديه جماعة، منهم السيد نعمة الله الجزائري وغيره.

وبما أنه كان يحمل النزعة الإخبارية، الشبيهة عند أهل السنة بالحشوية، فقد جمع ما عثر عليه من روايات منسوبة إلى الأئمة عليهم السلام مما يرتبط نحو ارتباط بأي الذكر الحكيم، تفسيراً أو تأويلاً، واستشهاداً أو تأييداً. وفي الأغلب لا مساس ذاتياً للحديث مع الآية، هذا فضلاً عن ضعف الأسانيد أو إرسالها إلى القليل المنقول من المجاميع الحديثية المعتبرة في كتبنا. ثم أنه لا يتعرض لنقد الروايات وعلاج معارضتها.

يقول المؤلف في مقدمة تفسيره معترفاً: «وأما ما نقلت من ظاهره يخالف لإجماع الطائفة، فلم أقصد به بيان اعتقاد ولا عمل، وإنما أورثه ليعلم المناظر المطلع كيف نقل وعمن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرجه من

ذلك، مع أني لم أخل موضعاً من تلك المواضع عن نقل ما يضاده، ويكون عليه المعوّل في الكشف والإبداء».

وحسب منهجنا النقدي الشديد الذي يعرف الرجال بالقرآن لا العكس، كذلك الانطلاق من القرآن لا من الواقع الخارجي أو ما تحمله من مسبقات مذهبية قدسناها وقدسنا رجالها كما فعل أهل السنة؟!

فلم نعذر أو نبرر للمفسر من السلف ذلك كائناً من كان إذا خالف أسس وقواعد منهج أهل البيت عليهم السلام لئلا يتناقض أو يفرط أو يغالي!

وهكذا نرى أنه قصّر في ذلك، إذ كان من وظيفته الإعلام والبيان لمواضع الإبهام والإجمال، كما فعله العلامة المجلسي في بحار أنواره، إذ رُبَّ رواية أوهنت من شأن الدين، فلا ينبغي السكوت عليها والمرور بها مرور الكرام مما فيه إغراء للجاهلين أحياناً، بل حتى لبعض المفسرين أو من مع كل ظروف الطعن والتشويه لسنة أهل البيت عليهم السلام تراه متذبذباً أو ربما يخجل من تراثه، ويتهيب أمام تراث الآخرين، وذلك عندما يطلع على أمثال هذه الروايات التي توهن العقيدة بإضعاف مقام أهل البيت عليهم السلام غلواً أو وهناً، فلم يكن ينبغي نقل الرواية وتركها على عواهنها، الأمر الذي أوجب مشكلات جمة في عقائد المسلمين.

من ذلك أنه يذكر في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] رواية تشوهه موهونة، ونسبها إلى الإمام الصادق عليه السلام: «فالبعوضة: أمير المؤمنين، وما فوقها: رسول الله»[1].

كذلك أنه مما يؤخذ عليه أيضاً تأثره بإسرائيليات وموضوعات أهل السنة التي سودت تفاسيرهم، كما في قصة هاروت وماروت وغيرها[2].

---

(١) نور الثقلين ١/ ٣٧.

(٢) نور الثقلين ١/ ٩١.

وهكذا يذكر الأحاديث تباعاً من غير تمحيص وتدقيق، ونظر في الإسناد والمتون من غير مقارنتها مع أصول منهج ومقام أهل البيت أو دلالة العقول. هذا فضلاً عن عظمة ورفعة شأن القرآن الكريم، الذي نزهناه عن الإسرائيليات والرأي؟!

٤ ـ تفسير البحراني (البرهان):

هو السيد هاشم بن سليمان بن اسماعيل الحسيني البحراني الكتكاني، وهي قرية من قرى توبلى من أعمال البحرين المتوفى سنة (١١٠٧) كان من المحدثين الأفاضل متتبعاً للأخبار جماعاً للأحاديث، من غير أن يتكلم فيها بجرح أو تعديل أو تأويل ما يخالف العقل أو النقل الصريح، كما هو دأب أكثر الإخباريين وأمثالهم من حشوية السنة وأهل حديثهم.

ومما يؤخذ عليه في تفسيره هذا يعتمد كتباً لا اعتبار بها أمثال: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام الذي هو من صنع أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي بن محمد بن سيار الاستربادبين. وكذلك كتاب «سليم بن قيس الهلالي» المدسوس فيه بما لا يليق، سواء من الأعداء أو الأصدقاء، وغير ذلك من الكتب التي لا اعتبار فيها عندنا، فضلاً عن ضعف الإسناد أو الإرسال في أكثر الأحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.

فمثلاً أنه في تفسيره يسند القول إلى الإمام المعصوم إسناداً مباشراً رأساً في حين أنه وجده في كتاب منسوب إليه حيث يقول: قال الإمام أبو محمد العسكري في تفسير الآية كذا وكذا، الأمر الذي يتناقض مع المنهج التفسري لأهل البيت عليهم السلام فضلاً أنه مما ترفضه شريعة وأمانة الاحتياط في الدين[1]!

منهجه في التفسير:

بدأ المؤلف بمقدمة يذكر فيها فضل العلم والمتعلم أو فضل القرآن،

---

(١) راجع تفسيره ١/ ٧٣ و٧٩ و٨٧ و٩١ وهو كثير منتشر في الكتاب.

وحديث الثقلين ـ الذي رفضه رافضة أهل السنة ـ والنهي عن التحضير بالرأي الذي غالى به العامة، وبين أن للقرآن ظاهراً وباطناً.

ونحن إذ نضع كل الموروث على محك النقد، لا نقصد أن هذا الكتاب ساقط كله، بل فيه من الأحاديث الغرر والكلمات الدرر، الصادرة عن أهل بيت الهدى والوحي، ما يروي الغليل، ويشفي السقيم، ولكن نرى أن الكتاب بحاجة إلى تمحيص ونقد وتحقيق ليمتاز أكثر بعد صوابية هدفه بإتباع حديث الثقلين ورفض الرأي وحتى يحذر من الإسرائيليات التي غرته من تفاسير أهل السنة؟!

فالكتاب بمجموعة موسوعة فريدة، جمعت في طيّها الآثار الكريمة التي زخرت بها ينابيع العلم والهدى، يجدها الباحث اللبيب والمنقب الذي يراعي منهج أهل البيت عليهم السلام لينخل ما فيه من الغث والسمين!

٥ ـ تفسير الصافي:

للمولى محسن محمد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني، المتوفى سنة (١٠٩١) هو المحدث الفقيه، والفيلسوف العارف، ولد بكاشان، ونشأ بها نشأة علمية راقية له تفسير كبير ومتوسط وموجز، وسميت على الترتيب بـ«الصافي والأصفى والمصفى».

يعتبر تفسيره مزجاً من الرواية والدراية، تفسيراً شاملاً لجميع أي القرآن الكريم، وقد اعتمد المؤلف في نقل عباراته على تفسير البيضاوي لذلك راح يخفف عنه تراكمات وظلمات الإسرائيليات ودفعها عنه تأويلاً عقلياً فلسفياً. كما وكان الأساس فيه النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

منهجه في التفسير:

يعتمد اللغة أولاً ثم الأحاديث أحياناً، وبعد ذلك يتعرض للمأثور من روايات أهل البيت عليهم السلام، لذلك كان له الثقة التامة في نقل الأحاديث بلا تحري ويتخلّى بنفسه لمجرد ذكر مصدر الحديث، الأمر الذي يؤخذ عليه أنه قد

مرت ظروف قاسية سياسية على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، مما أدى إلى اعتماد منهج العرض على القرآن، ومما يتناسب مع صدور أي حديث عن العترة المباركة. هذا فضلاً عن أنه باعتماده على تفسير البيضاوي المليء بالإسرائيليات كما حققناه سابقاً. فمثلاً نراه عندما يذكر قصة هاروت وماروت، من أنهما شربا الخمر وسجدا للصنم وزنيا، نقلاً عن البيضاوي، ومع ذلك فإنه امتاز عليه بأنه كان:

أ ـ يتحسس من الإسرائيليات باعتباره من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ب ـ وباعتباره منزهاً لمقام الملائكة والرسل بل حتى الخالق سبحانه الذي لم ينزهه، أهل السنة بالتجسيم والتشبيه وغيره.

لذلك تراه يحاول أن يبرر للبيضاوي فيؤل ذلك تأويلاً غريباً، يقول: لعل المراد بالملكين: الروح والقلب، فأنهما من العالم الروحاني، أُهبطا إلى العالم الجسماني، لإمامة الحق... الخ.

وهذا التأويل وإن كان أخف ضرراً وإغراءً للمسلمين إلا أننا وحسب منهج أهل البيت عليهم السلام في التنزيه، لا نبرر الإسرائيليات بل نرفضها جملة وتفصيلاً؟!

والعجيب كيف يفوت ذلك على أمثال (الفيض الكاشاني) وهو الفقيه النابه المحقق، من أن ينبذ تلكم الروايات الإسرائيلية المشوهة التي ملأت تفاسير أهل السنة، حتى وإن نسب بعضها إلى أهل البيت افتراءً إليهم، كان الأجدر به أن يتركها دون ارتكاب التأويل.

ومن المؤسف له حقاً أن هناك من بعض علماءنا من أغرتهم أسماء بعض المفسرين وكتب أهل السنة الرنانة وراحوا يستفيدون منها والاعتماد عليها؟!

٦ ـ تفسير المشهدي: (كنز الدقائق بحر الغراب):

للميرزا محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي المعروف بالمشهدي توفي سنة (١١٢٥) وتتلمذ على يد المولى محسن الفيض الكاشاني السابق الذكر، وسار على منهجه في التفسير.

ولكن امتاز على تفسير أستاذه، بأن تفسيره هو حصيلة ما سبقه من أمهات تفاسير أصحابنا الإمامية، جمع فيه لباب البيان، وعباب التعبير أينما وجده.

فقد انتخب من أسلوب الطبرسي في تفسيره، وما استحسنه من الكشاف للزمخشري وحواشي العلامة الشيخ البهائي وقد تحاشى عندما أخذ عن البيضاوي ما في تفسيره من الإسرائيليات خلافاً لشيخه الكاشاني، مثلاً يذكر في قصة هاروت وماروت ما يفنّدها حيث يقول: وما روي أنهما مثلا بشرين وركبت فيها الشهوة... فمحكي عن اليهود؟!

وهكذا في الموضوعات الكثيرة عند البيضاوي وأقرانه، فقد جعلها في معرض الردّ والاجتناب...!

وبالنتيجة، فهو تفسير جامع شامل لجوانب عدّة من الكلام، حول تفسير أي القرآن، الأمر الذي جعله فذاً في بابه، وفرداً في أسلوبه، وممتازاً على تفاسير جاءت إلى ساحة الوجود. وقد قرّضه العلامة المجلسي، والمحقق الخوانساري على تفسيره.

المطلب الثاني

أهم تفاسير آيات الأحكام

١ ـ أحكام القرآن ـ للراوندي ـ (فقه القرآن):

تأليف الفقيه المحدث المفسر الأديب، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي المتوفى سنة (٥٧٣) كان فاضلاً وعالماً جامعاً لأنواع العلوم، له مصنفات مختلفة، فيما يقرب من ستين مؤلفاً، من أجملها: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، وعليه اعتمد ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج. ومنها هذا الكتاب الذي نحن بصدده، وهو من خير كتب أحكام القرآن وأقدمها وأجلها.

وقد جاء على نسق التفسير الموضوعي للآيات المرتبطة بالأحكام، ولكنه غاية في الإيجاز والاختصار بما أوجب إيهاماً في أكثر الأحيان. مثلاً يذكر قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ [النور:٣٦،٣٧] ويروي عن ابن عباس: كل تسبيح في القرآن صلاة. وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: إن الله مدح قوماً بأنهم إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم وبيعهم واشتغلوا بالصلاة.

قال: وهذان الوقتان من أصعب ما يكون على المتبايعين، وهما: الغداة والعشي؟!

وهكذا بحيث يتطلب البحث المزيد من الإيفاء دون مواضع الإيهام والإجمال في الوجيز من كلام المؤلف!

٢ ـ أحكام القرآن ـ للسيوري ـ وكنز العرفان في فقه القرآن:

هو جمال الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الأسدي المعروف بالفاضل المقداد. كان من أجلاء الأصحاب وعظماء المشايخ، عالماً فاضلاً متكلماً محققاً فقيهاً. توفي سنة (٨٢٦) ودفن في النجف الأشرف.

وهو صاحب مؤلفات جليلة وقيّمة، منها هذا الكتاب، ومنها: التنقيح الرائع في شرح المختصر النافع، واللوامع في المباحث الكلامية، وكتابه: النافع في شرح الباب الحادي عشر. وكتابه هذا ـ كنز العرفان ـ كثير الفائدة، متوسّع في البحث على اختصاره!

ويتعرض للمباحث اللغوية والأدبية المتناسبة، في غاية الوجازة والإيفاء، الأمر الذي يدل على سعة اطّلاع المؤلف، وتضلعه في الأدب واللغة والبيان، مضافاً إلى قوة الاستدلال، وصلابته في إقامة البرهان.

٣ ـ زبدة البيان في أحكام القرآن ـ للمقدس الأردبيلي ـ:

هو المولى الفقيه المحقق أحمد بن محمد الأردبيلي المتوفى سنة (٩٩٣) كان أعلم أهل زمانه في الفقه والكلام، عظيم المنزلة رفيع الشأن، صاحب كتاب (مجمع الفائدة) في شرح الإرشاد. وهذا الكتاب مرتب حسب ترتيب أبوبا الفقه، وهو كتاب جيّد عن الترتيب، متين الاستدلال، قوي البرهان.

٤ ـ مسالك الإفهام إلى آيات الأحكام ـ للفاضل الجواد الكاظمي:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد الجواد بن سعد بن الجواد الكاظمي، من أعلام القرن الحادي عشر، وهو أيضاً مرتب حسب ترتيب الفقه، وهو من أبسط التفاسير الفقهية على مشرب أصحابنا الإمامية، ومن أتقنها.

٥ ـ قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر ـ للجزائري ـ:

أحمد بن اسماعيل بن عبد النبي الجزائري المتوفى سنة (١١٥١) وهو من أهم كتب آيات الأحكام وأنفعها، وأشملها لفروع المسائل.

٦ ـ آيات الأحكام ـ للسيد الطباطبائي اليزدي ـ:

هو السيد محمد الحسين اليزدي المتوفى سنة (١٣٨٦) وهو مرتب حسب ترتيب الدر مع مقدمة وجيزة ناقصة.

وقد مرّ عليك سابقاً مدى امتياز كتب آيات الأحكام على تفاسير أهل السنة، لأنها جاءت منسجمة ومطابقة للمنهج القرآني والسنة الصحيحة وقد فصلنا ذلك فراجع.

المطلب الثالث

التفاسير الجامعة

وهي تأتي بعد التفسير بالمأثور، وتشمل الكلام في جوانب مختلفة من

التفسير، لغة وأدباً وفقهاً وكلاماً، حسب تنوّع العلوم والمعارف التي كانت دارجة ذلك العهد.

ومن أهم هذه الكتب هي:

١ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ لأبي جعفر الطوسي (٤٦٠هـ)

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى «طوس» من خراسان. يعد علماً من أعلام الطائفة وشيخها المقدّم وإمامها الأسبق، سباق العلوم والمعارف الإسلامية، والقدوة العليا لمن كتب وألف في شتى شؤون العلوم الإسلامية من فقه وتفسير وكلام، فضلاً عن الأصول والرجال والحديث.

ولقد لقب بشيخ الطائفة، لأنه زعيمها وقائدها وسائقها ومعلمها الأول في مختلف العلوم. ولد بطوس سنة (٣٨٥) وهاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨) أيام زعامة عميد الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد، فلازمه ملازمة الظل، وعكف على الاستفادة منه، وأدرك ابن الغضائري، وشارك النجاشي.

وبعد وفاة شيخه المفيد سنة (٤١٣) وانتقال الزعامة إلى علم الهدى السيد المرتضى، ولازمه وبعد وفاة السيد في (٤٣٦) فاستقل شيخ الطائفة بأعباء الإمامة.

وقد تصدر كرسي الكلام في بغداد بطلب من الخليفة القادر بالله العباسي. ولم يزل شيخنا المعظم في عطائه الكبير، حتى ثارت القلاقل والفتن في بغداد، واتسع ذلك على عهد طغرد بيك أول ملوك السلاجقة، وكان أول ما فعل أن شن الإغارة على الكرخ، وأحرق مكتبة شيعة أهل البيت المباركة، والتي انشأها أبو نصر سابور بن آردشير، وزير بهاء الدولة البويهي.

وكان قد جمع فيها من كتب فارس والعراق واستجلب كتباً من بلاد الهند والصين والروم، فكانت مكتبة ضخمة ثرية، ربما تفوق كتبها على عشرات الألوف وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين!

ويذلك تعرف مدى المظلومية والجنايات الفادحة لا بحق الشيعة فقط بل بحق الأمة الإسلامية أجمع بل البشرية كلها، بعدما أدّت الثغرات والهنات بل الانحرافات عند أهل السنة رغم أن كل الظروف الزمنية كانت معهم وكانوا لها طائعين وساكتين على كل تجاوزات الحكّام بذريعة أنَّ الخروج عليهم أشدّ ضرراً على الدين؟!

وبعدما اضطر شيخنا أبو جعفر للهجرة إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٩) واستفرغ للعكوف على التأليف والتصنيف، وفيها خرجت أمهات كتبه مثل: المبسوط، والخلاف والنهاية في الفقه، والتبيان في التفسير، والتهذيب، والاستبصار في الحديث، والاقتصاد، والتمهيد في الكلام وسائر كتبه الرجالية وغيرها.

التعريف بتفسيره: بحق أنه حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت في عصره، والتي كانت مختصرات، تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً وشاملاً لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن لغة وأدباً، وقراءةً ونحواً، تفسيراً وتأويلاً، فقهاً وكلاماً... ولكل ما ذكره المفسرون من قبل، وحاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

فهو تفسير وسط جامع شامل، حاوياً لمحاسن من تقدمه، تاركاً فضول الكلام فيه مما يمل قارئيه، وهو ما يدل على أمانة جدية وصدقية بل مسؤولية شيخنا أمام القرآن الكريم، لا كما فعله الفخر الرازي كما مرّ عليه من خوضه بأمور لا نفع بها ولا يضر من جهلها نقلاً عن الإسرائيليات التي تبحث عن لون كلب أصحاب الكهف، وصفات عصا موسى عليه السلام وغيرها.

منهجه في التفسير:

فإنه يعد من القلة القليلة من المفسرين المتقنين، والذين فرضت تفاسيرهم على أهل العلم والأجيال. فيأخذ الآية بمختلف علومها وأوجهها، فيبدأ بذكر مقدمات تمهيدية، تقع نافعة في معرفة أساليب القرآن، ومناهج بيانه، وسائر شؤونه، من يرتبط بالتفسير والتأويل، والحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ

ومعرفة وجوه الإعجاز في القرآن، وأحكام تلاوته، وقراءته، وأنه نزل بحرف واحد والكلام عن الحديث المعروف: نزل القرآن على سبعة أحرف. والتعرض لأسامي القرآن، وأسامي سورة وآيات، وما إلى ذلك.

يقول المؤلف في المقدمة: وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجمّع على جميع متون علم القرآن، من القراءة، والمعاني، والإعراب والكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين، كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وذكر ما يختص أصحابنا من الاستدلال بمواضع كثيرة منه، على صحة مذهبهم في أصول الديانات وفروعها. وأنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز والاختصار لكل فن من فنونه، ولا أطيل، فيملّه الناظر فيه، ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

ولنذكر أمثلة على ذلك:

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] يقول: وأعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل. وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضاً أن المعنى من قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أمير المؤمنين فإذا ثبت هذان الأصلان، دلّ على إمامته. ثم أخذ في بيان كون المراد من «الولي» في الآية، هو الأولى بالأمر، لأنه المتبادر من اللفظ، واستشهد قبول العرب وبآيات وأشعار، وشواهد آخر، لا كما فعل مفسرو أهل السنة بخلع وتطبيق مسبقاتهم على القرآن الكريم في التفسير؟!

ثم أخذ في بيان دلالة «إنما» على الحصر، كما أثبت من رواية أكثر المفسرين ـ من الفريقين ـ على نزولها في الإمام علي عليه السلام[1].

---

(١) التبيان، ٣/ ٥٥٩.

مثال آخر في مسألة العقائد: وفي مسألة الصفات والأسماء، واستخدامه للعقل لا بالشكل المعتزلي المفرط والأشعري التفريطي، وما سبب من تهافت وتخبط عند الآخرين، فنراه يذهب مذهب أهل الاعتدال في النظر فيؤول الآيات على خلاف ما يراه أهل الظاهر من الصفاتين من الأشاعرة وأهل القول بالجبر والتشبيه.

٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ أبو علي الطبرسي ـ:

هو أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، نسبة إلى «طَبْرَس». علم شامخ من أعلام الإمامية، علامة فاضل، جامع أديب ومفسر فقيه، تتلمذ لدى مشايخ عصره الأجلاء منهم: الشيخ الطوسي (قده) والشيخ أبو الوفاء الرازي، والسيد أبو طالب الجرجاني، والسيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني، عن الحاكم الحسكاني، وغيرهم من أعلام القرن السادس توفس سنة (٥٦١).

وهو من مفاخر تفاسير الطائفة بل من التفاسير التي تتحدى الآخرين على أن يأتوا بمثله. وكان قد جعل تفسير «التبيان» للشيخ الطوسي أسوة له لأنه كما ذكرنا كان الجامع بلا ملل ولا إخلال، مع زيادات المباني والفروع ومقارنات كثيرة مع أهل السنة، قدم على تفسيره مقدمات سبع، بحث فيها تعداد أي القرآن، وأسامي القراء المشهورين، وذكر التفسير والتأويل، وأسامي القرآن وعلومه وفضله وتلاوته، وأثبت فيها صيانة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان، وبيّن إجماع علماء الإمامية على ذلك، واتفاق آرائهم فيه.

منهجه في التفسير:

أما المنهج الذي سار عليه مفسرنا فهو منهج رتيب يبدأ بالقراءات فيذكر ما جاء عن اختلاف القراءة في الآية، ويعقبها بذكر الحجج التي أسندت إليها كل قراءة ثم اللغة ثم الإعراب، وأخيراً المعنى. وبذلك أصبح تفسيره متميزاً بانسجامه سواء مع السياق العام وسياق السور، وهو الأقرب واقعية من غيره!

وقد يتعرض لأسباب النزول والقصص التي لها بعض الصلة بالآيات. وبحق قد وضع تفسيره على أحسن ترتيب وأجمل تبويب. يقول هو عنه:

... والكلام عن مطاعن المبطلين فيه، وذكر ما ينفرد به أصحابنا (رض) من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه، على وجه الاعتدال والاختصار، فوق الإيجاز ودون الإكثار، إن لم يبق من العلماء إلا الأسماء، ومن العلوم إلا الذماء وهو بقية الروح في المذبوح.

قال: وقدّمت في مطلع كل سورة ذكر مكيّها ومدنيها، ثم ذكرت الاختلاف في مرد آياتها، ثم ذكر فصل تلاوتها... الخ.

ويتابع قوله: ثم أني قد جمعت في عربيّته كل غرة لائحة، وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين، وهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحوي عدة، وللمقرىء بصيرة ـ وللسني استبصاراً ـ وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث محجة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة.

الأقوال الواردة فيه: قال الذهبي بشأنه: والحق أن تفسير الطبرسي ـ بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية[1]، كتاب عظيم في بابه، يدل على تبحّر صحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة ـ وقد أكد ما ذكره الطبرسي في مقدمته إلى أن قال: وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال، وهو ينقل أقوال من تقدمه من المفسرين معزوّه لأصحابها ويرجح ويوجه ما يختار منها.

ثم يتابع الذهبي قوله: غير أنه ـ والحق يقال ـ ليس مغالياً في تشيعه ولا متطرفاً في عقيدته، كما هو شأن كثير غيره، من علماء الإمامية؟!

---

(١) وهل التشيع إلا لحديث الثقلين والآيات في أهل البيت وعلي عليه السلام في مقابل التشيع بسنة الحكام ووعاظهم. ثم إن الشيعة لها عقيدتها المتميزة على المعتزلة والأشاعرة أهل التجسيم والتشبيه وعدم التنزيه!

أقول: إن الشيعي هو الذي حفظ سنة النبي ﷺ فضلاً عن رجوعه في تفسير الآي إلى أهله بينما برر أهل السنة، سنتهم التي أخذوها من الحكام وبرروا ذلك! ومن العجيب أن يتهموا أهل الحق بالغلو والتطرف؟!

وعندما يذكر الذهبي قوله: تعرف مدى تعسفه وانحرافه بل ضلاله وتجاسره على مقام أهل البيت والإمام علي عليه السلام مقابل الغلو برجال عرف الحق بهم دون العكس فاستمع إلى اشتباهه وتخبطه في قوله، مما ظنه بفاسد تعصبه ونصبه الفاضح في هجومه على مفسرنا الكبير!

مثلاً في قصة التصدق بالخاتم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] تراه يفعل في الكلام عن شأن نزول الآية، ودلالتها الصريحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين بما أتم الحجة، وبلّغ في البيان.

لكن الأستاذ الذهبي ـ وعلى ضوء موروثه التعصبي الناصبي ـ لم يرق له ذلك، وقال ناقماً عليه، ومتهماً إياه بقوله: ولا شك أن هذه محاولة فاشلة؟! فإن حديث تصدق علي بخاتمه في الصلاة، حديث موضوع لا أصل له؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى في كتابه «منهاج السنة ٤/ ٣، ٩»[1].

أقول: وهذا مما شذّ به أمثال هؤلاء، إذ بالرغم من الآيات البينات التي نزلت في أهل البيت وعلي عليه السلام وحديث الثقلين والمنزلة وغيرها من الأحاديث الحسان بل المتواترات، فإنه بمجرد أن ادعى الحاكم الباغي الغالب معاوية ـ أنه يمثل الجماعة كذباً وزوراً حتى تبعيه المغرر بهم من قبل الوعاظ، وذوي الأطماع وممن يؤثرون السلامة والراحة والدنيا على حساب الحق

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٩.

ومجاهدة الباطل والدعوة إلى الآخرة. فانقلبت الموازين والقيم فإذا بشيعة معاوية وفي نهاية القرن الثالث الهجري يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة، وإذا بكل ممارساتهم مع حكام بني أمية وبالتالي مع أشباههم من بني العباس تتحول إلى حق وصحاح ومذاهب رسمية معترف بها بأمر السلطان. . .؟!

ومن المؤسف له حقاً أن يراد أن يعرف الإمام علي عليه السلام بما يسمى الصحيحين أو ميزان الذهبي أو منهج شيخ الاعراب ابن تيمية الضال؟!!

فمن السخف أن نأخذ بقول الناصبي المتعصب، المخالف لسنة النبي الحقة صلى الله عليه وآله إلى سنة الحكام ووعاظهم ويحق من؟ يحق إمام ومرجع كل الصحابة وأمان سفينة الإسلام من جراء فتن أصحاب المصالح الدنيوية كمعاوية وأهل بيته وأمثالهم وشيعتهم؟!

وأي نضح لإناء النصب والتعصب والتنكر للمناقب والفضائل في علي وأهل بيته عليهم السلام ومنها لهذه القضية الكبيرة التي نزل بها القرآن الكريم، وأذعن لها أهل العلم والتحقيق في الحديث والتفسير. وأن لهذا الحديث أسناداً متظافراً ـ إن لم تكن متواترة ـ أوردها جل أهل الحديث في كتبهم، حتى أن الحاكم النيسابوري عدّة من الأحاديث التي رواها أهل مدينة عن أهل مدينة، فقد رواه الرازيون عن الكوفيين[1]؟!

وقد تعددت طرقه وكثرت مخارجه.

قال ابن حجر العسقلاني: وإذا كثرت الطرق وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً[2]؟!!

وصرح الحافظ أبو بكر بن مردويه الأصبهاني، قال: إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وهكذا ابن أبي حاتم الرازي[3].

---

(١) معرفة علوم الحديث ـ للإمام الحافظ الحاكم النيسابوري ـ ص١٠٢.
(٢) فتح الباري، بشرح صحيح البخاري ٨/ ٣٣٣.
(٣) راجع: الغدير ـ للأميني ـ ومن كتبهم ٣/ ١٥٧ رقم ٦ و١٦.

وأورده جلال الدين السيوطي، في أسباب النزول، بعدة طرق، وذكر له شواهد، ثم قال، فهذه الشواهد يقوي بعضها بعضاً[1].

وقد استخرج العلامة الأميني موارد ذكر الحديث، فأنهاه إلى (٦٦) مورداً في أمهات وصحاح الكتب الحديثية، وكتب المناقب والتفسير وعلم الكلام[2].

وهذا الحديث مما سارت به الركبان، وأنشد فيه الشعراء، منهم حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ حيث يقول:

أبا حسن أفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إن كنت راكعاً ... فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد ... ويا خير شار ثم يا خير بايع
فانزل فيك الله خير ولاية ... وبيّنها في محكمات الشرايع[3]

هذا وقد أرسله الفقهاء وهم أبصر بواضع الأحاديث إرسال المسلّمات، وأخذوه حجة على أن الفعل القليل لا يبطل الصلاة؟!

كل ذلك يدل على شيوعه واستفاضته بما لا يكاد يمكن إنكاره، إلاّ من أعمى الله قلبه وبصيرته، وأعمته عصبيته أمثال الذهبي، ومن قبله ابن تيمية وأشباههم، ممن غشوا وغرروا بل وأضلوا الأمة وفرقوها عن أهل الحق وأهل السنة أولئك أهل البيت عليهم السلام؟! وللمزيد راجع ما صرحت به كتب العامة[4]؟!!

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ـ للسيوطي ـ ص١٠٧.
(٢) الغدير ٣/١٥٦ ـ ١٦٢، وراجع تفسير أبي الفتوح ٤/٢٤٤ ـ ٢٥٧.
(٣) ونسبت هذه الأبيات إلى خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين أيضاً. ولعله الأرجح غير أن المشهور نسبتها إلى حسان، راجع هامش ابن عساكر ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام ٢/٤١٠.
(٤) روي عن أبي ذر (رض) أنه قال صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إشهد إني سألت مسجد الرسول فما أعطاني أحد شيئاً وعلي عليه السلام كان راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ فقال اللهم أن أخي موسى عليه السلام سألك فقال: رب اشرح لي صدري (إلى قوله) واشركه في أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري، قال أبو ذر: فوالله =

فبدل من أن يتبع ويذعن أشباه الذهبي، وابن تيمية في مقام سيد صحابهم ومرجعهم الإمام علي عليه السلام بالتشيع له بسبب هذه الأحاديث والسنة الحقة المتواترة فيه، فضلاً عن قول ابن عباس أنه قال: نزل في علي وحده ثلاثماية آية[1]...!

وأي ضلال وباطل أن يتشيع هؤلاء لمعاوية وأمثاله من الحكام البغاة والغالبين ووعاظهم ويتعصبوا لهم ويعذروهم، ويرفضوا السنة الحقة التي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وآله والآيات الكريمة في أمام العدل والوحي، وينكروها بل يحرفوها عن مواضعها، تكلفاً ونصباً وتزويراً، ويتهمون أهل الحق وأهل

= ما أنتم الرسول صلى الله عليه وآله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ هذه ولأنه سبب النزول وقد وردت بعدة ألفاظ والمعنى واحد.
راجع أيضاً: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/ ١٦١ ـ ١٨٤، وأخرجه بواحد وعشرين طريقاً، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ٢/ ٤٠٩ بطريقين، أسباب النزول للواحدي ص١١٣؛ بخمس طرق، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١١٥، الكشاف للزمخشري ١/ ٦٤٩، تفسير الطبري ٦/ ٢٨٨، المناقب للخوارزمي الحنفي ص١٨٧، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٢٣، الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٩٣، فتح الغدير للشوكاني ٢/ ٥٣، التمهيد لعلوم التنزيل للكلبي ١/ ١٨١، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي الحنبلي ٢/ ٣٨٣، الفخر الرازي ١٢/ ٢٦، تفسير القرطبي ٦/ ٢١٩، التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ١/ ٢١٠، فتح البيان في مقاصد القرآن ٣/ ٥١، لباب النقول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين ص٢١٣، تذكرة لخواص لابن الجوزي الحنفي ص١٨ و٢٨، نور الأبصار للشبلنجي ص٧١، أحكام القرآن للجصاص ٤/ ١٠٢، مجمع الزوائد ٧/ ١٧، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٨٦، شرح النهج الحويري ١٣/ ٢٧٧، الصواعق المحرقة لابن حجر ص٢٤، أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٥٠ ـ ١٥١، تفسير النسفي ١/ ٢٨٩، الحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ١٣٩، كنز العمال ١٥/ ١٤٦، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥/ ٣٨، جامع الأصول ٩/ ٤٧٨، الرياض المنضرة ٢/ ٢٧٣، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص٣١، معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن ٢/ ٥٥، فرائد السمطين ١/ ١١.

(١) أخرجه ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ـ الفصل ٣ من الباب التاسع، الصواعق المحرقة ص٧٦، كفاية الطالب للكنجي ص٢٣١، ينابيع المودة ـ للقندوزي ـ ص١٢٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٧٢، نور الأبصار للشبلنجي ص٧٣، إسعاف الراغبين ص١٤٥، بهامش نور الأبصار ص١٦٠، السيرة النبوية ـ لزين الدين أمرين وحلان.

السنة بالشبهات الباطلة الظالمة، وبالتالي الضلال عن الإسلام المحمدي الأصيل؟!!

ثم من هو ابن تيمية وقرينه الذهبي؟!

أليسا الذين لم يسلم من لسانهما أي عالم مسلم وفقيه ومفسر، حتى من المذاهب الأخرى[1]؟! أليس المدعو بابن تيمية كان يرى أن الدولة المملوكية هي دولة الحق والعدل[2] يجب إطاعتها والتي بشّر بها النبي ﷺ؟!! ولأنهم رغم كل إشكالات العلماء والمؤرخين على أمثال المماليك نتيجة رواسبهم المختلفة والتي انتهت على يد الأتراك أنفسهم؟!

أليس هو صاحب الفتاوى الإعرابية المخالفة للكتاب والسنة الداعية إلى قتل المسلمين وتفريق وحدتهم والتي لا تزال إلى الآن متمثلة بالسلفية والوهابية المتخلفة؟!

ومن العار والتجني نسبته حتى للسنّة المباركة.

وشبهه قرينه الذهبي في السباب والشتم والتحامل على علماء الإسلام وخيار الأمة الخيرة وميزانه الذي يتحرك بالنصب والتعصب والغش وتغرير المسلمين، والعمل على إثارة الفتنة وبالتالي التفرقة!!

فهما إذ ينضويان تحت كل غالب يعملان على ضلالين: الأول: غش الأمة بالتأويلات الفاسدة والتبريرات المختلفة للكتاب والسنة لإطاعة الغالب مملوكاً كان أو تركياً قرقوشياً وأمثالهم! نشر الفتن والضلالات بين المسلمين بتكفير ذاك وشرك هؤلاء، ورمي ذلك بالرفض والباطنية، واتهامهم بسب الصحابة وغيرها من الفتن؟!

فلتخسأ أوكار الفتنة إذا أرادت النيل من آل بيت النبي ﷺ ومن شايعهم؟!!

---

(١) راجع: كتاب ابن تيمية ـ لصائب عبد الحميد ـ وغيرها.

(٢) نحو يقظة إسلامية ـ د. محمد عمارة ـ ص١٢٢.

ومن المؤسف له حقا أنك عندما تقرأ كتبهم فأول ما يضعوا لك اتهام المسلم الآخر، ويجعلون من أنفسهم وكأنهم ميزان ومحك يوزعون على أساسه الكفريات والاتهامات والطعون؟!

وهم بذلك يضعون من أنفسهم وكلاء وأوصياء شرعيين على الأمة، غافلين عن أنهم هل هم على هدىً أو في ضلال بين؟! ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

أتتهمون قوماً حفظوا سنة ووصية النبي ﷺ في الكتاب ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

أتطعنون بمن تمسكوا بسنة الرسول ﷺ الحقة في حديث الثقلين المتواتر والمسند لا بقوله «وسنتي» المرفوع، وخبر آحاد؟!

أتشككون بمن عرف الحق فعرف أهله؟! وعرف الرجال بالحق؟! لا كما صنعتم بالعكس باتباع الباغي معاوية الذي طالب طلب الباطل فأصابه، وهكذا كل حاكم ولو كان بالغلبة؟!

أتكفرون بمن جاهد وضحى في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان الفاعل حاكما متسلطاً؟! بينما تبررون وتعذرون مطلق حاكم ولو جاء بالغلبة، وخوفاً على حياة، وطلباً للعافية أو طمعاً بحطام وفتات موائد البلاط؟!

جاعلين من كل ذلك السكوت عن الظلم ومخالفة الكتاب والسنة هو الشرع والإسلام الحق؟!

هذا في الوقت الذي لا يتحمل فيه أشباه هؤلاء الاعتصام على كلمة الحق السواء لمعرفة الحق، أو لمعرفة أصول العقيدة التي وقعا فيها بالتجسيم والتشبيه، أو الفقه بحيث خالفا الكتاب والسنة حيث يحللون الميتة ـ ميتة البحر ـ والدم ـ دم الطحال الفاسد ـ وغيره والتفسير كما مرّ عليك من ادعاءات ابن تيمية التي ثبت كذبها وزيفها!

فبدل أن يتنازلا عن العزة بالإثم والحوار مع بقية المسلمين والاستفادة من مذاهب الآخرين فإن المتعصب بل النصب يدلهم إلى التعسف بأن الحق عندهم وغيرهم الباطل؟!

وفي هذا الصدد استمع إلى إجحاف قول الذهبي: والطبرسي معتدل في تشيعه غير مغال فيه، كغيره من متطرفي الإمامية؟!!

ولقد قرأنا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصباً كبيراً، ولم نأخذ عليه أنه كفّر أحداً من الصحابة؟! أو طعن فيهم بما يذهب بعدالتهم ودينهم؟! كما أنه لم يغال في شأن علي؟!! بما يجعله في مرتبة رسوله أو مصاف الأنبياء، وإن كان يقول بالعصمة؟!

وكل ما لاحظناه عليه تعصبه لمذهبه أنه يدافع بكل قوة عن أصول مذهبه وعقائد أصحابه، كما أنه إذا روى أقوال المفسرين في آية من الآيات، ونقل أقوال المفسرين من أهل مذهبه فيها، نجده يرتضي قول علماء مذهبه ويؤيده بما يظهر له من الدليل[1]؟!

قلت: ان أمثال هذه الأقوال إنما هي حق يراد بها باطل، فهي تنم عن أن هؤلاء لا يطيقون ولو الإشارة عن انحرافهم عن حق الإمام علي عليه السلام وبغضه الذي عدّ من النفاق، وتشيعهم لباطل الباغي ومفرق الأمة وحامل فتنة القميص والمصاحف وقاتل الصحابة، والساب للنبي محمد صلى الله عليه وآله، ومزوّر الأحاديث، ومحرف الحكم عن أصوله إلى ملوكية وراثية قبلية من فساق بني أمية التي لم يستثنى منهم إلا عمر بن عبد العزيز عند كل علماء أهل السنة؟!!

وهل صيّر الحق لهم ولكل حاكم إلى أمثال هؤلاء المرتزقة ممن سموهم بالألقاب التي لا تتناسب مع أقوالهم وفعالهم وضلالهم، وشقهم عصا المسلمين، وإباحة دمائهم وأموالهم وعرضهم، كما تفعله اليوم السلفية

---

(١) التفسير والمفسرون ٢٠/ ١٤٢ ـ ١٤٣.

والوهابية وصنيعتها حركة طالبان في أفغانستان بتكفير بقية المسلمين شيعة وسنة لقتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم باسم الإسلام الذي شوّهوا صورته، مقابل الصورة الناصعة والحقة لإيران الإسلام التي عجزت وتعجز غيرها ممن ينتقدونها على جوانب صغيرة ربما تكون بسبب التراكمات التاريخية أو الطعن لشيعتها لأهل البيت عليهم السلام! ولقد أكدت في مناسبات أن معاوية هو سبب رئيسي في نشوء الفرق الضالة كالخوارج عند فتنة رفع المصاحف، ونشوء الغلاة عند سبّه للإمام علي عليه السلام وقتله الصالحين والأولياء من الصحابة وشيعته، ومطاردة المؤمنين، واستخدام الإرهاب والعنف ضد المعارضين؟!

بينما ليتسع المجال واسعاً لوعاظ السلاطين، وأقطاب الإسرائيليات، من المزّورين والمتلقين الذين ينافقون للحكام وعشيرتهم؟!

ومع ذلك فلا يوجد شيعي ـ والعياذ بالله ـ يعبد الإمام علي عليه السلام أو يجعله في مرتبة الإله، نعم هناك الضحايا الغلاة وهم يعتبرون من الخارجين عن الملة، وتحكم الشيعة عليهم بالكفر والإلحاد، أو تحاول إصلاحهم بالتي هي أحسن، لا بأسلوب البغاة وأصحاب الفتن وأهل التكفير واعتبار مذهبه هو الحق وما سواه الباطل؟!

أما مسألة الأنبياء عليهم السلام فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وقد رواه أصحاب الصحاح والمسانيد من أهل الحديث!

بل قال صلى الله عليه وآله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[1] و«العلماء ورثة الأنبياء»[2].

---

(١) عوالي اللئامي، لابن أبي جمهدر الأحسائي ٤/٧٧.

(٢) المصدر السابق نفسه ١/٣٥٨، سنن ابن ماجة ١/٩٨.

أما قوله بالعصمة: فإن لم يكن ظالماً لنفسه ولغيره، بحيث يخشى مقام الخالق تعالى ويتقيه في الطاعة فهو المعصوم. أما ما عدى ذلك فهو إما ظالم لنفسه ولغيره؟!

ثم لماذا يغمض أمثال هؤلاء النظر عن أهل الحديث والحشوية، وكثرة الإسرائيليات وتلاعب الوعاظ، والنقود الكثيرة للصحاح، وكتب التفسير؟!

أما في مجال العقائد، ومحاولتهم لتضعيف عقيدة الإمامية وتأثرها بالنزعة الاعتزالية كما نسبها الذهبي ـ الناصبي الذي لا يحسن الظن به لتعمده المقيت المتعصب ـ في قوله أعلاه!

لكن وكما أثبتنا سابقاً أن الإمامية هي تمثل الوسطية في العقائد، ولأن المصدر واحد وهو الكتاب والسنة، كان هناك الاشتباه الأشعري في الذات والصفات وتحكيم العقل، عندما قالوا بالتجسيم والتشبيه، والجبر، والرؤية وغيرها من فساد الاجتهاد وتفسير الكتاب وفهم السنة. وقد مرّ عليك كيف أن الزمخشري المعتزلي كفر أهل السنة، ونعى عليهم عقولهم بعدم فهم أبسط معاني القرآن من كناية وتشبيه وغيرها. ولكنه وقع في مسألة التفويض والمبالغة في العقل من لا توافق فيه المعتزلة.

بل الحق أن الأصل هو عندنا لأننا اختراناه عن أهل بيت الرسالة، والوحي وأن الصواب هو أن المعتزلة أخذت شيئاً من عقائدنا!

وهناك صرخة من عالم أزهري د. عبد الفتاح أبو سنة يقول: كلمة حق: ومن خلال دراستي المتأنية للكتاب «مجمع البيان» رأيت أن أقول أن الرجل يزاحم أهل السنة من المفسرين إن لم يتفوق عليهم؟! بل أنه يتميز عنهم...؟! ويدعو إلى عدم سماع التهم والافتراءات عنه وعن الشيعة![1].

---

(١) علوم القرآن ـ د. عبد الفتاح أبو سنة ـ ص١٦٦.

٣ ـ تفسير القرآن للسيد عبد الله شبر:

وهو عالم جليل من فروع دوحة أهل البيت المحمدية.

التعريف بتفسيره:

امتاز تفسيره على كثير من التفاسير وخاصة ما عند أهل السنة، بما يلي:

أولاً: امتزجت فيه العلوم العقلية بالعلوم النقلية، وهو المنهج الذي عرف به علماء الشيعة منذ الصدر الأول من الإسلام، وهو عين المنهج الذي تلقفه عنهم رؤوس المعتزلة!

وهذا مما أثار النواصب بأن يدعون أن الشيعة قد أخذت من الاعتزال؟!

والدليل على ذلك أن موقف الشيعة كان وسطياً بين صفات الجزافيين[١]، وسمى الحشويين ممن يحشون الأحاديث بما يجدونه بين أيديهم من الغث والسمين!

ثانياً: جمع المفسر بين الدقة في أداء المعنى، والإيجاز في غاية الدقة. ويذكر د. حامد حفني داود بقوله: ولا زلنا نسمع في مجالس العلم ـ حتى اليوم ـ حول تفسير «الجلالين» وإعجابهم به حين يذكرون أنه للمنتهين، وليس للمبتدئين[٢].

أي معتبرين التفسير أشبه بالمفاتيح والمصطلحات العلمية. ثم يقول: وإذا كنا نؤيد هذا الحكم فإن تفسير العلامة عبد الله شبر ـ قياساً على المنهج الذي سلكه يعتبر للمنتهين والمبتدئين. جميعاً!

ثالثاً: مما امتاز به مفسرنا الكبير تناوله لعلم القراءات بشكل ممتاز

---

(١) تصدير تفسير القرآن الكريم ـ د. حامد حفني داود ـ ص٩.

(٢) المصدر السابق نفسه ص١٠.

وعلمي متوازن مع السلف القديم. ويقول عنه د. حامد داود أيضاً: بلغ في هذا المنهاج مبلغاً لم يدركه فيه «العلامة النسفي» على الرغم من أنه من المفسرين الذين عنوا بإبراز وجوه القراءات، والمتخصصين في هذا العلم من التفسير[1].

وهو مع ذلك كله كل الجانب، معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم المجاهد الشيعي الباحث عن الحق والمضحي في سبيله، وليس في ثورة المتعصب، وغمط حقوق الآخرين. كما لا ينسى وهو يفسر أن يراعي المنهج الصحيح الأهل بيتي بأن يشرح الآية بآيات أخرى، أو ينكر سبب النزول لا بإفراط يسبب تشكيكاً بالتكلف يجعل سبباً لنزول كل شيء، ترفاً أو غروراً كما وقع فيه مفسّرا تفسير الجلالين وأغلب مفسّري أهل السنة؟!

٤ ـ تفسير البلاغي (آلاء الرحمان):

للإمام المجاهد، والعلامة الناقد الشيخ محمد جواد البلاغي، ولد سنة (١٢٨٢) وتوفي سنة ١٣٥٢هـ).

كان مجاهداً فذاً على ثغور الإسلام علماً مقدماً[2]. وله في كلا المجالين مواقف مشهودة منها «الرحلة المدرسية» عد من أعظم كتب الدفاع والردّ على شبهات أهل الكتاب ضمن الإسلام، وكذلك كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» دافع فيه عن كرامة القرآن العتيدة!

وخير دليل ناصع عن ذلك مقدمته الفريدة الأوحدية التي لم يسبقه فيها أحد من كلا الفريقين في بيان عظمة المعجزة القرآنية!!

يقول د. حامد حفني داود: فقد أماط اللثام عن معجزات الأنبياء في أممهم القديمة، وكيف كانت هذه المعجزات مما يناسب هؤلاء الأمم ويساير

---

(١) المصدر السابق نفسه ص١١.

(٢) شارك في حركة العراق الاستقلالية ضد الإنجليز في ثورة العشرين بقيادة العلماء.

ثقافاتهم، وأن القرآن الكريم هو أعظم هذه المعجزات، وقد جاء مناسباً لطبيعة العرب، لأنهم كانوا من أهل البلاغة واللسن، والحرف في صناعة الأدب، إلى غير ذلك مما يستدل به الباحثون على دلائل الإعجاز في القرآن الحكيم، ويشهد الرسول ﷺ بصدق النبوة والرسالة، وأنه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين إلى سائر العالمين، في أولي العزم[1].

وكما ذكرنا فإن أمثال تفسير البلاغي الذي لم يتمكن مفسره عن إكماله هو من التفاسير التي تتحدى جلّ المفسرين على أن يأتوا بمثله، وهذا السبب الذي أثار حفيظة العاجزين فلا يملكون إلا الحسد والغيظ ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ كما حصل من قبل المتعصبين والنواصب ضد أهل البيت وأتباعهم تزويراً وتقولاً عليهم ظلماً بغير حق، وحجب وتزييف الحقائق.

فاستمع قول الأستاذ الذهبي صاحب التفسير المفسرون حيث أساء التعبير بشأن مفسرنا الجليل الكبير، ينبؤك عن تعصب وخبث طوية، وغش الأمة بحجبها عن أفاضل علمائها الحقيقيين المجاهدين، فقد قال في صفاقته[2]: «وينتهي تفسير البلاغي عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ أقول: وليس هذه أول قارورة يكسرها الظالمون ووعاظهم وشيعتهم، حيث أن التاريخ والأجيال سوف تحاكم وتميز لمعرفة الخبيث من الطيب، والباطل من الحق، وإن كثر الباطل وملأ الكتب نتيجة امتلاكه للمال والقوة؟!

ولقد كان العلامة البلاغي عارفاً باللغات العبرية والإنجليزية، والفارسية إلى لغته العربية مجيداً فيها، مما ساعده على مراجعة أهم مصادر التحقيق عن مبادىء الأديان فكان أقوى فارس ومفكر ناقش أهل الكتاب!

وتفسيره هذا جاء في بيان حقائق كلام الله تعالى، وإبداء رسالة القرآن،

---

(١) المصدر السابق نفسه ص١٤.

(٢) التفسير والمفسرون ٢/ ٤٤.

في أسلوب سهل متين، يجمع بين الإيجاز والإيفاء، والإحاطة بأعيان الكلام، بما لا يدع لشبهة المعاندين مجالاً، ولا التشكيك المخالفين والطاغين والمتعصبين مسرباً.. هذا إلى جنب أدبه البارع ومعرفته بمعاني الفقه والفلسفة والكلام والتاريخ، ولا سيما تاريخ الأديان وإعراف الأمم الماضية، والتي حلّ بها كثيراً من مشاكل أهل التفسير ممن وقعوا باتباع أقطاب الإسرائيليات وقصصهم عن قصد أو عن لا قصد، بحيث سودوا تفاسيرهم بأقوال أهل الكتاب المنحرفة. لكن مفسرنا الكبير قام برصدها وتفنيدها بأفضل الأساليب الحوارية العلمية.

وأخيراً كان منهجه في التفسير ذا طابع أدبي كلامي بارع، فرحمه الله من مجاهد إسلامي كبير أمام كل التشكيكات من المنحرفين من المسلمين وأهل الكتاب؟!!

٥ ـ تفسير الميزان للعلامة والمفكر الكبير السيّد حسين الطباطبائي (قده):

صاحبه من الأعلام النادرة التي قلما يجود الدهر بمثله... نبغ في الحكمة والفكر الإسلامي وعمقه، وترك آثاراً مهمة لإعطاء الصورة السامية للإسلام المحمدي الأصيل.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مولده آخر سنة (١٣٢١هـ) وتوفي سنة (١٤٠٠هـ).

منهجه في التفسير:

ويحق أن اختياره لتسميته بالميزان، يدل على كونه المتوازن والموزون للآراء المختلفة للكتاب من ناحية، والقديم والجديد المعقول من ناحية أخرى، والعلم المادي والديني بل ومختلف الآراء التاريخية، والحقب الإنسانية!

ويحكى إجمالاً بما يلي:

أولاً: الموضوعية والنظرة المتزنة لديه، فهو أمين في عرضه لآراء

الفرق الأخرى والمذاهب الإسلامية، رغم ما فيها من طغيان الإسرائيليات والشطحات الكلامية، وقلة ما يسعفهم من الأحاديث في التفسير، والابتلاء بالوضاعين وهم إفرازات سياسات حكام المصالح ووعاظهم وغيرهم؟!!

فقد قام المفسر الطباطبائي يوزن كل ذلك بميزان موروثه المستقي من منع أهل البيت الصافي. فقد جاء كما تربى في تلك المدرسة التي كانت حريصة على هداية الأمة وتخليصها من واقعها الترهيبي والترغيبي من قبل السلاطين ووعاظهم!

وهكذا كان المفسر الطباطبائي فإنه لم يستهجن آراء الفرق الأخرى رغم فضائحها بل وتعسفها بالتشويش والاتهام لأهل الحق بمختلف التهم كالرافضة، والباطنية والزندقة... الخ.

فكان موقف العلامة المفسر كأجداده من أهل البيت عليهم السلام يحاورهم بكل موضوعية واعتدال ويعزز بحوثه بالدليل، ويشغل نفسه بنقد الآراء وعرض ما يراه مناسباً للكتاب والسياق لو استدعاه الأمر أحياناً إلى رفض أو تضعيف الأحاديث المنسوبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام؟!

فنراه قد يصرح المفسر بأسماء هؤلاء المفسرين، وقد لا يصرح بأسمائهم مشيراً إليهم بعبارات مختلفة على ذكر جمع في المفسرين[1] وهكذا، وقد يذكر ما في بعض التفاسير بقوله: «ربما قيل»[2] وهو للتضعيف.

والكلام يقع هنا على قسمين:

١ ـ أسس الترجيح في مناقشة هذه الأقوال.

٢ـ أسلوبه التعبير عن الترجيح بين الأقوال.

---

(١) انظر الميزان ٢/ ٤٥، ٥/ ٣٨.

(٢) انظر الميزان ٤/ ١٣٦، ٨/ ١٢.

أما عن أسس الترجيح فكان يتم رفضه وقبوله على أساس ما يلي:

أ ـ القرآن الكريم والمعاني التي يخلص إليها من خلال قاعدته الأساس في التفسير (تفسير القرآن بالقرآن).

ب ـ وحدة السياق في الآيات.

ج ـ الأسس الاعتقادية.

نتعرض هنا لبيان هذه الأسس فيما يأتي:

أ ـ اعتمد المفسر على المنهج الأهل بيتي في استنطاق آي الكتاب العزيز بعضها للبعض الآخر. وهذا شائع في تفسيره. والحق يقال أنه خير من توفق في تفسير القرآن بالقرآن، بعدما عرفت أن محاولات غيره جاءت ضعيفة وقاصرة ومقصرة ما تلبث أن تأتي على ضوء موروثهم. وتطبيقه على القرآن، لا بعملية العرض واستنطاق الآي بعضها مع بعض.

مثال: الردّ على من قال: إن توبة فرعون عندما أدركه الغرق لم ترد، وليس في القرآن ما يدلّ على هلاكه النهائي[1].

لكن مفسرنا الكبير ردّ مستدلاً بقوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ وأوضح المفسر: ان الندامة حينئذٍ ندم كاذب يسوقه النادم لمشاهدته وبال الذنب ونزول البلاء!

---

(١) من أمثال هذه التوبة ما روي عن ابن عباس قال: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١١٦].
يفيد أنه تعالى حرم المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيته فلم ييئسهم من المغفرة (الطبري: ٨/ ١٠١، الدر المنثور: ٢/ ١٣١).
ومن استنباطات الرازي العقلية في بيان أنواع التوبة قال: الذين لم يجزم الله تعالى بقبول توبتهم أوردها، هم الذين يعملون السيئات على سبيل العمد ثم يتوبون، وقد تركهم الله تعالى إلى مشيته حيث قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ انظر (مفاتيح الغيب ٨١٠، ١٧/ ١٥٤).

وأضاف قائلاً: لو كان كل ندم توبة لكل توبة مقبولة لدفع ذلك قوله تعالى لحال المجرمين يوم القيامة: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الحاكية لندمهم على ما فعلوا وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، ويرد عليهم بأنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون[1].

ب ـ وحدة السياق بين الآيات:

اعتمد المفسر في مناقشته كثير من الأقوال على سياق الآيات وقد عرفنا أثر السياق في مناقشته الأقوال في كثير من المواضع. ونذكر هنا مثالاً يوضح ذلك.

مثال: عن مصير الرجل المؤمن الذي جاء يسعى من أقصى المدينة في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس:٢٦].

أفاد المفسر ان القوم قتلوه، فنودي من ساحة العزة ان ادخل الجنة كما يفيد السياق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾ [يس:٢٧]، فوقع قوله تعالى ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ موضع الأخبار عن قتلهم إياه إشارة إلى أنه لم يكن بين قتله بأيديهم وبين أمره بدخول الجنة أي فصل وانفكاك كأن قتله بأيديهم هو أمره بدخول الجنة، وعلى هذا فالمراد بالجنة جنة البرزخ دون هذه الآخرة. وأما ما قيل أن القائل في (ادخل الجنة) هو القوم إذ قالوا له ذلك حين قتلوه استهزاءً به، فقد ردّ المفسر هذا المعنى لأنه لا يناسب ما تقدم من معنى، فهو لا يلائم ما أخر الله سبحانه عنه بقوله بعد: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦] فإن ظاهره أنه تمنى على قومه بما هو فيه بعد استماع نداء (اخل الجنة)[2].

---

(١) انظر الميزان: ٤/٢٤٧.

(٢) الميزان: ١٧/٧٦.

ج ـ الأسس الاعتقادية:

إن القرآن الكريم قد نص على أسس اعتقادية، ولكن المذاهب اختلفت في تفسيرها بين الإفراط والتفريط، دون وسطية للشيعة، ومن هؤلاء مفسرنا الطباطبائي فقد ردّ على المجسّمة والمشبهة، كما ناقش أهل الجبر والتفويض، وبيان مسألة العصمة، وعزىٰ كل ذلك إلى تبني الإسرائيليات مما أصبحوا غير منزهين للخالق تعالى وبما يمس مقام الملائكة والأنبياء عليهم السلام[1].

الثاني: أسلوبه الموضوعي المتميز في الترجيح:

يلتزم مفسرنا الموضوعية المتزنة في النقاش العلمي المؤدب في الترجيح، مثل قوله: وأعدل الوجوه آخرها[2]، وفي المخالفة يشير إلى ذلك بأحد التعابير التي تدل عليه أيضاً كقوله: وفي معنى الآية بعض وجوه رديئة أخرى منها[3].

وفي مواضع أخرى يحاول المفسر أن يوقف القارىء على مواطن الضعف، بإثارته أشكل الوجوه عليه!

٢ ـ النزعة العلمية لدى الطباطبائي في التفسير:

ونتكلم في هذه النزعة على مجالين:

أ ـ موقف الطباطبائي ـ كمفسر ـ من النظريات العلمية الحديثة.

ب ـ الجانب الفلسفي في الميزان.

١ ـ موقفه من النظريات العلمية الحديثة في التفسير:

كما ذكرنا سابقاً جرأة مفسري السنة ـ المدعاة ـ في الخوض بتفسير

---

(١) انظر الميزان: ٦/ ٣٢ ـ ٣٤، ١٩/ ١٨٧، ١/ ٢٢٩.

(٢) الميزان ١٠/ ١٩٠ ٥/ ١٣٦، ٤/ ٦.

(٣) انظر: تفسير المنار: ٨/ ٩٢٩، ٩/ ٦٠.

الآيات رأياً واستحساناً وارتجالاً، أو التعجل والاستهانة بالأخذ بالإسرائيليات بكلام الله سبحانه؟!

ومنها تفسير النظريات الحديثة، كما في تفسير المنار[1]، ومن بالغ في ذلك الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره «الجواهر»[2].

وهكذا وكبقية كثير من المسائل يقع بينهم الجدال والخلط وتضارب المواقف، فقد أنكر وعارض هذا اللون من التفسير أمين الخولي، والأستاذ عباس العقاد، والشيخ شلتوت وغيرهم[3].

وأمام خضم هذا النزاع بين الرفض والقبول في التفسير العلمي، كما في غيره من عقائد وعقليات، كان بحاجة ماسة إلى عالم فيصل ينتمي إلى نهج أهل البيت المبارك كالعلامة الطباطبائي. فقد ذكر أن القرآن الكريم معجز من جميع الجهات، فهو آية البليغ والفقيه والاجتماعي، والعالم الحكيم، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم والبيان[4].

ثم قوله: فالقرآن من الناحية العلمية فيه حث على التدبر والتأمل والنظر في ملكوت السموات والأرض، والآفاق الإنسانية والكونية وغيرها[5].

كذلك ردّه على الشيخ طنطاوي جوهري استفادته (الزوجية) من قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد:٣]. إذ ظاهر هذه الآية ـ كما يقول الطباطبائي لا يساعد عليه، والذي يفيده أن نفس الثمرات زوجان اثنان وليست مخلوقة من زوجين اثنين[6].

---

(١) انظر اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث للشرقاوي ص٣٧٢.

(٢) اتجاه التفسير في العصر الحيث لمصطفى الطير ص٢٦١.

(٣) الميزان: ١/ ٦٠.

(٤) القرآن في الإسلام ـ للطباطبائي ـ ص١١٢.

(٥) الميزان: ١١/ ٢٩٢.

(٦) الطباطبائي ومنهجه في تفسيره ـ علي الأوسي ـ ص١٨٣.

ب ـ الجانب الفلسفي في الميزان:

حفل الميزان بأبحاث: فلسفية عديدة في مواضيع مختلفة، ويرجع ذلك إلى مقدرة المفسر العلمية، وعمق نظرته الفلسفية باعتباره (من أعاظم الفلاسفة وأكابر المحققين في الفلسفة الإسلامية وشتى علومها، فقد صرف برهة من عمره في تحصيل الفلسفة وتدريسها حتى استبطن دقائقها وأحصى مسائلها)[1].

علماً أنَّ العصر الحديث هو وريث الفلسفات القديمة وأثرها في القانون والسياسة وغيرها بل حتى في الأديان.

وفلسفة الطباطبائي فريدة من نوعها في (الميزان) أن تبدو ممتزجة بآي القرآن الكريم والحق يقال أن الفلسفة لم تستهو مفسرنا كمنهج للتغير، ولم تسيطر النظريات الفلسفية على تفسيره، كما عاب هو نفسه على المسلك الفلسفي في التفسير إذ قال: (وأما الفلاسفة فقد عرض لهم فأعرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في روطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلّمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم...)[2].

بل أنه عقد أبحاثه الفلسفية في الميزان على أنها تعبر عن تأييدها للمعاني التي استفادها من الآيات، وفي أحيان أخرى عبرت هذه الأبحاث عن وزنها لمقالات فلسفية تعارض ظواهر القرآن والسنة؟!

مثاله: ففي معنى (الحمد لله) قال المفسر: إنه الثناء الجميل الاختياري، واستفاد ذلك من القرآن نفسه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ حيث أن كل شيء هو مخلوق لله سبحانه وعلى هذا الشيء يجب أن يكون حسناً. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ كما أنه تعالى

---

(١) الميزان ١/ ٦ (مقدمة التفسير).

(٢) الميزان: ١/ ١٩، الفاتحة: ٢، غافر: ٦٢، السجدة: ٧، الزمر: ٤، طه: ١١١.

لم يخلق ما خلق بقهر قاهر بل خلقه عن علم واختيار، فما من شيء إلا وهو فعل جميل اختياري قال تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ وقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[1] وقد أعقبت معنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ببحث فلسفي قال فيه:

(البراهين العقلية ناهضة ان استقلال المعلول وكل شأن من شؤونه إنما هو بالعلة، وان كل ماله من كمال فهو من فيض وجود علته، فلو كان للحسن والجمال حقيقة في الوجود فكما له واستقلاله للواجب تعاطى لأنه العلة التي تنتهي إليه جميع العلل، والثناء والحمد هو إظهار موجود ما بوجوده كمال موجود آخر وهو لا محالة علته وإذا كان كل كمال ينتهي إليه تعالى فحقيقة كل ثناء وحمد تعود وتنتهي إليه تعالى فالحمد لله رب العالمين)[2].

وفي المقابل نجد أن المفسر رفض في بعض أبحاثه الفلسفية بعض النظرات الفلسفية التي تخالف بمؤداها الكتاب العزيز. مثال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ رد المفسر على قول الفلاسفة بعدم جواز التعويل على غير المحسوسات في العلم مجتمعين بأن العقليات المحضة يكثر وقع الخطأ والغلط فيها مع عدم وجود ما يميز به الصواب من الخطأ وهو الحس والتجربة[3].

وعلق على ذلك الطباطبائي قائلاً: ان الحجة مدحوضة باطلة بأمور:

الأول: ان جميع المقدمات المأخوذة فيها الحجة كلها عقلية غير حسية فهي حجة على بطلان الاعتماد على المقدمات العقلية بمقدمات عقلية فيلزم من صحة الحجة فسادها.

---

(١) الميزان: ١/ ٢٢.

(٢) من هؤلاء الفلاسفة الحسيين، فرنسيس بيكون (ت ١٦٢٦م) القائل بالتجربة. وكذلك دافيد هيوم (ت ١٧٧٦م) انظر: د. عبد الرحمن بدوي ـ مدخل جديد إلى الفلسفة ص٧٧. وغيره.

(٣) الميزان: ١/ ٤٧ ـ ٤٨.

ثانياً: ان الغلط في الحواس لا يقل عدداً عن الخطأ والغلط في العقليات.

ثالثاً: ان التجربة ـ وهي تكرار الحس ـ ليست لوحدها آلة للتمييز بين الخطأ والصواب. بل هي إحدى المقدمات من قياس يحتج به على المطلوب إلى جانب مقدمات عقلية غير حسية ولا تجريبية.

رابعاً: على افتراض أن جمع العلوم الحسية مؤيدة بالتجربة في باب العمل لكن نفس التجربة لم يثبت بتجربة أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية، بل العلم بصحته عن طريق غير طريق الحس، فالاعتماد والتجربة اعتماد على العلم العقلي وجوباً.

خامساً: ان الحس لا يباشر ولا يتعامل إلا مع أعداد محدودة من الجزئيات وتكرار المشاهدة لصياغة القانون العام الذي تندرج تحته عموم هذه الجزئيات غير كاف إلا بنظر عقلي، فلو جربنا عدداً معيناً من المعادن وتبين لنا أنها تتمدد بالتسخين، فمن تكرار هذه المشاهدات المتعددة الجزئية يمكن الحكم عقلياً بأن جميع المعادن تتمدد بالتسخين، وهذا الحكم الذي استخلصناه من المشاهدات الجزئية هو حكم عقلي، وعليه فلو اقتصرنا في الاعتماد والتعويل على ما يستفاد من الحس والتجربة فحسب من غير ركون إلى العقليات لم يتم لنا إدراك كلي ولا فكر نظري ولا بحث علمي[1]؟!

بينما تجد في المقابل أن الفخر الرازي في تفسيره الكبير، قد بالغ وأفرط بل وانتصر للفلسفة في مواضع كثيرة، مستعرضاً بغروره مسائل ومباحث تافهة قد تخرج عن مجال بل وشرف التفسير، الأمر الذي أغرى الكثير من أن يظنون إن تفسيره يمثل القمة في العقليات وقد مرّ عليك كيف أن تابعيه من العلماء قالوا فيه: كل شيء فيه إلا التفسير؟!

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦ الآية (٢٠) من سورة البقرة.

فمثلاً يدخل في بحث أن السماء أفضل أم الأرض؟!! ويأتي تفصيل ذلك بوجوه.

٢ ـ موقفه الشديد من الإسرائيليات، وتصديه لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات فضلاً عن كثير من المباحث الاجتماعية القرآنية، هذا فضلاً عن منزلته في مجال التشريعات باعتباره مجتهداً جامعاً للشرائط ومن كبار علماء الحوزة في قم المقدسة.

أولاً: رفضه للإسرائيليات:

وقد مرّ عليك كيف أن تفاسير القوم ملأت بالإسرائيليات سلف عن خلف، منذ عصر الصحابة ذاته (حتى أن بعض الصحابة نقل عن الإسرائيليين، فقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب في واقعة اليرموك حمل زاملتين من كتب أهل الكتاب)[١] وقد نعى المفسر على الركون التام إلى الآثار وقبول جميع المرويات من غير نظر وتمحيص، حتى دخل من الإسرائيليات ما يمس العقيدة وعصمة الأنبياء والخالق لصريح العقل والنقل الصحيح[٢].

وكان مفسرنا الكبير صلباً في موقفه من المرويات وهو موقف الحصيف والناقد، الدقيق، فلا يأخذ بها إلا بعد عرضها على الكتاب ـ حسب منهج أهل البيت ـ فإن وافقته ولم يوجد المعارض لها الموافق للكتاب العزيز أخذ بها وإلا ردها[٣].

٣ ـ توجيهه لمفسري السنّة بحسن استعمال العقل:

قد علمت سابقاً كيف أن أهل السنة بل وغير الشيعة من أساء استخدام العقل حيث وقعوا في متاهات الاعتقاد والقياس والاجتهاد بما سموه بالرأي؟!

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ـ ابن تيمية ـ ص٩٨، ويقول د. محمد حسين الذهبي (نستطيع أن نقول الإسرائيليات في التفسير أمر يرجع إلى عهد الصحابة) التفسير المفسرون ١/١٦٩.

(٢) الميزان: ١١/١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) الطباطبائي منهجه وتفسيره ص١٦٧.

وهم وإن قسموا الرأي إلى رأي صحيح ورأي مذموم إلا أنهم لم يحلوا مشكلة الانحراف الذي ارتكبوا فيه، ومر بهم إلى نار جهنم!

لأنه قول بغير علم، وأنه ضرب من الهوى والاستحسان المنهي عنه في حديث الرسول ﷺ (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ)[1] وكذلك (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[2]

إلا أن القوم اعتمدوا على التصويب، الذي يعطي للمجتهد ـ بحسب نظرتهم ـ تمام الحرية في الخوض في الأحكام والآيات على هواه، الأمر الذي أصبح عندهم كل إنسان يملك بعض المعارف البسيطة في الإسلام أن يجتهد ويفسر ويفتي؟!!

لكن الطباطبائي نعى عليهم هذا الانحراف والتخبط بقوله: إن هذا النهي يرد على من يفسر القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي فيقيس كلامه تعالى على كلام الناس؟!

ثم يتابع قوله: وقد نهى الله تعالى عن القول بغير علم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، ولا يشمل حديث النهي، التفسير العقلي إذا روعي فيه ما يحتاجه المفسر من الأدوات اللازمة في التفسير[3].

يريد بذلك الإحاطة باللغة والتاريخ وعلوم القرآن، والفقه وأصوله والعقائد وعلوم طبيعية وأكاديمية وغيرها؟!

مسلكه الرائع لحلّ مشكلة الغيبيات والمبهمات في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم كثير من الحقائق الغيبية، كالعرش، والكرسي،

---

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الميزان: ٣/ ٧٥، الاسراء: ٣٦، النساء: ٤٦.

والقلم، واللوح، والملائكة والجن والشيطان، والجنة والنار، وغيرها، إلى جانب مبهمات سكت عنها القرآن الكريم.

وقد اختلفت مسالك المفسرين خصوصاً لأهل السنة في معالجة الغيبيات:

١ ـ فقد حرّم أكثر أهل السلف الكلام في هذه الحقائق وأوجبوا الالتزام بظواهر، الآيات بشأنها ليس غير، لأنه ليس في مقدور أحد أن يتناولها بل عدها قسم من السلف من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه[١].

وقد روي عن مالك في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان واجب والسؤال عنه بدعة[٢]. هذا حال أهل السنة أصحاب المذهب الأشعري الجزافي، والمشبه والمجسم أيضاً؟!

أما المعتزلة المفوضة والمبالغة بالعقل، وإن كانت قد تفوقت على الأشاعرة ـ أهل السنة ـ ورمتهم بالكفر، عندما ضلوا بعدم تفسير بعض تلك الأمور لغوياً وبلاغياً إلا أنهم أي المعتزلة وعلى لسان الزمخشري لم يتمكنوا من تفسير تلك الغيبيات بالشكل الصحيح أيضاً؟!

فقد جاء على لسان عالمهم الزمخشري، أن البيانات القرآنية الناظرة إلى تلك الحقائق الغيبية مبنية على التمثيل والتخييل لا أكثر، فمثلاً نجده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يقول:

«تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعدة، كقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ـ رسالة الإكليل ـ ٢/ ٢٣، والميزان ٨/ ١٥٣.
(٢) ابن تيمية: الرسالة التدمرية ص٣٥.

مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ من غير تصور قبضه وطي ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حي»[1].

وهكذا نعلم مدى الجناية باتهام أهل الحق (الشيعة) بالبدع والرفض والاستهجان بعدم الاعتماد على كتبهم، بينما يفتح المجال لأمثال هذه المتناقضات المتضاربة والتي تصل في النتيجة إلى عدم تنزيه الخالق تعالى، والطعن بكرامة الملائكة والأنبياء عليهم السلام فضلاً عن هجوم بعضهم على بعض وتكفيرهم الأمر الذي يجعلهم غير مؤهلين لولوج عالم التفسير المختص بأهله؟!

والمنهج الصحيح الذي سلكه الطباطبائي يمثل الحل الفيصل والأمثل لإرشاد مفسري أهل السنة أشاعرة وكذلك المعتزلة إلى المسلك الصحيح قائلاً: إن البحث الصحيح يوجب أن نفسر هذه البيانات اللفظية ـ يعني الغيبيات في القرآن ـ على ما يعطيه اللفظ في العرف واللغة ثم يعتمد في أمر المصداق على ما يفسر به بعض الكلام بعضاً ثم ينظر هل الأبحاث العلمية تنافيها أو تبطلها؟

فإن أثبتت فيها، وإن نفت، فلا حاجة للركون إلى هذه العلوم الطبيعية[2].

إذ ليست لها القدرة على النفي في أمر غيبي لأنها تتناول الحس ثم بيّن أن معاني هذه البيانات القرآنية هي التي نفهمها من هذه الألفاظ نفسها، لكن مصاديقها غير المصاديق المألوفة لدينا، فلها هناك مصاديق ـ حقيقة خارجية ـ على ما يليق بساحته قدسه تعالى[3].

كما وردّ الطباطبائي على جمهور المفسرين حين حملوا الآيات التي

---

(١) الزمخشري: تفسر الكشاف، بيروت ـ دار المعرفة ـ ١/ ٣٨٥.
(٢) الميزان: ١/ ٨٩.
(٣) الميزان: ٨/ ١٥٥.

تعني بالحياة والآخرة على ضروب المجاز والاستعارة، باعتبار أن ظواهر كثير من الآيات يدفع هذا الحمل[1].

فمثلاً عن «العرش» يقول: إن في الوجود عرشاً وهو حقيقة عينية وأمر من الأمور الخارجية، وهو المقام الذي يرجع إليه أزمة التدابير الإلهية والأحكام الربوبية فالعرش مقام العلم كما أنه التدبير العام الذي يسع كل شيء، وكل شيء في جوفه وهذا من غير تحديد لمصداقه الحقيقي.

الطباطبائي ومشكلة التفسير بالباطن:

مرّ عليك سابقاً كيف أن الزمخشري، شن على أهل السنة حملة تكفيره لهم من أنهم لم يحسنوا تفسير الظواهر، حيث وقعوا في التشبيه والتجسيم وعدم التنزيه نراهم أي أهل السنة، يتهمون من لا يسير على منهجهم، بأنهم باطنية ومبتدعة وغيرها من عبارات الطعن والشتائم، حتى على بعضهم البعض فكيف ممن خالفوهم؟

فمثلاً أن مسألة الباطن قد ذكرت في تراثهم، أما إذا أرادوا الهجوم على الغير تذكروا لما عندهم وأغمضوا عيونهم عنه؟!

مثال: فقد رووا عن الرسول ﷺ أنه قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع)[2].

ولكنهم سواء أن عجزوا عن فهم الباطن أو غفلوا عنه تراهم يرمون الشيعة بأنهم باطنية ومؤولة وغيرها من التهم. وهكذا تعددت واضطربت أفهامهم وتباينت مسالكهم، فمنهم من اعتبر باطن القرآن هو المقصود دون ظاهره، ومنهم الباطنية والقرامطة، وإن كنت لا أعذر هؤلاء ولكن انحرافهم برقبة معاوية ووعّاظه وهكذا كل حاكم يحكم بهواه، ففي الوقت الذي يشن

---

(١) الميزان: ١/ ٩٢.

(٢) مصابيح السنة للبغوي ١/ ١٥ (كتاب العلم).

فيه أهل السنة حملتهم عليهم، وعلى غيرهم، وكأنهم هم أصحاب الحق وأهله، فأقول لهم إذا كان السلطان ووعاظه قد لوحوا لعلماء بفتات الموائد البلاطية، ترغيباً وطمعاً فهل بلغوا الحق؟! أو أنهم دفعوا ضريبة وشرط قبول الحاكم لهم؟!

فهل هم أحسن حالاً ممن يتهمونهم ممَّن لا حول لهم ولا قوّة؟

لذلك نجد أن من علماء السنة قد حصل من الطعون من أهله كالفخر الرازي وأبي حامد الغزالي إلى قوله بالتأويل الباطني تمسكه بالظاهر[1].

الطباطبائي يحسم نزاع القوم ويردهم للصواب:

فهو يقدم الظاهر ويعتقد أنه المقصود فيقول: ولا نجد دليلاً على أنه يقصد من كلماته ـ أي القرآن الكريم ـ غير المعاني التي ندركها من ألفاظه وجمله[2]!

واعتبر الطباطبائي في الكشف عن باطن القرآن أمرين:

أحدهما: ظواهر الآيات نفسها

والأمر الآخر: ظواهر الشريعة المباركة، وبالتالي لا يكون الباطن مناقضاً لمعطيات ظواهر الكتاب وحقائق الشريعة.

ثم يقول: وحاشا أن يكون هناك حق من ظاهر أو باطن، والبرهان الحق يدفعه ويناقضه وحاشا أن يكون هناك شيء آخر أقرب مما دل عليه شارع الدين غفل عنه أو تساهل في أمره أو أقرب عنه لوجه من الوجوه بالمرة وهو القائل تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[3].

---

(١) الاتجاهات الفكرية من التفسير ـ د. الشحات السيد زغلول ـ ص٢٢.

(٢) القرآن في الإسلام ـ للطباطبائي ـ ص٢٤.

(٣) الميزان: ٥/٢٨، سورة النحل: ٨٩.

ومن التي فسرها على الباطن:[1]

قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فإنَّ المفسر من خلال النظرة البدائية في هذه الآية تدل على النهي عن عبادة الأصنام، ولكن بعد التدبر فيها وفي غيرها من الآيات فإنها تفيد كذلك النهي عن عبادة غير الله من دون إذنه: وأكثر من ذلك فهي تنهى عن عبادة الإنسان نفسه باتباع شهواتها، وأكثر من هذا أيضاً أنها تفيد النهي عن الغفلة عن الله تعالى والتوجه إلى غيره.

فإرادة هذه المعاني لا تنفيها إرادة الظاهر من الآية الكريمة، وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر!

وكما هو منهجه فيه تفسير القرآن بالقرآن، فقد ذكر آيات أخرى يستفاد منها تجلية تلك المعاني، منها قوله تعالى:

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

وهكذا نعلم أن المفسر إنما يستعين بالقرآن الكريم نفسه على ألا تكون هذه المعاني خارجة عن حقائق الشريعة؟!!

تفسير الأمثل[2]:

هو أول تفسير نموذجي ظهر إلى الوجود، وكان قد تعاون عليه جمع من فضلاء الحوزة في قم المقدسة، وذلك خلال مدة (١٤) سنة (١٣٩٦ - ١٤١٠هـ) ولهذا كان التفسير عملاً جماعياً، ولكن كان بإشراف العلامة

---

(١) الطباطبائي: القرآن في الإسلام ص٢٧، والميزان: ٤/٣٥٣، النساء:٣٦، الحج:٣٠، يس:٦، الجاثية:٢٣.

(٢) التفسير والمفسرون بثوبه القشيب ـ الشيخ هادي معرفة ٢/٤٧٦.

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، أحد أعلام العصر، ومن المجاهدين، وصاحب تآليف إسلامية عربية، وصاحب نظر واجتهاد.

وهذا التفسير فرضته الضرورة الحاضرة للجيل (المعاصر) ولذلك كان كأنه لباب وعصارة لتفاسير السلف (رض)، كما أنه ركز على أهم المواضيع الإسلامية التربوية والأخلاقية، ومتناسباً مع المستوى العام، لاختيار العبارة المناسبة. ثم قدموها للجيل المتعطش إلى فهم معاني القرآن بشكل واسع مع بيان جزل أشبه بالسهل الممتنع.

جاء في المقدمة: «.... ونحن نفتقر إلى تفسير مثل هذا. فالسلف والمعاصرون كتبوا في ذلك كثيراً ولكنها بأساليب خاصة بالعلماء والأدباء وعلى مستويات رفيعة»[1].

الفرقان في تفسير القرآن:

تأليف الشيخ محمد الصادقي الطهراني، وقد تم تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧ ـ ١٤٠٧هـ) وكان بصورة محاضرات يلقيها على طلبة العلوم الدينية في الحوزتين النجف وقم، وهو تفسير جامع شامل، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن وكان باقتداد، وهو تحليلي نقدي تربوي اجتماعي، مع تنقية للأحاديث التي يراها أقرب إلى روح القرآن الكريم!

ولذا احترز عن الإسرائيليات ـ التي تبنى مفسرو أهل السنة رواتها ورواياتها ـ بشكل قاطع وكذا عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة.

ويمتاز المؤلف أنه من الفقهاء الكبار، فإن تفسيره تعرض لمسائل الفقه والأحكام لا بل حاكم وناقش الفقهاء والمراجع في كثير من المسائل التي شخصها بأنها دخيلة على التشيع (النهج المحمد الأصيل) خاصة مما اعتنى بها القرآن العزيز مثل الزكاة وصلاة الجمعة والقصر والتمام وغيرها من

---

(١) الأمثل ١/ ١١.

المسائل ـ ومع الأسف ـ التي أصبحنا نؤسس على أساسها الأحكام وندافع ونؤيدها بالروايات المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام. بينما هي نشأت في ظروف التقية، ورفض جمعة وجماعة الظالمين المنحرفين عن القرآن والسنة الحقة، وعدم شرعيتهم لدفع الزكاة لهم؟!

وقد التقيت به في عدة مناسبات فوجدته الباحث والداعي إلى التشيع القرآني السنتي المحمد الأصيل، وذلك بنتقية وتشذيب ما أصاب التشيع العظيم من الشوائب والدخائل والتي اعتبرها البعض من أصول وضرورات المذهب وما هي كذلك؟!

وفي المقابل نجد ـ ومما يؤسف له حقاً ـ بعض مفسرينا قد انبهروا ببهارج كثرة التفاسير واشتهار رجالها سياسياً، فراح يعتبرها المصدر المنشود بل وأخذ يتأثر بها حتى بما ساندته من الأحاديث والتفاسير التعصبية والناصبية ضد أهل البيت، والتشيع لعلي نفس وصنو النبي صلى الله عليه وآله، لا التشيع لسياسات وبطون الحكام!

وهكذا تجده في العقائد فإنه يجلي الوجه الإسلامي الأصيل للتشيع العلوي المحمدي بكل نزاهة، ليأخذ بأيدي المخالفين والمنحرفين إلى الصراط القويم في المسائل الكلامية، وكل من شذّ عن التشيع الحق؟!

كما ويتجنب تحميل القرآن بنظرات النظريات العلمية الحديثة، كما بينا كيف أن أهل السنة يتجرأون على كلام الله سبحانه بالرأي والاستحسان وكذلك يلصق كل نظرية ظهرت بالقرآن الكريم، وإيجاد ما يؤدها من الآيات تكلفاً حسب أذواقهم.. ولكن مفسرنا يرى أن القرآن في غنى عن ذلك، اللهم إلا إذا رفع بذلك إبهام في إشارات عابرة جاءت في القرآن على شرط أن تكون النظرية ثابتة، ولذلك تراه يحمل على الشيخ طنطاوي موجهاً إياه للتفسير الصحيح بقوله: (ومن ذلك كثير عند كثير من المفسرين الذين غرقوا في العلوم والنظريات الجديدة، ونسوا أن القرآن هو علم الله، فلن يتبدل،

والعلم دوماً في تبدل وتحول من خطأ إلى صاب ومن صواب، إلى أصوب)[1].

تفسير الكاشف: للعلامة الشيخ محمد حداد معنية، من كبار علماء لبنان (١٣٢٢ ـ ١٤٠٠هـ) المتخرجين من حوزة النجف الأشرف. وصاحب التأليفات المعتبرة والمفيدة، ومنها هذا التفسير القيّم، أخرجه من سبع مجلدات، وطبع عدة طبعات.

منهجه باختصار: تفسير يتلائم وحاجة المسلمين المعاصرة. ولقد أجاد في هذا المضمار، وأوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن وقد يذكر الأحداث السياسية ويؤرخها كتفاصيل هزيمة (٦٧) مع اليهود، ويربطها بالآيات ومصير بني إسرائيل!

كان يعيش تطلعات عصره، ويفاعلها مع الآيات في عبارات شيقة ورصينة، ودلائل متينة معقولة، من غير أن يتغافل عما حققه المفسرون السلف، وزاد عليه الخلف. فهو يدعو إلى الوحدة الإسلامية على ضوء القرآن الكريم، ويحّمل الآخرين سبب تفرق الأمة، ولجوء الشيعة إلى التقية والانحسار عن الحياة الإسلامية، بكل صراحة. فكان تفسيره جامعاً وشاملاً ومجيباً على أسئلة الجيل الحديث.

وأخيراً: هناك تفاسير أخرى معاصرة جمعت ما بين محاسن السلف وحذرهم من الإسرائيليات والموضوعات، وبين استفادات العلوم الحديثة المادية والأكاديمية مثل: من هدي القرآن ـ للمدرسي ـ الذي اعتمد فيه على التدبر المباشر، أي منهج الاستلهام المباشر، والعودة إلى القرآن ذاته، وكما يقول: (وفق المنهج الذي علّمنا إياه الرسول الكريم، وأئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه)[2].

---

(١) الفرقان في تفسير القرآن ١/ ٣١.

(٢) من هدي القرآن ١/ ٥.

كذلك تفسير (من وحي القرآن) لآية الله السيد محمد حسين فضل الله، ويتميز بكونه تفسيراً حركياً للجيل المجاهد، فضلاً عن منهجه التربوي والاجتماعي الشامل، ويعمل على إحياء الجوّ القرآني في كل مجالات الحياة المادية والمعنوية متأثراً بأسلوب سيد قطب في «الظلال» وقد ظهر تأثره به رغم كونه ينتمي إلى مدرسة أهل البيت وتعاليمهم، وقد حاول تذويب بعض الفوارق بين المسلمين ـ حسب منهجه ـ بتأثير إعجابي بمفسري أهل السنة مما أثار النقود بل الحملات عندما لمسوا منه ـ حسب ما فهموه ـ أنه على حساب المساس بمنزلة الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام؟!

أقول: إن منهجنا المنتمي إلى أهل بيت النبوة، يدعوننا إلى عرض أخبارنا وموروثنا كله بل وأنفسنا ـ كما مرّ سابقاً ـ على القرآن الكريم، ولا ننكر ما أصاب موروثنا من ظروف التقية وغيرها.

وقد رأينا كيف اختلف حتى بعض أصحاب الأئمة، وتجديدات الشيخ المفيد، وابن إدريس، وابن الجنيد، والوحيد البهبهاني وغيرهم.

وما هذه المحاولات إلا لأجل تجلية الصورة على أساس نقد ذاتي للوصول إلى الإسلام المحمدي الأصيل، الذي خلفه النبي صلى الله عليه وآله في خليفته وأخيه ونفسه وصنوه علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده أهل بيته عليهم السلام.

وعليه فنحن غير ملزمين بأحكام وسنة السلاطين من زكاة، وجمعته وجماعته وغيرها.

فما أخذه الناقدون ضد السيد فضل الله، أنه يدعو إلى تشيع على هامش مذاهب أهل السنة؟! متأثراً بموروثهم المذهبي؟!

وبين هذا وذاك يرد سماحته على أولئك، ويدافع عن وجهة نظره، حتى لا نقع ـ كما يرى ـ في دائرة التعصب والانغلاق وأمثالها؟!

وهذا يمثل أعلى درجات النقد الذاتي في هذا المخاض، وهو الصراع بوسائل الخصم وتقمص شخصيته، بل وبأسلحته.

ويرى سماحته في المقدمة: (ان القرآن ليس كلمات لغوية تتجمد في معناها اللغوي، بل هي كلمات تتحرك في أجواء روحية وعملية...)[1].

هذا إذا علمنا أن سماحته يدعو إلى الحوار والتقارب. إلاّ أنّ الذي يدور ترى أن لتلك الدعوة اتجاهين:

١ ـ **الاتجاه الأول**: الداعي والراجي من مذاهب أهل السنّة بالاعتراف بالتشيع كمذهب خامس.. وكان موقف أهل السنّة بين مدّ وجزر ومن علو؟!

ولعله يشار لأصحاب هذا الاتجاه لأمثال سماحة السيد فضل الله والشيخ شمس الدين وأمثالهم. وإن كان الأول أكثر عمقاً وتمسكاً بالتشيع!

٢ ـ **الاتجاه الثاني**: وهو الذي نتبناه وهو دعوة أهل السنّة لنبذ الانحراف عن السنّة الحقّة التي خالفوها زمناً، وإرجاعهم إلى وصية النبيﷺ في أهل بيتهعليهم السلام بعد ترك التعصب والغلو بالرجال والإسرائيليات والتشيع للحكام بالحوار الموضوعي الذي أسلفنا ذكره فيما مضى في مجال التفسير والتشريع؟!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) تفسير من وحي القرآن ١/ ٨ (المقدمة).

الخاتمة

هذه محاولة متواضعة في نقد مناهج التفسير والمفسرين المقارن، لنستجلي بها التعتيم والضبابية، نتيجة الظروف السياسية لحكّام البطون الوراثية، التي أدّت إلى التمزق والخسران نتيجة انحسار وتهميش الدور الكبير لأهل الحق الأوحد أهل بيت النبوة عليهم السلام وإبعادهم عن مسرح حياة المسلمين.

الأمر الذي أدى إلى ضبابية معرفة الحق وأهله، وهل الأخذ إلا من أهل الذكر؟! أو هل من أقطاب الإسرائيليات من أهل الكتاب في التفسير؟! وكيف نكشف الموضوعات؟! وهل نعرف الحق بالرجال أو العكس؟!

وهكذا اختلفت المناهج والمدارس، وكما ادعى أهل السنة أن عندهم الصحاح، قالوا بأن تفاسيرهم هي مما يعتمد عليها دون غيرها، فضلاً عن نقدهم المستهجن، والنظر الشزر للآخرين؟!

وستجد أنهم لو ردّوه إلى القرآن الكريم، وصحيح المنقول، وصريح المعقول عندها سيعرف المنهج الحق من الباطل، والغث من السمين، والضلال من الهدى ولكي تتوحد الأمة المسلمة على منهج وحجة الحق البيضاء التي أمرنا بها الله ورسوله وهو منهج أهل بيت النبوة!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الشيخ سالم الصفار

بيروت ـ لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرست

الإهداء ٣

المقدمة ٥

تمهيد ١١

ما هو القرآن؟ ١١

ما هي حقيقة إعجاز القرآن ١٢

شبهة المستشرقين حول الوحي ١٣

ما هو الوحي؟ ١٤

هل يوجد طريق آخر للمعرفة؟ ١٦

العكس هو الصحيح ٢٠

مدرستان في الفرقان التفسيري ٢٥

سنة الصحابة والتابعين ٢٨

روايات ارتداد الصحابة ٣٤

أيّة صحابة وأيّة سنّة؟! ٣٦

مذهب الصحابي ٤٧

دليل الغزالي ومناقشته ٤٨

الاتهام الظالم ٤٩

الحكم بالمتناقضات؟! ٥٠

الجزاء الوفاق ٥٢

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تفسير أم تخبط؟! ٥٢
الباب الأول: التفسير والمفسرون عند أهل السنة ٥٧
الفصل الأول: في بيان المعاني والمصطلحات في التفسير وآدابه والشروط ٥٩
القسم الأول: بيان المعاني والمصطلحات ٦١
١ المطلب الأول: وفيه فرعان ٦١
الفرع الأول: التفسير لغةً واصطلاحاً ٦١
الفرع الثاني: التأويل، لغةً واصطلاحاً ٦٢
٢ المطلب الثاني: شروط المفسر وآدابه ٦٦
٣ المطلب الثالث: العلوم الواجب توافرها في المفسر بشكل عام ٧١
القسم الثاني: دراسة عامة لتفاسيرهم ٧٨
التفسير المزوّر ٧٨
مفهوم البداء، وعلاقته بالنسخ ٧٩
المطلب الأول: مواضع الخلل في تفاسيرهم ٨٠
الفرع الأول: التفسير بالإسرائيليات ٨٠
الفرع الثاني: جرحوا بسيفهم ٨١
الفرع الثالث: صحيح الوضاع والزنادقة ٨٢
الفرع الرابع: أحاديث الترغيب والترهيب ٨٤
الفرع الخامس: التعمية بسبب حذف الأسانيد ٩٠
الفرع السادس: نتائج سنتهم المدعاة ٩١
المطلب الثاني: التفسير بالرأي ٩٣
الجرأة على الله ورسوله ٩٣
تحذير القرآن الكريم من التفسير بالرأي ٩٤
حتى نرفع الشبهات والطعون على الإسلام وعلمائه التي صدرت منه؟! ١٠٠
١ ـ صاحب إدعاءات عريضة ١٠٠
٢ ـ كافر وليس بمسلم ١٠٠

٣ ـ غير مؤتمن على نقل الأحاديث ١٠١
٤ ـ مجازفاته في التفسير والقول برأيه الفاسد ١٠٢
٥ ـ القول بكفره ونفاقه ١٠٣
اعتراف ١٠٤
لماذا كان التفسير بالرأي ١٠٥
مناقشة وتوجيه ١٠٥
الفرع الأول: أشهر المفسرين بالرأي ١٠٧
خاتمة موضوع الاجتهاد بالرأي ١٣٠
الفرع الثاني: التفسير بمأثورهم ١٤١
الفرع الثالث: أشهر المفسرين بالمأثور وكتبهم ١٦٦
أول المفسرين بالمشهور ١٧٣
تعارك وتناقض حول مدرسة التفسير بالمأثور ٢٠٣
الفرع الرابع: التفسير العرفاني والصوفي أو الإشاري ٢١٠
الفرع الخامس: التفسير الكلامي «الفلسفي» ٢١٨
الفرع السادس: التفسير الفقهي ٢٢٣
الفرع السابع: التفسير البلاغي ـ البياني ٢٣٧
الفرع الثامن: التفسير العلمي ٢٤٤
الفرع التاسع: التفسير التاريخي ٢٤٦
الفرع العاشر: التفسير الموضوعي ٢٤٨
الفرع الحادي عشر: التفاسير الحديثة ٢٤٩
المطلب الثالث: وفيه مباحث ٢٥٢
المبحث الأول: شهادتان، وتساؤلات ٢٥٢
المبحث الثاني: تساؤلات محتار آخر؟! ٢٥٦
كافر يكفر المسلمين ٢٥٩
حيرة يحار جوابها ٢٥٩
نتائج البحث ٢٥٩

الباب الثاني : منهج أهل البيت (ع) في التفسير ومفسريهم ٢٦٣
تمهيد ٢٦٥
قدوة التفسير ٢٦٥
مرجعية الأئمة ومشكلة المحكم والمتشابه ٢٦٩
الكتاب بين التعظيم والتحجيم ٢٧١
القرآن عند أئمة أهل البيت (ع) ميزان وتبيان ٢٧٣
الفصل الأول : دور الإمام علي والأئمة من ولده (ع) ٢٧٥
القسم الأول : دور الإمام علي (ع) ٢٧٧
المطلب الأول: علي (ع) والقرآن ٢٨٠
علي (ع) إمام المفسرين ٢٨٢
المطلب الثاني: نقد تبرير الذهبي ٢٨٣
المطلب الثالث: أعذار واهية ٢٨٩
القسم الثاني: دور الأئمة الثلاثة (ع) في التفسير ٢٩٨
المطلب الأول: دور الإمام الحسن بن علي (ع) ٣٠٠
المطلب الثاني: دور الإمام الثالث الحسين بن علي (ع) ٣٠١
المطلب الثالث: دور الإمام علي بن الحسين ـ السجاد (ع) ٣٠٣
منزلته وعلمه ٣٠٣
أولو الأمر وأهل الذكر ٣٠٥
القسم الثالث: دور بقية الأئمة من أهل البيت (ع) ٣٠٨
المطلب الأول: دور الإمام محمد الباقر (ع) ٣٠٨
الفرع الأول: علوم الإمام أمام تعسف الحكام ٣١١
الفرع الثاني: الفرقان في الاختلافات ٣١١
تصدّيه (ع) للإسرائيليات ٣١٢
الإمام الباقر (ع) والتفسير ٣١٣
إمام التفسير في مسألة جري القرآن ٣١٤

المطلب الثاني: الإمام جعفر الصادق (ع) ٣١٤
شهادة الأعداء ٣١٥
الإمام الصادق (ع) والتفسير ٣١٦
المطلب الثالث: الإمام السابع موسى بن جعفر (ع) ٣١٧
محاجة الإمام (ع) لهارون بالكتاب ٣١٧
استشهاد الإمام (ع) بأن الحسنين هما ابنا رسول الله (ص) ٣١٨
ردّه (ع) على العامة في العقائد ٣١٩
المطلب الرابع: الإمام الرضا (ع) الإمام الثامن ٣٢١
المطلب الخامس: الإمام محمد بن علي بن موسى الرضا (ع) تاسع الأئمة (ع) ٣٢٤
علوم الجواد (ع) والكتاب منه خصوصاً ٣٢٤
المطلب السادس: الإمام الهادي (ع) عاشر الأئمة ٣٢٥
الإمام الهادي (ع) وتصديه لمسألة تحريف القرآن ٣٢٦
الفرع الأول: الإمام الهادي (ع) وحسم مسألة خلق القرآن ٣٢٦
الفرع الثاني: دفعه (ع) للشبهات وبينات الحق ٣٢٨
المطلب السابع: الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (ع) ٣٢٩
الإمام العسكري (ع) ودفاعه عن القرآن ٣٢٩
التفسير الجليل المنسوب إلى الإمام العسكري ٣٣٠
المطلب الثامن: الإمام الحجة (عج) ٣٣١
القسم الثالث: دور الأئمة (ع) في هداية الأمة ٣٣٢
المطلب الأول: أسلوب أئمة أهل البيت في المحكم والمتشابه ٣٣٥
المطلب الثاني: الموقف من التأويل والتنزيل ٣٣٧
معنى حجية أقوال النبي (ص) والأئمة (ع) ٣٣٩
الفصل الثاني: منهج مفسري الشيعة (أهل السنة) وطبقاتهم ٣٤٣

تقدم الشيعة في علم القراءة ٣٤٥
القسم الأول: طبقات مفسري الشيعة ٣٤٨
القسم الثاني: معالم المنهج التفسيري عند الشيعة ٣٥١
المطلب الأول: موضوعيتنا القرآنية لتفسير القرآن الكريم ٣٥١
المطلب الثاني: آفاق المنهج الأهل بيتي ٣٥٢
١ ـ ميزانية القرآن الكريم وقواعديته ٣٥٢
٢ ـ وحدة القرآن ووحدة سياق سوره ٣٥٤
٣ ـ سلامة عقائد المفسر ٣٥٦
٤ ـ الرفض الشديد للإسرائيليات ٣٥٧
٥ ـ الامتياز بالإحاطة بظروف النص القرآني ٣٥٨
القسم الثالث: مناهجنا في التفسير ٣٦٠
المطلب الأول: منهجنا ودور العقل ٣٦٠
المطلب الثاني: منهج تفسير القرآن بالقرآن ٣٦١
نتائج المنهج المعتمد ٣٦٤
المطلب الرابع: المحصلة ٣٦٨
القسم الرابع: أشهر كتب التفسير ٣٧٢
المطلب الأول: التفسير بالمأثور ٣٧٢
١ ـ تفسير العياشي ٣٧٢
منهجه في التفسير ٣٧٣
٢ ـ تفسير القمي ٣٧٤
٣ ـ تفسير الحويزي (نور الثقلين) ٣٧٥
٤ ـ تفسير البحراني (البرهان) ٣٧٧
منهجه في التفسير ٣٧٧
٥ ـ تفسير الصافي ٣٧٨
منهجه في التفسير ٣٧٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٦ ـ تفسير المشهدي: (كنز الدقائق بحر الغراب) ٣٧٩
المطلب الثاني: أهم تفاسير آيات الأحكام ٣٨٠
١ ـ أحكام القرآن ـ للراوندي ـ (فقه القرآن) ٣٨٠
٢ ـ أحكام القرآن ـ للسيوري ـ وكنز العرفان في فقه القرآن ٣٨١
٣ ـ زبدة البيان في أحكام القرآن ـ للمقدس الأردبيلي ـ ٣٨٢
٤ ـ مسالك الإفهام إلى آيات الأحكام ـ للفاضل الجواد الكاظمي ٣٨٢
٥ ـ قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر ـ للجزائري ـ ٣٨٢
٦ ـ آيات الأحكام ـ للسيد الطباطبائي اليزدي ـ ٣٨٢
المطلب الثالث: التفاسير الجامعة ٣٨٢
١ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ لأبي جعفر الطوسي (٤٦٠ هـ) ٣٨٣
منهجه في التفسير ٣٨٤
٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ أبو علي الطبرسي ـ ٣٨٦
منهجه في التفسير ٣٨٦
٣ ـ تفسير القرآن للسيد عبد الله شبر ٣٩٧
التعريف بتفسيره ٣٩٧
٤ ـ تفسير البلاغي (آلاء الرحمان) ٣٩٨
٥ ـ تفسير الميزان للعلامة والمفكر الكبير السيّد حسين الطباطبائي (قده) ٤٠٠
منهجه في التفسير ٤٠٠
٢ ـ النزعة العلمية لدى الطباطبائي في التفسير ٤٠٤
٣ ـ توجيهه لمفسري السنّة بحسن استعمال العقل ٤٠٩
الطباطبائي ومشكلة التفسير بالباطن ٤١٣
الفرقان في تفسير القرآن ٤١٦
الخاتمة ٤٢١